

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 015067075

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

تَفْسِيرُ
التَّبْيِئَاتِ

لِشَيْخِ الطَّائِفَةِ الْهَلَوَسِيِّ نُبَيْهِ

٣٨٥ - ٤٦٠ هـ

المجلد السابع

تَحْقِيقٌ وَتَصْحِيحٌ
أَمْرٌ صَبِيحٌ قَصِيرٌ الْقَائِلِي

مَكْتَبَةُ الْأَمِينِ
النَّجْفُ الْأَشْرَفُ

مطبعة النعمان - النجف الاشرف - شارع السراي



١٠٠٠ قرش لبناني

تفسير
التبليغيات

لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره

٣٨٥ - ٤٦٠ هـ

المجلد السابع

تحقيق وتصحيح
أحمد مهديب قصير القاملي

مكتبة الأئمة
النجف الأشرف

١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م

مطبعة النعمان - النجف الأشرف - شارع السراي



Faint handwritten text, possibly a name or title.

Faint handwritten text, possibly a name or title.

Faint handwritten text, possibly a name or title.

Faint handwritten text, possibly a name or title.

Faint handwritten text, possibly a name or title.

١٨ - سورة الكهف

قال مجاهد وقتادة : هي مكية ، وهي مئة وعشرون آية في الكوفي وأحدى عشرة
في البصري وخمس في المدنيين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عِوَجًا (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثُرَ
فِيهِ أَبَدًا (٣) ﴾ ثلاث آيات بلاخلاف .

قرأ أبو بكر ﴿ لدنه ﴾ باسكان الدال واشمال الضمة ، وكسر النون والهاء
وإيصالها بياء . الباقون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء من غير واو ، إلا ابن
كثير ، فإنه كان يصل الهاء بواو .

واعلم أن (لنن) اسم غير متمكن ، ومعناه (عند) ، قال الله تعالى « من

2273
8231

لنن حكيم خير « (١) فالنون ساكنة في كل أحوالها، والهاء إذا أتت بعد حرف ساكن لم يميز فيها إلا الضم نحو (منه) فالاصل (منهو) و (هو) فهو كقول ابن كثير، غير أنهم حذفوا الواو اختصاراً، وإنما أسكن أبو بكر الدال استقلالاً للضم كما قالوا « في كرم زيد » : قد كرم زيد، فلما أسكن الدال التقى ساكنان، النون والدال، فكسر النون لا لتقاء الساكنين، وكسر الهاء لمجاورة حرف مكسور، ووصلها بهاء كما تقول: مررت به، ولو فتح النون لا لتقاء الساكنين لجاز، بعد أن أسكن الثاني كقول الشاعر:

عجبت لمولود وليس له أب ومن ولد لم يلد له ابوان (٢)
يعني آدم وعيسى. فلا يتوهم أن عاصماً كسر النون علامة للجزم، لأن (لنن) لا تعرب. وحكى أبو زيد: جئت فلاناً لنن غدوة - بفتح الدال - .

يقول الله تعالى خلقه قولوا ﴿ الحمد لله الذي ﴾ خص برسالته ممدداً (ص) وانتجبه لا بلاغها عنه، وبعثه إلى خلقه نبياً رسولا، وأنزل عليه كتاباً قيماً، ولم يجعل له عوجاً. وقيل في معنى قوله ﴿ قيماً ﴾ قولان: أحدهما - معتدلاً مستقيماً الثاني - أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها. والأول قول ابن عباس. فعلى هذا « قيماً » مؤخر، والمراد به التقدم، وتقديره أنزل الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً أي اختلافاً. وقال الضحاك: معناه مستقيماً. وقال ابن اسحاق: معناه معتدلاً لا اختلاف فيه. وقال قتادة: أنزل الله الكتاب قيماً، ولم يجعل عوجاً. وفي بعض القراءات « ولكن جعله قيماً » وكسرت العين من قوله « عوجاً » لأن العرب تقول: عوجاً

(١) سورة ١١ هود آية ١ (٢) تفسير الطبري ١٥ / ١١٩ وهو في

— بكسر العين — في كل اعوجاج كان في دين أو فيما لا يرى شخصه قائماً ولا يدرك عياناً منتصباً كالعوج في الدين ، ولذلك كسرت العين في هذا الموضع . وكذلك العوج في الطريق ، لأنه ليس بالشخص المنتصب . فأما ما كان في الاشخاص المنتصبه فان عينها تفتح كالعوج في القناة والخشبة ونحوها .

وقال ابن عباس : معنى قوله « ولم يجعل له عوجاً » أي لم يجعله ملتبساً . ولا خلاف بين أهل العربية ان قوله « قيماً » وإن كان مؤخرأ فتقديره الى جنب الكتاب . وإنما افتتح الله تعالى هذه السورة بذكر نفسه بما هو أهله ، وبالخبر عن انزال كتابه على رسوله ، ليخبر المشركين من أهل مكة بأن محمداً (ص) رسوله ، لأن المشركين كانوا سألوا رسول الله (ص) عن أشياء لقنوها إياهم اليهود ، من قريظه والنضير ، وأمروهم أن يسألوه عنها ، وقالوا : إن اخبركم بها فهو نبي ، وإن لم يخبركم فهو مقتول ، فوعدهم رسول الله (ص) الجواب عنها ، موعداً فأبطأ — على قول بعضهم — الوحي عنه بعض الابطاء وتأخر مجيئه . جبرائيل (ع) عنه ، عن ميعاده القوم فتحدث المشركون بأنه اخلفهم موعده ، وأنه مقتول ، فأنزل الله هذه السورة جواباً عن مسائليهم ، وافتتح أولها بذكره تكديباً للمشركين فيما تحدثوا بينهم من احدوثتهم — ذكر ذلك محمد بن اسحاق باسناده عن عكرمة عن ابن عباس — وكان الذين ذهبوا الى اليهود وسألوهم عن أمر النبي (ص) النضر بن الحارث بن كلدة ، وعقبة بن أبي معيط ، وكانت المسائل التي لقنوهم إياها : أن قالوا : سلوه عن ثلاثة اشياء ، فان أخبركم بهن ، فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فانه مقتول ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فانه كان لهم حسدith عجيب . وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فان أخبركم بذلك فانه نبي مبعوث ، فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فانه مقتول . فرجعوا الى مكة

واجتمعوا مع قريش فجاؤا الى رسول الله (ص) فسألوه عنها . فقال النبي (ص) اخبركم بذلك . وقال بعضهم : انه قال : اخبركم غداً بما سألتهم ، ولم يستثن ، وانصرفوا عن النبي (ص) فمكث رسول الله خمس عشرة ليلة لا ينزل الله اليه في ذلك وحيًا ، ولا يأتيه جبرائيل (ع) حتى اوجف أهل مكة . وتكلموا في ذلك ، فشق ذلك على رسول الله (ص) فانزل الله عليه جبرائيل ومعه (سورة الكهف) يخبره فيها عما سأله عنه من أمر الفتية . والرجل الطواف ، وانزل عليه « ويسألوك عن الروح ٠٠٠ » (١) الآية .

فروى ابن اسحاق أن رسول الله (ص) أفتتح السورة ، فقال « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيمًا » أي معتدلاً ، لا اختلاف فيه . وقوله « لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجراً حسناً ما كثرين فيه ابدأ » معناه أنزل على عبده القرآن معتدلاً مستقيماً لا عوج فيه ، لينذركم أيها الناس بأساً شديداً من أمر الله . ومعنى البأس العذاب العاجل والنكال الحاضر ، والسطوة . ومعنى « من لدنه » من عند الله ، وهو قول ابن اسحاق ، وقتادة . ومنعول « لينذر » محذوف ، لدلالة الكلام عليه ، وتقديره : لينذركم بأساً كلما قال « يخوف أوليائه » (٢) وتقديره يخوفكم أوليائه . ومعنى « ويبشر المؤمنين » يعني المصدقين بالله ورسوله « الذين يعملون الصالحات » يعني ما أمرهم الله به من الطاعات ، وهي الاعمال الصالحات ، والانتباه عما نهاهم عنه « أن لهم اجراً حسناً » يعني ثوباً جزيلاً من الله على ايمانهم بالله ورسوله . وعملهم في الدنيا بالطاعات واجتناب المعاصي . وذلك الثواب هو الجنة .

وقوله « ما كثرين فيه ابدأ » أي لا يثين فيه ابدأ خالد بن مؤبد بن لا ينتقلون

عنه ولا ينقلبون ، ونصب (ما كثرين) على الحال من قوله « إن لهم أجراً حسناً » في هذه الحال ، في حال مكشهم في ذلك الاجر .

قوله تعالى :

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾ آيتان .

يقول الله تعالى أنه يحذر ايضاً محمد (ص) القوم « الذين قالوا اتخذ الله ولداً » من مشركي قومه وغيرهم - عقاب الله ، وعاجل نقمته وأليم عذابه على قولهم ذلك .

وقوله « ما لهم به من علم » [معناه ما لقائلي القول هذا يعني قولهم « اتخذنا الله ولداً » به من علم] (١) يعني ليس لهم بالله من علم . ومعنى الكلام ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله من علم بأنه لا يجوز أن يكون له ولد . فلجلبهم بالله وعظمتهم قالوا ذلك .

وقوله « ولا لآبائهم » معناه ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه اليوم ، ما كان لهم بالله وعظمتهم علم .

وقوله « كبرت كلمة تخرج من افواههم » نصب (كلمة) على التمييز ، وتقديره كبرت كلمتهم التي قالوها كلمة ، كما تقول : نعم رجلا عمرو ، ونعم الرجل رجلا قام . وقال بعضهم : نصب (كلمة) لانها في معنى : اكبر بها كلمة ، كقوله « وساءت

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

مرتقفاً « (١) وهي في النصب كقول الشاعر :

ولقد علمت إذا الرياح تروحت هدى الرئال تكبهن شمالاً (٢)
 أي تكبهن الرياح شمالاً ، فكأنه قال كبرت تلك الكلمة . وروي عن بعض
 المكيين انه قرأ ذلك بالرفع ، كقولهم : كبر قولك ، وكبر شأنك ، فعلى هذا لا يكون في
 قوله (كبرت) مضمر ، بل يكون صفة الكلمة ، والأول أقوى ، لاجتماع القراء
 على النصب ، وهذا شاذ ، وتأويل الكلام : عظمت الكلمة كلمة تخرج من افواه
 هؤلاء القوم « الذين قالوا اتخذ الله ولداً » او الملائكة بنات الله .
 وقوله « إن يقولون إلا كذباً » معناه ليس يقول هؤلاء القائلون « اتخذ الله
 ولداً » إلا كذباً ، وفرية افتروها على الله - عز وجل - .

قوله تعالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا
 الْحَدِيثِ آسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ
 أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) ﴾
 ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه محمد (ص) « فلعلك » يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على
 آثار قومك الذين قالوا : « إن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً ٠٠٠ » (٣)
 تمرداً منهم على ربهم بأنهم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك ، فيصدقوا بأنه

(١) سورة ١٨ ، الكهف آية ٢٩ (٢) تفسير الطبري ١٥ / ١١٩ وهو

في مجمع البيان ٣ / ٤٤٩ (٣) سورة ١٧ ، الاسرى آية ٩٠

من عند الله - حزناً وتلهفاً ووجداً - بادبارهم عنك واعراضهم عن قبول ما اتيتهم به . و (أسفاً) نصب على المصدر . يقال بجمع نفسه يبضعها بجمعاً وبخوعاً ، قال ذو الرمة :

ألا ايهذا الباعع الوجد نفسه لشيء نحتته عن يديه المقادر (١)
يريد (نحتته) تخفف . وما ذكرناه قول قتادة وغيره . وقوله « أسفاً » قال قتادة : معناه غضباً وتقديره : فلعلك باعع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً يعني غضباً . وقال مجاهد : معناه جزعاً . وفي رواية أخرى عن قتادة : حزناً عليهم . وفي رواية ثالثة عن قتادة حذراً . وكسرت (إن) لأنها في معنى الجزاء ولو فتحت لجاز قال الشاعر :

انجزع أن بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع (٢)
وهذا معاتبه من الله لرسوله على وجدده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان به والبراءة من الآلهة والانداد ، وكان بهم رحيماً ، وهو قول ابن اسحاق . وقوله « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » معناه إنا جعلنا الذي على الأرض من أنواع المخلوقات جمادها وحيوانها ونباتها « زينة لها » يعني للأرض « لنبلوهم ايهم » أي لنختبر عبادنا « ايهم أحسن عملاً » يعني من اتبع امرنا ونهينا وعمل فيها بطاعتنا ، وهو قول مجاهد .

قوله تعالى « وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا » فيه اخبار من الله تعالى إنا نخر بوهابعد عمارتنا إياها بما جعلنا عليها من الزينة فنصيرها صعيداً جرزاً ، والصعيد

(١) مجاز القرآن ١ / ٣٩٣ وتفسير الطبري ١٥ / ١٢٠ وهو في مجمع البيان

٣ / ٤٤٨ (٢) مر هذا البيت في ١ / ٣٤٩ من هذا الكتاب .

ظهر الأرض ، والجرز الذي لا نبات عليه ولا زرع ولا غرس . وقيل انه أراد بالصعيد
 سهبا - المستوي من وجه الأرض . وقال ابن عباس : معناه نهلك كل شيء عليها زينة .
 وقال مجاهد : «جرزاً» أي بلقماً . وقال قتادة : هو مالا شجر فيه ولا نبات . وقال
 ابن زيد : الجرز الأرض التي ليس فيها شيء ، بدلالة قوله « أو لم يروا أناسوق الماء إلى
 الأرض الجرز فنخرج به زرعاً » (١) . يعني الأرض التي ليس فيها شيء . من النبات .
 والصعيد المستوي قال : وهو كقوله تعالى « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » (٢) قال
 سيويو : يقال جرزت الأرض فهي مجرورة وجرزها الجراد والنعم ، وارضون اجراز
 اذا كان لا شيء فيها ، ويقال للسنة المجذبة جرز ، وسنون أجزاز لجدوبها ويسبها وقلة
 امطارها . قال الرازي :

قد جرفتن السنون الأجزاز (٣)

ويقال : أجزز القوم إذا صارت ارضهم جرزاً ، وجرزواهم أرضهم أكلوا
 نباتها كله .

قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا
 عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ
 رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (١٠) . آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) « أم حسبت » يا محمد ، والمراد به أمته أي

(١) سورة ٣٢ ، الم السجدة آية ٢٧ (٢) سورة ٢٠ ، طه آية ١٠٧

(٣) تفسير الطبري ١٥ | ١٢١ وروايته (حرقتهن) بدل (جرفتهن)

أحسبت « أن اصحاب الكهف والرفيم كانوا من آياتنا عجيباً » بل ما خلقت من السموات والارض وما بينهن من العجائب اعجب من اصحاب اهل الكهف ، وحجتي بذلك ثابتة (١) على هؤلاء المشركين من قومك وغيرهم من جميع عبادي ، وهو قول مجاهد وقتادة وابن اسحاق . وقال قوم : معناه « أم حسبت » يا محمد « أن اصحاب الكهف والرفيم كانوا من آياتنا عجيباً » فان الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه ، وهو قول ابن عباس . وقال الجبائي : المعنى أحسبت « أن اصحاب الكهف والرفيم كانوا من آياتنا عجيباً ، ولو لم نعلمك ذلك لما علمته . والاول أشبه ، لأن الله تعالى جعل انزال سورة الكهف احتجاجاً على الكفار بما واطأهم عليه اليهود . والمراد بالكهف في الآية كهف الجبل الذي أوى اليه القوم الذين قص الله شأنهم وذكر اخبارهم في هذه السورة .

واختلفوا في معنى « الرفيم » فقال قوم : هو اسم قرية - ذهب اليه ابن عباس - وفي رواية أخرى عنه : أنه واد بين غضبان ، وإيلة ، دون فلسطين ، وهو قريب من إيلة . وقال عطية : « الرفيم » واد . وقال قتادة : « الرفيم » اسم الوادي الذي فيه اصحاب الكهف . وقال مجاهد : « الرفيم » كتاب تبيانهم . وفي رواية أيضاً عن ابن عباس أن « الرفيم » هو الكتاب . وقال سعيد بن جبير : هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص اصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف ، وهو اختيار البلخي والجبائي وجماعة . وقيل : جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك ، لأنه من عجائب الامور . وقيل بل جعل على باب كهفهم . وقال ابن زيد : « الرفيم » كتاب ، ولذلك الكتاب خبر ، فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وما فيه ، وقرأ قوله « وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون » (٢) وقال : هو اسم جبل اصحاب الكهف ،

(١) في المخطوطة (قائمة) بدل (ثابتة) (٢) سورة ٨٣ ، المطففين آية ١٩ - ٢١

روى ذلك عن ابن عباس . وقيل : إن اسم ذلك الجبل (تياحلوس) (١) وقيل
تياحلوس (٢) .

وقد روي عن ابن عباس أنه قال : كل القرآن أعلمه إلا (حنان) و (الأواه)
و « الرقيم » . واختار الطبري أن يكون ذلك اسماً لكتاب أو لوح أو حجر
كتب فيه .

والرقيم (فعليل) . أصله مرفوم ، صرف إلى فعيل مثل جريح بمعنى مجروح
وقتل بمعنى مقتول يقال : رقت الكتاب أرقمه إذا كتبتة ومنه الرقيم في الثوب لأنه
خط يعرف به ثمنه . وقيل للحية أرقم لما فيها من الآثار ، وتقول العرب عليك بالرقمة
[بمعنى عليك برقة الوادي حيث الماء] (٣) ودع الضفة أي الجانب . والصفتان
جانبا الوادي ، ولعل من ذهب إلى أن الرقيم الوادي : ذهب إلى رقة الوادي .

وقوله « إذ أوى الفتية إلى الكهف » معناه « أم حسبت أن اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من آياتنا عجيباً » حين « أوى الفتية إلى الكهف » أي حين جاء
أصحاب الكهف إلى الكهف ، كهف الجبل هرباً بدينهم إلى الله ، قالوا إذ أدوه « ربنا
آتنا من لدنك رحمة » رغبة منهم إلى ربهم في أن يرزقهم من عنده رحمة .

وقوله « وهي . لنا من أمرنا رشداً » . معناه أنهم قالوا يسر لنا ما نتغي ونلتمس
من رضاك أي دلنا على ما فيه نجاتنا والهرب من الكفر بك ومن عبادة الأوثان التي
يدعون إليها قومنا « رشداً » أي رشداً إلى العمل الذي تحب .

وقيل إن هؤلاء الفتية كانوا مسلمين على دين عيسى (ع) وكان ملكهم يعبد
الأصنام ، فهربوا بدينهم منه . وقال آخرون : هربوا من الملك بجنسية اتهموا بها

(١) في المخطوطة (بجلوس) (٢) في المخطوطة (بناجلوس)

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

فدخلوا الكهف .

ويجوز « رشداً » - بضم الراء وتسكين الشين - غير أنه لم يقرأ به - ههنا -
أحد ، لأن أواخر الآيات كلها على وزن (فَعَل) فلم يخالفوا بينها .

قوله تعالى :

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ

لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) ﴾ آيتان .

يقول الله تعالى « فضربنا على آذانهم في الكهف » يعني بالنوم ، كما يقول
القائل لآخر : ضربك الله بالفالج بمعنى أبلاك الله به . وقيل معناه منعناهم أن
يسمعوا ، والمعنى انمنام . وقوله « سنين عدداً » معناه سنين معدودة . ونصب
(سنين) على الظرف بقوله « فضربنا » . و « عدداً » بمعنى معدود ، والعد المصدر
ومثله تقضت الشيء ، تقضاً ، والمنقوض نقض ، وكذلك قبضته قبضاً ، والمقبوض قبض .
وقوله تعالى « ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » معناه بعثنا
هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عدداً ، من
رقدتهم لينظر عبادي فيعلموا بالبعث أي الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث
الفتية في كهفهم رقوداً « أحصى لما لبثوا » بمعنى أصوب لقدر لبثهم فيه أمداً .
والإمد الغاية قال النابغة :

ألا لملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد (٢)

وقال قوم : الحزبان جميعاً كانا كافرين . وقال آخرون : كان أحدهما مسلماً

والآخر كافرآ ، فالاول قول مجاهد . وقال : الحزبان من قوم الفتية . وقال قتادة : أحدهما كان كافرآ ، والآخر كان مؤمنآ ، ولم يكن لواحد منهما علم بمقدار زمان لبثهم . وقال قوم : الحزبان هم اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم . وقال قوم : احد الحزبين اصحاب الكهف ، والآخر اصحابهم وقومهم .

ومعنى « أمدآ » قال ابن عباس يعني بعيدآ . وقال مجاهد : يعنى عددآ .

ويحتمل نصب « أمدآ » وجهين :

احدهما - التمييز في قوله (أحصى) كأنه قال أي الحزبين اصوب عددآ .

والثاني - أن يكون نصباً بوقوع قوله « لبثوا » عليه ، كأنه قال : أي الحزبين

أحصى لبثهم غاية أي في الامد .

والفتية جمع فتى مثل صبي وصبية وغلام وغلماة .

قوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

وَزِدْنَا لَهُمُ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا (١٤)

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ

بَيْنَ يَدَيْهِمْ لَئِنْ آتَيْنَاهُمُ الْآيَاتِ لَظَنُّوا أَنْ هَؤُلَاءِ لَمَنْزِلٌ غَيْرُ الْمُنزَّلِ ﴿١٥﴾ .

ثلاث آيات في عدد الكل - إلا الشامي - آخر الأولى « هدى » وعند الشامي شططآ .

يقول الله تعالى إنا نخبرك يا محمد ونقص عليك نبأ هؤلاء الفتية الذين أووا الى

الكهف على وجه الصحة . والقصص الخبر بمعاني يتلو بعضها بعضاً واصله الاتباع من قولهم : قص أثره يقصه قصصاً إذا تبعه ، ومنه قوله تعالى « وقالت لاخته قصيه » أي اتبعي أثره . والنبا الخبر . وفتية جمع فتى ، وهو جمع لا يقاس عليه لانه غير مطرد ، وقد جاء غلام وغلما وصبي وصبية ، ولا يجوز غراب وغرابة .

ثم اخبر عنهم بانهم فتية آمنوا بربهم ، واعترفوا بتوحيده « وزدناهم هدى » والمعنى زدناهم المعارف بما فعلنا لهم من اللطاف لما فيهما من الآيات التي رأوها ، ومن الربط على قلوبهم حتى تمسكوا بها .

وقوله « إذ قاموا فقالوا » معناه حين قاموا بحضرة الملك الجبار ، فقالوا هذا القول الذي أفصحوا فيه عن الحق في الديانة ولم يستعملوا التقية ، فقالوا : ربنا الذي نعبد هو الذي خلق السموات والارض ان ندعو من دونه إلهاً آخر ، فنوجه العبادة اليه ، ومتى قلنا غير ذلك ودعونا معه إلهاً آخر « لقد قلنا إذا شططاً » . والشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه ، فقلنا شططاً أي غلواً في الكذب والبطلان . قال الشاعر :

ألا بالقوم قد شطت عواذلي ويزعمن أن أودي بحقي باطلا
ويلجيني في اللهو ألا أحبه ولا هو داع دائب غير غافل (١)

ومنه اشط فلان في السوم إذا تجاوز القدر بالغلو فيه يشط إشطاطاً وشططاً وشط منزل فلان يشط شطوطاً إذا جاوز القدر في البعد ، وشطت الجارية تشط شطاطاً وشطاطة إذا جاوزة القدر في الطول .

وقوله « هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة » إخبار من الفتية بخضرة الملك على وجه الإنكار على قومه « إن هؤلاء » قومك اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها

(١) قائله الاحوص . مجاز القرآن ١ / ٣٩٤ والكامل للمبرد ٤٩ وتفسير الطبري

« لولا يأتون عليهم بسطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً .
معناه هـ لا يأتون على عبادتهم اياها بحجة واضحة ودلالة بينة . وحذف لدلالة
الكلام عليه ثم قالوا : فمن اظلم لنفسه ممن يتخرص على الله كذباً ، ويضيف اليه مالا
اصل له . وفي ذلك دلالة على أن التقليد في الدين لا يجوز وانه لا يجوز أن يقبل دين
إلا بحجة واضحة . وفي قصة اصحاب الكهف دلالة على أنه لا يجوز المقام في دار الكفر
إذا كان لا يمكن المقام فيه إلا باظهار كلمة الكفر وانه يجب الهجرة الى دار الاسلام
أو بحيث لا يحتاجون الى التلطف بكلمة الكفر .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا عَتِزْتُمْ تُمُوهُمَ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦)
وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا
غَرَبَتْ تَقْرُبُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)
وَتَحْسَبُهُمْ آيِقًا ظَالِمًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ
وَكَفَلْنَاهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَكَلَّمْتُمْ مِنْهُمْ رُءُوبًا (١٨) ﴾ ثلاث آيات بلاخلاف .

قرأ ابن عامر واهل الكوفة ، وابو بكر والاعشى الإيحيى والعامي « مرفقاً » بفتح

الميم وكسر الفاء . الباقون - بكسر الميم وفتح الفاء - وقرأ ابن عامر ويعقوب (نزور) - بتخفيف الزاي وتسكينها وتشديد الراء من غير ألف - وقرأ أهل الكوفة بتخفيف الزاي والفاء بعدها وتخفيف الراء . الباقون كذلك إلا أنهم شددوا الزاي . وقرأ أهل الحجاز « ملئت » بتشديد اللام . الباقون بتخفيفها وبالهمز .

قال أبو عبيدة : المرفق ما ارتفعت به وبعضهم يقول : المرفق . فأما في اليمين فهو (مرفق) بكسر الميم وفتح الفاء ، وهو قول الكسائي ، وأجاز الفراء الفتح أيضاً . وقال أبو زيد يقال : رفق الله عليك أهون المرفق والمرفق . قال أبو علي : ما حكاه أبو زيد في (المرفق) فإنه جعله مصدرآ ، لأنه جعله كالرفق ، وكان القياس الفتح لأنه من (برفق) لكنه كقول « مرجعكم » (١) « ويسألونك عن المحيض » (٢) وقال أبو الحسن : (مرفقاً) أي شيئاً يرتفقون به مثل المقطع . و (مرفقاً) جعله اسماً مثل المسجد أو يكون لغة يعني في اسم المصدر مثل المطلق ونحوه . ولو كان على القياس لفتحت اللام . وقال الحسين أيضاً : مرفق - بكسر الميم وفتحها - لغتان لا فرق بينهما أما هما اسمان مثل المسجد والمطبخ .

ومن قرأ « نزور » فإنه مثل تحمر وتصفر ، ومعناه تعديل وتميل قال عنترة :

فلزور من وقع القفا بلبانه وشكى الي بعيرة ونحجم (٣)

وقرأ عاصم والجحدري « تزوار » مثل نحرار وتصفار .

(١) سورة ٣٣ ، آل عمران آية ٥٥ وسورة ٥٥ ، المائدة آية ٥١ ، ١٠٨ وسورة ٦ ، الانعام آية ٦٠ ، ١٦٤ وسورة ١٠ يونس آية ٢٣ وسورة ١٨ ، هود آية ٤ وسورة ٢٩ ، العنكبوت آية ٨ وسورة ٣١ ، لقمان آية ١٥ .

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٢٢ (٣) ديوانه ٣٠ من معلقته المشهورة

(ج ٧ م ٣ من التبيان)

ومن قرأ « تزاور » أراد تزاور فأدغم التاء في الراء .
ومن خفف اراد ذلك ، وحذف إحدى التائين وهي الثانية مثل تساقط ، وتساقط ،
وتظاهرون ، وتظاهرون . قال أبو الزحف :

ودون ليلى بـلد سمهدر جذب المندى عن هو انا زور (١)
يقال : هو أزور عن كذا أي مائل . وفي فلان زور أي عوج ، والزور
- بسكون الواو - هو المصدر ، ومثله الجوشن ، والكلكل ، والكلكال ، كل ذلك يراد به المصدر
وقال أبو الحسن : قراءة ابن عامر « تزور » لا توضع في ذا المعنى ، انما يقال :
هو مزور غني أي منقبض . وقال أبو علي : يدل على أن (ازور) بمعنى انقبض - كما
قال أبو الحسن - قول الشاعر :

وأزور من وقع القنا بلبانه (٢)

والذي حسن القراءة به قول جرير :

عسفن على الاداعس من مهيل وفي الاظغان عن طلح ازورار (٣)
فظاهر استعمال هذا (الاظغان) مثل استعماله في (الشمس) . ويقال : ملي .
فلان وعياً وفزغاً ، فهو مملؤ ، وملي ، فهو مملي - بالتشديد ، للتكثير من ملأت الاناء
فهو ملآن ، وامتلأ الحوض يمتلي . امتلاء ، وقولهم : تمليت طويلاً ، وعانقت
حبيباً ، ومت شهيداً ، وابليت جديداً ، فهو غير مهموز . قال أبو الحسن : الخفيفة
أجود في كلام العرب ، لانهم يقولون ملأته رعباً ، فلا يكادون يعرفون (ملأته) .

(١) أبو الزحف الكلبي مترجم في الشعراء ٤٦٢ . والبيت في مجاز القرآن

١ / ٣٩٥ وتفسير القرطبي ١٠ / ٣٥٠ وجمهرة اشعار العرب ١ / ٤٤٣ ، ٣ / ٣٧٠

واللسان والتاج (زور ، سمهد ، عشزور) . (٢) قدم في الصفحة التي قبلها .

(٣) ديرانه (دار بيروت) ١٨٢ وروايته (على إلا ما عز من جي) .

قال ابو علي : يدل على قول أبي الحسن قولهم (فيملاً بيتنا اقطاعاً وسمنا) وقال الاعشى :

وقد ملأت بكر ومن لف لفيها

وقال الآخر :

لا تملأ الدلو وعرق فيها

وقولهم : (امتلأت) يدل على (ملئ) لأن مطاوع (فعلت) (افتعلت)

وقد انشدوا في التثقيب قول الخليل السعدي :

فملاً من كعب سلسله

وقوله « وإذ اعتزلتموهم » خطاب من اهل الكهف بعضهم لبعض ، ودعاء بعضهم بعضاً الى أن يأووا الى الكهف ، رجاء من الله أن ينشر لهم من رحمته ويسطها عليهم ، ويهيئ لهم من أمرهم مرفقاً اي شيئاً يرتفق به ويستعان به كالمقطع والمجزر .

وقوله « وما يعبدون إلا الله » (ما) في موضع نصب ومعناه وإذ اعتزلتموهم

وما يعبدون من دون الله من الاصنام والاونان ، ويحتمل الاستثناء امرين :

أحدهما - أن يكون متصلاً ، فيجوز على ذلك أن يكون فيهم من يعبد الله مع

عبادة الوثن ، فيكون اعتزالهم للاونان دون الله .

والثاني - يجوز أن يكون جميعهم كان يعبد الأونان دون الله فعلى هذا يكون

الاستثناء منقطعاً .

وقوله « فأووا الى الكهف » أي اجعلوه مأواكم ومقركم « ينشر » الله

« لكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم » ما ترتفقون به .

وقوله « فألوهوا » جواب (إذ) كما تقول : إذ فعلت قبيحا ، فقب .
وقوله « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين » أي تعدل
عنهم وتميل ، يقال : ازور ازورارا ، وفيه زور أي ميل .

وقوله « وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال » قيل في معناه قولان :
أحدهما - تقطعهم في ذات الشمال أي أنها تجوزهم منحرفة عنهم ، من قولك
قرضته بالمقراض أي قطعته .

الثاني - تعطيهم اليسير من شعاعها ثم تأخذ منه بانصرافها ، من قرض الدرهم
التي تسترد .

وقال مجاهد : تقرضهم تمر كههم . وقال أبو عبيدة كذلك هو في كلامهم
يقال : فرضت الموضع إذا قطعتة وجاوزته . وقال الكسائي والفراء : هو المجاوزة
يقال : قرضني فلان يقرضني وجازني يجوزني بمعنى واحد ، قال ذو الرمة :

إلى قرض يقرض أجواز مشرف شمالا وعن إيمانهم الفوارس (١)

والقرض يستعمل في أشياء غير هذا ، فمنه القطع الثوب وغيره ، ومنه سمي
المقراض ، ومنه قرض الفار . وقال أبو الدرداء : (إن قارضتهم قارضوك وإن تركتهم
لم يتركوك) ومعناه إن طعنت فيهم وعبثتهم فعلوا بك مثله وإن تركتهم منه لم يتركوك .
والقرض ، من يتقارض الناس بينهم الأموال ، وقد يكون ذلك في الثناء تثنى عليه كما
يثنى عليك . والقرض بلفظ أهل الحجاز المضاربة ، والقرض قول الشعر القصيد منسه
خاصة دون المرجز ، وقيل للشعر قريض . ومن ذلك قول الأغلبي العجلي :

(١) ديوانه ٣١٣ وتفسير الطبري ١٥ / ١٣٠ وتفسير القرطبي ١٠ / ٤٦٩
والصراح والثاج ، واللسان (قرض) وجمع البلدان ٤ / ٤٦٣ ، ونجاشي القرآن
١ / ٤٠٠ وغيرها .

أرجزاً يريد أو فريضاً

والمعنى في الآية ان الشمس لا تصيبهم البتة أو في اكثر الأمر ، فتكون صورهم محفوظة . وقيل ان الكهف الذي كانوا فيه كان محاذياً لبنات النعش إذا جازت خط نصف النهار .

والفجوة : المتسع من الارض . وقال قتادة : في فضاء منه ، وتجمع فجوات وفجاء ممدود ، وقيل الفجوة متسع داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه ، وكان الكلب يباب الفجوة .

وقوله « ذلك من آيات الله » أي ادلته وبراهينه « من يهد الله فهو المهتد » معناه من يسمه الله هادياً ويحكم بهدايته « فهو المهتد » . ويحتمل أن يكون اراد : من يهد الله الى الجنة ، فهو المهتدي في الحقيقة . ويحتمل أن يكون : من يلفظ الله له بما يهتدى عنده ، فهو المهتدي « ومن يضلل » أي يحكم بضلاله أو يسميه ضالاً أو من يضلّه عن طريق الجنة ، ويعاقبه « فلن نجد له ولياً مرشداً » أي معيناً وناصرأ يرشده الى الجنة والثواب .

ثم قال تعالى « ونحسبهم » يعني ونحسب يا محمد أهل الكهف إذا رأيتهم « ايقاظاً » أي منتبهين « وهم رقود » أي نيام . وقيل انهم كانوا في مكان موحش منه ، أعينهم مفتوحة يتنفسون ولا يتكلمون . وواحد (رقود) راقداً أي نائم . وقوله « ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال » اخبار منه تعالى عما يفعل بهم وكيفية حفظ اجسادهم بأن يقلبهم من جنب الى جنب الى اليمين تارة والى الشمال أخرى .

وقوله « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » قال ابن عباس : الوصيد الفناء ، وبه قال مجاهد وقتادة والضحاك . وفي رواية أخرى عن ابن عباس : انه هو الباب اذا

أغلاته ، ومنه « نار موصدة » (٢) .

ويجمع (وصيد) وصاد ووصد ، وفي واحد لغتان : وصيد ، وأصيد .
وأوصدت وأصدت . وليس أحدهما مؤخوذاً من الآخر ، بل هما لغتان مثل ورخت
الكتاب وأرخته ، ووكدت الأمر وأكدته .

وقوله « لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فراراً » نصب على المصدر ، ومعناه لو
اشرفت عليهم لا عرضت عنهم هرباً استيحاشاً للموضع « ولملئت منهم رعباً » نصب
على الحال ، والمعنى لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة لثلاثي يصل اليهم احد حتى يبلغ
الكتاب اجله فيهم ، فينتبهون من رقدتهم باذن الله عند ذلك من امرهم . وقيل
انه : كانت اضفارهم قد طالت ، وكذلك شعورهم ، فلذلك يأخذ الرعب منهم . وقال
الجبائي : نومهم ثلثانة سنة وتسع سنين - لا تتغير احوالهم ولا يطعمون ولا يشربون -
معجزة لا تكون إلا لنبي . وقيل النبي كان احدهم ، وهو الرئيس الذي اتبعوه
وآمنوا به .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ كَبِيتُمْ
قَالُوا لَبِيتْنَا يَوْمًا وَبَعْضٌ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِيتُمْ فَأَبَعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِرَبِّكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا
فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)
أَنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ

تَفْلَحُوا إِذَا أَبَدْنَا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا
 ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا (٢١) رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
 أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢٢) ﴿

قرأ « بورقكم » - بسكون الراء - أبو عمرو وحده وأبو بكر عن عاصم الباقون
 بكسر الراء . وروي عن أبي عمرو بورقكم « بادغام القاف في الكاف . وفي
 (ورقكم) اربع لغات - فتح الواو وكسر الراء - وهو الأصل . وفتح الواو وسكون
 الراء . وكسر الواو وسكون الراء . والادغام . فالورق الدراهم ، ويقال ايضاً بفتح
 الراء ، ويجمع اوراق . ورجل وراق كثير الدراهم . فأما ما يكتب فيه فهو (الورق)
 بفتح الراء لا غير . والورق الغلمات الملاح . وقيل الورق - بفتح الراء - المال كله
 المواشي وغيرها قال العجاج :

اغفر خطاياي وطوح وريقي

في قصة أهل الكهف اعتبار ودلالة على أن من قدر على نقض العادة - بتلك
 المعجزة - قادر لا يعجزه شيء ، وإن التدبير يجري بحسب الاختيار ، لا بإيجاب
 الطباع ، كما يتوهمه بعض الجهال ، لأنه على تدبير مختار ، كما يدل على تدبير عالم .
 ووجه التشبيه في قوله « وكنك بعثناهم » أي كما حفظنا احوالهم تلك المدة « بعثناهم »
 من تلك الرقدة ، لان أحد الامرين كالآخر في أنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى .
 بين الله تعالى أنه بعث أهل الكهف بعد نومهم الطويل ورقدتهم البعيدة ليسأل
 بعضهم بعضاً عن مدة مقامهم ، فيقننوها بذلك على معرفة صانعهم إن كانوا كفاراً .

وإن كانوا مؤمنين تثبتوا زيادة على ما معهم ، ويزدادوا يقيناً الى يقينهم . وقال البلخي : اللام في قوله « ليتساءلوا » لام العاقبة ، لأن التساؤل بينهم قد وقع . ثم اخبر تعالى أن قائلاً منهم قال : للباقيين « كم لبثتم » مستضهماً لهم ، فقالوا في جوابه : « لبثنا يوماً أو بعض يوم » . وإنما اخبروا بذلك من غير أن يعلموا صحته ، لأن الاخبار في مثل هذا عن غالب الظن وعلى ذلك وقع السؤال ، لان النائم لا يدري ، ولا يتحقق مقدار نومه إلا على غالب الظن . وقيل أنهم لما ناموا كان عند طلوع الشمس فلما انتبهوا كانت الشمس دنت للغروب بقليل . فلذلك قالوا : يوماً أو بعض يوم - ذكره الحسن . وقيل ايضاً إن الخبر بأنهم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ليس ينساق انهم لبثوا مدة طويلة ، لان المدة الطويلة تأتي على قصيرة وتزيد عليها لا محالة . ثم قالوا « ربكم اعلم بما لبثتم » ومعناه ان الذي خلقكم اعرف بمدة لبثكم على التحقيق . والاعلم هو من كانت علومه اكثر أو صفاته في كونه عالماً أزيد . وقيل : إن الاعلم هو من كانت معلوماته اكثر ، وهذا ليس بصحيح ، لانه يلزم انه عالم من اجل العلوم .

ثم قال بعضهم لبعض « فابشوا احدكم بورقكم هذه ان المدينة فلينظر ايها ازركي طعاماً » وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال قتادة : « ازركي » أجل وخير .

والثاني - ايها أنمي طعاماً بأنه طاهر حلال ، لانهم كانوا يذبحون الاوثان ، وهم كفار أرجاس . وقيل معناه ايها اكثر فان الزكاه والنماء الزيادة . « فليأتكم برزق منه ولينلطف » في شرابه واخفاه أمره « ولا يشعرون بكم احداً » أي لا يعلن بمكانكم احداً . وقيل : المعنى وإن ظهر عليه فلا يوقن اخوانه فيما وقع فيه لانهم « إن يظهروا عليكم » ويعلموا بمكانكم « يرجوكم » . قال الحسن : معناه يرجوكم بالحجارة . وقال ابن جريج : يشتموكم ويؤذوكم بالقول القبيح « أو يعيدوكم في ملتهم » اي

يردوكم في عبادة الاصنام . ومتى فعلتم ذلك « لن تفلحوا » بعد ذلك « ابدأ »
ولا تفوزوا بشيء من الخير .

ثم قال : « وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق » ومعناه انا كما
فعلنا بهم ما مضى ذكره ، مثل ذلك اظهرنا عليهم واطلعنا عليهم ، ليعلم الذين
يكذبون بالعث « أن وعد الله حق » ويزداد المؤمنون ايماناً ، والتقدير ، ايستدلوا بما
يؤدبهم الى العلم بأن الوعد في قيام الساعة حق كما قبضت ارواح هؤلاء الفتية تلك
المدة . ثم بعثوا كأنهم لم يزالوا أحياء على تلك الصفة .

وقوله « إذ يتنازعون بينهم امرهم » يجوز أن تكون (إذ) نصباً بـ « يعلموا »
في وقت منازعتهم . ويجوز أن يكون بقوله « أعرنا » والتقدير : وكذلك اطلعنا إذ
وقعت المنازعة في امرهم . والمعنى انهم لما ظهروا عليهم وعرفوا خبرهم امانتهم الله في
الكهف ، فاختلف الذين ظهروا على امرهم من اهل مدينتهم من المؤمنين وهم الذين
غلبوا على امرهم . وقيل رؤسائهم الذين استولوا على امرهم . فقال بعضهم : ابنوا
عليهم مسجداً ليصلي فيه المؤمنون تبركاً بهم (١) . وقيل إن النزاع كان في ان بعضهم
قال : قد ماتوا في الكهف . وبعضهم قال : لا بل هم نيام كما كانوا ، فقال عند ذلك
بعضهم : إن الذي خلقهم وانامهم وبعثهم اعلم بحالهم وكيفية امرهم ، فقال عند ذلك
الذين غلبوا على امرهم من رؤسائهم لنتخذن عليهم مسجداً . وروي انهم لما جاؤا
الى قم الغار دخل صاحبهم اليهم واخبرهم بما كانوا عنه غافلين مدة مقامهم ، فسأوا الله

(١) وفي المخطوطة زيادة وقال بعضهم : « ابنوا عليهم مسجداً » ليصلوا
فيه إذا انتبهوا .

تعالى ان يعيدهم الى حالتهم الاولى فاعادهم اليها ، وحال بين من قصدهم وبين الوصول اليهم بأن اضلهم عن الطريق الى الكهف الذي كانوا فيه ، فلم يبتدوا اليهم . وقيل انهم لما دخلوا الغار سدوا على نفوسهم بالحجارة فلم يبتد احد اليهم لذلك .

قوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَمَارِ فِيهِمِ الْآمِرَاءُ ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمِ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٣) وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنْ نِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَر رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾

يقول الله لنبيه (ص) انه سيقول قوم من المختلفين في عدد اصحاب الكهف في هذا الوقت : انهم ثلاثة رابعهم كلبهم ، وطائفة أخرى يقولون : خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، وتقول طائفة ثالثة : انهم سبعة وثمانهم كلبهم . وذهب بعضهم الى انهم سبعة لدخول واو العطف بعده في قوله « وثمانهم كلبهم » ولم يقل ذلك في الاول . وهذا ليس بشيء ، لأنه انما لم يدخل الواو في الاول ، لأنه جاء على الصفة بالجملة ، والثاني على العطف على الجملة . قال الرماني : وفرق بينهما . لأن السبعة أصل للبالغة في العدة ، كما قال (عز وجل) : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن

يغفر الله لهم» (١) وحكى البلخي عن بعض أهل العلم أنه قال: الواجب أن يعد في الحساب: واحد اثنان ثلاثة أربعة، فإذا بلغت إلى السبعة قلت: وثمانية - بالواو - اتباعاً للآية.

وقوله «رجماً بالغيب» قال قتادة: معناه قذفاً بالظن. وقال المؤرج: ظناً بالغيب بلغة هذيل. وقال قوم: ما لم تستيقنه فهو الرجم بالغيب قال الشاعر:

وأجعل مني الحق غيباً مرجماً (٢)

وقال زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم (٣)
ثم قال تعالى لنبيه (ص): قل لهم يا محمد: ربي اعلم بعدتهم، من الخائضين في ذلك والغائلين في عددهم بغير علم. ثم قال تعالى: ليس يعلم عددهم إلا قليل من الناس، وهم النبي ومن أعلمه الله من نبيه. وقال ابن عباس: أنا من القليل الذين يعلمون ذلك: كانوا سبعة وثامنهم كلهم.
ثم قال تعالى، ناهياً لنبيه - والمراد به امته - «فلا تمار فيهم إلا مرء ظاهراً». قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك: معناه إلا بما أظهرنا لك من أمرهم، والمعنى أنه لا يجوز أن تماري وتجادل إلا بحجة ودلالة، واخبار من الله، وهو المرء الظاهر. وقال الضحاك: معناه حسبك ما قصصنا عليك. وقال البلخي: وفي ذلك دلالة على أن المرء قد يحسن إذا كان بالحق وبالصحيح من القول. وإنما المذموم منه ما كان باطلا والغرض المبالغة لا بيان الحق. والمرء الخصومة والجدل.

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨٠ (٢) قد مر هذا البيت كاملاً في ٢٠٥/١

من هذا الكتاب وقد نسبه هناك إلى عمير بن طارق. وروايته (الظن) بدل (الحق)

(٣) ديوانه (دار بيروت) ٨١ وهو في تفسير القرطبي ١٠ / ٣٨٣

وقوله « ولا تستفت فيهم » يعني في أهل الكهف ، وفي مقدار عددهم « منهم »
يعني من أهل الكتاب « أحداً » ولا تستفتهم من جهتهم . وهو قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة .

وقوله « ولا تقولن لشيء . اني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » نهي من
الله تعالى لنبيه ان يقول : اني افعل شيئاً في الغد إلا أن يقيد قوله بمشيئة الله ، فيقول :
ان شاء الله ، لانه لا يأمن اختراعه ، فيكون خبره كذباً . وإذا قيده بقوله إن شاء
الله ، ثم لم يفعل ، لم يكن كاذباً . والمراد بالخطاب جميع المكلفين ، ومتى اخبر المخبر
عن ظنه وعزمه بأنه يفعل شيئاً فيما بعد ثم لم يفعل لا يكون كاذباً ، لانه اخبر عن ظنه
وهو صادق فيه . وقال قوم « إلا أن يشاء الله » . معناه إلا أن يشاء الله أن يلجئني الى
تركه . وقال الفراء : قوله « إلا أن يشاء الله » بمعنى المصدر ، فكأنه قال إلا مشيئة الله
والمعنى إلا ما يريد الله . وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال : لا تقل
اني افعل إلا الطاعات وما يقرب الى الله . وهذا وجه حسن . ولا يطعن في ذلك جواز
الاخبار عما يريد فعله من المباحات التي لا يشاؤها الله ، لأن هذا النهي ليس نهي
تحريم ، وانما هو نهي تنزيه ، لانه لو لم يقل ذلك لما أتم بلا خلاف وانما هو نهي تحريم
فيما يتعلق بالقيح فانه لا يجوز أن يقول اني افعل ذلك بحال . والآية تضمنت أن
لا يقول الانسان اني افعل غداً شيئاً إلا أن يشاء الله . فأما أن يعزم عليه من ذكر
ذلك ، فلا يلزم المشيئة فيه إلا ندباً . بغير الآية .

وقوله « واذكر ربك إذا نسيت » قال الحسن : معناه انه اذا نسي أن
يقول : إن شاء الله ، ثم ذكر فليقل ان شاء الله . وقال ابن عباس : له ان يستثني ولو
الى سنة . وقال بعضهم : وله أن يستثني بعد الحنث إلا انه لا تسقط عنه الكفارة في
اليمين ، إلا ان يكون الاستثناء موصولاً بالاجماع . وقال الحسن له أن يستثني ما لم يقم من

مجلسه الذي هو فيه ، فان قام بطل استثناءؤه . وقال قوم « واذكر ربك إذا نسيت »
 أمراً ثم تذكرته ، فان لم تذكره فقل « عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً » .
 وقال بعضهم : عسى أن يعطيني ربي من ارشد ما هو أولى من قصة اصحاب الكهف .
 والذي نقوله : ان الاستثناء متى لم يكن متصلاً بالكلام أو في حكم المتصل ،
 لم يكن له تعلق بالاول ولا حكم له ، وانه يجوز دخول الاستثناء بمشيئة الله في جميع
 انواع الكلام : من الامر ، والنهي ، والخبر ، والأيمان ، وغير ذلك . ومتى استثنى ثم
 خالف لم يكن حائثاً في يمينه ولا كاذباً في خبره . ومتى هو استثناءه بعد مدة بعد انفصال
 الكلام لم يبطل ذلك حنثه ولزمته الكفارة . ولو لم نقل ذلك أدى الى ان لا يصح يمين
 ولا خبر ولا عقد ، فان الانسان متى شاء استثنى في كلامه ويبطل حكم كلامه .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال : (من حلف على أمر يفعله ثم رأى ما هو
 خير له فليحذث وليكفر عن يمينه) ولو كان الاستثناء جائزاً بعد مدة ، لكان يقول
 فليستثنى ولا يحتاج الى الكفارة ولا يلزمه الحنث .

وقد روي في اخبارنا مثل ما حكيناه عن ابن عباس . ويشبه أن يكون المراد
 به أنه اذا استثنى وكان قد نسي من غير تعمد فانه يحصل له ثواب المستثنى دون أن
 يؤثر في كلامه ، وهو الاشبه بابن عباس وأليق بعمله وفعله ، فان ما حكى عنه بعيد
 جداً . وقال المبرد ، وجماعة : إن قوله « ولا تقولن شيءاً مني فاعل ذلك غداً إلا أن
 يشاء الله » ضم الاستثناء الى الكلام الذي قبله . ثم قال « واذكر ربك إذا نسيت » وقل
 عسى « استأنف كلاماً آخر وقصة أخرى . وقال الجبائي هذا استئناف كلام من الله ،
 وأمرته لنبيه (ص) أنه اذا أراد فعلاً من الافعال فنسيه فلينكر الله وليقل عسى
 أن يهديني ربي لأقرب مما نسيت رشداً . وقال عكرمة : « اذكر ربك اذا نسيت »
 معناه اذا نسيت أمراً فاذا ذكر ربك تتذكره ، وهذا يدل على أنه لم يرد اليمين

في الاستثناء .

وقيل سبب نزول ذلك أن قريشاً لما جاءت وسألت النبي (ص) عن قصة اصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ، فقال لهم : غداً اخبركم ، فأبطأ عنه جبرائيل . وقيل تأخر عنه ايماً ثم أتاه بخبرهم . وهذا ليس بصحيح ، لأنه لو كان كذلك بأن وعدمه بأن يخبرهم غداً ثم لم يخبرهم لكان كذباً ، وهو منه محال . وقال ابراهيم : اذا حلف الخالف والكلام متصل فله استثناءه اذا قال ان شاء الله . وقال الكسائي والفراء : التقدير : ولا تقولن لشيء أني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول ان شاء الله فأضمر القول . وانما كان الاستثناء مؤثراً اذا كان الكلام متصلاً لأنه يدل على انه يؤول كلامه ، واذا لم يكن متصلاً فقد استقرت نيته وثبتت فلا يؤثر الاستثناء فيها . (١) وروى عن ابن عباس انه قال : « رابعهم كلبهم » يعني راعياً يتبعهم ، حكاة فطرب . وقال اخبر عن الكلب وأراد صاحبه ، كقوله « واسأل القرية » . وانما اراد اهلها . [وهذا لا يصح مع ظاهر قوله « وكتبهم باسط ذراعيه »] وقال الجبائي : لما اجتازوا على الراعي ، فقال لهم اين تريدون قالوا : نقر بديننا ، فقال الراعي : انا أولى بذلك ، فتبعهم وتبعه الكلب . وفي اصحاب الحديث من يقول : ان الكلب خاطبهم بالتوحيد والاعتراف بما اعترفوا به ، ولذلك تبعهم . وهذا خرق عادة يجوز أن يكون الله فعله لطفاً لهم ، ومعجزة لبعضهم على ما حكى ان بعضهم كان نبياً ، وهو رئيسهم ، فيكون ذلك معجزة له ، غير انه ليس بمقطوع به .

وقوله « عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً » معناه قل يا محمد عسى ان يعطيني ربي من الآيات على النبوة ما يكون اقرب وأدل من قصة اصحاب الكهف .

(١) كان في هذه الفقرات المتقدمة وما بعدها ، اخطاء كثيرة ونقص واضح

في المطبوعة فصحيح على المخطوطة والكثرة الاخطاء نهبنا عليها جملة .

قوله تعالى :

﴿ وَلِمَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)
 قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ
 وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)
 وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ
 مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) ﴾ ثلاث آيات بلاخلاف .

قرأ حمزة والكسائي « ثلاثمائة سنين » مضافاً . الباقر بن العنبرين ، قال الفراء :
 من العرب من يضع (سنين) في موضع (سنة) فهي في موضع خفض على قراءة من
 أضاف قال عنبرة :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الاسحم (١)

فن نون نصب سنين بـ « لبثوا » وتقديره سنين ثلاثمائة ، (سنين) مفعول
 (لبثوا) و (ثلاثمائة) بدل ، كما تقول خرجت أياماً خمسة وصمت سنين عشرة . وان
 شئت نصبت « ثلاثمائة » بـ (لبثوا) وجعلت (سنين) بدلاً ومنسرة لها . ومن أضاف قال
 ابن خالويه هي قراءة غير مختارة ، لانهم لا يضيفون مثل هذا العدد إلا إلى الأفراد
 فيقولون ثلاثمائة درهم ولا يقولون ثلاثمائة دراهم قال أبو علي الفارسي قد جاء مثل
 ذلك مضافاً إلى الجمع ، قال الشاعر :

فما زودوني غير سحق عمامة وخمس مئ منيها قسي وزائف (٢)

(١) ديرانه (دار بيروت) ٧١ من معلقته الشهيرة

(٢) لسان العرب قسا (نسبة إلى مزرد

جمع على فعل . وقد كسر القاف كما كسر في (حلى) وقرأ ابن عامر ،
« ولا تشرك » بالتاء على الخطاب . الباقيون بالياء على الخبر ، فمن قرأ على النهي قال
تقديره « لا تشرك » ايها الانسان . ومن قرأ على الخبر ، فلنقدم الغيبة . وهو قوله
« ما لهم من دونه من ولي ؟ والهاء للغيبة . وقرأ الحسن « تسع وتسعون » (١) بفتح
التاء - يقال تسع بكسر التاء وفتحها ، وهما لغتان . والكسر اكثر وافصح .

قوله « ولبتوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً » الآية معناه إخبار من
الله تعالى وبيان عن مقدار مدة لبتهم يعني أصحاب الكهف الى وقت إنبادهم . ثم
قال لئيبه ، فان حاجك المشركون فيهم من أهل الكتاب ، فقل « الله اعلم بما لبتوا »
وهو قول مجاهد ، والضحاك ، وعبيد بن عمير ، كما قال « عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه أحداً » (٢) ومن قرأ بالتاء ، قال معناه لانسبن احداً الى عالم الغيب . ويحتمل
أن يكون المعنى لا يجوز لحاكم أن يحكم إلا بما حكم الله به أو بما دل على حكم الله ،
وليس لأحد أن يحكم من قبل نفسه ، فيكون شريكاً لله في أمره وحكمه .

وقيل إن معناه « قل الله اعلم بما لبتوا » الى أن ماتوا . وحكى عن قتادة أن
ذلك حكاية عن قول اليهود فانهم الذين قالوا لبتوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسعاً . وقوى ذلك بقوله « قل الله اعلم بما لبتوا » فذكر تعالى أنه العالم بذلك دون
غيره . وقد ضعف جماعة هذا الوجه قالوا : لان الوجه الأول أحسن ، لانه ليس لنا أن
نصرف اخبار الله الى أنه حكاية إلا بدليل قاطع ، ولأنه معتمد الاعتبار الذي بينه
الله (عز وجل) للعباد .

وقوله « له غيب السموات والارض » فالغيب يكون للشيء بحيث لا يقع

(١) سورة ٣٨ (ص) آية ٢٣ (٢) سورة ٧٢ - الجن - آية ٢٦

عليه الادراك ، ولا يغيب عن الله تعالى شيء ، لانه لا يكون بحيث لا يدركه . وقيل
« عالم الغيب والشهادة » (١) معناه ما يغيب عن احساس العباد وما يشاهدونه . وقيل
ما يصح ان يشاهدوا ما لا يصح أن يشاهد . وقوله « اسمع به وابصر » (٢) معناه ما أسمع
وما أبصره بأنه لا يخفى عليه شيء فخرج التعجب على وجه التعظيم له تعالى .
وقوله « ما لهم من دونه من ولي » اي ليس للخلق وقيل إنه راجع الى اهل
الكهف أي ليس لهم من دون الله ولي ولا ناصر « ولا يشرك » يعني الله « في حكمه »
بما يخبر به من الغيب « احداً » .

ثم قال لنبية (ص) « اتل ما أوحى اليك » أي اقرأ عليهم ما أوحى الله اليك
من اخبار اصحاب الكهف وغيرهم .

وقوله « لا مبدل لكلماته » أي لا مغير لما أخبر الله تعالى به . لانه صدق
ولا يجوز أن يكون بخلافه « وان تجد من دونه ملتحداً » ومعناه ملتجأ تهرب اليه
وقال مجاهد : ملجأ ، وقال قتادة : موئلا . وقيل : معدلا . وهذه الأقوال متقاربة
المعنى وهو من قولهم لحدث الى كذا أي ملت اليه ، ومنه اللحد ، لأنه في ناحية القبر
وليس بالشق الذي في وسطه ، ومنه الالحاد في الدين ، وهو العدول عن الحق فيه .
(وسنين) فيه لغتان تجمع جمع السلامة وجمع التكسير فالسلامة هذه سنون ورأيت سنين
وجمع التكسير بقنوين النون تقول هذه سنون وصمت سنيناً وعجبت من سنين . وقوله
« وازدادوا تسعاً » يعني تسع سنين ، فاستغنى بالتفسير في الاول عن اعادته ههنا .

(١) سورة ٦ الانعام آية ٧٣ وسورة ١٣ - الرعد - آية ١٠ وغيرهما كثيراً

في القرآن (٢) سورة ١٩ مريم آية ٣٨

(ج ٧ م ٥ من التبيان)

قوله تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا
تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا
بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا (٣٠)﴾ ثلاث آيات بلاخلاف .

قرأ ابن عامر وحده « بالغدوة والعشي » بضم الغين والواو ، وإسكان
الدال . الباقون بفتح الغين والدال ، ومع الالف ، ولا يجوز عند أهل العربية إدخال
الالف واللام على غدوة ، لأنها معرفة ، ولو كانت نكرة لجاز فيها الإضافة ولا يجوز
غدوة يوم الجمعة كما يجوز غداة يوم الجمعة .

وقال أبو علي النحوي من أدخل الالف واللام ، فانه يجوز - وإن كان معرفة -
أن تنكر ، كما حكى أبو زيد لقيته فينة . والفينة بمد الفينة ، ففينة مثل غدوة في التعريف ،
ومثل قولهم : أما النضرة ، فلا نضرة ، فأجري مجرى ما يكون سائفاً في الجنس .
ومن قرأ بالغداة ، فقولُه آيين . وقال ابن خالويه : العرب تدخل الالف واللام على

المعرفة إذا جاؤا بما فيه الالف واللام ليزدوج الكلام ، قال الشاعر :

وجدنا الوليد بن يزيد مباركا شديداً باعباء الخلافة كاهله (١)

فادخل الالف واللام على يزيد لما جاور الوليد ، فلذلك أدخل ابن عامر الالف واللام في (الغدوة) لما جاور العشي . والعرب تجعل (بكرة وغدوة وسحر) معارف إذا أرادوا اليوم بعينه . أمر الله تعالى نبيه (ص) بالصبر على جملة المؤمنين الذين يدعون الله بالغداة والعشي ، والصبر على ثلاثة اقسام : صبر واجب مفروض وهو ما كان على اداء الواجبات التي تشق على النفس وتحتاج الى التكلف . والثاني - ما هو مندوب فان الصبر عليه مندوب اليه . والثالث مباح جائز ، وهو الصبر على المباحات التي ليست بطاعة لله .

وقوله « يريدون وجهه » معناه يريدون تعظيمه والقربة اليه دون الرياء والسمعة ، فذكر الوجه بمعنى لاجل التعظيم ، كما يقال اكرمته لوجهك أي لتعظيمك لان من عادتهم أن يذكروا وجه الشيء ويريدون به الشيء العظيم . كقولهم هذا وجه الرأي أي هذا الرأي الحق العظيم .

وقوله « ولا تعد عينك عنهم » معناه لا تتجاوز عينك الى غيرهم ولا تنصرف وقيل انها نزلت في سلمان واصحابه الى سواهم من ارباب الدنيا المرحين فيها « تريد » بذلك « زينة الحياطة الدنيا . ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا » نزلت في عيينة بن حصين . وقيل في معناه ثلاثة أقوال :

احدها - لا تطع من صادفناه غافلا عن ذكرنا كقولهم احدث فلانا أي صادفته محموداً فهو من باب صادفناه على صفة .

الثاني - لا تطع من سمينناه غافلا ، ونسبناه الى الغفلة كقولهم أ كفرناه أي

(١) مر تخریجه فی ٤ / ٢٠٨ من هذا الكتاب

نسبناه الى الكفر .

والثالث - لا تطع من أغفلنا قلبه أي جعلناه غافلاً بتعرضه للغفلة . وقيل لم يسمه الله بما يسم به قلوب المؤمنين مما ينبي . عن فلاحهم ، كما قال « كتب في قلوبهم الايمان » (١) .

« واتبع هواه » يعني الذي أغفلناه عن ذكرنا « اتبع هواه ، وكل أمره فرطاً » معناه تجاوز الحق وخروجاً عنه ، من قولهم أفرط إفراطاً إذا أسرف ، فاما فرط فعناه قصر عن التقدم الى الحق الذي يلزمه . وقيل معناه وكان أمره سرفاً . ثم أمر الله نبيه (ص) أن يقول لهم الذي أتيتكم به هو الحق من ربكم الذي خلقكم « فن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » صورته صورة الأمر والمراد به التهديد وهو أكد في التهديد من جهة أنه كأنه مأمور بما يوجب اهانتة . ثم أخبر أنه أعد للظالمين العصاة ناراً أحاط بهم سرادقها فالسرادق المحيط بما فيه مما ينقل معه والاصل سرادق الفسطاط قال رؤبة :

ياحكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد إليك ممدود (٢)

وقال ابن عباس سرادقها حائط من نار يطيف بهم ، وقيل سرادقها دخانها قبل وصولهم اليها . وقيل السرادق ثوب يدار حول الفسطاط .

وقوله « وإن يستغيثوا » معناه إن طلبوا العوث والنجاة ، وطلبوا ماء لشدة ما هم فيه من العذاب « اغيثوا بماء كلليل » والمهل كل شيء أذيب حتى ماء ، كالصفر والرصاص والذهب والحديد ، وغير ذلك - في قول ابن مسعود - وقال مجاهد : هو القيح والدم . وقال ابن عباس هو دردي الزيت .

(١) سورة ٥٨ ، المجادلة ، آية ٢٢ (٢) تفسير القرطبي ١٠ / ٣٩٣

ومجاز القرآن ١ / ٣٩٩ واللسان (سردق) وسيبويه ١ / ٢٧٢

وقال سعيد بن جبير هو الشيء الذي قد انتهى حره « يشوي الوجوه » أي يحرقها من شدة حره إذا قربت منه . ثم قال تعالى مخبراً عن ذلك بأنه « بشس الشراب » يعني ذلك المهل « وساءت مرتفقاً » وقيل معناه المتكأ من المرفق ، كما قال أبو ذؤيب :

بات الخلي وبت الليل مرتفقاً
كان عيني فيها الصاب مذروح (١)
وقيل هو من المرفق . وقال مجاهد معناه مجتمعاً كأنه ذهب به الى معنى مرافقة .
ثم أخبر تعالى عن المؤمنين الذين يعملون العاصيات من الطاعات ويحتمنون المعاصي بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولا يبطل ثوابه . وقيل في خبر « إن الذين آمنوا » ثلاثة أقوال :

أحدها - ان خبره قوله « أولئك لهم جنات عدن » ويكون قوله « إننا لانضيع أجر من أحسن عملاً » اعتراضاً بين الاسم والخبر .
الثاني - ان يكون الخبر إننا لانضيع أجره ، إلا أنه وقع المظهر موقع المضمرة .
والثالث - أن يكون على البديل ، فلا يحتاج الأول الى خبر ، كقول الشاعر:
إن الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
فاخبر عن الثاني وأضرب عن الأول .

قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ يُحَلَّوْنَ

(١) ديوان الهذليين ١ / ١٠٤ و تفسير الطبري ١٥ / ١٤٨ ومجاز القرآن

١ / ٤٠٠ و تفسير القرطبي ١٠ / ٣٩٥ والتاج واللسان والصحاح (صوب) وغيرها

فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ
مُرْتَفَقًا (٣١) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مِثْلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ
مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا
الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا (٣٣) وَفَجَّرْنَا خِلَاءَهُمَا
نَهْرًا (٣٤) وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ
مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٥) أربع آيات في الكوفي والبصري وثلاث في المدني
تمام الثانية (زرعاً) .

قرأ عاصم وأبو جعفر وروح « وكان له ثمر » . « واحيط بشمره » بفتح الشاء
والميم فيهما ، وافقهم رويس في الأولى . وقرأ أبو عمرو - بضم الشاء وسكون الميم -
فيهما . الباقيون بضمهما فيهما .

قال أبو علي : الثمر ما يجتنى من ذي الثمر وجمعه ثمرات مثل رجة ورجبات ؛
ورقة ورقبات ، ويجوز في جمع (ثمره) ضربان : أحدهما - على ثمر ، كبقرة وبقرة
والآخر - على التكسير ، فتقول ثمار كرقبة ورقاب ، فيشبه المخلوقات بالمصنوعات
وشبه كل واحد منهما بالآخر . ويجوز في القياس أن يكسر (ثمار) الذي هو جمع ثمره
على ثمر ، ككتاب وكتب ، ويجوز أن يكون ثمر جمع ثمره كبذرة وبدن وخشبة
وخشب ، ويجوز أن يكون ثمر واحداً كمنق وطنب ، فعلى جميع هذه الوجوه يجوز

اسكان العين منه . ومثله في قوله « واحيط بشمره » . وقال بعض أهل اللغة :
 الثمر المال ، والتمر المأكول . وجاء في التفسير (إن الثمر النخل والشجر) ولم يرد به
 التمر . فالتمر - على ما روي عن جماعة من السلف - الاصول التي تحمل الثمرة لا نفس
 الثمرة بدلالة قوله « فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها » أي في الجنة والنفقة انما تكون
 على ذوات الثمر في الأكثر ، فكانت الآية التي أرسلت عليها اصطلمت الاصول
 واجتاحتها ، كما قال تعالى في صفة الجنة الاخرى « فأصبحت كالصريم » (١) أي كالليل
 في سواده لاحترافها بعد أن كانت كالنهار في بياضها . وحكي عن أبي عمرو ، إن الثمرة
 والتمر أنواع المال من الذهب والفضة وغيرهما يقال : فلان مشمر أي كثير المال ، ذهب اليه
 مجاهد وغيره .

اخبر الله تعالى في الآية الاولى عما للمؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 الذين أخبر عنهم بأنه لا يضيع عملهم الحسن ، وما قد أعد لهم ، فقال « لهم جنات
 عدن » والجنات جمع جنة ، وهي البستان الذي فيها الشجر . ومعنى (عدن) أي موضع
 اقامة ، وانما سمي بذلك ، لانهم يبقون فيها ببقاء الله دائماً وأبداً ، والعدن الاقامة .
 وقيل : هو اسم من اسماء الجنة - في قول الحسن - ويقال عدن بالمكان يعدن عدناً
 اذا أقام فيه ، فسمى الجنة عدناً من اقامة الخلق فيها . ثم وصف هذه الجنة ، فقال
 « تجري من تحتهم الانهار » وقيل في معنا ذلك قولان :

احدهما - إن انهار الجنة في اخايد من الارض ، فلذلك قال من تحتهم .
 الثاني - انهم على غرف فيها فلانهار تجري من تحتهم ، كما قال تعالى « وهم في
 الغرفات آمنون » (٢) .

(١) سورة ٦٨ - القلم - آية ٢٠ (٢) سورة ٣٤ سبأ آية ٣٧

وقوله « يحلون فيها من أساور من ذهب » أي يجعل لهم فيها حلماً من زينة من أساور ، وهو جمع أسوار على حذف الزيادة ، لأن مع الزيادة أساور ، في قول قطرب .

وقيل هو جمع أسورة ، وأسورة جمع سوار ، يقال بكسر السين وضمها - في قول الزجاج - والسوار زينة تلبس في الزند من اليد . وقيل هو من زينة الملوك يسور في اليد ويتوج على الرأس .

« ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق » فالسندس مارق من الديباج واحده سندسة وهي الرقيقة من الديباج ، على أحسن ما يكون وأخضره ، فلذلك شوق الله إليه . والاستبرق الغليظ من الديباج . وقيل هو الحرير قال المرقش :

تراهن يلبسن المشاعر مرة واستبرق الديباج طوراً لباسها (١)

وقوله تعالى « متكئين » نصب على الحال « فيها » يعني في الجنة « على الأرائك » جمع أريكة ، وهي السرير قال الشاعر :

خدوداً جفت في السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك (٢)

وقال الأعشى :

بين الرواق وجانب من سيرها منها وبين أريكة الانضاد (٣)

أي السرير في الحجلة . وقال الزجاج : الأرائك الفرش في المجال . ثم قال تعالى إن ذلك « نعم الثواب » والجزاء على الطاعات « وحسنت مرتفقاً » يعني

(١) تفسير القرطبي ١٠ | ٣٩٧ وتفسير الطبري ١٥ / ١٤٨ وهو في مجمع

البيان ٣ | ٤٦٦ (٢) قائله ذو الرمة ديوانه ٤٤٢ ومجاز القرآن ١ | ٤٠١ وتفسير

الطبري ١٥ | ١٤٨ (٣) ديوان الأعشى (طبع بيانة) ٣٤٤ وتفسير الطبري

١٥ | ١٤٨ ومجاز القرآن ١ | ٤٠١ .

حسنت الجنة مرتفقاً ، فلذلك أنت الفعل ، ومعنى « مرتفقاً » أي مجلساً . وهو نصب على التمييز . ثم قال « واضرب لهم مثلاً رجلين » أي اضرب رجلين لهم مثلاً « جعلنا لآحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل » أي جعلنا النخل مطيقاً بهما يقال حفه القوم يريد إذا طافوا به « وجعلنا بينهما زرعاً » اعلام بأن عمارتهما كاملة متصلة لا يفصل بينهما إلا عمارة . واعلمنا أنهما كاملتان في تأدية كل حملها من غلتها ، فقال « كلتا الجنتين آتت أكابها » أي طعمها وما يؤكل منها « ولم تظلم منه شيئاً » أي لم تنقص بل أخرجت ثمرها على الكمال والتمام ، قال الشاعر :

يظلمني مالي كذا ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه (١)

أي ينقصني مالي . وقال الحسن : معناه لم ينقص « وفجرنا خلاهما نهرأ » أي شققنا نهرأ بينهما ، وفأدتهما أنهما يشربان من نهر واحد . « وكان له ثمر » وقرئ . (ثمر) قال مجاهد هو ذهب ، وفضة . وقال ابن عباس وقتادة : هو صنوف الأموال ، يقال : ثمار وثمر مثل حمار وحر ، ويجوز أن يكون جمع ثمر ، مثل خشب وخشب ، وإنما قال « كلتا الجنتين آتت » على لفظ كاتنا ، لأنه بمنزلة (كل) في مخرج التوحيد . ولو قال آتتا ، على الجنتين كان جائزاً قال الشاعر في التوحيد :

وكلتاها قد خط لي في صحيفتي فلا العيش اهواه ولا الموت أروح (٢)

ويجوز كلاهما في الحديث قال الشاعر :

كلا عقبيه قد تشعث رأسها من الضرب في جنبي يقال مباشر والالف والسلام في كاتنا ليست ألف التثنية ، ولذلك يجوز أن تقول الاثنتان

(١) مر تخريجه في ٢ / ٥٠٨

(٢) البيت في مجمع البيان غير منسوب

قام ، ويجوز ان يقال كل الجنة آتت . ولا يجوز كل المرأة قامت ، لان بعض الامراة ليس بامراة وبعض الجنة جنة ، فكأنه قال كل جنة من جملة ما آتت .
 وقوله « فقال لصاحبه وهو يحاوره » أي يقول احد الرجلين لصاحبه يعني صاحبي الجنتين اللتين ضرب بهما المثل ، يقول لصاحبه الآخر « وهو يحاوره » أي يراجعه الكلام « أنا اكثر منك مالا وأعز نفراً » أي أجمع مالا وأعز عشيرة وأكثر انصاراً ، وقد فسرناه فيما مضى وإنما قال « وفجرنا خلاهما نهراً » والنهر يتفجر من موضع واحد لان النهر يمتد حتى يصير التفجر كأنه فيه كله ، فالتخفيف والتثقيل فيه جائزان ومنه « حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً » (١) يخفف ويثقل على ما مضى القول فيه .

قوله تعالى :

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٦) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٧) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا (٣٨) ﴾ آيتان في عدد اسماعيل وشامى وثلاثة في ما عداه لأنهم عدوا ابدآية ولم يعدها اسماعيل ولا الشامى وثلاثة آيات في الكوفي والمدنى الاول واثنان في المدنى الأخير .
 قرأ اهل الحجاز وابن عامر « خيراً منها » بزيادة ميم على التثنية .

الباقون بلا ميم .

اخبر الله تعالى عن أحد الرجلين اللذين ضرب بهما المثل ، وهو صاحب الجنتين أنه دخل جنته وهي البستان الذي يجنه الشجر ويحفه الزهر ، « وهو ظالم لنفسه » أي باخس لها حقها بارتكاب القبيح والاخلال بالواجب اللذين يستحق بهما العقاب ويفوته بهما الثواب ، فلما رأى هذا الجاهل ما رآقه وشاهد ما أعجبه ، وكبر في نفسه توهم أنه يدوم ، وأن مثله لا يفنى ، فقال « ما أظن ان تبديد هذه أبدأ » أي تهلك هذه الجنة أبدأ « وما أظن الساعة قائمة » يعني يوم القيامة أي تقوم ، كما يدعيه الموحدون . ثم قال « ولئن رددت الى ربي » وجدت « خيراً منها » يعني من الجنة . ومن قرأ « منهما » أراد الجنتين « منقلباً » أي في المرجع اليه . وانما قال هذا مع كفره بالله تعالى ، لأن المعنى ان رددت الى ربي ، كما يدعي من رجوعي ، فلي خير من هذه ، تحكما سولته له نفسه ، لامطعم فيه . وقال ابن زيد : شك ، ثم قال على شكه في الرجوع الى ربه ما أعطاني هذه الأولى عنده خير منها » فقال له صاحبه وهو يحاوره « أي يراجعه الكلام » اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً » ومعنى خلقك من تراب أن اصلك من تراب إذ خلق اباك آدم (ع) من تراب ، فهو من تراب وبصير الى التراب ، وقيل لما كانت النطفة يخلقها الله بهجرى العادة من الغذاء ، والغذاء نبت من التراب ، جاز أن يقال : خلقك من تراب ، لان أصله تراب كما قال من نطفة ، وهو في هذه الحال خلق سوي حي ، لكن لما كان أصله كذلك جاز أن يقال ذلك .

وفي الآية دلالة على ان الشك في البعث والنشور كفر ، والوجه في خلق البشر وغيره من الحيوان وتنقله من تراب الى نطفة ، ثم الى علقه ، ثم الى صورة ، ثم الى طفولية ، ثم الى حال الرجولية ، مما في ذلك من الاعتبار الذي هو دال على تدبير مدبر .

مختار بصرف الاشياء من حال الى حال ، لان ما يكون في الطبع يكون دفعة واحدة كالكتابة التي يوجد بها بالطباع من لا يحسن الكتابة ، فلما انشأ الخلق حالا بعد حال دل على أنه عالم مختار .

و (المحاوره) مراجعة الكلام و (المنقلب) المعاد ، و (التسوية) جعل الشيء على مقدار سواه ، فقوله « سواك رجلا » أي كملك رجلا .
قوله تعالى :

﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٣٩) وَلَوْلَا
إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ
مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٤٠) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا (٤١) أَوْ
يُصْبِحُ مَاؤها غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤٢) ﴿ أربع آيات
بلاخلاف .

قرأ نافع - في رواية المسيبي - وابن عامر ، و ابو جعفر ، ورويس ، والبرجمي ،
والعبسي « لكننا هو الله ربي » باثبات الالف في الوصل ، وهي قراءة ورش عن نافع .
والباقون بغير الف في الوصل . ولم يختلفوا في الوقف أنه بألف . وقد جاء الاثبات في
الوصل ، قال الانشي :

فكيف أنا وانتحالي القوافي بعد المشيب كفي ذلك عارا (١)

(١) ديوانه (دار بيروت) ٨٤ وطبع (بيانه) ٤١ والقرطبي ١٠ | ٤٠٥

وروايته (فما أنا أم ما انتحالي القوافي)

غير ان ذلك من ضرورة الشعر ، ويجوز في « لكننا هو الله ربي » خمسة أوجه في العربية .

أحدها - لكن هو الله - بالتشديد - من غير الف في الوصل والوقف .

الثاني - بالف في الوصل والوقف .

الثالث - لكننا باظهار النونين وطرح الهمزة .

الرابع - لكن هو الله ربي بالتخفيف .

الخامس - لكن انا على الاصل . وقال الكسائي : العرب تقول : أن قائم بمعنى أنا قائم ، فهذا نظير « لكن هو الله » ومن قرأ لكننا في الوصل احتمل امرين : أحدهما - أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن ، فيدغم النون من « لكن » - لسكونها - في النون من علامة الضمير ، فيكون على دنا باثبات الالف وصلا ووقفاً ، لان أحداً لا يحذف الالف من (انا فعلنا) .

وقوله « هو الله » فهو ضمير علامة الحديث والقصة . كقوله « فإذا هي شاختة » (١) وقوله « قل هو الله احد » والتقدير : الامر : الله احد ، لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر ، فيصير المبتدأ والخبر في موضع خبر وعاد على الضمير الذي دخلت عليه (لكن) على المعنى ، ولو عاد على اللفظ لقال : لكننا هو الله ربنا . ودخلت (لكن) مخففة على الضمير ، كما دخلت في قوله « انا معكم » (٢) والوجه الآخر - أن يكون على ما حكاه سيبويه أنه سمع من يقول أعطني يضة فشدد وألحق الهاء بالتشديد الوقف ، والهاء مثل الالف في سبسا ، والياء في (عييل) واجرى الهاء مجراها في الاطلاق ، كما كانت مثلهما في نحو قوله :

(١) سورة ٢١ الانبياء آية ٩٧

(٢) سورة ٢ البقرة آية ١٤

صفية قومي ولا تجزي وبكى النساء على حمزة (١١)

وهذا الذي حكاه سيديوه ليس في شعر ، فكلناك الآية يكون الالف فيها كالهاء ، ولا تكون الهاء للوقف - لأن هاء الوقف لا يبين بها العرب ، ولا ما ضارع المعرب فعلى احد هذين الوجهين يكون قول من اثبت الالف في الوصل أو عليها جميعاً ، ولو كانت فاصلة ، لكان مثل « فاضلونا السيلا » (٢) وفي (أنا) في الوصل ثلاث لغات أجودها (أناقت) كقوله « أنا ربكم الأعلى » بغير ألف في اللفظ ، ويجوز (أناقت) باثبات الالف ، وهو ضعيف جداً وحكوا أن قمت باسكن النون ، وهو ضعيف أيضاً . وأما « لكننا هو الله زبي » باثبات الالف فهو الجيد ، لان الهمة قد حذف من انا فصار اثبات الالف عوضاً عن الهمة ، وحكي أن أياً قرأ « لكن انا هو الله » قال الزجاج وهو الجيد البالغ ، وما قرأه القراء ايضاً جيد .

وقوله « قلت ماشاء الله » تحتل (ما) أن تكون رفعا ، وتقديره قلت الأمر ماشاء الله ، ويجوز ان تكون نصباً على معنى الشرط والجزاء . والجواب مضمرة وتقديره أي شيء شاء الله كان ، وتضمير الجواب ، كما تضمير جواب (لو) في قوله « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ، (٣) والمعنى لكن هذا القرآن . ومعنى « لا قوة إلا بالله » لا يقدر أحد إلا بالله ، لان الله هو الذي يفعل القدرة للفعل .

وقوله « انت ترني انا اقل » منصوب بأنه منقول ثان ل (ترني) و « أنا » تصلح لشيئين : احدهما - ان تكون توكيداً للنون والياء . والثاني - ان تكون فصلاً كما تقول : كنت انت القائم يا هذا ، ويجوز رفع (اقل) وبه قرأ عيسى بن عمر على

(١) البيت في مجمع البيان ٣ / ٤٧٠ (٢) وسورة ٣٣ - الاحزاب آية ٦٧

(٣) سورة ١٣ - الرعد - آية ٣٣

ان يكون (أنا) مبتدأ و(أقل) خبره . والجملة في موضع المفعول الثاني - ل (ترني)
وقوله « غوراً » قرأه البرجمي بضم الغين هيناً وفي الملك ، وانما جاز ان يقع المصدر
في موضع الصفة في ماء غور ، للعبارة ، كما تقول في الحسن وجهه : نور ساطع ،
وقال الشاعر :

تظل جيباده نوحاً عليه مقلدة أعنتها صفونا (١)

حكى الله تعالى عن الذي قال لصاحبه « أكفرت بالذي خلقك من تراب »
أنه قال « لكن هو الله ربي » ومعناه لكن أنا هو الله ربي إلا أنه حذف الهمزة ،
والتي حركتها على الساكن الذي قبلها ، فالتقت النونان ، وأدغمت أحدهما في
الأخرى ، كما قال الشاعر :

و يرميني بالطرف أي انت مذنب و يقليني لكن إياك لا أقبلي (٢)

أي لكن أنا . وقوله « ولا أشرك بربي أحداً » أي لا أشرك بعبادتي أحداً
مع الله بل أوجهها إليه خالصة له وحده . وإنما استحال الشرك في العبادة ، لأنها لا تستحق
إلا باصول النعم التي لا توازيها نعمة منعم ، وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله . ثم قال له
« ولو لا إذ دخلت جنتك » والمعنى هلا حين دخلت جنتك « قلت ما شاء الله لا قوة
إلا بالله » لاحد من الخلق « ان ترني أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتيني »
بمعنى ان يعطيني خيراً من جنتك جنة في الدار الآخرة « وأن يرسل عليها » أي على جنتك
حسباناً من السماء . قال ابن عباس ، وقتادة : عذاباً . وقيل ناراً من السماء تحرقها .
وقيل أصل الحسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد ، وكان ذلك من رمي
الأساور . والحسبان المرامي الكثيرة مثل كثرة الحساب واحده حسبانة .

(١) قيل ان البيت لعمر بن كلثوم من معلقته وهو في أمالي السيد المرتضى

(٢) تفسير القرطبي ١٠ / ٤٠٥ ، وجمع البيان ٣ / ٤٧٠

وقوله « فتصبح صعيداً زلقاً » أي تراباً محترقاً . والزلق الذي لانبات فيها .
وقال الزجاج: الصعيد الطريق الذي لانبات فيه أي ملساء ما أنبتت من شيء قد ذهب .
وقال الزجاج : المعنى ويرسل عليها عذاب حساب بما كسبت يدك ، لان الحساب
هو الحساب .

وقوله « او يصبح ماؤها غوراً » أي ذاهباً في باطن غامض . والمعنى غائراً ،
فوضع المصدر موضع الصفة ونصب على الحال ولذلك لا يثنى ولا يجمع .
وقوله « فلن تستطيع له طلباً » أي لا تقدر على طلب الماء إذا غار ، والطلب
تقليب الأمر لوجدان ما يهلك . قال الرماني هذا أصله ، ثم قيل للمريد من غيره
فعلا : طالب لذلك الفعل بارادته او أمره والمفكر في المعنى (طالب) لادراك ما فيه
وكذلك السائل .

قوله تعالى :

﴿ وَأَحْيَيْطَ بِشْمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ (٤٣)
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٤)
هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٥) ﴾ ثلاث
آيات بلاخلاف .

قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، ونافع وعاصم «الولاية» بفتح الواو «لله الحق»
بكسر القاف ، وقرأ حمزة بكسرهما . وقرأ أبو عمرو : بفتح الواو ، وضم القاف . وقرأ
الكسائي بكسر الواو وضم القاف . وقرأ اهل الكوفة إلا عاصماً « ولم يكن » بالياء

الباقون بالتناء .

من قرأ بالتناء فلثانث الفئنة ، والفئنة الجماعة ، وقد يسمى الرجل الواحد فئنة ، كما ان الطائفة تكون جماعة وواحدأ . قال ابن عباس في قوله « وليشهد عذابهما طائفة » فالطائفة قد تكون الرجل الواحد .

ومن قرأ بالياء فلقوله « ينصرونه » ولأن الثانث غير حقيقي . واما (الولاية) بفتح الواو، وكسرهما فلغتان مثل الوكالة والوكالة والدلالة والدلالة . وقال قوم: هما مصدران فالمكسور مصدر الوالي من الامارة والسلطان . والمفتوح مصدر الولي ضد العدو ، تقول : هذا ولي بين الولاية .

واما قوله « الحق » فمن خفض قال الحق هو الله فخفضه نعتاً لله ، واحتج بقراءة ابن مسعود « هنالك الولاية لله وهو الحق » وفي قراءة ابي « هنالك الولاية الحق لله »

ومن رفع جعله نعتاً للولاية ، وأجاز الكوفيون والبصريون النصب بمعنى أحق ذلك حقاً ، والحق اليقين بعد الشك .

قوله « واحيط بشمره » معناه هلكت ثمزم عن آخرها ، ولم يسلم منها شيء . كما يقال أحاط بهم العدو إذا هلكوا عن آخرهم والاحاطة ادارة الحائط على انشيء . ومنه قوله « ولا يحيطون بشيء من علمه » (١) أي لا يعلمون معلوماته ، والحد محيط بجميع المحدود .

وقوله « فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » أي يتحسر على ما أنفق في عمارتها « وهي خاوية على عروشها » معناه حيطانها قائمة لاسقوف عليها ، لانها انهارت

(١) سورة ٢ - البقرة - آية ٢٥٦

فصارت في قرارها ، وخوت فصارت خاوية من الاساس . ومثله قولهم وقعت :
الدار على سقوفها أي أعلاها على أسفلها . وقيل خاوية على بيوتها ، والعروش
الابنية أي قد ذهب شجرها وبقيت جذرانها ، لاخير فيها . وقيل العروش السقوف ،
فصارت الحيطان على السقوف .

وقوله « ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احداً » اخبار منه تعالى عما يقول
صاحب الجنة الهالكة ، وانه يندم على ما كان منه من الشرك بالله . ثم قال تعالى
« ولم يكن له فئة » أي جماعة « ينصرونه من دون الله » قال العجاج :
كما يجوز الفئة الكمي

وقوله تعالى « وما كان منتصراً » قال قتادة : معنا ما كان ممتعاً . وقيل
معناه ما كان منتصراً بان يسترد بدل ما كان ذهب منه .
وقوله « هنالك الولاية لله الحق » اخبار منه تعالى ان في ذلك الموضع الولاية
بالنصرة والاعزاز لله (عز وجل) لا يملكها احد من العباد يعمل بالفساد فيها ، كما قد
مكن في الدنيا على طريق الاختبار ، فيصح الجزاء في غيرها .
وقوله « هو خير ثواباً وخير عقباً » انما قال هو خير ثواباً مع أنه لا يثيب أحد
إلا الله لامرين :

احدهما - انه على رد ادعاء الجهال انه قد يثيب غير الله ، فتقديره لو كان
غيره يثيب ، لكان هو خير ثواباً .

والثاني انه خير جزاء على العمل . وعاقبة ما يدعو اليه خير من عاقبة ما لا يدعو
اليه . والولاية بفتح الواو ضد العداوة ، وبكسرهما الامارة والسلطان . وقرأ عاصم
وحمزة « عقباً » بسكون القاف . الباقون بضمين وهما لغتان بمعنى العاقبة ، وهو نصب
على التمييز (وهنالك) اشارة الى يوم القيامة . والمعنى ان يوم القيامة تتبين نصرته الله ،

لأوليائه. و (عقباً، أي عاقبة يقال عقبي الدار . وعقب الدار ، وعقب الدار ، وعاقبة الدار بمعنى واحد .

قوله تعالى:

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٦) أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٧) ﴾

آيتان بلاخلاف .

أمر الله تعالى نبيه (ص) أن يضرب المثل للدنيا تزهداً فيها ، وترغيباً في الآخرة بأن قال : إن مثلها كمثل ماء أنزله الله من السماء « فاختلط به نبات الارض » أي نبت بذلك الماء المنزل من السماء نبات ، فانتفت بعضه ببعض يروق حسناً وعضاضة . ثم عاد (هشيماً) أي مكسوراً مفتتاً « تذرؤه الرياح » فتنقله من موضع الى موضع فانقلاب الدنيا بأهلها كانقلاب هذا النبات . ثم قال « وكان الله على كل شيء » اراده « مقتدراً » أي قادراً ، لا يجوز عليه المنع منه . والتندرية تطير الريح الاشياء الخفيفة على كل جهة ، يقال : ذرته الريح تذرؤه ذرواً ، وذرته تذريره وأذرته اذراء قال الشاعر :

فقلت له صوب ولا تجهده
فيدرك من أخرى القطة فتزلق (١)

(١) تفسير القرطبي ١٠ | ٤١٣ : وهر في مجمع البيان ٣ / ٤٧٠

وأذريت الرجل عن الدابة إذا ألقىته عنها ، والهشيم النبات اليابس المتفتت .
وقال الحسن : معنى « وكان الله على كل شيء مقنдрاً » أي كان قادراً ان يكونه
قبل أن يكون ، وقبل أن يكون . وهو اخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل ، وهذا
المثل للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم ، واستنكفوا من مجالسة فقراء المؤمنين ،
فأخبرهم الله أن ما كان من الدنيا لا يراد به الله ، فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة
له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء ، فاذا انقطع عنه عاد هشيماً تذروه الرياح لا ينتفع به .
وقوله « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » اخبار منه تعالى أن كثرة الاموال
التي يتمولها الانسان ويملكها في الدنيا . والبنين الذين يرزقهم الله زينة الحياة الدنيا ،
أي جمال الدنيا وفخرها « والباقيات الصالحات » يعني الطاعات لله تعالى ، لأنه يبقى ثوابها
أبدآ ، فهي خير من نفع منقطع لا عاقبة له ، والباقيات يفرح بها ويدوم خيرها ،
وهي صالحات بدعاء الحكيم اليها وأمره بها . وقال ابن عباس « الباقيات الصالحات » الطاعات
لله . وروي في أخبارنا أن من الباقيات الصالحات ، والامور الثابتات : القيام بالليل
لصلاة الليل . والأمل الرجاء . ومعنى « خير أملا » أن الرجاء للعمل الصالح والأمل
له خير من الأمل للعمل الطالح .

قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ
نَعَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٨) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُوْنَا كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٩) وَوَضَعَ
الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ

هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٥٠) ﴿ ثلاث آيات

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمر و « تسير » لتأنيث الجبال ورفع الجبال ،
لأنه اسم ما لم يسم فاعله ، ولأنه قال « وسيرت الجبال فكانت سراباً » (١) ، ولأن
ايماً قرأ « ويوم سيرت الجبال ، فاذا كان الماضي (سيرت) كان المضارع تسير . الباقيون
« نسير » بالنون ، اخبار من الله تعالى عن نفسه . ونصب الجبال وهو مفعول به
لـ (نسير) وحجتهم قوله « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » ونصب « ويوم نسير »
باضمار فعل ، وتقديره واذكر يا محمد (ص) يوم نسير الجبال . وقوله « وترى الأرض
بارزة » أي ظاهرة فلا يتستر منها شيء ، لان الجبال إذا سيرت عنها وصارت دكا
ملساء ظهرت وبرزت . وقيل « وترى الأرض بارزة » أي يبرز ما فيها من الكنوز
والأموات ، فهو مثل قول النبي (ص) (ترمي الأرض بافلاذ كبدها) وأجاز بعض
البصريين ان ينصب « ويوم » بقوله « والباقيات الصالحات خير ثواباً » في يوم تسير
الجبال في « الباقيات الصالحات » قيل الطاعات . وقيل الصلوات الخمس . وقيل سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

وروي عن أبي جعفر (ع) أنه قال (القيام بالليل لصلاة الليل) . وسمع بعضهم
عزى صديقاً له ، فقال : ابنك كان زينة الدنيا ، ولو بقي كان سيداً مثلك . وإذا
استأثر الله به ، فجعله من الباقيات الصالحات ، والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثواباً وخيراً أملاً ، فتسلى بذلك .

يقول الله تعالى لنبية (ص) اذكر يوم نسير الجبال ، والتسيير تطويل السير

وقد يكون بمعنى ان يجعله يسير، وهذا هو معنى تسيير الجبال، وانما يسيرها [الله تعالى، ويخبر به، لما في ذلك من الاعتبار في الدنيا . وقيل يسيرها] (١) بأن يجعلها هبباء منبثاً، ومعنى « وترى الارض بارزة » أي لاشيء يسترها، يحشر الخلائق حتى يكونوا كلهم على صعيد واحد، ويرى بعضهم بعضاً . وكل ذلك من هول يوم القيامة، أخبر الله به للاعتبار به والاستعداد بما يخلص من أهواله .

وقوله « وحشرناهم » أي بعثناهم وأحييناهم بعد أن كانوا أمواتاً « فلم تغادر منهم احداً » أي لم تترك واحداً منهم لانشهره . والمغادرة الترك، ومنه الغدر ترك الوفاء . ومنه الغدير لترك الماء فيه . وقيل : تغادر تخلف . وقيل : أغدرت وغادرت واحد .

وقوله « وعرضوا على ربك صفاً » قيل معناه انهم يعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة . وقيل المعنى انهم يعرضون على ربهم لا يخفى منهم أحد فكأنهم صف واحد . وقيل : انهم يعرضون، وهم صف، ويقال لهم « لقد جثتمونا كما خلقناكم أول مرة » يعني جثتم الى الموضع الذي لا يملك الأمر فيه أحد إلا الله . كما خلقناكم أول مرة لا تملكون شيئاً . وروى عن النبي (ص) أنه قال (يحشرون حفاة عراة عزلاً) فقالت عائشة: أفما يجثتمون يومئذ، فقال النبي (ص) (لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) ويقال لهم أيضاً « بل زعمتم » في دار الدنيا « أن لن نجعل لكم موعداً » يعني يوم القيامة، وانكم انكرتم البعث والنشور .

ثم قال تعالى « ووضع الكتاب » يعني الكتب التي فيها أعمالهم مثبتة « فترى المجرمين مشفقين مما فيه » أي يخافون من وقوع المكروه بهم والاشفاق الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ألا يقع، وأصله الرقة، ومنه الشفق : الحرة الرقيقة التي

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

تكون في السماء ، وشفقة الانسان على ولده رفته عليه . وقوله « ويقولون » الواو واو الحال وتقديره قائلين « يا ويلتنا » وهذه لفظة ، من وقع في شدة دعا بها و « ما لهذا الكتاب ، اي شيء لهذا الكتاب » لا يغادر صغيرة ولا كبيرة « أي لا يترك صغيرة ولا كبيرة من المعاصي » إلا احصاها بالعدد وحواسها . و (لا يغادر) في موضع نصب على حال « ووجدوا ما عملوا حاضراً » اخبار منه تعالى أنهم يجدون جزاء ما عملوا في ذلك الموضع ، ولا يبخس الله أحداً حقه في ذلك اليوم ولا ينقصه ثوابه الذي استحقه . وقيل معناه ووجدوا أعمالهم مثبتة كلها ويعاقب كل واحد على قدر معصيته .

قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (١٥) مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥٢) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (٥٣) ثلاث آيات بلاخلاف .

قرأ حمزة وحده « ويوم نقول » بالنون ، على أن الله تعالى هو المخبر عن نفسه بذلك ، لأنه قال قبل ذلك « وما كنت متخذ المضلين عضداً ، ويوم نقول » جملة على ما تقدم ، والجمع والافراد بذلك المعنى . الباقيون بالياء ، بمعنى قل يا محمد

يوم يقول الله أين شركائي الذين زعمتم ، ولو كان بالنون لكان الأشبه بما بعده ان يكون جمعاً ، فيقول شركاؤنا ، فأما قوله « الذين زعمتم » فالراجع الى الموصول محذوف ، والمعنى الذين زعمتموهم ايهم أي زعمتموهم شركاء ، فحذف الراجع من الصلة ، ولا بد من تقديره كقوله « أهذا الذي بعث الله رسولا » (١) يقول الله تعالى لنبيه واذكر الوقت الذي قال الله فيه « للملائكة اسجدوا لآدم » وانهم « سجدوا إلا ابليس » وقد فسرناه فيما تقدم . (٢) وقيل : إنما كرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج الى اتصاله به ، فهو كالمعنى الذي يفيد أمراً في مواضع كثيرة ، والاخبار عنه باخبار مختلفة ، كفولهم برهان كذا كذا وبرهان كذا كذا ، للمعنى الذي يحتاج الى احكامه في أمور كثيرة .

وقوله « كان من الجن » قيل معناه صار من الجن المخالفين لأمر الله . وقال قوم : ذلك يدل على أنه لم يكن من الملائكة ، لأن الجن جنس غير الملائكة ، كما ان الانس غير جنس الملائكة والجن ، ومن زعم انه كان من الملائكة يقول : معنى كان من الجن يعنى من الذين يستترون عن الابصار (٣) لانه مأخوذ من الجن وهو الستر ، ومنه المجن لأنه يستر الانسان . وقال ابن عباس : نسب الى الجنان التي كان فيها ، كقولك كوفي وبصري ، وقال قوم : بل كانت قبيلته التي كان فيها يقال لهم الجن ، وهم سبط من الملائكة ، فنسب اليهم . وقال ابن عباس : لو لم يكن ابليس في الملائكة ما أمر بالسجود . وقال وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم . وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى « كان من الجن »

(١) سورة ٢٥ - الفرقان - آية ٤١ (٢) سورة البقرة آية ٣٤ المجلد الاول

صفحة ١٤٧ وقد مر أيضاً في ٤ / ٣٨٣ في تفسير آية ١٠ من سورة الاعراف

(٣) في المخطوطة (الانسان) بدل (الابصار)

قال : كان ابليس من الملائكة فلما عصى لعن فصار شيطاناً . ومن قال إن ابليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم ولا يتناكحون ولا يتناسلون عول على خبر غير معلوم . فأما الأكل والشرب ففي الملائكة ولو علم أنه مفقود ، فإنا لانعلم أن ابليس كان يأكل ويشرب ، فأما من قال إن الملائكة رسل الله ، ولا يجوز عليهم أن يرتدوا . فلا نسلم لهم أن جميع الملائكة رسل الله ، وكيف نسلم ذلك ، وقد قال الله تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلاً » (١) فأدخل (من) للتبويض ، فسدل على أن جميعهم لم يكونوا رسلاً أنبياء ، كما أنه تعالى قال « ومن الناس » (٢) فسدل على أن جميع الناس لم يكونوا انبياء . وقوله « ففسق عن أمر ربه » معناه خرج عن أمر ربه إلى معصيته بترك السجود لآدم . وأصل الفسق الخروج إلى حال تضر ، يقال : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفسقت الفارة إذا خرجت من حجرها قال رؤبة :

يهوين في نجد وغوراً غيراً فواسقاً عن قصدها جواراً (٣)

وقال أبو عبيدة : هذه التسمية لم أسمعها في شيء من أشعار الجاهلية ، ولا أحاديثها ، وإنما تكلمت بها العرب بعد نزول القرآن ، قال المبرد : والأمر على ما ذكر أبو عبيدة ، وهي كلمة فصيحة على ألسنة العرب ، وأؤكد الأمور ما جاء في القرآن . وقال قطرب : معنا « ففسق عن أمر ربه » عن رده أمر ربه ، كقولهم كسوته عن عرى وأطعمته عن جوع ، ثم خاطب تعالى الخلق الذين أشركوا بالله غيره ، فقال « أفنتخذونه يعني ابليس وذريته أولياء » أي أنصاراً توالونهم من دون الله وهم

(١ ، ٢) سورة ٢٢ - الحج - آية ٧٥

(٣) ملحق ديوانه ١٩٠ ومجاز القرآن ١ | ٤٠٦ وتفسير الطبري ١٥٨/٥١

والكشاف ٣ | ١١٠ واللسان والتاج (فسق) وغيرها .

﴿ ج ٧ م ٨ من التبيان ﴾

يعني ابليس « وذريته عدو لكم » يريدون بكم الهلاك والدمار « بئس » البذل
« للظالمين بدلا » ونصب (بدلا) على التمييز .

ثم قال « ما شهدتهم خلق السموات » وقيل معناه ما أشهدتهم ذلك مستعينا
بهم ، وقيل معناه ما أشهدت بعضهم خلق بعض . ووجه اتصال ذلك بما قبله اتصال
الحجة التي تكشف حيرة الشبهة ، لانه بمنزلة ما قيل إنكم قد أقبلتم على اتباع ابليس
وذريته حتى كأن عندهم ما يحتاجون اليه ، فلو أشهدتهم خلق السموات والأرض وخلق
أنفسهم ، فلم يخف عليهم باطن الأمور وظاهرها لم تزيدوا على ما أنتم عليه في امركم .
ثم قال تعالى « وما كنت متخذ المضلين عضداً » يعني اعواناً ، وهو قول قتادة وهو
من اعتضد به إذا استعان به . وفي عضد خمس لغات ، وهي عَضِدَ وَعُضِدَ وَعَضِدَ
وَعُضِدَ وَعُضِدَ .

ثم اخبر تعالى عن حالهم يوم القيامة فقال واذكر يوم يقول الله تعالى للمشركين
نادوا شركائي الذين زعمتم - على وجه التقرير والتوبيخ - واستغيثوا بهم ، فدعواهم يعني
المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله ، فلا يستجيبون لهم ثم قال
تعالى « وجعلنا بينهم موبقاً » قال ابن عباس أي مهلكاً ، وبه قال قتادة والضحاك وابن
زيد ، وهو من أوبقته ذنوبه أي اهلكته . وقال الحسن معنا « موبقاً » أي عداوة ، كأنه
قال عداوة مهلكة . وقال أنس بن مالك : هو واد في جهنم من قيح ودم . وحكى الكسائي
وبق يبق وبوقاً ، فهو وابق إذا هلك ، وحكى الزجاج : بوق الرجل يوبق وبقاً . والوبق
مصدر وبق .

قوله تعالى :

﴿ وَرَأَى الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَآ

مَصْرِفًا (٥٤) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٥) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ
جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٦) ثلاث آيات بلاخلاف.

قرأ أهل الكوفة «قبلاً» بضم القاف والباء . الباقون بكسر القاف وفتح الباء .
فمن قرأ بضم القاف والباء أراد جمع قبيل نحو قميص وقمص . وقال قوم : القبيلة بنو
أب . والقبيل يعبر بها عن الجماعة وإن اختلفت أنسابهم واحتجوا بقول النابغة :
جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب (١)
وجمع القبيلة قبائل . والقبائل أيضاً قبائل الرأس ، وهي عروق مجرى الدمع
من الرأس ، وسمي أيضاً شئوناً ، واحدها شأن . ومن قرأ بكسر القاف وفتح الباء
أراد مقابلة ، أي معاينة . ويحتمل أيضاً الضم ، ذلك ذكره الفراء والزجاج ، وهما لغتان .
أخبر الله تعالى عن المجرمين والعصاة أنهم إذا شاهدوا نار جهنم ورأوها
« فظنوا » أي علموا « أنهم مواقعوها » ولم يجدوا عن دخولها معدلاً ولا مصرفاً ،
لأن معارفهم ضرورية ، فالظن ههنا بمعنى العلم . وقد يكون الظن غير العلم ، وهو
ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على خلافه .
والاجرام قطع العمل إلى الفساد . واصله القطع ، يقال : هذا زمن الجرام أي زمن
الصرام يعني زمان قطع الثمرة عن النخل . والمواقعة ملابسة الشيء بشدة ، ومنه وقائع
الحروب وأوقع به إيقاعاً . وتوافقوا توافقاً . والتوقع الترقب لوقوع الشيء ، والمصرف

المعدول . وهو الموضع الذي يعدل اليه، صرفه عن كذا يصر صرفاً . والموضع مصرف
قال ابو كثير :

ازهير هل عن شية من مصرف أم لاخلود لباذل متكلف (١)
وقوله « ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل » اخبار من الله
تعالى انه نقل المعاني في الجهات المختلفة في هذا القرآن ، فتصرف المثل فيه تنقيسه في
وجوه البيان على تمكين الأفهام . والمعنى يينا للناس من كل مثل يحتاجون اليه . ثم
اخبر تعالى عن حال الانسان فقال « وكان الانسان اكثر شيء جدلا » أي خصومة .
والجدل شدة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج . واصله الشدة ، ومنه الاجدل الصقر
لشدته ، وسير مجدول شديد الفتل .

وقوله « وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن
تأتيهم سنة الاولين » معناه ما منعهم من الايمان بعد مجيء الدلالة وان يستغفروا
ربهم على ما سبق من معاصيهم إلا طلب ان يأتيهم سنة الاولين ، من مجيء العذاب من
حيث لا يشعرون ، او مقابلة من حيث يرون . وإنما هم بامتناعهم من الايمان بمنزلة
من يطلب هذا حتى يؤمن كرهاً ، لانهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الاليم ، كما يقول
القائل لغيره ما منعك ان تقبل قولي إلا ان تضرب ، إلا انك لم تضرب ، لأن
مشركي العرب طلبوا مثل ذلك ، فقالوا « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم » (٢) .

(١) ديوان الهذليين ٢ / ١٠٤ وتفسير الطبري ١٥ | ١٦٠ واللسان (صرف)

وشواهد الكشاف ١٩٢ ومجاز القرآن ١ | ٤٠٧

(٢) سورة ٨ الانفال آية ٣٢

قوله تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِنَا وَمَا أَنْذَرُوا هُزُؤًا (٥٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٨) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخَذُ لَهُمْ بِمَا كَسَبُوا الْعَجَلُ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٩) ﴾ ثلاث آيات بلاخلاف

أخبر الله تعالى أنه لم يرسل رسله الى الخلق، إلا مبشرين لهم بالجنة إذا أطاعوا، ومخوفين لهم من النار إذا عصوا، فالبشارة الاخبار بما يظهر سرورة في بشرة الوجه يقال بشره تبشيراً وبشارة، وأبشره إبشاراً إذا استبشر بالأمر. ومنه البشر لظهور بشرته. ثم قال « ويجادل الذين كفروا بالباطل » أي يناظر الكفار دفعاً عن مذاهبهم بالباطل. وذلك انهم أزموه أن يأتيهم أويريهم العذاب على ما وعدهم ما هو لاحق بهم إن أقاموا على كفرهم. والباطل المعني الذي معتقده على خلاف ما هو به، كالمعني في انه ينبغي أن تكون آيات الأنبياء على ما تقتضي الأهواء، كالمعني في أنه: يجب عبادة الأوثان على ما كان عليه الكبراء « ليدحضوا به الحق » والادحاض الازدهاب بالشيء الى الهلاك: ودحض هو دحضاً. ومكان دحض أي مزلق منزل، لا يثبت فيه خف ولا حافر، ولا قدم، قال الشاعر:

وردت ونحن اليشكري حذاره وحاد كما حاد البعير عن الدحض (١)
 ثم اخبر تعالى عنهم أنهم « اتخذوا آيات الله » ودلالته وما خوفوا به من
 معاصيه « هزوا » أي سخرية يسخرون منه . ثم قال تعالى « ومن أظلم ممن ذكر
 بآيات ربه » أي من أظلم لنفسه ممن نبه على أدلته وعرفه الرسل أيها « فاعرض عنها »
 جانباً ، ولم ينظر فيها « ونسي ما قدمت يداه » أي نسي ما فعله من المعاصي التي
 يستحق بها العقاب . وقال البلخي : معناه تذكروا واشتغل عنه استخفافاً به ، وقلة معرفة
 بعاقبته ، لا أنه نسيه .

ثم قال تعالى « انا جعلنا على قلوبهم أكنة » وهي جمع كنات كراهية أن
 يفقهوه ، وقيل أثلا يفقهوه « وفي آذانهم وقراً » أي ثقلاً . وقد بينا معنى ذلك
 فيما مضى وجملته أنه على التشبيه في جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه كقوله « وإذا
 تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً كان لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً » (٢) والمعنى كأن
 قلوبهم في أكنة عن أن تفقه ، وفي آذانهم وقراً أن تسمع ، وكأنه مستحيل أن
 يجيبوا الداعي إلى الهدى . ويقوي ذلك قوله « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض
 عنها » فدل أنه كان يسمعها حتى صح إعراضه عنها . وقال البلخي : يجوز أن يكون
 المراد أنا إذا فعلنا ذلك ليفقهوا فلن يفقهوا ، لأنه شبههم بذلك ويجوز أن يكون المراد
 بذلك الحكاية عنهم أنهم قالوا ذلك ، كما حكى تعالى « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا
 إليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب » (٣) ثم قال إن كان الأمر على ذلك
 فلن بهتدوا إذاً أبداً .

(١) تفسير الطبري ٦١/١٥ (٢) سورة ٣١ - لقمان آية ٧

(٣) سورة ٤١ ، حم السجدة فصلت (آية ٥

وقوله « وإن تدعهم إلى الهدى » مع ما جعلنا فيهم « فلن يهتدوا إذاً أبداً » ولا يرجعون إليها بسوء اختيارهم ، وسوء توفيقهم ، من الله جزاء على معاصيهم ، وذلك يختص بمن علم الله أنه لا يؤمن منهم ، ويجوز أن يكون الجعل في الآية بمعنى الحكم والتسمية ، ثم قال « وربك » يا محمد « الغفور ذو الرحمة » يعني السائر على عباده إذا تابوا ، ذو الرحمة بهم « لو يؤاخذهم بما كسبوا » عاجلاً « لعجل لهم العذاب » لكن لا يؤاخذهم ، لأن لهم موعداً وعدم الله أن يعاقبهم فيه وهو يوم القيامة « لا يجدوا من دونه موئلاً » أي ملجأ - في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد - وقال مجاهد: يعني محرزاً . وقال أبو عبيدة: يعني منجاً ينجيهم ، ويقال: لا وألت نفسه بمعنى لا نجت قال الأعشى :

وقد اخالس رب البيت غفلته وقد يحاذر مني ثم ما يئثل (١)

وقال الآخر :

لا وألت نفسك خلتها للعاصرين ولم تكلم (٢)

أي لا نجت نفسك :

قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾
(٦٠) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ

(١) ديوانه ١٤٧ وتفسير الطبري ١٥ / ١٦٣ وتفسير القرطبي ١١ / ٨ ومجاز

القرآن ١ / ٤٠٨ (٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٦٢ وتفسير القرطبي ١١ / ٨

ومجمع البيان ٣ / ٤٧٥

أَمْضَى حُقْبًا (٦١) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيًا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ
سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦٢) ثلاث آيات بلاخلاف .

قرأ عاصم « لمهلكهم » بفتح الميم واللام، في رواية أبي بكر عنه . وفي رواية حفص - بفتح الميم وكسر اللام - الباقون بضم الميم وفتح اللام . من فتح الميم واللام جعله مصدرًا، هلك مهلكًا، مثل طلع مطلعًا، ومن كسر اللام جعله وقت هلاكهم أو موضع هلاكهم مثل مغرب الشمس . وحكى سيدييه عن العرب : أتت الناقصة على مضربها ومنتجها - بالكسر - أي وقت ضرابها ونتاجها . وإن في الف (المضربا) بفتح الراء أي ضربًا جعلها مصدرًا ومن ضم الميم وفتح اللام - وهو الاختيار - فلان المصدر من (أفعل) والمكان يجي . على (مفعل) كقوله « ادخلني مدخل صدق » (١) كذلك : أهلكه الله مهلكًا . وكل فعل كان على (فعل يفعل) مثل ضرب يضرب فالمصدر مضرب بالفتح ، والزمان والمكان (مفعل) بكسر العين، وكل فعل كان مضارعه (يفعل) بالفتح نحو يشرب ويذهب ، فهو مفتوح أيضًا نحو المشرب والمذهب . وكل فعل كان على (فعل يفعل) بضم العين في المضارع نحو يدخل ويخرج ، فالمصدر والمكان منه بالفتح نحو المدخل والمخرج إلا ما شذ منه نحو المسجد ، فإنه من سجد يسجد ، وربما جاء في (فعل يفعل) المصدر بالكسر كقوله « إلى الله مرجعكم » (٢) أي رجوعكم ، ونحو قوله « ويستأنونك عن المحيض » (٣) ونحو قوله « وجعلنا النهار معاشًا » (٤) فهذا مصدر وربما جاء على المعيش مثل المحيض كما قال الشاعر :

(١) وسورة ١٧ - الاسرى - آية ٨٠ (٢) سورة - ٥ - المائدة آية ٥١ ، ١٠٨

(٣) سورة ٢ - البقرة آية ٢٢٢ (٤) سورة ٧٨ (عم) - النبأ - آية ١١

اليك أشكوا شدة المعيش ومرّ أيام نتفن ريشي

اخبر الله تعالى أن تلك القرى أهلكناهم يعني أهل القرية ، ولذلك قال :
(م) : ولم يقل (ها) لأن القرية هي المسكن مثل المدينة والبلدة . والبلدة لا تستحق
الهلاك ، وإنما يستحق العذاب أهلها ، ولذلك قال « لما ظلموا » يعني أهل القرية الذين
أهلكناهم . والاهلاك اذهب الشيء بحيث لا يوجد ، فقيل هؤلاء أهلكوا بالعذاب . والاهلاك
والاتلاف واحد ، وقولهم الضائع هالك من ذلك لأنه بحيث لا يوجد . وقوله « وجعلنا
لمهلكم » أي لوقت اهلاكهم - في من ضم الميم - أو لوقت هلاكهم - في من فتحها - « موعداً »
أي ميقاتاً وإجلالاً فلما بلغوه جاءهم العذاب . والموعود الوقت الذي وعدوا فيه بالهلاك .
وقوله « وإذ قال موسى لفتهاه » معناه وأذكر إذ قال موسى لفتهاه لما في قصته
من العبرة بأنه قصد السفر فوق الله (عز وجل) في رجوعه أكثر مما قصد له ممن أحب
موسى أن يتعلم منه ويستفيد من حكمته التي وهبها الله له . وقيل إن فتى موسى (ع)
كان يوشع بن نون . وقيل ابن يوشع ، وسمي فتاه لآزمته إياه « لا أبرح » أي لا ازال
كما قال الشاعر :

وابرح ما أدام الله قومي بحمد الله منتظفاً مجيداً (١)

أي لا ازال ، ولا يجوز أن يكون بمعنى لا أزول ، لان التقدير ، لا ازال
أمشي حتى أبلغ . ومعنى (لا يزال يفعل كذا) أي هو دائم فيه . وقيل انه كان
وعد بلقاء الخضر عند مجمع البحرين .

وقوله « أو امضي حقباً » معناه لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين الى أن

(١) قاله خدّاش بن زهير . تفسير القرطبي ١١ | ٩ وجمع البيان ٣ | ٤٧٩

واللسان (نطق) .

امضي حقبا . قال ابن عباس : والحقب الدهر . وقيل هو سنة بلغة قيس . وقيل سبعون سنة - ذكره مجاهد - وقال عبد الله بن عمر : هو ثمانون سنة . وقال قتادة : الحقب الزمان . وقال قتادة : مجمع البحرين : بحر فارس والروم .

وقوله « فلما بلغا مجمع بينهما » يعني بين البحرين « نسيا حوتهما » وانما نسيه يوشع بن نون وأضافه اليهما ، كما يقال نسي القوم زادهم ، وانما نسيه بعضهم . وقيل نسي يوشع أن يحمل الحوت ، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء .

وقوله « فاتخذ سبيله » يعني الحوت « في البحر سربا » قال ابن عباس وابن زيد ومجاهد : أحيا الله الحوت ، فاتخذ طريقه في البحر مسلكا . وقيل ان الحوت كانت سمكة مملحة فطفرت من موضعها الى البحر ذاهبة . وقال الفراء : كان مالحا ، فلما حيي بالماء الذي أصابه من العين ، وقع في البحر . ووجد مذهبه ، فكان كالسرب . وروى عن أبي بن كعب أن مجمع بينهما أفريقية ، وأراد الله أن يعلم موسى أنه وإن آتاه التوراة ، فإنه قد آتى غيره من العلم ما ليس عنده ، فوعده بلقاء الخضر . وقوله « مجمع بينهما » يعني موسى وفتاه بلغا مجمع البحرين . وقال قتادة قيل لموسى آية لقيائك إياه أن تنسى بعض متاعك ، وكان موسى وفتاه تزودا حوتا مملوحا حتى إذا كانا حيث شاء الله ، رد الله الى الحوت روحه فسرب في البحر ، فذلك قوله « فاتخذ سبيله في البحر سربا » أي مذهبا يقال سرب يسرب سربا إذا مضى لوجهه في سفر غير بعيد ولا شاق وهي السربة فاذا كانت شاقة ، فهي (السبا) بالهمزة . وروى ان الله تعالى بعث ماء من عين الجنة ، فاصاب ذلك الماء تلك السمكة فحييت وطفرت الى البحر ومضت . وروى عن ابن عباس أنه قال : لما وفد موسى الى طور سيناء ، قال رب أي عبادك أعلم ؟ قال الذي يبغى علم الناس الى علمه ، لعله يجد كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى . قال رب من هو ؟ قال الخضر تلقاه عند الصخرة التي

عندها العين التي تنبع من الجنة . وقال الحسن : كان موسى سأل ربه هل أحد أعلم مني من الآدميين فأوحى الله اليه : نعم عبدي الخضر (ع) ، فقال موسى (ع) : كيف لي بلقائه ؟ فأوحى الله اليه أن يحمل حوتاً في متاعه ويمضي على وجهه حتى يبلغ مجمع البحرين ، بحر فارس والروم ، وهما المحيطان بهذا الخلق . وجعل العلم على لقائه أن يفقد حوته ، فإذا فقدت الحوت فاطلب حاجتك عند ذلك فانك تلقى الخضر عند ذلك .

وقال الحسن كان الحوت طرياً . وقال ابن عباس : كان مملوحاً . قال الحسن : فمضى على وجهه هو وفتاه حتى « بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً » يعني الحوت . ثم « قال لفتاه آتنا غداءنا » ففتش متاعه ففقد الحوت ، قال « أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة » وكانت الصخرة عند مجمع البحرين « فإني نسيت الحوت وما إنسانيه إلا الشيطان أن أذكره فاتخذ سبيله في البحر » يعني الحوت وانقطع الكلام . فقال موسى (ع) عند ذلك « عجباً » كيف كان ذلك . وقال لفتاه « ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً » وقال الزجاج : يحتمل أن يكون ذلك من قول صاحبه فإنه أخبر بأن اتخاذا الحوت طريقاً في البحر كان عجباً .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٣) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٤) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٥) ﴾ ثلاث آيات

اخبر الله تعالى ان موسى وفتاه لما جاوزا أي خرجا من ذلك الموضع .
والمجاوزة الخروج عن حدّ الشيء ، يقال : تجاوز الله عن فلان أي تجاوز عن عقابه
بمعنى أزال الله العقاب عنه .

والفتى الرجل الشاب وجمعه فتية وفتيان مثل صبية وصبيان . وانما أضيف الى
موسى ، لأنه كان يلزمه ليتعلم منه العلم وصحبه في سفره . وقيل انه كان يخدمه ، والعرب
تسمي الخادم للرجل فتى ، وإن كان شيخاً ، والأمة فتاة وإن كانت عجوزاً ، ويسمى
التلميذ فتى ، وإن كان شيخاً ، والفتى عند العرب السخي على الطعام وعلى المال
والشجاع . و (الغداء) طعام الغداة و (العشاء) طعام العشي . والتغدي أكل طعام
الغداة والتعشي أكل طعام العشي ، و (النصب) التعب والوهن الذي يكون عند
الكد ، ومثله الوصب . فقال له فتاه في الجواب « رأيت » الوقت الذي « اوبنا الى
الصخرة » أي اقمنا عندها « فأنى نسيت الحوت » ثم قال « وما انسانيه » يعني الحوت
« إلا الشيطان ان اذكره » أي وسوسني وشغلني بغيره حتى نسيت ، فلذلك اضافة
الى الشيطان ، لما كان عند قوله . ومعنى « وما انسانيه » أي الحوت ، يعني نسيت
أن اذكر كيف اتخذ سبيله في البحر . وجاز نسيان مثل ذلك مع كمال العقل لأنه
كان معجزاً . وضم الهاء من (انسانيه) حنص عن عاصم ، لان الاصل في حركة
الهاء الضم . ومن كسرهما فلأن ما قبلها (ياء) فخر كبا بما هو من جنسها .

وقوله « واتخذ سبيله في البحر عجيباً » يعني أن موسى (ع) لما رأى الحوت
قد حيي وهو يسلك الطريق الى البحر ، عجب منه ومن عظم شأنه ، وهو قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة وابن زيد .

وقوله « ذلك ما كنا نبغي » حكاية عما قال موسى عند ذلك من أن ذلك
الذي كنا نطلب من العلامة ، يعني نسيانك الحوت ، لأنه قيل له : صاحبك الذي تطلبه

— وهو الخضر — حيث ينسى الحوت . ذكره مجاهد . فارتدا يقصان أي يتبعان آثارهما حتى
انتهيا الى مدخل الحوت . ذكره ابن عباس . وقيل نسي ذكر الحوت لموسى (ع)
فرجعا الى الموضع الذي حيت فيه السمكة وهو الذي كان يطلب منه العلامة فيه .
وقيل الصخرة موضع الوعد .

قوله تعالى :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ
مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٦) آية .

قوله « فوجدا عبداً من عبادنا » أي صادفاه وادركاه ، وهو الوجود ، ومنه
وجدان الضالة أي مصادفتها وادراكها . والعبد المملوك من الناس ، فكل انسان عبد
لله ، لانه مالك له ، وقادر عليه وعلى أن يصرفه اتم التصريف ، وهو يملك
الانسان وما يملك . وقوله « آتيناه رحمة من عندنا » أي اعطيناه رحمة أي نعمة من
عندنا « وعلمناه من لدنا علماً » والتعلم تعريض الحى لأن يعلم ، إما بخلق في قلبه .
وإما بالبيان الذي يرد عليه كما أن من أرى الانسان شيئاً فقد عرضه ، لان يراه .
إما بوضع الرؤية في بصره عند من قال الادراك معنى ، أو بالكشف له عن المرئي .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٦٧)
﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٦٨) آيتان .

قال ابو علي يحتمل أن (رشداً) منصوباً على انه مفعول له ويكون متعلقاً

بـ (اتبع) كأنه قال اتبعك للرشد ، أو طلب الرشد على أن تعلمني ، فيكون على هذا حالاً من قوله (اتبعك) ويجوز أن يكون مفعولاً به ، وتقديره اتبعك على أن تعلمني رشحاً مما علمته ، ويكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد يتعدى بالتضعيف إلى مفعولين . والمعنى على ان تعلمني امرأً ذار رشحاً أو علماً ذار رشحاً .

« قال له » يعني لذلك العبد الذي علمه الله العلم « هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشحاً » . والاتباع والالتقياد واحد ، اتبعه في مسيره ، واتبعه في مذهبه ، واتبعه في أمره ونهيه ، واتبعه فيما دعاه اليه ، والرشد - بفتح الراء والشين - قراءة ابي عمرو . الباقر - بضم الراء وسكون الشين - إلا ابن عامر - في رواية ابن ذكوان - فانه ضمهما ، وهما لغتان ، مثل أسد وأسد ، ووثن ووثن . واختلفوا في الذي كان يتعلم موسى منه ، هل كان نبياً ؟ أم لا ؟ فقال الجبائي : كان نبياً ، لانه لا يجوز ان يتبع النبي من ليس بنبي ، ليتعلم منه العلم ، لما في ذلك من الغضاضة على النبي . وقال ابن الاخشاد : ويجوز أن لا يكون نبياً على أن لا يكون فيه وضع من موسى . وقال قوم : كان ملكاً . وقال الرماني : لا يجوز أن يكون إلا نبياً ، لان تعظيم العالم المعلم فوق تعظيم المتعلم منه . وقيل إنه سمي (خضراً) لانه كان إذا صار في مكان لا نبات فيه اخضر ما حوله ، وكان الله تعالى قد اطلعه من علم بواطن الامور على ما لم يطلع عليه غيره .

فان قيل : كيف يجوز أن يكون نبي اعلم من نبي ؟ في وقته .

قيل عن ذلك ثلاثة اجوبة :

أحدها - انه يجوز أن يكون نبي اعلم من نبي في وقته عند من قال : ان

الخضر كان نبياً .

والثاني - أن يكون موسى اعلم من الخضر بجميع ما يؤدي عن الله على عباده ،

وفي كل ما هو حجة فيه ، وانما خص الخضر بعلم مالا يتعلق بالأداء .
الثالث - إن موسى استعلم من جهة ذلك العلم فقط ، وإن كان عنده علم
ما سوى ذلك .

فقال الخضر لموسى (ع) « انك لن تستطيع معي صبراً » ومعناه يثقل
عليك الصبر ولا يخف عليك ، ولم يرد أنه لا يقدر عليه ، لأن موسى (ع) كان
قادراً متصرفاً ، وانما قال له ذلك لأن موسى كان يأخذ الامور على ظواهرها ،
والخضر كان يحكم بما أعلمه الله من بواطن الامور ، فلا يسهل على موسى مشاهدة
ذلك ، ولو اراد نفي الاستطاعة التي هي القدرة لما قال : « وكيف تصبر على ما لم تحط
به خبراً » لانه دل على انه لهذا لا يصبر ولو كان على نفي القدرة ، سواء علم او لم
يعلم لم يستطع .

قوله تعالى :

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ (٦٩) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن
شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٧٠) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا
تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧١) ثلاث آيات
بلا خلاف .

هذا حكاية ما قال الخضر لموسى (ع) حين قال « انك لن تستطيع معي
صبراً » اي كيف تصبر على ما لم تعلم من بواطن الامور ، ولا تخبرها ، فقال له
موسى (ع) عند ذلك « ستجدني » اي ستصادفني إن شاء الله صابراً ، ولم يقل ذلك
على وجه التكذيب ، لكن لما اخبر به على ظاهر الحال فقيده بالمشيئة لله ، لانه جوز

أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه ليخرج بذلك من كونه كاذباً « ولا اعصي لك امرأ » اي لا اخالف او امرك ، ولا اتركها . فقال الخضر : « فان اتبعني » واقتنيت اثري « فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً » معناه لا تسألني عن باطن امر حتى اكون انا البتديء لك بذلك .

والصبر تجرع مهارة تمنع النفس عما تنازع اليه . واصله حبس النفس عن امر من الأمور . و (الذكر) العلم ، والذكر ادراك النفس للمعنى بحضوره كحضور نقيضه ، ويمكن ان يجامعه علم يصحبه او جهل او شك . و « خبراً » نصب على المصدر . والتقدير لم تخبره خبراً . وقرأ نافع « تسألن » بتشديد النون . الباقون بتخفيفها وإثبات الياء إلا ابن عامر ، فانه حذف الياء . قال أبو علي قول ابن كثير ومن اتبعه : انهم عدوا (تسأل) الى المفعول الذي هو المتكلم مثل (لا تضربني) و (لا تظلمني) و نافع إنما فتح اللام ، لأنه لما ألحق الفعل النون الثقيلة بنى الفعل معها على الفتح وحذف الياء . وكسرت النون ليدل على الياء المحذوفة .

قوله تعالى :

﴿ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧٢) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٣) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٤) فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٥) ﴾ أربع آيات

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً « ليفرق أهلها » بالياء ، ورفع أهلها . الباقر
بالتاء ونصب الأهل . فنقرأ بالتاء ونصب الأهل ، فلقوله « أخرفتها لفرق »
بذلك « أهلها » أي فعلت ذلك وغرضك إهلاك أهلها على وجه الإنكار . ومن
قرأ بالياء أسند الفرق إلى الأهل ، فكأنه قال : فعلت ذلك ليفرقوا هم . وقرأ أهل
الكوفة وابن عامر « زكية » بلا الف . وقرأ الباقر زاكية بألف . وقرأ ابن عامر
ونافع - في رواية الأصمعي عنه و أبو بكر عن عاصم - « نكرأ » بضم النون والكاف .
الباقر بتخفيف الكاف .

قال الكسائي (زاكية ، وزكية) لغتان مثل قاسية وقسية . قال أبو عمرو : الزاكية التي
لم تذب قط ، والزكية التي إذا أذنت تابت ، و (النكر) بالثقل والتخفيف لغتان
مثل الرعب والرعب .

أخبر الله تعالى عن موسى (ع) وصاحبه الذي تبعه ليتعلم منه أنهما ذهبا
حتى إذا بلغا البحر ، فركبا في السفينة فخرق صاحبه السفينة أي شق فيها شقاً ، لما أعلمه
الله من المصلحة في ذلك ، فقال له موسى منكرأ لذلك على ظاهر الحال : « أخرفتها
لفرق أهلها » أي غرضك بذلك أن تفرق أهلها الذين ركبوها . ويحتمل أن يكون
قال ذلك مستهتماً أي فعلت ذلك لفرق أهلها أم لغير ذلك . والاول أقوى لقوله
بعد ذلك « لقد جئت شيئاً امراً » فالامر المنكر - في قول مجاهد وقتادة - وقال أبو
عبيدة : داهية عظيمة وانشد :

لقد لقي القرآن منه نكرأ داهية داهية إداً إمراً (١)

(١) تفسير القرطبي ١١ | ١٩ ومجاز القرآن ١ | ٤٠٩ وتفسير الطبري ١٥ | ١٦٩

والاسان والصحاح والتاج (أمر) وشواهد الكشاف ٣٠

(ج ٧ م ١٠ من التبيان)

ومن سكن (النكر) فعلى لغة من سكن (رسل) و (الإمر) مأخوذ من الأمر، لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بتوكله إلى الصلاح، ومنه رجل إمر إذا كان ضعيف الرأي، لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوي رأيه. ومنه أمر الغوم إذا كثروا حتى احتساجوا إلى من يأمرهم وينهاهم، ومنه الأمر من الأمور أي الشيء الذي من شأنه أن يؤمر فيه، ولهذا لم يكن كل شيء أمراً.

فقال له الخضر « ألم أقل لك » فيما قبل « انك لن تستطيع معي صبراً » أي لا يخف عليك ما تشاهده من أفعالي ويثقل عليك، لانك لا تعرف المصلحة فيه، ولم يرد بالاستطاعة المقدره، لأن موسى كان قادراً في حال ما خاطبه بذلك، ولم يكن عاجزاً، وهذا كما يقول الواحد منا لغيره أنا لا أستطيع النظر اليك، وانما يريد أنه يثقل عليّ، دون نفي القدرة في ذلك. فقال له موسى في الجواب عن ذلك « لا تؤاخذني بما نسيت » وروي أنه قال ذلك لما رأى الماء لا يدخل السفينة مسع خرقها، فعلم أن ذلك لمصلحة يريد بها الله، فقال « لا تؤاخذني بما نسيت » وقيل في معنى نسيت ثلاثة أقوال :

احدها - ما حكى عن أبي بن كعب، أنه قال : معناه بما غفلت من النسيان الذي هو ضد الذكر .

والثاني - ما روي عن ابن عباس أنه قال معناه : بما تركت من عهدك .

الثالث - لا تؤاخذني بما كآني نسيته، ولم ينسه في الحقيقة - في رواية أخرى -

عن ابي بن كعب الانصاري .

وقوله « ولا ترهقني من أمري عسراً » قيل معناه لا تغشني، من قولهم

رهقه الفارس إذا غشيه وادركه، وغلام مرهق إذا قارب أن يغشاه حال البلوغ .

والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه . وقيل معنى أرهقه الأمر إذا ألحقه إياه .

ثم أخبر تعالى انهما مضيا « حتى إذا لقيا غلاماً » أي رأيا غلاماً « فقتله » قال له موسى « اقتلت نفساً زكية » ومعناه طاهرة من الذنوب . ومن قرأ « زكية » فعناه بريئة من الذنوب . وذلك انها كانت صغيرة لم تبلغ حد التكليف على ما روي في الاخبار . وقوله « بغير نفس » أي بغير قود . ثم قال له « لقد جئت شيئاً نكراً » أي منكراً . وقيل معناه جئت بما ينبغي أن ينكر ، وقال قتادة النكر أشد من الامر ، وانما قيل للملايجوز فعله منكراً ، لانه مما تنكر صحته العقول ولا تعرفه .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٦) قَالَ
 إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي
 عُذْرًا (٧٧) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا
 أَنْ يُضَيِّفَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ
 شِئْتِ لَنَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٨) ثلاث آيات بلاخلاف .

معنى قوله « ألم اقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً » تحقيق ما قال له أولاً مع نهيهِ عن العود لمثل سؤاله ، لانه لا يجوز أن يكون توبيخاً ، لانه جار مجرى الدم في أنه لا يجوز على الانبياء (ع) فقال له موسى في الجواب عن ذلك « ان سألتك ، أي ان استخبرتك عن شيء . عمله بعد هذا « فلا تصاحبني قد بلغت من لدي عذراً » ومعناه إقرار من موسى بأن صاحبه قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده ، فلا يلزمه ما أنكره . وروي عن النبي (ص) أنه تلا هذه الآية ، فقال : (استحيى نبي الله

قال ألم اقل لك إنك لن تستطيع . . . (٧٦ - ٧٨)

موسى) . والعذر وجود ما يسقط اللوم من غير جهة التكفير بتوبة واجتناب كبير
لوقوع سهو لم يتعرض له .

وفي (لذن) خمس قراءات ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمة
والكسائي بالثقل .

الثاني - بضم الدال ومخفيف النون قرأ به نافع .

الثالث - قرأ أبو بكر بضم اللام وسكون الدال واشمام من غير اشباع .

الرابع - قرأ الكسائي عن أبي بكر بضم اللام وسكون الدال .

الخامس - في رواية عن أبي بكر بفتح اللام وسكون الدال : وهذه كلها

لغات معروفة .

ثم أخبر الله تعالى عنهما أيضاً أنهما مضيا حتى « أتيا أهل قرية استطعما أهلها »
أي طلبا منهم ما ياكلانه فامتنعوا من تضييفهما « فوجدا فيها » يعني القرية « جداراً »
يريد ان ينقض . فأقامه . ومعناه وجدا حائطاً قارب أن ينقض فشبهه بحال من يريد
أن يفعل في التباي ، كما قال الشاعر :

يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب عن دماء بني عقيل (١)

ومثله تراني آثارها ، ودار فلان ينظر الى دار فلان . وقال سعيد بن جبير :
معنى قوله « فأقامه » انه رفع الجدار بيده فاستقام . والانتقاض السقوط بسرعة ، يقال
انقضت الدار اذا سقطت وتهدمت قال ذو الرمة :

فانقض كالكوكب الدردي منصلتنا

فقال له موسى . لو شئت لا أخذت عليه أجرآ . وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو

(١) تفسير الطبري ١٥ / ٧١ والقرطبي ١١ / ٢٦ ومجاز القرآن ١ / ٤١٠

والكشاف ١ / ٥٧٧ واللسان (رود) وغيرها وقد مر في ٦ / ١٢١ من هذا الكتاب

« لتخذت » الباقون « لآتخذت » يقال : تخذ يتخذ بالتخفيف قال الشاعر :
وقد تخذت رجلي لدى جنب غرزها نسيماً كلفوص القطاة للطرق (١)
المطرق النبي تريد أن تبيض ، وقد تعسر عليها ، والافحوص والمنفحص عش
الطائر ، وابن كثير يظهر الذال ، وابو عمرو يدغم . والباقون على وزن (افتعلت)
مثل اتقى يتقى . وقد حكى تقي يتقى خفيفاً ، قال الشاعر :

جلاها الصيقلون فاخلصوها خفاوا كلها يتقى باثر

ومن ادغم فلقترب مخرجيهما ومن اظهر فلتنغير مخرجيهما وقال الفراء في
قوله « لو شئت » قال موسى لو شئت لم تقمه حتى يقرونا ، فهو الأجر وانشدوا في
« يريد أن ينقض » قول الشاعر :

إن دهرأ يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان (٢)

أي كأنه يهم ، وإنما هو سبب الاحسان المؤدي اليه وقال آخر :

يشكوالى جملي طول السرى صبراً جميلاً فكلانا مبتلى (٣)

والجمل لم يشك شيئاً . وقال عنتره :

وشكالى بعبرة وتحتجم (٤)

وكل ذلك يراد به ما ظهر من الامارة الدالة على المعاني .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ

(١) مجاز القرآن ١ / ٢١١ وتفسير الطبري ١٥ / ١٧٢ والاصمعيات ٤٧

واللسان والتاج ١ فخص ، طرق ، نسف .

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٧١ والقرطبي ١١ / ٢٦ ومجمع البيان ٣ / ٤٨٧

(٣) مر هذا البيت في ٦ / ١١٢ من هذا الكتاب

(٤) ديوانه ٣٠ من معلقته . وتفسير الطبري ١٥ / ١٧٢

عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٩) أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ
فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٨٠)
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكَفْرًا (٨١) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا (٨٢) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ
مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٣) خمس آيات بلاخلاف

قرأ أهل المدينة وأبو عمرو « أن يبدلها » - بفتح الياء وتشديد الدال - هنا -
وفي التحريم « أن يبدله » وفي نون « أن يبدلنا » بالتشديد فيهن. الباقون بالتخفيف. فاما
النبي في سورة النور « وليبدلنهم » فخنفها ابن كثير وأبو بكر ويعقوب . وشده
الباقون . وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب « رحماً » بضم الحاء. الباقون بأسكانها .
وروى العسبي (ما لم تسطع) بتشديد الطاء . الباقون بتخفيفها .

قال أبو علي (بدل ، وابدل) متقاربان مثل (نزل ، وانزل) إلا ان (بدل)
ينبغي ان يكون أرجح ، لقوله تعالى « لا تبدل لكلمات الله » (١) ولم يجيء
الابدال كما جاء التبديل ، ولم يجيء الابدال في موضع من القرآن ، وقد جاء « وإن

اردتم استبدال زوج مكنان زوج ، (١) فهذا قد يكون بمعنى الابدال كما ان قوله الشاعر :

فلم يستجبه عنك ذلك مجيب (٢)

بمعنى فلم يجبه . وقال قوم : ابدلت الشيء من الشيء . إذا ازلت الأول وجعلت الثاني مكانه . كقول ابي النجم :

عزل الامير للامير المبدل (٣)

وبدلت الشيء من الشيء إذا غيرت حاله وعينه . والاصل باق ، كقولهم بدلت قميصي جبة ، واستدلوا بقوله « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » (٤) فالجلد الثاني هو الاول ، ولو كان غيره لم يجز عقابه . واما (رحم ورحم) فلغتان مثل العمر والعمر ، والرعب والرعب . وحكي لغة ثالثة - بفتح الراء - اسكن الحاء - كما يقال : اطال الله عمرك وعمرك . والمعنى واقرب رحمة وعظماً ، وقربي وقرابة قال الشاعر :

ولم تعوج رحم من تعوجاً (٥)

وقال آخر :

يا منزل الرحم على ادريس (٦)

حكى الله تعالى عن صاحب موسى انه قال له « هذا فراق بيني وبينك » ومعناه هذا وقت فراق اتصال ما بيني وبينك ، فكرر (بين) تأكيداً ، كما يقال : أخزى الله

(١) سورة ٤ - النساء - آية ١٩ (٢) مر هذا البيت كاملاً في ١ / ٣٦ ،

٨٦ و ١٣١ / ٢ و ٨٨ / ٣ و ١٨٢ ، ٤ و ١١٩ / ٥ و ٢٣٣ / ٦

(٣) تفسير الطبري ١٨ / ١١٠ (٤) سورة ٤ - النساء - آية ٥٥

(٥) تفسير الطبري ١٦ / ٤ (٦) مجمع البيان ٣ / ٤٨٥ وبعده (و منزل

اللعن على ابليس) . وهو في القرطبي ١١ / ٣٧ ، اديسا ، ابليسا)

الكاذب مني ومنك أي أخزى الله الكاذب منا . وقيل في « هذا » أنها إشارة إلى احديثين :
احدهما - هذا الذي قلته فراق بيني وبينك .

والثاني - هذا الوقت فراق بيني وبينك . ثم قال له « سأنبئك » أي سأخبرك
« بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » ولم يخف عليك رؤيته ، ثم بين واحداً واحداً ،
فقال « اما » السبب في خرفي « السفينة » انها « كانت لمساكين » أي للفقراء الذين
لاشيء لهم يكفيهم ، قد اسلمتهم قلة ذات أيديهم « يعملون في البحر » أي يعملون بها
في البحر ويتعيشون بها « فاردت أن اعيبها » والسبب في ذلك انه « كان وراءهم
ملك يأخذ كل سفينة غصباً » فقيل إن الملك كان يأخذ السفينة الصحيحة ، ولا يأخذها
إذا كانت معيبة . وقد قرئ في الشواذ « يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً » روى
ذلك عن أبي ، وابن مسعود .

والوراء والخلف واحد ، وهو تقيض جهة القدم على مقابلتها . وقال قتادة :
وراءهم - ههنا - بمعنى أمامهم . ومنه قوله « من وراءهم جهنم » (١) و « من
ورائهم برزخ » (٢) وذلك جائز على الاتساع ، لانها جهة مقابلة لجهة . فكان كل
واحد من الجهتين وراء الآخر قال لبيد :

أليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنو عليها الاصابع ١٣٤
وقال آخر :

ايرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا (٤)
وقال الفراء : يجوز ذلك في الزمان دون الأجسام ، تقول : البرد والحر وراءنا

(١) سورة ٤٥ الجاثية آية ٩ (٢) سورة ٢٣ المؤمنون آية ١٠١

(٣) البيت في مجمل البيان ٣ / ٤٦٧ (٤) قائله سوار بن المضرب تفسير

الطبري ١٦ ، ٢ وتفسير القرطبي ١١ / ٣٥ ، واكثر كتب النحو

ولا تقول : زيد وراءك . وقال الرماني وغيره : يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر . وقرأ ابن عباس « وكان أمامهم ملك » وقال الزجاج (وراءهم) خلفهم ، لانه كان رجوعهم عليه . ولم يعلموا به . ثم قال « وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكراً » وقيل : إن قوله « فخشينا » من قول الخضر . وقيل : انه من قول الله تعالى « ومعناه علمنا . وقيل : معنى خشينا كرهنا ، فيين أن الوجه في قتله ما لأبويه من المصلحة في نبات الدين ، لانه لو بقي حياً لأرهقهما طغياناً وكراً أي اوقعهما فيه ، فيكون ذلك مفسدة ، فأمر الله بقتله لذلك ، كما لو أماته . وفي قراءة أبي « وأما الغلام فكان كافراً وكان ابواه مؤمنين » . ثم قال « فأردنا أن يبدلها » يعني أن يبدل الله لأبويه خيراً من هذا الغلام ﴿ زكاة ﴾ يعني صلاحاً وطهارة ﴿ وأقرب رحماً ﴾ أي ابراً بالديه من المقتول - في قول قتادة - يقال : رحمه رحمة ورحماً . وقيل : الرحم والرحم القرابة قال الشاعر :

ولم يعوج رحم من تعوجا (١)

وقال آخر :

وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرحم (٢)

وقيل معناه وأقرب أن يرحمها به . ثم أخبر الخضر عن حال الجدار الذي اقامه وأعلم انه ﴿ كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما ﴾ فقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد : كانت صحف من علم . وقال الحسن : كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه الحكم . وقال قتادة وعكرمة : كان كنز مال . والكنز في اللغة هو

(١) تفسير الطبري ٦ / ٤

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٣٧

﴿ ج ١١ م ٧ من التبيان ﴾

كل مال مذخور من ذهب وفضة وغير ذلك .

وقوله « وكان أبوها صالحاً » يعني أبا اليتيمين فأراد الله « أن يبلغا أشدهما » يعني كما لهما من الاحتلام وقوة العقل « ويستخرجا كنزها رحمة من ربك » أي نعمة من ربك . ثم قال صاحب موسى : وما فعلت ذلك من قبيل نفسي وأمرني بل بأمر الله فعلت . ثم قال « ذلك » الذي قلته لك « تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » وثقل عليك مشاهدته واستبشعته .

وفي الآية دلالة على وجوب اللطف ، لأن مفهومه أنه تدير من الله في عباده لم يكن يجوز خلافة ، وقد عظم الله شأنه بما يفهم منه هذا المعنى .

وقال الجبائي : لا يجوز أن يكون صاحب موسى الخضر ، لأن خضراً كان من الانبياء الذين بعثهم الله من بني اسرائيل بعد موسى . قال : ولا يجوز ايضاً أن يبقى الخضر الى وقتنا هذا ، كما يقوله من لا يدري ، لأنه لا نبي بعد نبينا ، ولأنه لو كان لعرفه الناس ، ولم يخف مكانه .

وهذا الذي ذكره ليس بصحيح ، لأننا لا نعلم أولاً أن خضراً كان نبياً ، ولو ثبت ذلك لم يمتنع أن يبقى الى وقتنا هذا ، لأن تبقيته في مقدر الله تعالى ، ولا يؤدي الى انه نبي بعد نبينا ، لأن نبوته كانت ثابتة قبل نبينا . وشرعه - إن كان شرعاً خاصاً - انه منسوخ بشرع نبينا . وإن كان يدعو الى شرع موسى أو من تقدم من الانبياء ، فان جميعه منسوخ بشرع نبينا (ص) فلا يؤدي ذلك الى ما قال . وقوله : لو كان باقياً لرؤي ولعرف غير صحيح ، لأنه لا يمتنع أن يكون بحيث لا يتعرف الى احد ، فهم وإن شاهدوه لا يعرفونه .

وفي الناس من قال : إن موسى الذي صحب الخضر ليس هو موسى بن عمران

وأما هو موسى بن ميثا ، رجل من بني اسرائيل . والله اعلم بذلك .
 وروى عن جعفر بن محمد (ع) في قوله تعالى « وكان تحته كنز لهما » قال :
 سطران ونصف ولم يتم الثالث ، وهي (عجيباً للموقن بالرزق كيف يتعب وعجيباً للموقن
 بالحساب كيف يغفل وعجيباً للموقن بالموت كيف يفرح) وفي بعض الروايات زيادة
 على ذلك (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وذكر أنهما حفظا ، لصالح
 أبيهما ، ولم يذكر منهما صلاح . وكان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء ، وكان
 سياحاً . واستشهد على أن الخشية بمعنى العلم بقوله تعالى « إلا أن يخافا الايقيناً حدود
 الله » (١) وقوله « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً » (٢) أي علمت . واستشهد
 على أنه بمعنى الكراهية بقول الشاعر :

يا فقعسي لم اكنته له لو خافك الله عليه حرمة (٣)

قال فطرب يريد لو كرهه أن تأكله لحرمة عليك .

قوله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ مُّغْضِبُ رَبِّكَ وَمَنُوعُوا لَكَ أَلْفَ مِائَةٍ مِّنَ السَّعْيِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
 ذَكَرْنَا (٨٤) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا *
 فَاتَّبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي
 عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا (٨٦) قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ

(١) سورة البقرة آية ٢٢٩ (٢) سورة النساء آية ١٢٤

(٣) مر هذا الرجز في ٢ / ٢٤٥ من هذا الكتاب .

وَأَمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٧) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا (٨٨) خمس آيات كوفي وحجازي وست بصري وشامي. عد أسماء عيل والكوفيون والبصري والشامي «من كل شيء سبباً». آية وعد المدني الأخر والمكي والبصري والشامي عندها قوماً ، آية جعلوا (فاتبع سبباً) بعض الآية الأولى ولم يعد أهل الكوفة «قوماً» آخر آية بان جعلوا آخر الآية حسناً .

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة « فاتبع » بقطع الهمزة ، وفتحها ، وتخفيف التاء وسكونها ، فيهن . الباقون « فاتبع » جعلوها ألف وصل وشددوا التاء ، وفتحوها . وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا حفصاً و أبو جعفر « حامية » بالف وتخفيف الهمزة . الباقون « حمة » بلا الف ، مهموز . قال أبو علي النحوي (تبع) فعل يتعدى الى مفعول واحد ، فاذا نقلته بالهمزة يتعدى الى مفعولين . قال الله تعالى « واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة » (٦١) وقال « واتبعوا في هذه الدنيا لعنة » (٢) لما بنى الفعل للمفعولين قام أحد المفعولين مقام الفاعل . واما (اتبعوا) فافتعلوا ، فتعدى الى مفعول واحد ، كما تعدى افعلوا اليه ، مثل شويته واشتويته ، وحفرته واحتفرته . وقوله « فاتبعوهم مشرقين » (٣) تقديره فاتبعوهم جنودهم فحذف أحد المفعولين ، كما حذف من قوله « لينذر بأساً شديداً من لدنه » (٤) ومن قوله

(١) سورة ٢٨ ، القصص) آية ٤٢ (٢) سورة ١١ (هود) آية ٦٠

(٣) سورة ٢٦ (الشعراء) آية ٦١ (٤) سورة ٨ (الكهف) آية ٢٤

« لا يكادون يفقهون قولاً » (١) والمعنى لا يكادون يفقهون أحداً ، ولينذر الناس بأساً شديداً ، فمن قطع الهمزة فتقديره فاتبع أمره سيباً او اتبع ما هو عليه سيباً [والسبب ههنا الطريق مش السبيل . والسبب الحبل . والسبب القرابة] . (٢)

وقال ابو عبيدة « في عين [حمئة] بالألف ذات حمأة . وقال ابو علي من قرأ حمته بغير الف فهي فعلة . ومن قرأ (حامية) [(٣) فهي فاعلة من حميت فهي حامية ، قال الحسن : يعني حارة . ويجوز فيمن قرأ (حامية) أن تكون فاعلة من الحمأة ، فخفف الهمزة وقلبها ياء على قياس قول أبي الحسن . وإن خفف الهمزة على قول الخليل كانت بين بين . وقرأ ابن عباس « في عين حمئة » وقال هي ماء وطين . وتقول العرب: حمات البئر إذا أخرجت منها الحمأة ، واحماتها إذا طرحت فيها الحمأة . وحمئت تحماً ومعنى حمئة صار فيها الحمأة . فلما قولهم هذا حم لفلان ، ففيه أربع لغات حمو وحمو وحماء وحم . وذكر اللحياني لغة خامسة وسادسة : الحمو مثل العفو ، والحمأ مثل الخطأ . وكل قرابة من قبل الزوج ، فهم الاحماء وكل قرابة من قبل النساء فهم الاختان والصهر يجمعهما ، وأم الرجل خنته وابوه خنته . وام الزوج حمأة وأبوها حمو . وقال ابو الاسود الدؤلي شاهد لابي عمرو في عين حمئة :

نجي . بملئها طوراً وطوراً
نجي . بجمأة وقليل ماء

يقول الله تعالى لنبه محمد (ص) يسألونك يا محمد عن ذي القرنين واخباره وسيرته ، وكان السائل عن ذلك قوماً من اليهود . وقيل كانوا قوماً من مشركي العرب ، فقل لهم يا محمد ، سألوا عليكم « يعني سأقرأ عليكم من خبره ذكراً .

(١) سورة ١٨ (الكهف) آية ٩٤ (٢) سورة ١٨ (الكهف) آية ٩٤

(٢) هذه الجملة التي بين القوسين كانت متأخرة في المطبوعة عن هذا

الموضع اسطر (٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

ثم قال تعالى مخبراً له « انا مكنا له في الارض » أي بسطنا يده فيها وقويناه « وآتيناه من كل شيء سبباً » ومعناه علماً يتسبب به الى ما يريد - في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك وابن جريج - « وقيل آتيناه من كل شيء سبباً » يعني ما يتوصل به الى مراده . ويقال للطريق الى الشيء سبب وللجبل سبب واللباب سبب « فاتبع سبباً » أي سبباً من الأسباب التي أوتي . ومن قرأ بقطع الهمزة أراد فلحق سبباً ، يقال ما زلت أتبعه حتى اتبعته أي لحفته .

وقوله « فاتبع سبباً » قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد : معناه طرقاً من المشرق والمغرب . وقيل معنى « وآتيناه من كل شيء سبباً » ليسيعين به على الملوك وفتح الفتوح ، وقتل الاعداء في الحروب « فاتبع سبباً » أي طريقاً الى ما أريد منه . وقيل سمي (ذي القرنين) لأنه كان في رأسه شبه القرنين . وقيل سمي بذلك لأنه ضرب على جاببي رأسه . وقيل : لأنه كانت له ضفيرتان . وقيل لأنه بلغ قرني الشمس مطلعها ومغربها . وقيل : لأنه بلغ قطري الارض من المشرق والمغرب .

وقوله « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة » أي في عين ماء ذات حمأة - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير - ومن قرأ « حامية » أراد حارة ، في قول الحسن . وقرئ به في إحدى الروايتين عن ابن عباس كقول ابي الاسود الدؤلي .

تجىء بملئها طوراً وطوراً تجىء بحمأة وقليل ماء

وقال ابو علي الجبائي، والبلخي : المعنى وجدها كأنها تغرب في عين حمئة ، وإن كانت تغيب وراءها . قال البلخي لان الشمس اكبر من الارض بكثير ، وأنكر ذلك ابن الاخشاد . وقال : بل هي في الحقيقة تغيب في عين حمئة على ظاهر القرآن .
وقوله « ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما ان تتخذ

فيهم حسناً «معناه إما أن تعذبهم بالقتل لاقامتهم على الشرك بالله» وإما ان تتخذفيهم حسناً « بان تأسرم فتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى ، فقال ذو القرنين - لما خيره الله في ذلك «اما من ظلم نفسه» بأن عصى الله وأشرك به « فسوف نعذبه» يعني بالقتل ويرد فيما بعد « الى ربه فيعذبه ، يوم القيامة « عذاباً نكراً» أي عظيماً منكرأ تنكره النفس من جهة الطبع ، وهو عذاب النار ، وهو أشد من القتل في الدنيا .

قوله تعالى :

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ * وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٩) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (٩٠) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩١) كَذَلِكَ وَقد أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩٢)﴾ خمس آيات في الكوفي والبصري وأربع في المدنيين عدا «ثم اتبع سبباً» آية .

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «فله جزاء الحسنی» بالنصب والتنوين . الباقون بالرفع ، والاضافة . فمن أضاف احتمل أن يكون أراد فله جزاء الطاعة، وهي الحسنی . ويحتمل أن يكون أراد فله الجنة وأضافه الى الحسنی وهي الجنة ، كما قال «وانه لحق اليقين» (١) ومن نون أراد فله الحسنی أي الجنة ، لأن الحسنی هي الجنة لا محاله . ونصبه يحتمل أمرين :

أحدها - ان يكون نصباً على المصدر في موضع الحال أي فلهم الجنة يجوزون

بها جزاء .

والثاني - قال قوم : هو نصب على التمييز وهو ضعيف ، لان التمييز يقبح تقديمه كقولك تفقأ زيد شحماً ، وتصيب عرفاً ، وله دن خلاً ، ولا يجوز له خلاً دن ، وأما عرفاً فما أحد اجازته إلا المازني . وشاهد الاضافة قوله « لم جزاء الضعف » (١) والحسنى ههنا الجزاء . لما حكى الله تعالى ما قال ذو القرنين إن من ظلم نعبه . وإن له عند الله عذاباً نكراً ، أخبر ان من صدق بالله ووآخده وعمل الصالحات التي أمر الله بها « فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسراً » اي قولاً جميلاً ثم قال « ثم اتبع سيباً حتى إذا بلغ مطلع الشمس » أي الموضع الذي تطلع منه مما ليس وراءه أحد من الناس فوجد الشمس « تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً » اي انه لم يكن بتلك الأرض جبل ولا شجر ، ولا بناء ، لأن أرضهم لم يكن بيني عليها بناء ، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغفرون في المياه والاسراب ، وإذا غربت تصرفوا في أمورهم - في قول الحسن وقتادة وابن جريج - وقال قتادة هي الزنج .

وقوله « كذلك » معناه كذلك هم . ثم قال « وقد أحطنا بما لديه خبراً » أي كذلك علمناهم وعلمناه . ويحتمل أن يكون المراد كذلك اتبع سيباً الى مطلع الشمس ، كما اتبعه الى مغربها .

وقوله « ثم اتبع سيباً » يعني طريقاً ومساكاً لجهاد الكفار . وقال الحسن ان ذا القرنين كان نبياً ملك مشارق الارض ومغاربها . وقال عبد الله بن عمر كان ذو القرنين والخضر نبيين وكذلك لقمان كان نبياً .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا

قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٤) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ
وَمَا جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٥) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي
بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٦) ﴿ أربع آيات .

قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية حفص «السدین» - بالفتح - الباقون
بالضم . وقرأ أهل الكوفة إلا عاصمًا وحده «يفقهون» بضم الياء وكسر القاف .
الباقون بفتح الياء والقاف . وقرأ عاصم وحده «يا جوج وما جوج» بالهمز . الباقون
بلاهمز . وقرأ أهل الكوفة إلا عاصمًا «خراجًا» بالف . الباقون «خرجًا»
بغير الف .

أخبر الله تعالى عن حال ذي القرنين أنه اتبع طريقًا إلى جهاد الكفار إلى أن
بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما ، وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما - في قول
ابن عباس وقتادة والضحاك . والسد وضع ما ينتفي به الخرق ، يقال : سده يسده سدًا
فهو ساد ، والشبيء مسدود ، وانسد انسدادًا ، ومنه سدد السهم ، لأنه سد عليه طرق
الاضطراب . ومنه السداد الصواب ، والسد الحاجز بينك وبين الشيء . قال الكسائي :
الضم والفتح في السد بمعنى واحد . وقال أبو عبيدة وعكرمة : (السد) - بالضم -
من فعل الله ، وبالفتح من فعل الآدميين .

وقوله «وجد من دونهما» يعني دون السدين «قومًا لا يكادون
يفقهون قولًا» أي لا يفهمونه . ومن ضم الياء أراد لا يفهمون غيرهم ، لاختلاف
(ج ٧ م ١٢ من التبيان)

لغتهم عن سائر اللغات ، وإنما قال « لا يكادون » لأنهم فقهوا بعض الشيء عنهم ، وإن كان بعد شدة ، ولذلك حكى عنهم أنهم قالوا « إن يا جوج وما جوج مفسدون في الارض » والفقه فهم متضمن المعنى ، والفهم للقول هو الذي يعلم به متضمن معناه يقال : فقه يفقه وفقه يفقه .

وقوله « قالوا ياذا القرنين إن يا جوج وما جوج مفسدون في الارض » حكاية عما قال القوم الذين وجدهم ذو القرنين من دون السدين ، فقالوا إن هؤلاء مفسدون في الارض أي في تخريب الديار ، وقطع الطرق ، وغير ذلك .

« فهل نجعل لك خراجاً » فمن قرأ بالألف ، فإنه أراد الغلة . ومن قرأ بلا ألف أراد الأجر « على أن نجعل بيننا وبينهم » يعني بيننا وبين يأجوج وماجوج « سداً » قال لهم ذو القرنين « ما مكاني فيه ربي خير » من الاجر الذي تعرضون عليّ « فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً » فالردم أشد الحجاب - في قول ابن عباس - ، يقال : ردم فلان موضع كذا بردمه ردماً ، و ردم ثوبه تردماً إذا كثر الرقاع فيه ، ومنه قول عنبرة :

هل غادر الشعراء من متردّم - أم هل عرفت الدار بعد توهم (١)

أي هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع . وقيل الردم السد المترابك وقرأ ابن كثير « مكنتي » بنونين . الباقون بنون واحدة مشددة . من شدد أدغم كراهية المثليين . ومن لم يدغم قال : لأنها من كلمتين ، لان النون الثانية للفاعل ، والياء للمتكلم ، وهو مفعول به .

وقوله « اعينوني بقوة » أي برجال يبنون ، و (الخرج) المصدر لما يخرج من

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٥ وهو مطلع معلقته ، وتفسير الطبري ١٦ / ١٧

المال ، والحراج الاسم لما يخرج عن الارض ونحوها . وترك الهمزة في (يا جوج وما جوج) هو الاختيار ، لان الاسماء العجمية لا تهمز مثل (طالوت ، وجالوت ، وهاروت ، وماروت) . ومن همز قال : لانه ماخوذ من اجج الثمار ومن الملح الأجاج . فيكون (مفعولا) منه في قول من جعله عربياً ، وترك صرفه للتعريف والتأنيث ، لانه اسم قبيلة ولو قال : لو كان عربياً لكان هذا اشتقاقه ولكنه أعجمي فلا يشتق لكان أصوب قال رؤبه :

لو ان يا جوج وما جوج معاً وعاد عاد واستجاشوا تبعا (١)

فترك الصرف في الشعر ، كما هو في التنزيل ، وجمع بأجوج بأجيج ، مثل يعقوب ويعاقيب لذكر الحجل ، وولد القبيح السلك والاتي سلكتة ومن جعل (يا جوج وماجوج) فاعولا جمعه يراجيج بالواو ، مثل طاغوت وطواغيت ، وهاروت وهواريت . واما مأجوج في قول من همز ، ف(مفعول) من أج ، كما أن يا جوج (مفعول) منه : فالكلمتان على هذا من أصل واحد في الاشتقاق ، ومن لم يهمز بأجوج ، كان عنده (فاعول) من (بيج) كما ان ماجوج (فاعول) من (مج) فالكلمتان على هذا من أصلين ، وليسا في أصل واحد ، كما كانا كذلك فيمن همزها ، وإن كانا من العجمي فهذه التقديرات لا تصح فيهما . وإنما مثل بها على وجه التقدير على ما مضى . وقال الجبائي والبلخي وغيرهما : إن يا جوج وماجوج قبيلان من ولد آدم . وقال الجبائي : قيل : انهما من ولد يافث بن نوح ، ومن نسلهم الأتراك . وقال سعيد ابن جبير : قوله « مفسدون في الارض » معناه يأكلون الناس . وقال قوم : معناه انهم سيفسدون ، ذهب اليه قتادة .

(١) ديوانه ٩٢ ومجاز القرآن ١ / ٢١٤ - تفسير الطبري ١٦ / ١٢ والقرطبي

قوله تعالى:

﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ
انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٧) فَمَا
أَسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٨) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ
رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٩) ﴾ ثلاث
آيات بلا خلاف .

قرأ « الصدفين » - بضم الصاد والذال - ابن كثير ، وابو عمرو ، وابن
عاصم ، الباقون - بفتح الصاد والذال - إلا أبا بكر عن عاصم ، فانه ضم الصاد وسكن
الذال . وقرأ أهل الكوفة إلا حصصاً « قال آتوني » قصر آ. الباقون ممدوداً . وقرأ حمزة
وحده « فما استطاعوا » مشددة الطاء بالادغام ، وهو ضعيف - عند جميع النحويين -
لان فيه جمعاً بين ساكنين .

حكى الله تعالى عن ذي القرنين أنه قال للقوم الذين شكوا اليه افساد يا جوج
وما جوج في الارض وبذلوا له المال ، فلم يقبله ، وقال لهم اعينوني برجال واعطوني
وجيشوا بزبر الحديد ، لا عمل منه - في وجوه يا جوج وما جوج - الردم .

والزبرة الجملة المجتمعة من الحديد والصفير ونحوهما . واصله الاجتماع ، ومنه
(الزبور) وزبرت الكتاب إذا كتبتة ، لانك جمعت حروفه . والحديد معروف حدته
تحميداً إذا أرهفته ، ومنه حد الشيء . نهايته . وقال ابن عباس ومجاهد : زبر الحديد
قطع الحديد . وقال قتادة : فلق الحديد .

وقوله « حتى إذا ساوى بين الصدفين » تقديره انهم جاؤا بزبر الحديد و طرحوه حتى إذا ساوى بين الصدفين مما جعل بينهما أي وازى رؤسهما . والصدفان جبلان - في قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وإبراهيم - وقيل : هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه ، وفيه ثلاث لغات - ضم الصاد والذال وفتحهما وتسكين الذال وضم الصاد - قال الراجز :

قد أخذت ما بين عرض الصدفين ناحيتها وأعلى الركنين (١)

وقال أبو عبيدة : الصدفان جانبنا الجبل . وقوله « قال انفخوا » يعني قال ذو القرنين انفخوا النار على الحديد ، والزبر فنفخوا « حتى إذا جعله ناراً » أي ما نعا مثل النار ، قال لهم « آتوني » أي اعطوني . وقرئ بقطع الهمزة ووصلها ، فمن قطع ، فعلى ما قلناه ، ومن وصل خفض وقصر ، وقيل معناه جيؤني « افرغ عليه قطراً » نصب (قطراً) بـ (أفرغ) ولو نصبه بـ (آتوني) لقسم أفرغه . والقطر النحاس في قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة - وأراد بذلك أن يلزمه . وقال أبو عبيدة : القطر الحديد المذاب وانشد :

حساماً كلون الملح صاف حديده جرازاً من اقطار الحديد المنعت (٢)

وقال قوم : هو الرصاص النقر ، واصله القطر . وكل ذلك إذا أذيب قطر كما يقطر الماء .

وقوله فما استطاعوا أن يظهره . أي لم يقدرُوا أن يبلوه « وما استطاعوا له نقباً » من اسفله - في قول قتادة .

وفي (استطاع) ثلاث لغات ، استطاع يستطيع ، واستطاع يستطيع ، بجذف

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٨ (٢) مجاز القرآن ١ / ٤١٥ وتفسير

التاء ، واستاع يستيع بجذف الطاء ، استثقلوا اجتماعهما من مخرج واحد . فأما اسطاع
يسطيع ، فهي من أطاع يطيع ، جعلوا السين عوضاً من ذهاب حركة العين .
ثم « قال » ذو القرنين « هذا » الذي بسهل فعله من الردم بين الجبلين نعمة
« من ربي ، عليكم » فإذا جاء وعد ربي « لاهلاكه عند اشراط الساعة » جعله دكاً .
أي مدكوكاً مستويّاً بالارض ، من قولهم : نافقة دكا ، لاسنام لها ، بل هي مستوية
السنام . ومن قرأ « دكاً » منوناً أراد دكه دكاً ، وهو مصدر . ومن قرأ بالمسأراد
جعل الجبل أرضاً دكاً منبسطة وجمعها دكاهات . وقال ابن مسعود : في حديث
مرفوع إن ذلك يكون بعد قتل عيسى الدجال . وقيل إن هذا السد وراء بحر الروم
بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط . وقيل : إنه وراء در بند ، وبحر خزران
من ناحية (أرمينية وآذربيجان) يمضي اليه . وقيل : إن مقدار ارتفاع السد مئتي
ذراع وإنه من حديد يشبه الصمت وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً .
وقوله « و كان وعد ربي حقاً » معناه ما وعد الله بأنه يفعله ، لا بد من كونه ،
فانه حق لا يجوز ان يخلف وعده وروي ان رجلاً جاء الى رسول الله (ص)
فقال : اني رأيت سد بأجوج ومأجوج ، فقال (ص) فكيف رأيت قال رأيت كأنه
رداء مخر ، فقال له رسول الله (ص) قد رأيت .

قوله تعالى :

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ، ١٠٠) وَعَرَضْنَا آجِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لِكَا فَرِينَ عَرَضًا ، ١٠١)
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمِعاً (١٠٢) ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى مخبراً عن حال تلك الأمم أنهم تركوا أي بقوا ولم يحترموا ، بل ادبوا على الصفات التي يقولون بها « يومئذ يموج » بعضهم « في بعض » فلو اقتطعوا عنها لكان قد أخذوا عن تلك الأحوال ، وبعض الشيء ما قطع منه ، يقال : بعضته أي فرقته بأن قطعته ابعاضاً ، والبعض جزء من كل ، فإن شئت قلت البعض مقدار من الكل وإن شئت قلت : هو مقدار ينقص بأخذه من الجميع ، و (الموح) اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض ، والمعنى أنهم يموجون في بناء السد ، ويخوضون فيه متعجبين من السد . ومعنى « يومئذ » يوم انقضاء السد ، فكانت حال هؤلاء كحال الماء الذي يتموج باضطراب أمواجه .

والترك في الحقيقة لا يجوز على الله إلا أنه يتوسع فيه فيعبر به عن الاخلال بالشيء بالترك .

وقوله « ونفخ في الصور » فالنفخ اخراج الريح من الجوف باعتماد ، يقال نفخ ينفخ نفخاً ومنه انتفخ إذا امتلأ ريحاً ومنه النفخة التي ترتفع فوق الماء بالريح . والصور قال عبد الله بن عمر في حديث يرفعه : انه قرن ينفخ فيه ، ومثله روي عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري . وقيل انه ينفخ فيه ثلاث نفخات : الاولى - نفخة الفزع التي يفزع من في السموات والارض . والثانية - نفخة الصعق . والثالثة - نفخة القيام لرب العالمين ، وقال الحسن : الصور جمع صورة فيجيبون بأن ينفخ في الصور الأرواح ، وهو قول أبي عبيدة .

وقوله « نجمعناهم جمعاً » يعني يوم القيامة يحشرهم الله أجمع « وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً » أي ابرزناها واظهرناها حتى يروها فاذا استبانته وظهرت

قيل اعرضت ، ومنه قول عمرو :

واعرضت اليامسة واشمخرت كأسياف بايدي معلتينا (١)

وقوله « الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري » شبه الله أعين الكفار الذين لم ينظروا في أدلة الله وتوحيده ولم يعرفوا الله ، بأنها كانت في غطاء . ومعناه كأنها في غطاء ، « وكانوا لا يستطيعون سماعا » معناه إنه كان يثقل عليهم الاستماع . وقال البلخي : يجوز أن يكون المراد إنهم لا يسمعون ، كما قال تعالى « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة » (٢) وإنما أراد بذلك هل يفعل أم لا ؟ لانهم كانوا مقرين بأن الله قادر ، لانهم كانوا مقرين بعيسى (ع) .

قوله تعالى :

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ
إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا (١٠٣) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا (١٠٤) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٥) ثلاث آيات في الكوفي والبصري وشامي ،

تمام الثانية قوله « اعمالاً » وآيتان في المدنيين .

قرأ الاعشى ويحيى بن يعمر إلا النصار « الحسب » بتسكين العين وضم الباء ،
وهي قراءة علي (ع) الباقون بكسر السين وفتح الباء .
يقول الله تعالى لنبيه (ص) « الحسب الذين كفروا » بتوحيد الله وجحدوا

روبيته « أن يتخذوا عبادي من دونه أولياء » أي انصاراً يمنعونهم من عقابي لهم على كفرهم ، وقد أعددت « جهنم للكافرين نزلاً » أي مأوى ومنزلاً - في قول الزجاج وغيره - وقال قوم : النزل الطعام جعل الله لهم طعاماً والنزل الربع . ومن ضم الباء من « أحسب » معناه حسبهم على اتخاذهم عباد الله من دونه أولياء أن جعل لهم جهنم نزلاً ومأوى . وقيل بل هم لهم اعداء يعني ، الذين عبدوا المسيح والملائكة « ثم أمر نبيه (ع) أن يقول « لهم هل ننبئكم بالأخسرين ، أي نخبركم بالأخسرين » أعمالاً ، وهم « الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا » وإن افعالهم طاعة وقربة وقيل انهم اليهود والنصارى ، وقيل الرهبان منهم .

وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال : هم أهل حروراء من الخوارج وسأله ابن الكوا عن ذلك ، فقال (ع) : انت واصحابك منهم وهم « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا » أي جاز عنهم وهلك ، وهم مع ذلك « يحسبون » أي يظنون أنهم يفعلون الافعال الجميلة والحسان هو الظن وهو ضد العلم .

وفي الآية دلالة على أن المعارف ليست ضرورية ، لانهم لو عرفوا الله تعالى ضرورة لما حسبوا غير ذلك ، لأن الضروريات لا يشك فيها .

وقوله « الاخسرين اعمالاً » نصب على التمييز . ومن قرأ « أحسب » بضم الباء وسكون السين كان عنده « أن يتخذوا » في موضع رفع ، ومن جعلها فعلاً ماضياً جعل (أن) في موضع نصب بوقوع حسب عليه .

قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

(ج ٧ م ١٣ من التبيان)

فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٦) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا
كَفَرُوا وَآتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا (١٠٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٨) ثلاث آيات
بلاخلاف .

أخبر الله تعالى عن الكفار الذين تقدم وصفهم بأنهم الذين جحدوا أدلة ربهم
وأنكروا لقاءه، أي لقاء ثوابه وعقابه في الآخرة من حيث أنكروا البعث والنشور
بأنهم « قد حبطت أعمالهم » لانهم أوقعوها على غير الوجه الذي أمرهم الله به
« فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » وصفهم الله بأنهم لا وزن لهم ، كما يقال في التحقير
للشيء : هذا لاشيء من حيث أنه لا يعتد به . ويقال للجاهل لا وزن له لخفته وسرعة طيشه
وقلة تثبته فيما ينبغي أن يتثبت فيه . وقال قوم : معناه لا نقيم لهم وزنا لطاعتهم ، لانهم
أحبطوها . وقال البلخي : معناه إن أعمالهم لا يستقيم وزنها لفسادها . ثم قال : وإنما
كان « ذلك » كذلك ، لان جهنم « جزاؤهم بما كفروا » أي جحدوا الله واتخذوا
آياته ورسله هزواً أي سخرية ، يقال هزى . بهزه هزواً ، فهو هازي .

ثم أخبر عن حال الذين صدقوا النبي وآمنوا بالله وعملوا الصالحات إن « لهم
جنت الفردوس نزلاً » أي مأوى . والفردوس البستان الذي يجمع الزهر والثمر
وسائر ما يمتع ويلذ ، وقال كعب : هو البستان الذي فيه الاعناب . وقال مجاهد :
الفردوس البستان بالرومية . وقال قتادة : هو أطيب موضع في الجنة .
وروي انه أعلى الجنة وأحسنها في خبر مرفوع .

وقال الزجاج : الفردوس البستان الذي يجمع محاسن كل بستان .

وقوله « نزلا » أي ماوى وقيل نزلا أي ذات نزول . وحكى الزجاج أن الفردوس الأودية التي تنبت ضروباً من النبت . والنزل - بضم النون والزاي - من النزول والنزل بفتحهما الربع .

قوله تعالى:

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٩) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١١٠) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١١) ﴾ ثلاث آيات بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً « قبل أن ينفذ » بالياء . الباقون بالتاء . فمن قرأ بالتاء ، فلتأنيث الكلمات ، ومن قرأ بالياء ، فلان التأنيث ليس بحقيقي . وقد مضى نظائر ذلك .

أخبر الله تعالى عن أحوال المؤمنين الذين وصفهم بالأعمال الصالحة وأن لهم جنات الفردوس جزاء على أعمالهم بانهم خالدون في تلك الجنات . ونصب « خالدين » على الحال .

وقوله « لا يبغيون عنها حولا » أي لا يطلبون عنها التحول والانتقال الى مكان غيرها . وقال مجاهد : الحول التحول أي لا يبغيون متحولاً . وقد يكون معناه التحول من حال الى حال ، ويقال حال عن مكانه حولا مثل صغر صغراً او كبر كبراً .

ثم أمر نبيه (ص) أن يقول لجميع المكلفين : قل لو كان ماء البحر مداداً في

الكثرة لكتابة كلمات الله لنفد ماء البحر ولم تنفذ كلمات الله بالحكم ، والبحر مستقر الماء الكثير الواسع الذي لا يرى جانباه من وسطه وجمعه أبحر وبحار وبحور ، والمداد هو الجائي شيئاً بعد شيء على اتصال . والمداد الذي يكتب به . والمدد المصدر ، وهو مجيء شيء بعد شيء . وقال مجاهد : هو مداد العلم .

والكامة الواحدة من الكلام ، ولذلك يقال للتصيدة : كلمة ، لأنها قطعة واحدة من الكلام ، والصفة المفردة : كلمة . و (مددأ) نصب على التمييز ، وهذا مبالغة لوصف ما يقدر الله تعالى عليه من الكلام والحكم . ثم قال قل لهم « إنما أنا بشر مثلكم » لست بملك . آكل وأشرب « يوحى الي إنما الحكم إله واحد » أي يوحى الي بأن معبودكم الذي يحق له العبادة واحد « فمن كان » منكم « يرجو لقاء ربه » لقاء ثوابه أو عقابه ويرجو معناه يأمل . وقيل معناه يخاف « فليعمل عملاً صالحاً ، أي طاعة يتقرب بها إليه » ولا يشرك بعبادة « الله أحداً غيره : من ملك ولا بشر ولا حجر ، ولا مدر ولا شجر ، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وقال سعيد بن جبير معنى « لا يشرك بعبادة ربه أحداً » أي لا يرأى بعبادة الله غيره . وقال الحسن : لا يعبد معه غيره . وقيل إن هذه الآية آخر ما نزل من القرآن . وقال ابن جريج قال حي بن اخطب : تزعم يا محمد إن ألم نؤت من العلم إلا قليلاً ، وتقول ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، فكيف يجتمعان ، فنزل قوله تعالى « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي » ونزل « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ٠٠٠ » (١) الآية .

١٩ - سورة مريم

هي مكية في قول قتادة ومجاهد وهي ثمان وتسعون آية في المدني الأول والكوفي والبصري والشامي . وتسع وتسعون في المكي والمدني الأخير وفي عدد إسماعيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَهَيْعِصَ ۖ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (١) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٢) ﴾ ثلاث آيات في الكوفي خاصة عدوا « كهيعص » آية . وآيتان في الباقي .

قرأ أبو عمرو « كهيعص » بامالة الهاء وفتح الياء ، وقرأ ابن عامر إلا الدا جوني عن هشام وحزرة إلا العنسي وخلف في اختياره بفتح الهاء ، وامالة الياء . وقرأ الكسائي ويحيى والعليمي والعنسي بامالة الهاء والياء . البا قون بفتحهما ، وهم أهل الحجاز والدا جوني عن هشام وعاصم إلا يحيى والعليمي ويعقوب وأبو جعفر بقطع الحروف على أصله ويظهر الدال من هجا . (صاد) عند ذلك . وكذلك أهل الحجاز وعاصم

ويعقوب . قال أبو علي إمالة هذه الحروف سائغة ، لأنها ليست بحروف معنى وانما هي
 أسماء لهذه الاصوات . وقال سيبويه : قالوا (يا ، يا) لأنها أسماء ما يتهجا به . فلما
 كانت أسماء غير حروف جازت فيها الإمالة كما جازت في الأسماء ، ويدلك على أنها
 أسماء أنك إذا أخبرت عنها أعربت بها [وإن كنت لا تعرفها أسماء قبل ذلك] (١)
 فكأن أسماء العدد قبل أن تعرفها أسماء كذلك هذه الحروف . وإذا كانت أسماء سائت
 فيها الإمالة . فاما من لم يمل فعلى . ذهب أهل الحجاز ، وكلهم أخفى (نون ، عين) إلا
 حفصاً عن عاصم فإنه بينها . وقال أبو عثمان بيان النون مع حروف الفم لمن إلا أن هذه
 الحروف تجري على الوقف عليها ، والقطع لها مما بعدها ، فحكها البيان ، وإن لا تخفى ،
 فقول عاصم هو القياس فيها ، وكذلك أسماء العدد حكها على الوقف ، وعلى أنها منفصلة
 عما بعدها . وقال أبو الحسن تبيين النون أجود في العربية ، لأن حروف العدد والهجا
 . ينقل بعضها عن بعض . وروي عن أبي عمرو واليزيدي - في رواية أبي عمرو - عنه
 كسر الهاء والياء . وقال قلت له لم كسرت الهاء ؟ قال : لثلاث تلتبس بهاء التنبيه ، فقلت
 لم كسرت اليا ؟ قال : لثلاث تلتبس بـ (يا) التي للنداء إذا قلت : ها زيد ويا رجل . ومن
 أدغم الدال في الذال ، فلجرب مخرجهما ، ومن أظهر ، فلائها ليسا من جنس واحد ،
 وليسا اختين .

وقرأ الحسن بضم الهاء ، حكى سيدييه أن في العرب من يقول في الصلاة بما ينحو
 نحو الصلوة الضم ، وحكى (هايا) بأشمام الضم . قال الزجاج من حكى ضم الياء ، فهو
 شاذ لأنه اجتمعت الرواة على أن الحسن ضم الهاء لا غير وقد بينا في أول سورة البقرة
 اختلاف العلماء في أوائل أمثال هذه السور وشرحنا أقوالهم ، وبيننا أن أقوى ما قيل
 فيه أنها أسماء السور ، وهو قول الحسن وجماعة ، وقيل إن كل حرف منها حرف من اسم من

(١) ما بين القوسين سابق من المطبوعة

اسماء الله تعالى ، فالكاف من كبير ، والهاء من هاد ، والعين من عالم ، والصاد من صادق ، والياء من حكيم . وروى ذلك عن علي (ع) وابن عباس وغيرهما . وروى عن علي (ع) انه دعا فقال اللهم سألتك يا كهيص .

وقوله « ذكر رحمة ربك عبده زكريا » رفع (ذكر) على أنه خبر للابتداء وتقديره هذا او فيما يتلى عليكم « ذكر رحمة » أي نعمة ربك « عبده » منصوب بـ (رحمة) . وقال الفراء الذكر مرفوع بـ (كهيص) والمعنى ذكر ربك عبده برحمته ، فهو تقديم وتأخير ، ونصب « زكريا » لانه بدل من (عبده) .

« إذ نادى ربه نداء خفياً » أي حين دعا ربه دعاء خفياً أي سرّاً غير جهر ، لا يريد به رياء ، ذكره ابن جريج . واصل النداء مقصور من ندى الصوت بندى الخلق

قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٣) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٤) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٥) ثلاث آيات بلا خلاف

قرأ ابو عمرو والكسائي « يرثني » جزماً على أنه جواب الأمر . الباقون بالرفع على أنه صفة لـ (ولياً) . فمن رفع قال « ولياً » نكرة فجعل « يرثني » صلة له ، كما تقول أعرفني دابة اركبها ، ولو كان الاسم معرفة . لكن الاختيار الجزم ، كقوله « فذروها تأكل في أرض الله » (١) والنكرة كقوله « خذ من أموالهم صدقة

(١) سورة (الاعراف) آية ٧٢ وسورة (هود) آية ٦٤

تطهرهم» (١) وقال مجاهد: من جزم جاز أن يقف على «وليا» . ومن رفع لم يجز لأنه صلة، ولأن المفسرين قالوا: تقديره «هب لي» الذي «برثني» أي وارثاً فكل ذلك يقوي الرفع .

حكى الله تعالى ما نادى به زكريا ودعى ربه به، وهو أن قال «رب» أي يارب وأصله ربي، وإنما حذف الياء تخفيفاً وبقية الكسرة تدل عليها «إني وهن العظم مني» أي ضعف، والوهن الضعف، وهو نقصان القوة، ويقال: وهن الرجل يهن وهناً إذا ضعف . ومنه قوله ﴿ لا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ﴾ (٢) وإنما اُضيف الوهن إلى العظم . لأن العظم مع صلابته إذا كبر ضعف، وتناقض، فكيف باللحم والعصب . وقيل شكى البطش وهو قلة العطس وهو لا يكون إلا بالعظم . وقوله ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ معناه انتشر الشيب في الرأس، كما ينتشر شعاع النار، وهو من أحسن الاستعارات . والاشتعال انتشار شعاع النار، والشيب مخالطة الشعر الأبيض للأسود في الرأس وغيره من البدن، وهو مثل الشائب الذي يخالط الشبي من غيره ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقياً ﴾ تمام حكاية ما دعا به زكريا . وأنه قال لم أكن يارب بدعائي إياك شقياً أي كنت ادعوك وحدك واعترف بتوحيدهم . وقيل معناه إني إذا دعوتك اجبتني، والدعاء طلب الفعل من المدعو، وفي مقابله الإجابة، كما أن في مقابلة الأمر الطاعة . ويحتمل نصب «شيباً» أمرين: أحدهما - أن يكون نصباً على المصدر كأنه قال شاب شيباً .

والثاني - التمييز كقولهم تصببت عرفاً وامتلات ماء . وقوله «وإني خفت الموالي من ورائي» قال مجاهد وأبو صالح، والسدي: الموالي ههنا العصبية . وقيل خفت الموالي بني عمي على الدين، لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل، وإنما قيل لبني العم

(١) سورة ٩ (التوبة) آية ١٠٤ (٢) سورة ٣ (آل عمران) آية ١٣٩

موالي لأنهم الذين يلونه في النسب بعد الصلب . وقيل معنى الموالي الأولياء ان يرثوا علمي دون من كان من نسلي وانشدوا في أن الموالي بنو العم قول الشاعر :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا (١)

والمولى الميعتق ، والمعنتق ، والمولى الناصر ، والمولى الولي والمولى الاولي .

وروي عن عثمان أنه قرأ « واني خفت الموالي » بفتح الحاء وتشديد الفاء .

وقوله « وكانت امرأتى عاقراً » يعني لا تلد ، ويقال للمرأة التي لا تلد : عاقرة والرجل الذي لا يولد له : عاقرة قال الشاعر :

لبس الفتى إن كنت اسود عاقراً جباناً فما عنري لذي كل محضر (٢)

والعقر في البدن الجرح ومنه اخذ العاقر ، لانه نقص أصل الخلفة إما بالجراحة ، وإما بامتناع الولادة ، ومنه العقار ، لان فسادة نقص لأصل المال . وقوله « يرثي ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيعاً » والميراث تركة الميت ما كان يملكه لمن بعده من مستحقيه بحكم الله فيه ، يقال : ورث يرث ارثاً وميراثاً وتوارثوا توارثاً وورثه توريثاً ، وأورثه علماً ومالاً . و (الآل) خاصة الرجل الذين يؤل أمرهم اليه . وقد يرجع اليه أمرهم بالقرابة تارة وبالصحبة أخرى ، وبالدين والموافقة ، ومنه قيل (آل النبي) (ص) .

وقوله « يرثي ويرث من آل يعقوب » قال أبو صالح: معناه يرثي مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوة . وقال الحسن يرثي العلم والنبوة ، وقال مجاهد يرث علمه . وقال

(١) قدمه تخريججه انظر ٣ / ١٨٧ من هذا الكتاب . والبيت في تفسير الشوكاني ٣ / ٣١١

(٢) قاله عامر بن العنميلة ديوانه ٦٤ وتفسير الشوكاني ٣ / ٣١١ والقرطبي

١١ / ٧٨ وتفسير الطبري ١٦ / ٣٢ وغيرها .

(ج ٧ م ١٤ من التبيان)

السدي : يرث نبوته ونبوة آل يعقوب ، وكان آل يعقوب أخواله ، وهو يعقوب ابن مائان ، وكان قيم الملك منهم ، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى ابن عمران . قال مقاتل : يعقوب بن مائان اخو عمران ابي مریم ، وهما ابنا مائان .

وقوله « واجعله رب رضيا » والجعل على اربعة اقسام :

احدها - بمعنى الاحداث كقولهم جعل البناء أي احذنه .

والثاني - احداث ما يتغير به كقولهم : جعل الطين خزفاً أي احداث ما به يتغير

الثالث - ان يحدث فيه حكماً كقولهم : جعل فلان فلاناً فاسقاً أي بما أحدث فيه

من حكمة وتسميته .

الرابع - أن يحدث ما يدعوه الى ان يفعل كقولهم : جعله يقتل زيدا أي بما

أمره به ودعاه الى قتله .

ومعنى « واجعله رب رضيا » أي اجعل ذلك الولي الذي يرثني مرضياً عندك

ممثلاً لأمرك عاملاً بطاعتك .

وفي الآية دلالة على ان الانبياء يورثون المال بخلاف ما يقول من خالفنا انهم

لا يورثون ، لأن زكريا صرح بدعائه وطلب من يرثه ويحجب بني عمه وعصبته من الولد .

وحقيقة الميراث انتقال ملك المورث الى ورثته بعد موته بحكم الله . وحمل ذلك على

العلم والنبوة على خلاف الظاهر ، لان النبوة والعلم لا يورثان ، لأن النبوة تابعة للمصلحة

لا مدخل للنسب فيها ، والعلم موقوف على من يتعرض له ويتعلمه ، على أن زكريا إنما

سأل ولياً من ولده يحجب مواليه من بني عمه وعصبته من الميراث وذلك لا يليق

إلا بالمال ، لان النبوة والعلم لا يحجب الولد عنهما بحال ، على أن اشتراطه ان يجعله

(رضياً) لا يليق بالنبوة ، لان النبي لا يكون إلا رضياً معصوماً ، فلا معنى لمسأله

ذلك ، وليس كذلك المال ، لأنه يرثه الرضي وغير الرضي . واستدل المخالف بهذه

الآية على أن البنات لا تحوز المال دون بني العم والعصبة ، لان زكريا طلب ولياً يمنع مواله ، ولم يطلب ولية . وهذا ليس بشيء ، لان زكريا إنما طلب ولياً ، لان من طباع البشر الرغبة في الذكور دون الاناث من الأولاد ، فلذلك طلب الذكر ، على أنه قيل ان لفظ الولي يقع على الذكر والانثى ، فلا نسلم أنه طلب الذكر بل يقتضي الظاهر أنه طلب ولدآ سواء كان ذكراً او انثى .

والوراء الخلف والوراء القدام ممدود وكذلك الوراء ولد الولد ممدود . والورى مقصوراً : داء في الجوف . والورى ايضاً الخلق مقصور ، وكلهم قرأ «ورائي» ممدوداً ساكن الياء إلا ما رواه ابن مجاهد عن قنبل بفتح الياء مع المد . وروي عن شبل عن ابن كثير (وراي) مقصوراً مثل هداي بغير همز ، وفتح الياء . قال أبو علي لا أعلم أحداً من اهل اللغة حكى القصر في هذه اللفظة ، ولعلها لغة جاءت ، وقد جاء في الشعر قصر الممدود ، وقياسه رد الشيء الى أصله ، واللام في هذه الكلمة همزة ، وليس من باب الورى . وقال أبو عبيدة وغيره « من ورائي » يعني من قدامي ، ومثله « وكان وراءهم ملك » (١) أي بين أيديهم . وحكي عن الثوري وراء الرجل خلفه وقدامه . وقوله « ومن ورائه عذاب » (٢) اي قدامه .

وقوله « واني خفت الموالي » فان الخوف لا يكون من الاعيان وإنما يكون من معان فيها ، فقولهم خفت الله اي خفت عقابه ، وخفت الموالي خفت تضييعهم مالي وانفاقه في معصية الله .

قوله تعالى :

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ

(١) سورة ١٨ (الكهف) آية ٨٠ (٢) سورة ١٤ (ابراهيم) آية ١٧

قَبْلُ سَمِيًّا (٦) قَالَ رَبِّ اَنْى يَكُونُ لِىْ غُلَامٌ وَكَانَتْ اَمْرًا تى عَاقِرًا
 وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٧) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِىَّ هَيِّنٌ
 وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٨) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لى آيَةً قَالَ
 اَيْتُكَ اِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (٩) اربع آيات
 بلا خلاف .

قرأ حمزة « نبشرك » وفي آخرها (١) ﴿ لبشرك به ﴾ بالتخفيف فيهما الباقون
 بالثقل . وقرأ حمزة والكسائي ﴿ عتيا ، وصليا ، وبكيا ، وجثيا ﴾ بكسر أو اثلين
 وافقهما حفص إلا في بكيا الباقون بضم أو اثلين . من كسر أو اثل هذه الحروف
 فلمجاورة الياء . والاصل الضم ، لأنه جمع فاعل مثل جالس وجلس ، وكذلك صل
 وصلي ، والاصل صاوى ويكون على وزن فعول ، فانقلبت الواو ياء وادغمت الياء في
 الياء . والاصل في « عتيا » عتوا ، لأنه من عتا يعتو « وبكيا » من بكى يبكي ، كما قال
 تعالى « وعتوا عتوا كبيرا » (٢) وانما قيل « عتيا » ههنا بالياء ، لأنه جمع عات ،
 وأصله عاتر فانقلبت الواو ياء ، لانكسار ما قبلها فبنوا الجمع على الواحد في قلب
 الواو (ياء) لان الجمع أثقل من الواحد . وقوله « وعتوا عتوا » مصدر ، والمصدر مجرى
 مجرى الواحد حكماً : وإن كان في اللفظ مشاركاً للجمع ، لانك تقول : فقد يقعد
 قعوداً ، وقوم قعود . وفي حرف أبي « وقد بلغت من الكبر عتيا » يقال للشيخ إذا
 كبر عتى يعسو ، وعتا يعتو إذا يبس .

وقرأ حمزة والكسائي « وقد خلقناك » على الجمع . الباقون - بالتاء - على التوحيد

فمن قرأ بالنون فلقوله « وحنانا من لدنا » ومن قرأ بالتاء فلقوله « وهو علي هين » ولم يقل علينا ، وهما سواء في المعنى .

هذا حكاية ما قال الله تعالى لذكر يا حين دعاه ، فقال له « يا زكريا إنا نبشرك » والبشارة الاخبار بما يظهر سروره في بشرة الوجه ، يقال : بشره بشارة ، وتبشيراً وأبشر بالامر ابشاراً إذا استبشر به .

وقوله « بسلام اسمه يحيي » فالسلام اسم الذكر أول ما يبلغ ، وقيل : إنه منه اشتق اغتم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع . وقيل انما سمي يحيي ، لان الله تعالى أحياه بالايمن - في قول قتادة - وقوله « لم نجعل له من قبل سمياً » قال ابن عباس : معناه لم تلد مثله العواقر ولدأ . وقال مجاهد : لم نجعل له من قبل مثلاً . وقال ابن جريج وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم ، والسدي : معناه لم يسم أحداً باسمه . وقيل انه لم يسم احداً من الانبياء باسمه قبله ، فنال زكريا عند ذلك « انى يكون لي غلام » أي كيف يكون لي غلام « وامرأتى عاقر » لا يلد مثلها « وقد بلغت » أنا ايضاً « من » السن و « الكبر عتياً » فالعتي والعسي واحد ، يقال عتعتوا وعتياً ، وعسى يعسو عسياً وعسواً فهو عات وعاس بمعنى واحد ، والعاسي هو الذي غيره طول الزمان الى حال اليأس والجفاف . وقال قتادة : كان له بضع وسبعون سنة ، فقال الله تعالى له « كذلك » هو ان الامر على ما اخبرتك « قال ربك هو علي هين » أي ليس يشق علي خلق الولد من بين شيخ وعاقر لاني قادر على كل شيء . وكيف يعسر علي ذلك « وقد خلقتك » يا زكريا « من قبل » ذلك « ولم تك شيئاً ، اى لم تكن موجوداً ومن نفى ان يكون المعلوم شيئاً استدل بذلك ، فقال لو كان المعلوم شيئاً لما نفى ان يكون شيئاً قبل ذلك وحمل قوله « إن زلزلة الساعة شيء عظيم » (١) على المجاز ، والمعنى انها إذا وجدت كانت

شيئاً عظيماً ، ومن قال : المعدوم شيء . قال : اراد ولم يكن شيئاً موجوداً . ولم يكن قول زكريا « انى يكون لى ولد » على وجه الانكار بل كان ذلك على وجه التعجب من عظم قدرة الله . وقيل : انه قال ذلك مستخبراً ، وتقديره ابتلك الحال أو بقلبه الى حال الشباب ، ذكره الحسن ، فقال زكريا عند ذلك يا رب اجعل لى آية « أى دلالة وعلامة استدلل بها على وقت كونه ، فقال الله تعالى له « آيتك » أى علامتك على ذلك « ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً » فقال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة ايام . وقال قتادة والسدى وابن زيد اعتقل لسانه من غير خرس . وفي زكريا ثلاث لغات (زكرياء) ممدود (وزكريا) مقصور و (زكرى) مشدد . [وقرئ ، بالمقصور والممدود دون اللغة الثالثة] (١)

قوله تعالى :

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١٠) يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١١) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٢) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٣) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٤) ﴾ خمس آيات بلا خلاف .

حكى الله تعالى ان زكريا « خرج على قومه من المحراب » وهو الموضع الذي يتوجه اليه للصلاة . وقال ابن زيد محرابه مصلاه . والاصل فيه مجلس الاشراف الذي

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

بحارب دونه ذباً عن أهله « فإوحى إليهم » قيل : معناه أشار إليهم وأوماً بيده يقال : أوحى يوحى إيحاءً ووحى يحي وحياءً مثل أوحى يوحى إيعاء ، ووحى يحي ومياً . والايحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفي بسرعة من الأمر . واصله السرعة من قولهم : الوحي الوحا أي الأسراع . وقيل : كتب لهم على الأرض ، والوحي الكتابة .

وقوله « ان سبحوا بكرة وعشيا » أي أوحى إليهم بأن سبحوا ، ومعناه صلوا بكرة وعشيا - في قول الحسن وقتادة - وقيل للصلاة تسييح ، لما فيها من الدعاء والتسييح ، ويقال : فرغت من سبحتي أي صلاتي .

وقوله « يا يحيى خذ الكتاب » يعني التوراة التي أنزلتها على موسى « بقوة » أي بجد « وآتيناه الحكم صبياً » معناه أعطيناه الفهم لكتاب الله حتى حصل له عظيم الفائدة . وروي عن معمر : أن الصبيان ، قالوا ليحيى أذهب بنا نلعب ، فقال ما لأعب خلقت ، فأنزل الله « وآتيناه الحكم صبياً » .

وقوله « وحناناً من لدنا » معناه وآتيناه رحمة من عندنا - في قول ابن عباس وقتادة والحسن - وقال الفراء : فعلنا ذلك رحمة لا بويه « وزكوة » أي وصلاًحاً . وقال الضحاك رحمة منا لا يملك إعطاءها أحد غيرنا . وقال مجاهد : معناه تعطفاً . وقال عكرمة : معناه محبة . واصل الحنان الرحمة ، يقال : حنانك وحنانك قال أمروء القيس :

ويعنهما بنو شمعين بن جرم معيرهم حنانك ذا الحنان (١)

وقال الآخر :

فقات حنان ما أتى بك ههنا أذو نسب أم أنت بالحي عارف (٢)

أي امرنا حناناً، ونحن علينا تحنناً أي تعطف قال الشاعر :

تحنن عليّ هداك المليك فان لكل مقام مقالا (١)
 وحننت عليه أحن حنيننا، وحناننا، وحننت على الرجل إمراته . وقال ابو عبيدة معمر
 ابن المثني أكثر ما يستعمل بلفظة التثنية ، قال طرفة :

أبا مندر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشمر أهون من بعض (٢)
 وقوله « وزكاة » أي وعملا صالحا زكيا - في قول قتادة والضحاك وابن
 جريج - وقال الحسن معناه : وزكاة لمن قبل عنه حتى يكونوا أذكياه . وقال الجبائي :
 معناه آتيناه نحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليحرص على دعائهم الى طاعة ربهم
 « وزكاة » أي إنا زكيناك بحسن الثناء عليه ، كما يزكي الشهود الانسان ﴿ وكان تقياً ﴾
 أي يتقي معاصي الله وترك طاعته ﴿ وبرا بالديه ﴾ أي كان باراً محسناً الى والديه ،
 ﴿ ولم يكن جباراً ﴾ متكبراً ﴿ عصياً ﴾ فعيل بمعنى فاعل ، ثم قال تعالى « وسلام عليه
 يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾ في يوم القيامة ، ومعناه ان رحمة الله وسلامه
 اللذين هما تفضل من الله ، هما على يحيى يوم ولد ، وإن رحمة الله وسلامه اللذين هما حزاء
 لا عماله الصالحة، هما عليه يوم يموت ويوم يبعث حياً ، في الآخرة . قال قوم معناه : أمان
 الله له وسلامه يوم ولد من عبث الشيطان له واغواؤه اياه ، ويوم يموت من عذاب القبر
 وهول المطلع ، ويوم يبعث حياً من عذاب النار واهوال المحشر .

قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا

(١) تأمله الحطيطنة تفسير الشوكاني ٣ / ٣١١ وتفسير الطبري ١٦ / ٣٨

والقرطبي ١١ / ٨٧

(٢) ديوانه (دار بيروت) ٦٦ وتفسير الطبري ١٦ / ٣٨ والقرطبي ١١ / ٨٧

شَرِيفًا (١٥) فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٦) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٧) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٨) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (١٩) خمس آيات بلاخلاف .

قرأ ابو عمرو ونافع في رواية ورش وقالون عنه ﴿ ايهب لك ﴾ بالياء ﴿ ربك غلاماً ﴾ الباقون ﴿ لأهب ﴾ بالهمزة على الحكاية ، وتقديره قال ربك لاهب لك . وقال الحسن : معناه لاهب لك باذن الله ﴿ غلاماً زكياً ﴾ اى صار بالبشارة كأنه وهب لها . وضعف ابو عبيدة قراءة أبي عمرو ، لانها خلاف المصحف . قال ابن خالويه : حجة ابي عمرو أن حروف المد واللين وذوات الهمز يحول بعضها الى بعض ، كما قرىء (ليلاً) بالياء - والاصل الهمزة : (لثلاً)

قال ابو علي النحوي : من قرأ - بالياء - يجوز أن يكون أراد الهمزة ، وانما قلبها ياء على مذهب ابي الحسن أو جعلها بين بين في قول الخليل . وفي قراءة أبي وابن مسعود (ليهب) بالياء ، وهو الاجود ، ومعنى « زكياً » نامياً على الخير والبركة يقول الله تعالى لنبية محمد (ص) « اذكر في الكتاب مريم » والذكر إدراك النفس للمعنى بحضوره في القلب ، والاذكار احضار النفس للمعنى ، وقد يكون الذكر قولاً يحضر المعنى للنفس ، والمراد بالكتاب - ههنا - القرآن وإنما سمي كتاباً ، لانه مما يكتب .

(ج ٧ ص ١٥٢ من التبيان)

وقوله « إذا اتبذت من اهلها » فلا تتبذ أخذ الشيء . بالقاء غيره عنه ، والاصل الالقاء من قولهم : نبذته وراء ظهره أي القاه ، وفي هذا الطعام نبذ من شعير اي مقلد كف منه ، والنبذ الطرح . وقال قتادة : معنى اتبذت انفردت . وقيل : معناه اتخذت مكاناً تنفرد فيه بالعبادة . وقيل معناه تباعدت . وقوله « مكاناً شرقياً » يعني الموضع الذي في جهة الشرق ، قال جرير :

هبت جنوباً فذكرى ما ذكرت لكم عند الصفاة التي شرقي حوران (١)

وقال السدي : معنى « فاتخذت من دونهم حجاً » أي حجاً من الجدران . قال ابن عباس : انما جعلت النصرى قبلتهم الى المشرق ، لان مريم اتخذت من جهة المشرق موضع صلاتها . وقال ابن عباس : معنى « من دونهم حجاً » أي من الشمس جعله الله لها ساتراً .

وقوله « فارسلنا اليها روحنا » قال الحسن وقتادة والضحاك والسدي ، وابن جريج ، ووهب بن منية : يعني جبرائيل (ع) . وسماه الله (روحاً) لانه روحاني لا يشبه شيئاً من غير الروح . وخص بهذه الصفة تشریفاً له . وقيل لانه تحيا به الأرواح بما يؤديه اليهم من أمر الاديان والشرائع .

وقوله « فتمثل لها بشراً سوياً » أي تمثل لها جبرائيل في صورة البشر « سوياً » أي معتدلاً ، فلما رآته مريم « قالت إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً » تخاف عقوبة الله .

فان قيل كيف تعوذت منه إن كان تقياً ؟ والتقي لا يحتاج أن تعوذ منه ، وانما يتعوذ من غير التقي !!

قيل المعنى في ذلك إن التقي للرحمن إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٩٣ وروايته (ذكرتكم) بدل (ذكرت لكم)

الله ، ففي ذلك تخويف وترهيب ، كما يقول القائل : إن كنت مؤمناً ، فلا تظلمني ، وتكون هي غير عالمة بأنه تقي أم لا ، فلما سمع جبرائيل منها هذا القول ، قال لها : « انما أنا رسول ربك » ارسلني الله لا بشرك بأنه يهب « لك غلاماً » ذكراً « زكياً » طاهراً من الذنوب . وقيل : نامياً في أفعال الخير . فقالت مريم عند ذلك تعجبة من هذا القول : « أنى يكون لي غلام » أي كيف يكون ذلك « ولم يمسنني بشر » بالجماع على وجه الزوجية « ولم أك بغياً » أي لم أكن زانية - في قول السدى وغيره . و (البغي) التي تطلب الزنا ، لأن معنى تبغيه تطلبه . و « لم أك » اصلها لم أكن لأنه من (كان ، يكون) وإنما حذف النون ، لا ستخفافها على ألسنتهم ، ولكثرة استعمالهم لها ، كما حذفوا الالف في (لم أبل) واصله (لم أبالي) لأنه من المبالاة وكقولهم : (لا أدر) وقولهم : (أيش) واصله أي شيء ، ومثله : لا أب لسانك واصله لا أبا لسانك ، ومثله كثير .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢٠) فَحَمَلَتْهُ فَأَنْتَبَذَتْ بِه مَكَانًا قَصِيًّا (٢١) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا (٢٢) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا (٢٣) وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَنِيًّا (٢٤) ﴾ خمس آيات بلا خلاف .

قرأ حمزة وحفص عن عاصم « نسياً » بفتح النون . الباقر بكسرهما ، وهما

لغتان . وقرأ نافع وحزمة والكسائي وحفص « من تحتها » على أن (من) حرف جر .
الباقون « من تحتها » يعني الذي تحتها قال ابو علي النحوي : ليس المراد بقوله
« من تحتها » الجهة السفلى ، وإنما المراد من دونها ، بدلالة قوله « قد جعل ربك تحتك
سرياً » ولم يكن النهر محاذياً لهذه الجهة . وإنما المعنى جعل دونك .

وقرأ « تساقط » - بالتاء وضمها ، وكسر القاف مخففة السين - حفص عن عاصم .
وقرأ حمزة « تساقط » بفتح التاء وتخفيف السين . الباقون ، وهم ابن كثير ونافع
وابو عمرو ، وابن عامر والكسائي وابو بكر عن عاصم ، بفتح التاء وتشديد السين وفتح
القاف . وقرأ يعقوب والعليمي : نصير - بياء مفتوحة ، وتشديد السين وفتح القاف -
وكلهم جزم الطاء .

حكى الله تعالى ما قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة « قال
كذلك » يعني الله تعالى قال ذلك « قال ربك هو علي هين » أي سهل متأت لا يشق
علي ذلك « ولنجعله آية للناس ، أي نجعل خلقه من غير ذكر آية باهرة ، وعلامة
ظاهرة للناس « ورحمة منا » أي ونجعله نعمة من عندنا « وكان أمراً مقضياً » أي
وكان خلق عيسى من غير ذكر أمراً قضاه الله وقدره وحتم كونه أي هو المحكوم بأنه
يكون ، وما قضاه الله بأنه كائن ، فلا بد من كونه .

وقوله ﴿ نحملة ﴾ يعني حملت عيسى في بطنها ، والحمل رفع الشيء من مكانه ،
وقد يكون رفع الانسان في مجلسه ، فيخرج عن حد الحمل . ويقال له (حمل) بكسر
الحاء لما يكون على الظهر ، وبالفتح لما يكون في البطن ﴿ فانتبذت به مكاناً قصياً ﴾ أي
انفردت به مكاناً بعيداً ، ومعناه قاصياً ، وهو خلاف الداني . قال الراجز :

لتقعدن مقعد القصي مني كذي القاذورة المقلي (١)

يقال قصا المكان بقصوه قصواً إذا تباعد ، واقصيت الشيء إذا أبعدته ، واخرته اقصاه . وقوله « فأجاءها الخاض » أي جاء بها الخاض وهو مما يعدى تارة بالباء وأخرى بالالف . مثل ذهبته وآيتك بعمر و آيتك عمراً . وخرجت به وأخرجته قال زهير :

وجار سار معتمداً اليكم أجاءته المخافة والرجاء (١)

أي جاءت به . قال الكسائي تميم تقول : ما أجاءك الى هذا وما أشاء بك اليه . أي صيرك تشاء . ومن أمثالهم (شر أجاءك الى مخبة عرقوب) و تميم تقول : شر أشاءك الى مخبة عرقوب . وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي : معنى « فأجاءها » الجأها . وقال السدي : إنها قالت في حال الطلق « ياليتني مت قبل هذا » استجباء من الناس « وكنت نسياً منسياً » فالنسي الشيء المنزول حتى ينسى - بالفتح والكسر - مثل الوتر والوتر . وقيل النسي - بالفتح - المصدر ، يقال : نسيت الشيء نسياً ونسياناً - وبالكسر - الاسم إذا كان لقي لا يؤبه به ، وقيل النسي خرقه الحيض التي تلقىها المرأة ، قال الشاعر :

كان لها في الارض نسياً تقصه إذا ما غدت وإن تكلمك تبت (٢)

أي نسياً تركسته ، ومعنى (تبت) أي تقطع كلامها رويداً رويداً وتقف وتصدق .

وقوله « فناداها من تحتها » قال ابن عباس والسدي والضحاك وقتادة : المنادي كان جبرائيل (ع) . وقال مجاهد والحسن ووهب بن منية ، وسعيد بن جبير وابن زيد والجبائي : كان المنادي لها عيسى (ع) .

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٣ وتفسير الشوكاني ٣ / ٣١٧ والطبري ١٦ / ٤٢

والقرطبي ١١ / ٧٢ (٢) الطبري ١٦ / ٤٤ وجمع البيان ٣ / ٥٠٩

وقوله « الأتحزني » أي لا تغتمني « قد جعل ربك تحتك سر يا » قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير : السري هو النهر الصغير . وقال قوم : هو النهر بالسريانية . وقال آخرون : هو بالنبطية . وقال إبراهيم والضحاك وقتادة : هو النهر الصغير بالعربية ، مثل قول ابن عباس ، وقال البراء بن عازب : هو الجدول . وقال الحسن وابن زيد : السري عيسى (ع) . وقيل للنهر (سري) لأنه يسري بجريانه كما قيل جدول لشدة جريه . قال ليبد :

فخوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاوز أقدامها (١)
وقال آخر :

سلم ترى الدالي منه ازورا إذا يبعج في السري هر هرا (٢)
وقوله « وهزي اليك بجذع النخلة » معناه هزي النخلة اليك ، ودخلت الباء تأكيذاً ، كما قال تعالى « تذبذب بالدهن » (٣) . قال الشاعر :

نضرب بالبيض ونرجوا بالفرج (٤)

أي نرجو الفرج ، وقال آخر :

بواديمان يذبت الصدر صدره وأسفله بالارخ والشبهان (٥)
وفي رواية يذبت الشث حوله . وقوله « تساقط عليك » من شدد، أراد تساقط فادغم احد التاهين في السين ، ومن خفف حذف احد التاهين . ومن قرأ - بالياء -

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٤٧ والقرطبي ١٢ / ٩٤

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٩٤ وروايته (يعب) بدلا (يبعج)

(٣) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٢٠ (٤) قائله النابغة الجعدي تأويل

مشكل القرآن لابن قتيبة : ١٩٣ (٥) تفسير الطبري ١٦ / ٤٨

أسند الفعل إلى الجذع . ومن قرأ - بالتاء - أسنده إلى النخلة . ومن قرأ تساقط أراد
من المساقطة . وقرأ أبو حيويه ﴿ تسقط عليك ﴾ . وروي عنه (يسقط) وهو شاذ
والمعاني متقاربة . وقال أبو علي : من قرأ ﴿ تساقط ﴾ عدى (فاعل) : كما عدى
(يتفاعل) وهو مطاوع (فاعل) قال الشاعر :

تطالعنا خيالات لسلي كما يتطالع الدين الغريم (١)

وانشد أبو عبيدة :

نخاطات النبل أحشاه وأخريومي فلم أعجل (٢)

قال في موضع (اخطأت) كقوله ﴿ فان طبن لكم عن شيء منه نفساً ﴾ (٣)
ومعنى الآية يتوقع عليك رطباً جنياً . والجني المجني (فعيل) بمعنى (مفعول) وهو
المأخوذ من الثمرة الطرية ، اجتناه اجتناء إذا اقتطعه ، قال ابن اخت جذيمة :

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده الي فيه (٤)

وفي نصب ﴿ رطباً ﴾ قولان :

أحدهما - قال المبرد : هو مفعول به ، وتقديره هزي بجذع النخلة رطباً

تساقط عليك .

وقال غيره : هو نصب على التمييز والعامل فيه تساقط .

وقال أبو علي : يجوز أن يكون نصباً على الحال ، وتقديره تساقط عليك ثمر

النخلة رطباً ، فحذف المضاف الذي هو الثمرة ، ونصب رطباً على الحال .

وقيل : لم يكن للنخلة رأس وكان في الشتاء ، فجعله الله تعالى آية ، وانما تمت

الموت قبل تلك الحال التي قد علمت انها من قضاء الله لكراحتها أن يعصى الله ببيها

(١) البيت في مجمع البيان ٣ / ٥٠٧ (٢) مر تخريجها في ٦ / ٤٧٢ من هذا الكتاب

(٣) سورة ٤ النساء آية ٣ (٤) تفسير الطبري ١٦ / ٤٩

إذا كان الناس يتسرعون إلى القول فيها بما يسخط الله . وقال قوم : أنها قالت ذلك بطبع البشرية خوف الفضيحة . وقال قوم : المعنى في ذلك أنني لو خبرت قبل ذلك بين الفضيحة بالحلل والموت لا خبرت الموت .

واختلفوا في مدة حمل عيسى ، فقال قوم : كان حمله ساءة ووضعت في الحال . وقال آخرون : حملت به ثمانية أشهر ولم يعش مولود ثمانية أشهر غيره (ع) ، فكان ذلك آية له . وفي بعض الروايات أنه ولد لسته أشهر . وقوله « فاجأها المخاض » يدل على طول مكث الحمل ، فإما مقداره فلا دليل يقطع به .

قوله تعالى :

﴿ فَكَلِمَاتٍ وَأَشْرَافِي وَقَرِي عَيْنًا فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ
أَحَدًا (٢٥) فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا
فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ مُنْكَلِمٌ مَن كَانَ فِي الْأَسْهِدِ
صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) ﴾
خمس آيات بلاخلاف .

لما قال جبرائيل لمريم « هزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » قال لها بعد ذلك « فكلي » من ذلك الرطب « واشربي » من السري « وقرني »

عيناً « ونصبه على التمييز كقوله « فان طبن لكم عن شيء منه نفساً » (١) وقيل في معنا « قري عيناً » قولان : احدهما - لتبرد عينك برد سرور بما ترى .
الثاني - لتسكن سكون سرور برؤيتها ما تحب ، يقال قررت به عيناً أقر قروراً وهي لغة قريش . وأهل نجد يقولون : قررت به عيناً - بفتح العين - أقر قراراً ، كما يقولون قررت بالمكان - بالفتح .

وقوله ﴿ فاما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوماً ﴾ قال الجبائي : كان الله تعالى أمرها بأن تنذر لله تعالى الصمت ، فاذا كملها احد تومي بأنها نذرت صوماً صمتاً ، لانه لا يجوز ان يأمرها بان تخبر بانها نذرت ولم تنذر ، لأن ذلك كذب . وقال انس بن مالك وابن عباس والضحاك : تريد بالصوم الصمت . وقال قتادة : يعني صمتاً عن الطعام والشراب والكلام أي إمساكاً . وانما أمرها بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يرى . ساحتها - في قول ابن مسعود وابن زيد ووهب ابن منية وقيل : من كان صام في ذلك الوقت لا يكلم الناس ، فاذن لها في هذا المقدار من الكلام ، في قول السدي .

فان قيل كيف تكون نذرت الصمت وألا تكلم أحداً مع قولها واخبارها عن نفسها بانها نذرت وهل ذلك إلا تناقض ؟
قيل من قال : انه أذن لها في هذا القدر فحسب ، يقول : انها نذرت لانكلم بما زاد عليه . ومن قال : انها نذرت نذراً عاماً ، قال : أومت بذلك ولم تتلفظ به . وقيل : أمرها الله أن تشير اليهم بهذا المعنى ، وانها ولدته بناحية بيت المقدس ، وفي موضع يعرف بـ (بيت لحم) .

(١) سورة ٤ النساء آية ٣

﴿ ج ٧ م ١٦ من التبيان ﴾

ثم اخبر الله تعالى عن حال مريم أنها اتت بعيسى الى قومها تحمله ، فلما رأوها
قالوا لها « لقد جئت شيئاً فرياً ، أي عملاً عجيباً قال الراجز :

قد اطعمتني دقلاً حولياً مسوساً مدوداً حجرياً

قد كنت تفرين به الفرياً (١)

قال قتادة ومجاهد والسدي : معنى الفري العظيم من الأمر . وقيل الفري

القبيح من الاقتراء ، فقال لها قومها « يا اخت هارون » وقيل في هارون الذي

نسبت اليه بالاخوة أربعة أقوال :

فقال قتادة : وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي (ص) : انه كان

رجلاً صالحاً في بني اسرائيل ينسب اليه من عرف بالصلاح .

وقال السدي : نسبت الى هارون أخي موسى (ع) لأنها كانت من ولده

كما يقال يا أخا بني فلان .

وقال قوم : كان رجلاً فاسقاً معلناً بالفسق ، فنسبت اليه .

وقال الضحاك : كان أخاها لا يبيها وأمها ، وكان بنو اسرائيل يسمون أولادهم باسماء

الأنبياء كثيراً . وقوله « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغياً » اي لم يكن

أبوك إلا صالحين ، ولم يكونا فاجرين ، فكيف خالفتيهما « فاشارت اليه » اي أومأت

عند ذلك مريم الى عيسى (ع) أن كلوه ، واستشهدوه على براءة ساحتي « فقالوا »

في جوابها « كيف نكلم من كان في المهدي صيباً » قال قوم : دخلت (كان) ههنا زائدة

ونصب (صيباً) على الحال . وانشد أبو عبيدة في زيادة (كان) :

الى كناس كان مستعدة

وقال آخر :

فكيف إذا رأيت ديار قومي وجيران لنا كانوا كرام (١)
والمعنى وديار جيران كرام و (كانوا) فضلة . فلذلك لم تعمل . وقيل معنى
(كان) صار وانشد زهير :

اجزت اليه حرة أرجية وقد كان لون الليل مثل الارندج
اي قد صار . وقال المبرد : معنى (كان) حدث . وقال الزجاج : معناه على
الشرط ، وتمديره من كان في المهد صيماً كيف نكلمه على التقديم والتأخير . وقال
فتادة : المهد حجر أمه ، واصله ما وطىء للصبي . وقيل : انهم غضبوا عند اشارتها الى
ذلك وقالوا : لسخرت بها بنا أشد علينا من زناها ، فلما تكلم عيسى ، قالوا : إن هذا الامر
عظيم - ذكره السدي - فقال عيسى (ع) عند ذلك « اني عبد الله آتاني الكتاب »
فالعكرمة : معناه فيما مضى « وجعلني نبياً » لان الله أكمل عقله وأرسله الى عباده
ولذلك كانت له تلك المعجزة - في قول الحسن وابي علي الجبائي - وقال قوم :
معناه « اني عبد الله » سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً فيما بعد ، وكان ذلك معجزة
لمريم على براءة ساحتها على قول من أجاز اظهار المعجزات على يد غير الانبياء من
الصالحين . وقال ابن الاخشاذ : كان ذلك إنذاراً لنبوته . وقال الجبائي معنى
« وجعلني نبياً » أي وجعلني رفيعاً لان النبي هو الرفيع .

قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِيَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٣١) وَبَرَّآ بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)

(١) قائله الفرزدق . ديوانه (دار بيروت) ٢ / ٢٩٠ وقد مر في ٣ / ١٥٥

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ
 أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ (٣٥) خمس آيات بلاخلاف .

قرأ الكسائي « آتاني ، واوصاني » بالامالة . الباقون بالتفخيم ، فمن أمال ، فلان
 هذه الألف تنقلب ياء في (أوصيت) فأمال لمكان الياء . ومن لم يمل ، فلمكان الألف .
 والامالة في (آتاني) احسن من الامالة في (أوصاني) لأن في (أوصاني) حرفاً مستعليماً
 يمنع من الامالة ، ومع ذلك ، فهو جائز كسفي وطغي . وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب
 « قول الحق » بالنصب على المصدر . الباقون بازفع على أنه خبر الابتداء . وتقديره
 ذلك الذي تلوناه من صفته « قول الحق » وقيل هو تابع لـ (عيسى) كأنه قيل كلمة الحق
 وروي عن عبد الله أنه قرأ « قول الحاقق » بمعنى قول الحق ومعناه يحق نحو العاب
 والعيب والذام والذيم .

لما حكى الله تعالى عن عيسى أنه قال لقومه « اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
 نبياً » أخبر أنه قال « وجعلني مباركا » قال مجاهد : معناه معلماً للخير اينما كنت .
 وقيل نفاعاً ، والبركة نماء الخير ، والمبارك الذي ينمي الخير به . والتبرك طلب البركة
 بالشيء . وأصله التبرك من البرك وهو ثبوت الطير على الماء .

وقوله « واوصاني بالصلاة والزكاة » معناه أمرني بهما . والوصية التقدم في
 الأمر الذي يكون بعدما وقتله ، كتقدم الانسان في التدبير بعد خروجه ، وكتقدمه
 في أموره بعد موته . والصلاة في أصل اللغة: الدعاء ، وفي الشرع عبارة عن هذه العبادة

التي فيها الركوع والسجود . وقيل عبارة عن عبادة افتتاحها التكبير وخاتمها التسليم .
وقيل في معنى الزكاة - هبنا - قولان : احدها - زكاة المال . والثاني - التطهير
من الذنوب .

« ما صحت حياً ، أي أوصاني بذلك مدة حياتي » وبرا بوالدتي « أي واوصاني
بأن أكون باراً بوالدتي أي محسناً إليها » ولم يجعلني جباراً « أي متجبراً ، لم يحكم علي
بالتجبر ، والشقاء ، ولم يسمني بذلك « والسلام علي » أي والرحمة من الله بالسلامة
والنعمة بها علي « يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حياً » .

وقوله « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق » أي الذي تلوناه من صفة عيسى
« قول الحق » أي كلمة الحق « الذي فيه يمترون » أي يشكون فيه « ما كان لله أن
يتخذ من ولد » اخبار منه تعالى بأنه لم يكن لله أن يتخذ من ولد علي ما يقوله النصارى .
ثم قال منزها لنفسه عن ذلك « سبحانه إذا قضى امرأً فانما يقول له كن فيكون »
أي يفعله لا يشق عليه بمنزلة ما يقال كن فيكون ، وقد بينا فيما مضى وحكيما ما قال
بمضمون إن قول (كن) عند خلق ما يريد خلقه ليعلم الملائكة أنه لا يتعذر عليه شيء
يريد فعله .

والسلام مصدر سلمت سلاماً ، ومعناه عموم العافية والسلامة . والسلام جمع سلامة .
والسلام اسم من أسماء الله وسلام يبدأ به في النكرة ، لأنه يكثر استعماله ، تقول : سلام عيكم
والسلام عليكم ، وأسماء الاجناس يحسن الابتداء بها ، لأن فائدتها واحدة ، ولما جرى
ذكر (سلام) أعيد - هبنا - بالألف واللام ليرد على الاول .

قوله تعالى :

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوْنًا لَكِنِ الظَّالِمُونَ
 الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ
 وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ
 عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) خمس آيات بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع ويعقوب إلا روحاً « وأن الله » بفتح الهمزة
 الباقون بكسرها . من نصب الهمزة احتمل أربعة أوجه :

أحدها - إن المعنى وقضى الله « أن الله ربي وربكم » في قول أبي عمرو بن العلاء
 والثاني - أنه معطوف على كلام عيسى ، أي وأوصاني « أن الله ربي وربكم »
 والثالث - قال الفراء : إنه معطوف على « ذلك عيسى بن مريم » وذلك
 « أن الله » . ويكون موضعه الرفع بأنه خبر المبتدأ .

الرابع - ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه . والعامل فيه (فاعبدوه) .
 ومن كسر (إن) استأنف الكلام . ويقوي الكسر أنه روي أن أياً قرأ
 « أن الله » بلا واو ويجوز أن يكون عطفاً على قوله « قال أنى عبد الله » وقوله « هذا
 صراط مستقيم » معناه عبادتكم لله وحده لا شريك له هو الصراط المستقيم الذي
 لا اعوجاج فيه .

وقوله « فاختلف الأحزاب من بينهم » فالاختلاف في المذهب هو أن يعتقد
 كل قوم خلاف ما يعتقد الآخرون . والأحزاب جمع حزب . والحزب الجمع
 المنقطع في رأيه عن غيره ، يقال تحزب القوم إذا صاروا أحزاباً . وحزب عليهم

الأحزاب أى جمع . والمعنى فى الآية اختلف الأحزاب من أهل الكتاب فى عيسى (ع) ، فقال قتادة ومجاهد قال قوم : هو الله وهم اليعقوبية . وقال آخرون : هو ابن الله وهم النسطورية . وقال قوم : هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية . وقال قوم : هو عبد الله وهم المسلمون .

ثم قال تعالى « فويل للذين كفروا » بآيات الله ، وجحدوا وحدانته من حضور يوم عظيم يعنى يوم القيامة .

وقوله « اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا » معناه ما أسمعهم وابصرهم على وجه التعجب ، والمعنى انهم حلوا فى ذلك محل من يتعجب منه ، وفيه تهدد ووعيد أن سيسمعون ما يصدع قلوبهم ويردون ما بهيلهم . وقال الحسن و قتادة : المعنى لأن كانوا فى الدنيا صماً عمياً عن الحق ، فما أسمعهم به ، وما أبصرهم به يوم القيامة « يوم يأتوننا » أى يوم يأتون المقام الذى لا يملك أحد فيه الامر والنهي غير الله .

ثم قال تعالى « لكن الظالمون » انفسهم بار تكلم معاصيه وجحد آياته والكفر بأنبيائه « اليوم » يعنى فى دار الدنيا « فى ضلال » عن الحق وعدول عنه « بعيد » من الصواب . ثم قال لنبيه (ص) « وانذرهم » يا محمد أى خوفهم هول « يوم الحسرة » أى اليوم الذى يتحسر فيه الناس على ما فرطوا فيه من طاعة الله ، وعلى ما ارتكبوا من معاصيه فى الوقت الذى « قضى الامر » وحكم بين الخلائق بالعادل « وهم فى غفلة » اليوم عما يفعل بهم من العقاب على معاصيهم ، وهم لا يصدقون بما يقال لهم ويخبرون به . ثم اخبر تعالى عن نفسه ، فقال « انانحن نرث الارض ومن عليها » أى يعود! اينما التصرف فى الارض وفيمن عليها من العقلاء ، وغيرهم ، لا يبقى لاحد ملك « والينا يرجعون » أى يردون يوم القيامة الى الموضع الذى لا يملك الامر والنهي غيرنا .

قوله تعالى:

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١)
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ
 شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي
 أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
 كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ
 مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) ﴾ خمس آيات في الكوفي
 والبصري، وست آيات في المدنيين عدوا « في الكتاب ابراهيم » آية .

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يذكر ابراهيم في الكتاب الذي هو القرآن، وسماه
 كتاباً، لأنه مما يكتب. والمعنى اقصص عليهم أو اتل عليهم. وكذلك فيما بعد. ثم قال « انه »
 يعني ابراهيم « كان صديقاً نبياً » والصديق هو الكثير التصديق بالحق حتى صار علماً
 فيه . وكل نبي صديق لكثرة الحق الذي يصدق فيه مما هو علم فيه وامام يقتدى به . من
 توحيد الله وعدله ، حين « قال لأبيه يا أبت » والاصل يا ابني ، لخذف ياء الاضافة
 وبقيت كسرة التاء تدل عليها . وقيل ان التاء دخلت للمبالغة في تحقيق الاضافة ، كما
 دخلت في (علامة ، ونسابة) للمبالغة في الصفة . ومثله يا أمت . والوقف بالتاء لهذه
 العلة . واجاز الزجاج الوقف بالهاء . وقيل ان التاء عوض من ياء الاضافة .

وقوله « لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً » من امور الدنيا

وإنما هو حجر منقور ، أو صنم معمول « يا أبت إني قد جاءني من العلم » بمعرفة الله وتوجيهه ووجوب اخلاص العبادة له ، وقبح الاشراك « ما لم يأتك فاتبعني » على ذلك واقتد بي « اهدك صراطاً سوياً » معتدلاً غير جائر بك عن الحق الى الضلال « يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً » اي عاصياً (فاعيل) بمعنى فاعل .

« يا ابت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن » قال الفراء : أخاف بمعنى أعلم ههنا - ومثله « فخشينا أن يرهقهما » (١) أي علمنا « أن يمسك » أي يلحقك عذاب من الله على إشرارك معه في العبادة غيره . ومتى فعلت ذلك كنت ولياً للشيطان وناصرآ ومساعدآ ، ونصب « فتكون » عطفاً على « ان يمسك » . وقيل : إن معناه أنه يلزمك ولاية الشيطان لمبادتك له ذمماً لك وتقريراً ، إذا ظهر عقاب الله لك ، وسخطه عليك . وقيل : فتكون موكولاً الى الشيطان ، وهو لا يغني عنك شيئاً . وقال قوم : هذه المخاطبة من ابراهيم كان لأبيه الذي هو والده . والذي يقوله اصحابنا انه كان جده لأمه ، لأن آباء النبي (ص) كلهم كانوا مسلمين الى آدم ، ولم يكن فيهم من يعبد غير الله تعالى ، لقوله (ص) (لم يزل الله ينقلني من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات) والكافر لا يوصف بالطهارة ، لقوله تعالى « إنما المشركون نجس » (٢) قالوا وابوه الذي ولده كان اسمه تارخ . وهذا الخطاب منه كان لآزر قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٨١ (٢) سورة ٩ التوبة آية ٢٩

(ج ٧ م ١٧ من التبيان)

لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرُنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ
 رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزْتُ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَ لَهُمْ
 وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا
 نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ
 عَلِيًّا ﴿ (٥٠) خمس آيات بلاخلاف .

لما حكى الله تعالى ما قال ابراهيم لأبيه، وتوبيخه له على عبادة الاصنام، وتقريعه
 اياه على ذلك، حكى في هذه الآيات ما أجاب به أبوه، فانه قال له يا ابراهيم « اراغب
 أنت عن آلهي » ومعناه ازاهد في عبادة آلهي، والرغبة اجتلاب الشيء، لما فيه من
 المنفعة. والرغبة فيه تقيض الرغبة عنه. والترغيب الدعاء الى الرغبة في الشيء. ثم قال
 له مهدداً « لئن لم تنته » أي لم تمتنع من ذلك، يقال نهاه فانتهى. واصله النهاية،
 فالنهي زجر عن الخروج عن النهاية المذكورة. والتناهي بلوغ نهاية الحسد. وقوله
 « لا رجمنك » قال الحسن: معناه لارمينك بالحجارة حتى تباعد عني. وقال السدي
 وابن جريج والضحاك: معناه لأرمينك بالذم والعيب. وقوله « واهجرني ملياً » قيل في
 معناه قولان:

قال الحسن ومجاهد « ملياً » دهرأ [قال الفراء: ويقال: كنت عنده ملووة وملووة وملووة
 - بتثليث الميم - وملووة بالفتح وملووة بالضم أي] (١) دهرأ ملووة، وكله من طول المقام

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

وبه قال سعيد بن جبير والسدي ، وهو بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه .
 والثاني - قال ابن عباس وقتادة وعطية والضحاك : معنى « مليا » سوياً سليماً
 من عقوبتي ، وهو من قولهم : فلان مليّ بهذا الأمر إذا كان كامل الأمر فيه
 مضطرباً به ، فقال له إبراهيم « سلام عليك » أي سلامة عليك ، أي اكرام وبر بحق الأبوة
 وشكر التربية . وقال ذلك على وضع التواضع له ولين الجانب لموضعه « سأستغفر لك
 ربي » قال قوم : إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ، ولم يكن قد استقر بعد فبح
 الاستغفار للمشركين . وقال قوم : معناه سأستغفر لك إذا تركت عبادة الأوثان
 وأخلصت العبادة لله تعالى . ومعنى قوله « انه كلت بي حفيأ » إن الله كان عالماً بي
 لطيفاً ، والحفي اللطيف بعموم النعمة ، يقال : تحفني فلان إذا أكرمني وألطفني ، وحفي فلان
 بفلان حفاوة إذا بره وألطفه . والحفي أذى يلحق باطن القدم للطفه عن المشي بغير نعل
 ثم قال : وأعتزلكم « أي اتنحى عنكم جانباً ، واعتزل عبادة » ما تدعون من

دون الله . وادعوا ربي « وحده » عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً .
 وقوله ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ قيل انه اعتزلهم بأن خرج
 الى ناحية الشام ﴿ وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً ﴾ أي لما اعتزلهم آنسنا
 وحشته بأولاد كرام على الله رسل الله ، وجعلناهم كلهم أتبياء . معظمين ﴿ ووهبنا لهم
 من رحمتنا ﴾ أي من نعمتنا ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ قال ابن عباس والحسن :
 معناه الثناء الجميل الحسن من جميع أهل الملل ، لان أهل الملل على اختلافهم يحسنون
 الثناء عليهم ، وتقول العرب : جاءني لسان من فلان تعني مدحه أو ذمه قال عامر
 ابن الحارث :

اني اتنني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر

جاءت مرة بجة قد كنت احذرها لو كان ينبغي الاشفاق والحذر (١)
وقيل: معناه انا جعلناهم رسل الله يصدقون عليه أعالي الصفات.
قوله تعالى:

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا
نَبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢)
وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ
إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَا مُرُ
أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) خمس
آيات بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة إلا ابا بكر ﴿ مخلصاً ﴾ - فتح اللام - بمعنى اخلصه الله للنبوة.
الباقون - بالكسر - بمعنى اخلص هو العبادة لله .

يقول الله تعالى لنبيه محمد (ص) ﴿ واذكر ﴾ موسى ﴿ في الكتاب ﴾ الذي
هو القرآن . وسماه كتاباً لما ذكرناه: أنه يكتب . واخبر أن موسى كان مخلصاً بطاعته
وجه الله تعالى دون رياء الناس ، وأنه لم يشرك في عبادته سواه . ومن فتح اللام أراد
ان الله اخلصه لطاعته بمعنى أنه لطف له ما اختار عنده اخلص الطاعة . وأنه لم يشب
ذلك بمعصيته له ، وأنه مع ذلك كان رسولاً لله تعالى الى خلقه ، قد حمله رسالة يؤذيها
اليهم ﴿ وكان نبياً ﴾ وهو العلي برسالة الله الى خلقه ، وبما نصب له من المعجزة الدالة

على تعظيمه وتبجيله ، وعظم منزلته . وهو مأخوذ من النبأ ، وهو الخبر بالأمر العظيم .
ثم اخبر الله تعالى انه ناداه ﴿ من جانب الطور الأيمن ﴾ فانه قال له ﴿ اني انا
الله رب العالمين ﴾ والطور جبل بالشام ناداه من ناحيته اليمنى ، وهو يمين موسى (ع) .
وقوله ﴿ وقربناه نجياً ﴾ معناه قربناه من الموضع الذي شرفناه وعظمناه بالحصول فيه
ليسمع كلامه تعالى . وقال ابن عباس ومجاهد: قرب من اهل الحجب حتى سمع صريف
القلم . وقيل معناه إن محله منا محل من قربه مولاه من مجلس كرامته . وقيل قربه حتى
سمع صريف القلم الذي كتب به التوراة . وقوله ﴿ نجياً ﴾ معناه انه اختصه بكلامه بحيث لم
يسمع غيره . يقال : ناجاه بناجيه مناجاة إذا اختصه بالقاء كلامه اليه . واصل النجوة
الارتفاع عن الهلكة ، ومنه النجاة ايضاً ، والنجاء السرعة ، لأنه ارتفاع في السير ، ومنه
النجاة . وقال الحسن : لم يبلغ موسى (ع) من الكلام الذي ناجاه شيئاً قط . ثم
اخبر تعالى انه وهب له من رحمته ونعمته عليه اخاه هارون نبياً ، شد أزره كما سأله .
ثم قال لنبيه محمد (ص) ﴿ واذكر في الكتاب ﴾ الذي هو القرآن ايضاً
﴿ اسماعيل ﴾ ابن ابراهيم وأخبر ﴿ انه كان صادق الوعد ﴾ بمعنى إذا وعد بشيء ،
وفي به ، ولم يخلف ﴿ وكان ﴾ مع ذلك ﴿ رسولا ﴾ من قبل الله الى خلقه ﴿ نبياً ﴾
معظماً بالاعلام المعجزة . وأنه « كان يأمر اهله بالصلاة والزكاة » قال الحسن : أراد
بأهله أمته ، والمفهوم من الأهل في الظاهر اقرب أقاربه . و « كان » مع هذه
الأوصاف « عند ربه مرضياً » قد رضي اعماله لانها كلها طاعات لم يكن فيها قبائح .
وانما أراد بذلك افعاله الواجبات والندوبات دون المباحات ، لان المباحات لا يرضاهما
الله ولا يسخطها . واصل (مرضي) مرضو فقلبت الضمة كسرة والواو ياء وادغمت
في الياء .

قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦)
 وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
 مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ
 وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا
 وَبُكِيًّا (٥٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
 الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٦٠) خمس آيات .

يقول الله تعالى لنبيه محمد (ص) « اذكر في الكتاب » الذي هو القرآن
 « إدريس » واخبر أنه كان كثير التصديق بالحق ، وكان « نبياً » معظماً مجلماً مؤيداً
 بالمعجزات الباهرة . ثم أخبر تعالى أنه رفعه مكاناً علياً . قال انس بن مالك : رفعه الله
 الى السماء الرابعة . وروى ذلك عن النبي (ص) وبه قال كعب ومجاهد ، وابو سعيد
 الخدري . وقال ابن عباس والضحاك : رفعه الله الى السماء السادسة .

واصل الرفع جعل الشيء في جهة العلو ، وهي تفيض السفلى ، يقال : رفعه
 يرفعه رفعاً ، فهو رافع وذلك مرفوع . والعلي العظيم العلو والعالي العظيم فيما يقدر به
 على الأمور ، فلذلك وصف تعالى بأنه علي . والفرق بين العلي والرفيع أن العلي قد
 يكون بمعنى الاقتدار وعلو المكان و (الرفيع) من رفع المكان لا غير . ولذلك

لا يوصف تعالى بأنه رفيع . وقوله « رفيع الدرجات » (١) انما وصف الدرجات بأنها رفيدة . وانما أخذ من علو معنى الصفة بالاعتداد ، لأنها بمنزلة العالي المكن .
ثم اخبر تعالى عن الانبياء الذين تقدم وصفهم فقال « اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين » فان حملنا (من) على التبويض لم تدل على أن من عداهم لم ينعم عليهم ، بل لا يمتنع أن يكون انما افردهم بأنه انعم عليهم نعمة مخصوصة عظيمة رفيدة ، وإن كان غيرهم ايضاً قد أنعم عليهم بنعمة دونها . وإن حملنا (من) على انها لتبيين الصفة لم يكن فيه شبهة . لأن معنى الآية يكون اولئك الذين أنعم الله عليهم من جملة النبيين .

وقوله « من ذرية آدم » [لان الله تعالى بعث رسلا ليسوا من ذرية آدم بل هم من الملائكة كما قال « بصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ، (٢) وقوله « ومن حملنا ، في السفينة » مع نوح « أي ابوه نوح وهو من ذرية آدم كما قال : (٣) « ومن ذرية ابراهيم واسرائيل » يعنى يعقوب « ومن هدينا » هم الى الطاعات فاهتدوا اليها واجتبيناهم اي اخترناهم واصطفيناهم « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن » اي أعلامه وادلته « خروا سجدا وبكيا » أي سجدوا له تعالى وبكوا ، وبكى جمع بك ونصبها على الحال ، وتقديره : خروا ساجدين باكين . وبكى (فعول) ويجوز ان يكون جمع بك على (فعول) . ويجوز ان يكون مصدرأ بمعنى البكاء . قال الزجاج : لا يجوز النصب على المصدر ، لأنه عطف على قوله « سجداً » . وانما فرق ذكر نسبهم ، وكلهم لآدم ، لبيان مراتبهم في شرف النسب ، فكان لادريس شرف القرب من آدم ، لأنه جد نوح . وكان ابراهيم من ذرية من حمل مع نوح ، لأنه من ولد سام بن نوح . وكان اسماعيل

(١) سورة ٤٠ المؤمن آية ١٥ (٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٥

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

واسحاق ويعقوب من ذرية ابراهيم ، لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف ابراهيم ،
وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل ، لأن مريم من
ذريته . وقيل انما وصف الله صفة هؤلاء الانبياء ليقتدي بهم ويتبع آثارهم في اعمال الخير
ثم اخبر تعالى انه خلف من بعد المذكورين خلف . والخلف - بفتح اللام -
يستعمل في الصالحين . وتسكين اللام في الطالح قال ليدي :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب (١)

وقال الفراء والزجاج : يستعمل كل واحد منهما في الآخر .

وفي الآية دلالة على أن المراد بالخلف من لم يكن صالحاً ، لانه قال « أضعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات » وقال القرطبي : تركوها . وقال ابن مسعود وعمر بن عبد
العزيز : أخروها عن مواقيتها . وهو الذي رواه أصحابنا . وقال قوم خلف - بفتح
اللام - إذا خلف من كان من أهله - وبسكون اللام - إذا كان من غير أهله .
ثم قال تعالى « فسوف يلقون غياً » والغى الشر والخفية - في قول ابن عباس وابن
زيد - قال الشاعر :

فمن يلق خيراً بحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لا ثماً (٢)

اي من ينجب . وقال عبد الله بن مسعود : الغي واد في جهنم . وقيل معناه
ياقون مجازاة غيرهم . ثم استثنى من جملتهم من يتوب فيما بعد ويرجع الى الله ويؤمن
به ويصدق أنبياءه ، ويعمل الاعمال الصالحة من الواجبات والمندوبات ، ويترك القبائح
فان « اولئك يدخلون الجنة » من ضم الياء أراد أن الله يدخلهم الجنة بأن يأمرهم
بدخولها ، فضم لقوله « ولا يظلمون » ليتطابق اللفظان . ومن فتح الياء أراد أنهم

(١) مر تخريجه في ٥ | ٢٥ من هذا الكتاب

(٢) مر هذا البيت في ٢ / ٣١٢ ، ٤ / ٣٩١ ، ٥ / ٥٤٨ ، ٦ / ٣٣٦

يدخلون بأمر الله . والمعنيان واحد . وقوله « ولا يظلمون شيئاً » معناه لا يبخسون شيئاً من ثوابهم بل يوفى عليهم على التمام والوفاء .
قوله تعالى :

﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) خمس آيات بلا خلاف .

« جنات » في موضع نصب بدلا من قوله « الجنة » في قوله « يدخلون الجنة » وكان يجوز الرفع بتقدير هي جنات . والجنة البستان الذي يحته الشجر ، فاذا لم يكن في البستان شجر ، ويكون من خضرة ، فهو روضة ، ولا يسمى جنة . وإنما قيل « جنات » على لفظ الجمع ، لان كل واحد من المؤمنين له جنة تجتمعها الجنة العظمى . والعدن الاقامة يقال : عدن بالمكان يعدن عدنا اذا اقام به . والاقامة كون بالمكان على مرور الازمان . والوعد الاخبار بما يتضمن فعل الخير ، ونقيضه الوعيد ، وهو الاخبار عن فعل الشر . وقد يقال : وعدته بالشر ، ووعدته بالخير ، وأوعدته بالشر . وأوعدته

﴿ ج ٧٢ م ١٨ من التبيان ﴾

لا يكون إلا في الشر ، والمراد بالوعد ههنا - الموعد . ومعنى ما تيامفمولا . ويجوز في مثل هذا (آتياً) و (ماتياً) لأن ما أتيت ، فقد أتاك ، وما أتاك فقد أتيت ، كما يقال أتيت على خمسين سنة وأتت عليّ خمسون سنة . وقيل معناه إنه كقولك أتيت خير فلان وأتاني خير فلان .

وقوله « بالغيب » معناه أن الجنة التي وعدهم بها ليست حاضرة عندهم بل هي غائبة . وقوله « لا يسمعون فيها لغواً » معناه لا يسمعون في تلك الجنة القول الذي لا معنى له يستفاد ، وهو اللغو . وقد يكون اللغو الهذر من الكلام . واللغو ، واللغا بمعنى واحد قال الشاعر :

عن اللغا ورفث التكلم (١)

وقوله « إلاماً » يعني لكن سلاماً ونحية من بعضهم لبعض ، قال أبو عبيدة : تقديره لا يسمعون فيها لغواً إلا أنهم يسمعون سلاماً . وقال الزجاج : المعنى لا يسمعون كلاماً يؤثمهم إلا كلاماً يسلمهم ، فيكون استثناء منقطعاً .

وقوله « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » قيل معناه في مقدار اليوم من أيام الدنيا ، فذكر (الغداة والعشي) ليدل على المقدار ، لأنه ليس في الجنة ليل ، ولا نهار . وقيل : إنما ذكر ذلك ، لأن اسم الأكلات اكلة الغداة والعشي ، فهو اسم الأكل دائماً أي وقت وجده ، أو تكون اكلته واحدة .

وقوله « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » معناه إنما نملك تلك الجنة من كان تقياً في دار الدنيا بترك المعاصي ، وفعل الطاعات . وإنما قال « نورث » مع أنه ليس بتملك نقل من غيرهم اليهم ، لأنه مشبه بالميراث من جهة أنه تملك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا . كما ينقض حال الميت من أمر الدنيا .

(١) مر تخريجها في ٢ / ١٣٢ ، ١٦٤ ، ٢٣٠

وقيل : انه أورثهم من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا .

وقوله « وما تنزل إلا بأمر ربك » قيل في معناه أن النبي (ص) استبطأ جبرائيل (ع) فقال (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا) فاتاه بهذا الجواب وحيامن الله بأننا لننزل إلا بأمر الله ، وهو قول ابن عباس والربيع وقتادة والضحاك ومجاهد وابراهيم .

وقوله « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك » قال ابن عباس والربيع وقتادة والضحاك وأبو العالصة : له ما بين أيدينا : الدنيا ، وما خلفنا : الآخرة ، وما بين ذلك : ما بين النفختين .

وقوله « وما كان ربك نسيا » أي ليس الله تعالى ممن ينسى ويخرج عن كونه عالماً ، لانه عالم لنفسه ، وتقديره - ههنا - وما نسيتك وإن أخر الوحي عنك .
وقوله « رب السموات والارض » معناه إن الله تعالى هو المالك المتصرف في السموات والارض ، ليس لأحد منعه منه « وما بينهما ما » يعني وله ما بين السموات والارض .

ثم قال لنبيه (ص) « فاعبده » وحده لا شريك له « واصطبر لعبادته » أي اصبر على تحمل مشقة عبادته ، وقال لنبيه (ص) « هل تعلم له سمياً » أي مثلاً وشبهاً . وهو قول ابن عباس ومجاهد وابن جريج . وقيل المعنى انه لا يستحق احد ان يسمى إلهاً إلا هو . ومن أدغم اللام في التاء ، فلان مخرج اللام قريب من مخرج التاء . وقال ابو علي : ادغام السلام في الطاء والذال والتساء والصاد والزاي والسين جائز لقرب مخرج بعضها من بعض .

قوله تعالى :

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مَاتَ كَسَوَفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْلَا
يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ
لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨)
ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩)
ثُمَّ لَنَخْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ (٧٠) خمس آيات
بلا خلاف.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم «أولا يذكر» خفيفاً. الباقون بالتشديد. من شدد:
أراد أولاً يتذكر، فادغم التاء في الذال لقرب مخرجيهما. ومن خفف، فلقوله «فن
شاء ذكره» (١) والخفيفة دون ذلك في الكثرة في هذا المعنى. هذا حكاية من الله
تعالى عن قول من ينكر البعث والنشور من الكفار، وهم المعنيون بقوله «أولا يذكر
الإنسان» بأنهم يقولون على وجه الإنكار والاستبعاد: «إذا متنا يخرجنا الله أحياء
ويعيدنا كما كنا؟! فقال الله تعالى منبها على دليل ذلك «أولا يذكر الإنسان» .
من شدد أراد أولاً يتفكر، ومن خفف أراد أولاً يعلم «أنا خلقناه من قبل» هذا «ولم
يك شيئاً» موجوداً، فمن قدر على أن يخلق ويوجد ما ليس بشيء، فيجعله شيئاً
موجوداً، فهو على إعادته بعد عدمه إلى الحالة الأولى أقدر .

ثم أقسم تعالى فقال «فوربك لنحشرنهم» أي لنبعثهم من قبورهم مقرنين

بأوليائهم من الشياطين . ويحتمل (الشياطين) أن يكون نصباً من وجهين :

احدهما - ان يكون مفعولاً به بمعنى ونحشر الشياطين .

الثاني - ان يكون مفعولاً معه بمعنى لنحشر نهم مع الشياطين « ثم لنحضر نهم حول جهنم جيشاً » جمع جائي وهو الذي برك على ركبتيه . وقوله « ثم لنزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » يعني تمرداً أي تبدأ بالأكبر جرماً فالأكبر ، في قول أبي الاحوص ، ومجاهد . والشيعه هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الامور ، ومنه تشايح القوم إذا تعاونوا ، ويقال للشجاع : شيع أي . معان ، وفي رفع (أيهم) ثلاثة اقوال :

أولها الحكاية على تقدير ، فيقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتياً ؟ فليخرج .
الثاني - انه مبني على الضم ، ومعناه الذي هو أشد على الرحمن عتياً ، إلا أنه مبني لما حذف منه (هو) ، واطرد الحذف به فصار كبعض الاسم . فالاول قول الخليل .
والثاني مذهب سيبويه .

والثالث - أن يكون (لنزعن) معلقة كتعليق علمت أيهم في الدار ، وهو قول يونس . وأجاز سيبويه النصب على أن يكون (أي) بمعنى الذي . وذكر انها قراءة هارون الاعرج .

وقوله « ولم يك شيئاً » أي لم يكن شيئاً موجوداً كائناً . ثم أخبر تعالى أنه اعلم بالذين عملوا المعاصي وارتكبوا الكفر والكبائر . والذين هم اولى بالنار صلياً ، لا يخفى عليه خافية .

قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ﴾

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) وَإِذَا تُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرَثِيًّا (٧٤) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا (٧٥) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٦﴾ خمس آيات .

قرأ نافع وابن عامر «وريا» بغير همز . الباقون بهمز ، من همز فعناه المنظر الحسن (فعيل) من الرؤية ، ومن لم يهمز احتمل أن يكون خفف الهمزة كما قالوا في البريئة بربية ويحتمل أن يكون مأخوذاً من الري ، وهو امتلاء الشباب والنظارة ، أي ترى الري في وجوههم . وقرأ أسعید بن جبیر «وريا» جعله من الري وقرى ، بالزاي ، ومعناه ما يترى به . وقرأ ابن كثير «مقاماً» - بضم الميم - الباقون بفتحها . فالمقام - بضم الميم - مصدر الإقامة . وفتحها المكان ، كقوله «مقام إبراهيم» (١) وقرأ يعقوب الحضرمي وعاصم والجدري وابن أبي ليلى وابن عباس «ثم ننجي» بفتح التاء بمعنى هناك ننجي المتقين . والباقون ﴿ثم﴾ بضم التاء حرف عطف .

يقول الله تعالى للمكلفين انه ليس منكم أحد إلا وهو يرد جهنم ، فان الكناية في قوله «إلا واردها» راجعة الى جهنم بلا خلاف ، إلا قول مجاهد ، فانه قال : هي كناية عن الحمى والامراض . وروى في ذلك خبراً عن النبي (ص) عن أبي هريره . وقال قوم : هو كناية عن القيامة . واقوى الاقوال الأول ، لقوله تعالى «ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً» يعني في جهنم .

واختلفوا في كيفية ورودهم اليها ، فقال قوم - وهو الصحيح - : إن ورودهم هو وصولهم اليها واشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها ، لأن الورد في اللغة هو الوصول الى المكان . واصله ورود الماء ، وهو خلاف الصدور عنه . ويقال: ورد الخبر بكذا ، تشبيهاً بذلك . ويدل على أن الورد هو الوصول ان الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى « ولما ورد ماء مدين » وأراد وصل اليه . وقال زهير :

فلما وردت الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم (١)

وقال قتادة وعبدالله بن مسعود : ورودهم اليها، هو مرمم عليها . وقال عكرمة يردها الكافر دون المؤمن ، نخص الآية بالكافرين . وقال قوم شذاذ : ورودهم اليها : دخولهم فيها ولو تحلة القسم . روي ذلك عن ابن عباس وكان من دعائه : اللهم أرزخي من النار سالماً وادخلي الجنة غانماً . وهذا الوجه بعيد ، لان الله قال « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون » (٢) فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من الله يكون بعيداً من النار ، فكيف يكون مبعداً منها مع أنه يدخلها . وذلك متناقض ، فاذا المعنى بوردتهم أشرافهم عليها ، ووصولهم اليها .

وقوله « كان على ربك حتماً مقضياً » معناه إن ورودهم الى جهنم على ما فسرناه حتم من الله وقضاء قضاءه لا بد من كونه . والحتم القطع بالأمر ، وذلك حتم من الله قاطع . والحتم والجزم والقطع بالأمر معناه واحد . والمقضي الذي قضى بأنه يكون . ثم قال تعالى « ثم نبخي الذين اتقوا » معاصي الله وفعلوا طاعاته من دخول النار « ونذر الظالمين » أي ندعهم فيها ونقرهم على حالهم « جثياً » باركين على ركبهم « في جهنم » . ثم قال « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات » اي إذا قرئت على المشركين

(١) هو زهير ابن ابي سلمى . ديوانه (دار بيروت) : ٧٨

(٢) سورة ٢١ الانبياء آية ١٠١

أدلة الله الظاهرة وحججه الواضحة « قال الذين كفروا » بوحدايته وجحدوا
 أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الانكار عليهم « أي الفرقين خير
 مقاماً » أي منزل اقامة في الجنة او في النار « واحسن ندياً » اي مجلساً وقيل معناه
 اوسع مجلساً واحسن ندياً ، فالندي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ، يقال : ندوت
 القوم اندوهم ندواً إذا جمعهم في مجلس . وفلان في ندى قومهم وناديتهم بمعنى واحد
 واصله مجلس الندى وهو الكرم ، وقال حاتم :

ودعوت في اولى الندى ولم ينظر اليّ بأعين خزر (١)

والمراد بالفريقين فريق المشركين وفريق المؤمنين ، فيفتخرون على المؤمنين
 بكثرة نعمهم وحسن احوالهم وحال مجلسهم ، فقال الله تعالى « وكم اهلكنا قبلهم
 من قرن هم احسن ائاناورثيا ، واللائث المتاع والرئي المنظر ، وهو قول ابن عباس .
 وقال ابن الاخر : واحدا للاث ائانة كحمام وحمامة . وقال الفراء : لا واحده ، ويجمع
 ائانة وأئث . ويجوز في « رثيا » ثلاثة اوجه في العربية : رثيا بالهمز قبل الياء ، ورثيا
 يساء قبل الهمزة وهو على قولهم راهني على وزن راعني ، ورثيا بترك الهمزة - في قول
 الزجاج - ويجوز أن يكون من الزاي انشد لابن دريد :

اهاجتك الضغائن يوم بانوا بذى الزى الجميل من الاثا (٢)

ثم قال تعالى لنبيه (ص) « قل » يا محمد « من كان في الضلالة » عن الحق
 والعدول عن اتباعه « فليمدد له الرحمن مداً » أي يمدم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم
 بالعقوبة ، كما قال « ويمدّم في طغيانهم يعمهون » (٣) وانما ذكر بلفظ الامر ليكون

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٧٧ ، واللسان (خزر) (٢) القرطبي ١١ / ١٤٣
 والشوكاني ٣ / ٣٣٦ وقد نسبوه الى (محمد بن عمير الثقفي) وروايته (اشاقتك)
 ويمكن أن يكون هذا غير ذلك . (٣) سورة ٢ البقرة آية ١٥

أكد كأنه ألزم نفسه إلزاماً كما يقول القائل: أمر نفسي ، ويقول من زارني فلا كرمه ،
فيكون ألزم من قوله أكرمه. ويجوز أن يكون أراد « فليمدد له الرحمن مداً » في عذابهم
في النار ، كما قال « ونمد له من العذاب مداً » (١) وقوله « حتى إذا رأوا ما يوعدون »
أي شاهدوا ما وعدهم الله به « إما العذاب » والعقوبة على المعاصي « وإما » القيامة
والمجازاة لكل أحد على ما يستحقه « فسيعلمون » حينئذ ويتحققون « من هو شر
مكاناً وأضعف جنداً » الكفار أم المؤمنين . وفي ذلك غاية التهديد في كونهم على
ما هم عليه . وقيل العذاب - ههنا - المراد به ما وعد المؤمنون به من نصرهم على الكفار
فيعدبونهم قتلاً و اسراً ، فسيعلمون بالنصر والقتل انهم أضعف جنداً من جند النبي
والمسلمين ، ويعلمون بمكانهم من جهنم ومكان المؤمنين من الجنة ، من هو شر مكاناً .

قوله تعالى :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٧) أَمْ أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا
وَقَالَ لَأَوْتِينَ مَالًا وَوَالِدًا (٧٨) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ
عَهْدًا (٧٩) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٨٠)
وَنَرُّهُ مِمَّا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿ (٨١) خمس آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى انه « يزيد الذين اهتدوا » الى طاعة الله واجتناب معاصيه

(١) سورة ١٩ مريم آية ٨٠

(ج ٧ م ١٩ من التبيان)

« هدى » ووجه الزيادة لهم فيه ان يفعل بهم الألفاظ التي يستكثرون عندها الطاعات بما يبينه لهم من وجه الدلالات والامور التي تدعو الى أفعال الخيرات . وقيل : زيادة الهدى هو بإيمانهم بالناسخ والمنسوخ . واخبر تعالى أن « الباقيات الصالحات » وهي فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المعاصي . وقيل : هو قول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد . وروي عن أبي عبد الله (ع) أن الباقيات الصالحات القيام آخر الليل لصلاة الليل والدعاء في الاسحار . وسميت باقيات بمعنى أن منافعتها تبقى وتنفع أهلها في الدنيا والاخرة ، بخلاف ما نفعه مقصور على الدنيا فقط . وقوله « خير عند ربك ثواباً » أي أكثر ثواباً من غيرها . وقيل معناه خير ثواباً من مقامات الكفار التي لها عندهم الافتخار . وقيل : خير من اعمال الكفار على تقدير : إن كان فيها خير . وقوله « وخير مردآ » أي خير نعيماً ترده الباقيات الصالحات على صاحبه ، كأنه ذاهب عنه لفقده له ، فترده عليه حتى يجده في نفسه .

وقوله « أرأيت الذي كفر بآياتنا ، وقال لأوتين مالا وولداً » قيل : نزلت في العاص بن وائل السهمي - في قول ابن عباس ، وخباب ابن الارت ، ومجاهد - وقال الحسن : نزلت في الوليد بن المغيرة ، فإنه قال - استهزاء - لأوتين مالا وولداً في الجنة ، ذكره الكلبي . وقيل أراد في الدنيا ، يعني إن اقتت على دين آبائي وعبادة آلهتي « لأوتين مالا وولداً » .

وقرأ حمزة والكسائي « وولداً » بضم الواو . الباقون بفتحها . وقيل في ذلك قولان :

احدهما - انهما لغتان كالعدم والعدم ، والحزن والحزن ، قال الشاعر :

فليت فلاناً كان في بطن أمه وليت فلاناً كان ولد حمار (١)

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٨١ والقرطبي ١١ / ١٤٦ ، ١٥٥ وتفسير الشوكاني ٣ / ٣٣٧

وقال الحارث بن حلزة :

ولقد رأيت معاشرأ قد ثمروا مالا وولدا (١)

وقال رؤبة :

الحمد لله العزيز فردا لم يتخذمن ولد شيء ولدا (٢)

والثاني - إن (قيساً) يجعل (الولد) بالضم جمعاً ، وبالفتح واحداً ، كقولهم : اسد واسد ، ووثن ووثن .

فقال الله تعالى « اطلع الغيب » أي اشرف على علم الغيب وعرفه حتى قال ما قال؟! وهذه الف الاستفهام دخلت على الف الوصل المكسورة فسقطت المكسورة مثل « أصطفى البنات على البنين » (٣) وقوله « أم آخذ عند الرحمن عهداً » قال قتادة : معناه آخذ عهداً للرحمن بعد صالح قدمه .؟ وقال غيره : معناه « أم آخذ عند الرحمن عهداً » أي قولاً قدمه اليه بما ذكره .

ثم قال تعالى « كلا » أي حقاً وهو قسم « سنكتب ما يقول » أي نثبته ليوافق عليه يوم القيامة « ونمده من العذاب مداً » أي نؤخر عنه عذابه ، ولا نعاجله . ويجوز أن يكون المراد إنا نطيل عذابه .

وقوله « ونرثه ما يقول » قال ابن عباس وقتادة وابن زيد : نرثه نحن المال والولد بعد اهلاكنا إياه وإبطالنا ما ملكناه « ويأتينا فرداً » أي يجيئنا يوم القيامة فرداً لا أحد معه ، ولا شيء يصحبه .

قوله تعالى :

﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨٢) كَلَّا

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٨١

(١) نفس المصادر المتقدمة في الصفحة قبلها

(٣) سورة ٣٧ (الصافات) آية ١٥٣

سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا
الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا (٨٤) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٥) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا (٨٦)
خمس آيات بلا خلاف .

قرأ ابن نهيك « كلا سيكفرون » - بضم الكاف - بمعنى جميعاً سيكفرون . الباقيون
بفتح الكاف .

أخبر الله تعالى أن هؤلاء الكفار الذين ذكروهم ووصفهم بأنهم « آخذوا من دون
الله آلهة » عبدوها ووجهوا عبادتهم نحوها « ليكونوا لهم عزاً » والاتخاذ اعداد الشيء
ليأتيه في العاقبة ، فهؤلاء آخذوا الآلهة ليصيروا إلى العز فصاروا بذلك إلى النذل ،
فسخط الله عليهم وأذلهم . والعز الامتناع من الضيم عزّ يعزّ عزّ آ ، فهو عزيز أي
منيع من أن ينال بسوء . فقال الله تعالى « كلا سيكفرون بعبادتهم » أي حقاً ليس
الأمر على ما قالوه بل سيكفرون بعبادتهم . وقيل في معناه قولان :
أحدهما - إن معناه سيجهلون أن يكونوا عبدوها ، لما يرون من سوء عاقبتها .
وهذا جواب من اجاز وقوع القبائح والكذب من أهل الآخرة .

الثاني - سيكفرو ما آخذوه آلهة بعبادة المشركين لها ، كما قال الله تعالى
« تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون » (١) أي بأمرنا وإرادتنا « ويكونون عليهم
ضدّاً » وقيل في معناه قولان :

أحدهما - قال مجاهد : يكونون عوناً في خصومتهم وتكذيبهم .

الثاني - قال قتادة يكونون قرناءهم في النار يلغنونهم ويتبرؤن منهم .
 ثم قال تعالى لنبيه (ص) ﴿ ألم تر ﴾ يا محمد ﴿ أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين ﴾
 أي لما سلب الكفار الشياطين على نفوسهم وقبلوا منهم واتبعوهم خلينا بينهم وبينهم حتى
 اغووهم ، ولم نحمل بينهم بالالقاء ، ولا بالمنع ، وعبر عن ذلك بالارسال على ضرب من
 المجاز . ومثله قوله ﴿ فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى اجل
 مسمى ﴾ (١) ويحتمل ان يكون أراد به يرسل الشياطين عليهم في النار بعد موتهم
 يعذبوهم ويلغنونهم ، كما قال ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ﴾ (٢) ويقال أرسلت
 الباز والكلب على الصيد إذا خليت بينه وبينه . وقوله « تؤزهم أزاً » أي تزعجهم
 ازعاجاً . والاز الازعاج الى الامر ، أزه أزاً وأزيراً إذا هزه بالازعاج الى أمر
 من الأمور .

ثم قال تعالى « فلا تعجل » على هؤلاء الكفار « انما نعد لهم عدأ » الايام
 والسنين . وقيل الانفاس .

وقوله ﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ﴾ أي اذكر يوم نحشر الذين اتقوا
 معاصي الله وفعلوا طاعاته الى الرحمن وفداً اي ركبانا في قدومهم ، ووحيد لأنه مصدر
 وفد، ويجمع وفوداً ، تقول: وفدت أفد وفداً فأنا وافد . وقيل : انهم يؤتون بنوق لم
 ير مثلها، عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يصيروا الى ابواب
 الجنة - في قول ابن عباس - وقيل: معناه يحشرهم الله جماعة جماعة .

قوله تعالى:

﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴾ (٨٧) لَا يَمْلِكُونَ

الشفاعة إلا من آتخذ عند الرحمن عهداً (٨٨) وقالوا آتخذ الرحمن
 ولداً (٨٩) لقد جئتم شيئاً إداً (٩٠) تكاد السموات يتفطرن منه
 وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً (٩١) أن دعوا للرحمن
 ولداً (٩٢) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴿ (٩٣) سبع
 آيات بلا خلاف .

قرأ الكسائي ونافع ﴿ يكاد ﴾ بالياء . الباقون بالتاء . وقرأ ابن كثير ونافع
 والكسائي وحفص ﴿ يتفطرن ﴾ بياء وتاء من: تفطر يتفطر تفطراً . الباقون ﴿ ينفطرن ﴾
 من انفطر كقوله ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ . وتفطر مطاوع فطر . والتشديد يفيد التكثير
 اخبر الله تعالى أنه يسوق المجرمين الى جهنم ورداً يوم القيامة . والسوق الحث
 على السير، ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق ومنه الساق، لاستمرار السير بها، ومنه السوق
 لأنه يساق به البيع والشراء شيئاً بعد شيء . وقال الفراء: يسوقهم مشاة . وقال
 الاخفش: عطاشاً . وقيل افراداً . ومعنى ﴿ ورداً ﴾ أي عطاشاً . كالأبل التي ترد
 عطاشاً الماء ، إلا أن هؤلاء يمنعون منه ، لانه لا يشرب من الحوض الا مؤمن . وهو
 قول ابن عباس والحسن وقتادة .

وقوله ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ أي لا يقدرون عليها ، والملك القدرة على ماله
 التصرف فيه أن يصرفه أتم التصريف في الحقيقة أو الحكم .
 وقوله ﴿ إلا من آتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ أي عملاً صالحاً - في قول ابن
 جريج - فموضع (من) نصب على أنه استثناء منقطع ، لأن المؤمن ليس من المجرمين . وقد
 قيل: انه نصب على حذف اللام بمعنى لا يملك المتقون الشفاعة إلا لمن آتخذ عند الرحمن

عهداً . والعهد المراد به الايمان . والاقرار بوحدانيته وتصديق أنبيائه ، فان الكفار لا يشفع لهم . وقال الزجاج (من) في موضع رفع بدلا من الواو والنون في قوله ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ . والمعنى لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو الايمان .

ثم اخبر تعالى عن الكفار بأنهم ﴿ قالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴾ كما قال النصارى: إن المسيح ابن الله، واليهود قالت عزيز ابن الله . فقال الله لهم على وجه القسم ﴿ لقد جئتم ﴾ بهذا القول ﴿ شيئاً ادّأ ﴾ أي منكراً عظيماً - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد ، قال الراجز :

لقد لقي الاعداء مني نكراً
داهية دهياها إدأ امراً (١)

وقال الآخر :

في لُهب منه وحبل إد (٢)

ثم قال تعالى تعظيماً لهذا القول « تكاد السموات » وقرئ . بالتاء والياء . فمن قرأ بالتاء فلنأنيث السموات ومن ذكر ، فلأن التأنيث غير حقيقي . وقال ابو الحسن: معنى تكاد السموات تريد كقوله « كدنا ليوسف » أي أردنا، وانشد :

كادت وكادت وتلك خير ارادة
لو عاد من هو الصباية ما مضى (٣)

ومثله قوله تعالى ﴿ اكاد أخفيها ﴾ أي أريد . ومعنى ﴿ تكاد ﴾ في الآية تقرب لان السموات لا يجوز ان ينفطرن ولا يردن لذلك ، ولكن هممن بذلك ، وقرئ منه اعظماً لقول المشركين . وقال قوم : معناه على وجه المثل ، لان العرب تقول إذا أرادت امراً عظيماً منكراً: كادت السماء تنشق والارض تنخسف ، وأن يقع السقف.

(١) مر تخريجه في ٧٣/٧ من هذا الكتاب (٢) تفسير الطبري ١٦ / ٨٦

(٣) تفسير القرطبي ١١ / ١٨٤ وهو في مجمع البيان ٣ / ٥٣٠

فلما اقتروا على الله الكذب، ضرب الله المثل لكذبهم بأهول الاشياء، وقريب من هذا قول الشاعر :

ألم تر صدعاً في السماء ميميناً على ابن ليبنى الحارث بن هشام (١)

وقريب منه ايضاً قول الشاعر:

واصبح بطن مكة مقشعراً كان الارض ليس بها هشام (٢)

وقال آخر :

بكا حارث الجولان من فقد ربه وهوران منه خاشع متضائل (٣)

وقال آخر :

لما انى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع (٤)

وقال قوم : المعنى لو كان شيء ينفطر استعظاماً لمسا يجري من الباطل لنفطرت السموات والارض استعظاماً ، واستنكاراً ، لما يضيفونه الى الله تعالى من اتخاذ الولد ، ومثله قوله « ولو ان قرآناً سيرت به الجبال » (٥) ومعنى ينفطرن يتشققن والانفطار الانشقاق في قول ابن جريج ، يقال : فطر ناب البعير إذا انشق ، وقرىء ينفطرن بمعنى يتشققن منه ، يعني من قولهم اتخذ الرحمن ولداً ، والمراد بذلك تعظيماً واستنكاراً لهذا القول ، وانه لو كانت السموات ينفطرن تعظيماً لقول باطل لانشقت لهذا القول ، ولو كانت الجبال تخر لأمر ، لخرت لهذا القول . و (الهدى) تهدم بشدة صوت . وقوله « أن دعوا للرحمن ولداً » أي لأن دعوا ، أو من ان دعوا . او المعنى ان السموات تكاد ينفطرن والجبال تنهد والارض تنشق لدعواهم لله ولداً . أي

(١) مر هذا البيت في ٦ / ٣٠٧ (٢) مجمع البيان ٣ / ٥٣٠

(٣) مر تخريجه في ٦ / ٣٠٧ (٤) مر تخريجه في ١ / ٢٠٤ ، ٣١٢

(٥) سورة الرعد آية ٣٣

لنسميتهم له ولدآء، فهؤلاء سموآ لله ولدآء كما جعلوا المسيح ابن الله، والمشركون جعلوا الملائكة بنات الله، وقيل: معناه ان جعلوا الرحمن ولدآء، لان الوالد يستحيل عليه تعالى. ثم اخبر تعالى انه لا ينبغي له ان يتخذ ولدآء، ولا يصلح له، كما قال ابن احرر:

في رأس حلقاه من عنقاه مشرفة
ما ينبغي دونها سهل ولا جبل (١)

وقال الآخر في الدعاء بمعنى التسمية:

ألا رب من تدعو نصيحاً وابن تغب
تجده بغيب غير منتصح الصدر (٢)

وقال ابن احرر ايضاً:

هوى لها مشقصاً حشر آف شبر قها
وكنت أدعو قذاها الا تمد الفرد (٣)

قوله تعالى:

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٤)
لَقَدْ أَحْصَيْتُهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٥)، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٦)
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٧)
فَأَنَّمَا يُسِرُّ نَاهُ بِلِسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٨)
وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ
لَهُمْ رِكْزًا (٩٩) ست آيات بلاخلاف.

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٥٦ ، ٨٧

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٥٦ ، ٨٧

(٣) تفسير الطبري ١٦ / ٨٧

يقول الله تعالى ليس كل من في السموات والارض من العقلاء إلا وهو يأتي
الرحمن عبداً مملوكاً لا يمكنهم جرده ، ولا الامتناع منه ، لانه يملك التصرف فيهم
كيف شاء . ثم قال تعالى إنه « قد احصاهم وعدهم عدّاً » أي علم تفاصيلهم وأعدادهم
فكانه عددهم ، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم . ثم قال : وجميعهم يأتي الله يوم القيامة
فرداً مفرداً ، لا أحد معه ولا ناصر له ولا أعوان ، لان كل احد مشغول بنفسه لايهمه هم
غيره . ثم قال تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أي آمنوا بالله ووجدانيته
وصدقوا أنبياءه ، وعملوا بالطاعات سيجعل الله لهم وداً أي سيجعل بعضهم يحب
بعضاً ، وفي ذلك أعظم السرور وأتم النعمة ، لانها كمحبة الوالد لولده البار به . وقال
ابن عباس ومجاهد : « سيجعل لهم الرحمن وداً » في الدنيا . وقال الربيع بن أنس
إذا أحب الله عبد أطرح محبته في قلوب أهل السماء ، وفي قلوب أهل الارض . ثم قال
لنبيه (ص) « انما يسرناه بلسانك » يعني القرآن « لتبشر به المتقين » لمعاصي الله
بالجنة « وتنفذ به » أي تخوف به ﴿ قوماً لداً ﴾ أي قوماً ذوي جدل مخاصمين - في قول
قتادة - وهو من اللدد، وهو شدة الخصومة ، ومنه قوله تعالى « وهو الد الخصام » (١)
أي أشد الخصام خصومة وهو جمع ألد . ك (أصم ، وصم) قال الشاعر :

إن تحت الاحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألدّ ذا معلاق (٢)

ثم اخبر الله تعالى فقال « وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من
أحد » أي هل تترك احداً منهم « او تسمع لهم ركزاً » قال ابن عباس وقتادة
والضحك : الرركز الصوت . وقال ابن زيد : هو الحس ، والمراد ههنا الصوت ، ومنه
الركاز ، لانه يحس به حال من تقدم بالكشف عنه ، قال الشاعر :

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٠٤

(٢) قائله المهلهل . الاسان (علق)

ورايته (وجوداً) بدل (وعزماً)

فتوجست ركر الأئيس فراعها عن ظهر غيب والائيس سقامها (١)
 والمعنى: إنا قداهلكنا امما كثيرة اعظم منهم كثرة ، واكثر اموالا واشد خصاماً
 فلم يغنهم ذلك لما اردنا اهلاكم ، فكيف ينفع هؤلاء ذلك ، وهم اضعف منهم في جميع
 الوجوه ، وبين ان حكم هؤلاء حكم اولئك في ان لا يبقى لهم عين ولا اثر .

* * *

٢٠-سورة طه

وهي مكية في قول قتادة ومجاهد . وهي مائة وخمس وثلاثون آية
في الكوفي واربعة في المدنيين واثنان في البصري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا
لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤)
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) ﴾

خمس آيات في الكوفي ، لأنهم عدوا (طه) آية وأربع في الباقين .

قرأ أبو عمرو (طه) بفتح الطاء وامالة الهاء . وقرأ حمزة والكسائي وخلف
وابو بكر إلا الأعشى والبرجمي بامالتهما . الباقون بفتحهما . وقرأ عيسى بن عمر ضد
قراءة أبي عمرو - بكسر الطاء وفتح الهاء - وقرأ الحسن باسكان الهاء ، وفسره يارجل .
وقرأ أبو جعفر بتقطيع الحروف ، ورواه الأصمعي عن نافع . وروي عن نافع بين

الكسر والفتح في الحرفين ، وروي الفتح فيهما ، وهو الأظهر .
 فمن فخم فلا لها لغة النبي (ص) وهي لغة اهل الحجاز ، ومن أمال ، فهو
 حسن . قال ابو عمرو : املت الهاء لثلاثا تلتبس بهاء الكناية . وقد بينا في اول سورة
 البقرة معنى اوائل السور واختلاف الناس فيه ، وأن أقوى ما قيل فيه : إنها اسماء للسور
 ومفتاح لها . وقال قوم : هو اختصار من كلام خص بعلمه النبي صلى الله عليه وآله .
 وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد : معنى (طه) بالسريانية يا رجل .
 ومنهم من قال هو بالنبطية . وقال الحسن : هو جواب المشركين لما قالوا : انه شقي فقال
 الله تعالى يا رجل ما انزلنا عليك القرآن لتشقى . وقيل : إن طه بمعنى يا رجل في لغة
 عكّ وانشد لمتعم بن نويرة :

هتفت بطه في القتال فلم يجب فحفت عليه ان يكون موائلا ﴿١﴾
 وقال آخر :

إن السفاهة طه من خلائكم لا بارك الله في القوم الملاعين ﴿٢﴾

ومن قرأ (طه) بتسكين الها تحتمل قراءته امرين :

احدهما - ان تكون الهاء بدلا من همزة طاه ، كقولهم في أرقب هرقب ،
 والآخر ان يكون على ترك الهمز (طه) يا رجل ، وتدخل الهاء الوقف . والشقاء استمرار
 ما يشق على النفس ، يقال : شقي يشقى شقاً ، وهو شقي ونقيض الشقاء السعادة .
 وقيل في قوله « ما انزلنا عليك القرآن لتشقى » قولان :

احدهما - قال مجاهد وقتادة : إنه نزل بسبب ما كان يلقي من التعب والسهر

في قيام الليل .

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٩٠ والقرطبي ١١ / ١٦٥ والشوكاني ٣ / ٣٤٣

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ٩٠ والقرطبي ١١ / ١٦٦ والكشاف ٣ / ٣٩

والثاني - قال الحسن : انه جواب للمشركين لما قالوا : انه شقي .
 وقوله « إلا تذكرة لمن يخشى » معناه لكن انزلناه تذكرة أي ليتذكر به من
 يخشى الله ويخاف عقابه ، يقال : ذكره تذكيراً و تذكرة ، ومثله « وما لاحد عنده من
 نعمة تجزي إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى » (١) اي اكن ابتغاء وجه ربه ، وما فعله
 إلا ابتغاء وجه ربه ، ومثله قول القائل : ما جئت لأسوءك إلا إكراماً لزيد ، يريد ما جئت
 إلا إكراماً لزيد ، وكذلك المصادر التي تكون عللاً لوقوع الشيء نحو جئتك ابتغاء
 الخير اي لا ابتغاء الخير . وقوله « تنزيلاً ممن » معناه نزل تنزيلاً . وقيل تقديره
 « إلا تذكرة . . . تنزيلاً ممن خلق الارض والسموات العلى » أي أبدعهن وأحدثهن
 و « العلى » جمع عليا ، مثل ظلمة ، وظلم ، وركبة وركب ، ومثل الدنيا والذنى .
 والقصوى والقصى .

وقوله « الرحمن » رفع بأنه خبر مبتدأ ، لانه لما قال « تنزيلاً ممن خلق » بينه
 فكأنه قال : هو الرحمن ، كقوله « بشر من ذكّم النار » (٢) وقال ابو عبيدة : تقديره
 « ما انزلنا عليك القرآن . . . إلا تذكرة لمن يخشى » لا لتشقى . [ويحتمل أن يكون
 المراد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى] (٣) وما انزلناه إلا تذكرة لمن يخشى .
 « الرحمن على العرش استوى » قيل في معناه قولان :

احدهما - انه استولى عليه ، وقد ذكرنا فيما مضى شواهد ذلك .
 الثاني - قال الحسن « استوى » لطفه وتديبه ، وقد ذكرنا ذلك أيضاً فيما
 مضى . وأوردنا شواهد في سورة البقرة (٤) فأما الاستواء بمعنى الجلوس على الشيء .

(١) سورة ٩٢ الليل آية ١٩ - ٢٠ (٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٢

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٤) في تفسير آية ٢٩ من سورة البقرة ، المجلد الاول صفحة ١٢٤

فلا يجوز عليه تعالى ، لانه من صفة الاجسام ، والاجسام كلها محدثة . ويقال : استوى فلان على مال فلان وعلى جميع ملكه أي احتوى عليه . وقال الفراء : يقال : كان الأمر في بني فلان ثم استوى في بني فلان أي قصد اليهم وينشد :

أقول وقد قطعن بنا شروري
ثواني واستوين من النجوع (١)

أي خرجن واقبلن

قوله تعالى :

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ

الْأَرْضِ (٦) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) وَهَلْ أَتَيْكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩)

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ

مِنْهَا بِقَيْسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) خمس آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى إن « له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » المعنى انه مالك لجميع الاشياء واجتزى بذكر بعض الاشياء عن ذكر البعض لدلالته عليه ، كما قال « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » (٢) ولم يقل وعلى ظهورهم ، لان المفهوم انهم يذكرون الله على كل حال . ومثله قوله « والله ورسوله أحق أن يرضوه » (٣)

(١) لم اجده في مظارنه ، وهذه رواية المخطوطة . أما المطبوعة . فانها اشارت

الى خلاف في روايته كما يلي : (ظمن) بدل (قطعن) و (سروراً) بدل (شروري)

و (سوامد) بدل (ثواني) و (الضجوع) بدل (النجوع)

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٩١ (٣) سورة ٩ التوبة آية ٦٣

لما كان رضا احدهما رضا الآخر ، ومثله قوله « والذين يكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » (١) ولم يقل ينفقونها لدلالته على ذلك و « الثرى » التراب الندي ، فله تعالى « ما تحت الثرى » الى حيث انتهى ، لانه مالكة وخالقه ومدبره ، وكل شيء ملكه يصح ، والله تعالى مالكة بمعنى أن له التصرف فيه كيف شاء .

وقوله « وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى » معناه وإن تجهر بالقول لحاجتك لسمعه أي تجهر به ، فإنه تعالى يعلم السر وأخفى من السر . ولم يقل وأخفى منه ، لانه دال عليه ، كما يقول القائل : فلان كالنيل أو اعظم ، وهذا كاللحبة أو اصغر . والجهر رفع الصوت يقال : جهر بجهر جهرآ ، فهو جاهر والصوت مجهور ، وضده الهمس . و (السر) ما حدث به الانسان غيره في خفية ، وأخفى منه ما أضمره في نفسه ولم يحدث به غيره - هذا قول ابن عباس - وقال قتادة وابن زيد وسعيد بن جبير : السر ما أضمره العبد في نفسه . وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد . وقال قوم : معناه يعلم السر والخفي . وضعف هذا لانه ترك الظاهر وعدول بلفظة (أفعل) الى غير معناها من غير ضرورة ، ولان حمله على معنى أخفى أبلغ إذا كان بمعنى أخفى من السر ، فاما قول الشاعر :

تمنى رجال ان اموت وإن امت فتلك سبيل لست فيها بأوحد (٢)

انما حمل على ان المراد (بأوحد) احد ، لان الوحدة لا يقع فيها تعاضم ، فاخرجه الشاعر مخرج ما فيه تعاضم ورد المعنى الى الواحد . ثم اخبر تعالى بانه « الله » الذي تحق له العبادة « لا إله » يحق له العبادة « إلا هو له الاسماء الحسنى » وانما ذكر الحسنى بلفظ التوحيد ولم يقل الاحاسن ، لان الاسماء مؤنثة يقع عليها (هذه) كما

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٥ (٢) تفسير الطبري ١٦ / ٩٣

(ج ٧ م ٢١ من التبيان)

يقع على الجماعة (هذه) كأنه اسم واحد للجميع قال الشاعر :

وسوف يعتبنيه إن ظفرت به رب كريم وبيض ذات اطهار (١)

وفي التنزيل « حدائق ذات بهجة » (٣) « وما رب اخرى » (٢) فقد جاز

صفة جمع المؤنث بصفة الواحد .

وقوله وهل « انك حديث موسى » خطاب للنبي (ص) وتسلية له مما ناله

من اذى قومه . والتثيت له بالصبر على امر ربه ، كما صبر اخوه موسى (ع) حتى

نال الفوز في الدنيا والآخرة .

وقوله « اذ رأى ناراً » اي حديث موسى حين رأى ناراً « فقال لاهله

امكثوا » اي البثوا مكانكم « ابي آنت ناراً » اي رأيت ناراً . والابناس وجدان

الشيء الذي يؤنس به ، لانه من الانس ويقال : آنس البازي إذا رأى صيداً

قال العجاج :

آنس خربان فضاء فانكدر

وكان في شتاء ، وقد امتنع عليه القدح وضل عن الطريق ، فلذلك قال « او

اجد على النار هدى » وقوله « لعل آتيكم منها بقبس فلقبس الشعلة ، وهو نار في

طرف عود أو قصبه ، يقول القائل لصاحبه : اقبسني ناراً فيعطيه إياها في طرف عود

او قصبه أي لعل آتيكم بنار تصطلون به أو اجد من يدلني على الطريق الذي أضلنناه

او ما استدل به عليه ويقال اقبسته ناراً إذا اعطيته قبساً منها ، وقبسته للعلم . فرق بين

النوعين ، والاصل واحد وكلاهما يستضاء به .

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٩٣ وجمع البيان ٤ / ٣ (٢) سورة النمل آية ٦٠

(٣) سورة ٢٠ طه آية ١٨

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَتَيْهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ
نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا
يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
لَذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
تَسْعَى ﴾ (١٥) خمس آيات .

قرأ ابن كثير و ابو عمرو « اني انا ربك » بفتح الهمزة والياء . الباقون بكسرها
وسكون الياء إلا نافعاً فإنه فتح الياء . وقرأ ابن كثير و ابو عمرو و نافع و عاصم و حمزة
و الكسائي « طوى » بضم الطاء مصروفاً . وروى بكسر الطاء غير مصروف ابو زيد
عن ابي عمرو . وقال : هي أرض . وقرأ « وانا اخترناك » بالتشديد بالف حمزة ، واصله
واننا اخترناك والنون والالف نصب بـ (إن) و (ان) مع ما بعدها في موضع نصب
بتقدير ، نودي « إنا اخترناك » . وقرأ الباقون « وأنا اخترتك »
على التوحيد (أنا) رفع بأنه ابتداء و « اخترتك » خبره . وفي قراءة ابي « وإتني
اخترتك » فهذه تقوي قراءة حمزة و الكسائي .

من لم يصرف « طوى » يجوز أن يكون اعتقد انه معدول عن (طاو) وهو
معرفة ، ويجوز أن يكون نكرة ، لأنه اسم البقعة .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) إن موسى (ع) لما أتى النار التي آتتها نودي ، فقيل
له يا موسى ، والنداء الدعاء على طريقة يافلان ، وهو مد الصوت بندا على هذه الطريقة

يقال : صوت نداء ، وذلك أنه بنداؤه يمتد « إني انا ربك » فيمن فتح الهمزة .
فللعنى نودي بأني أنا ، ولما حذف الباء فتح . ومن كسر ها فعلى الاستئناف أو على
تقدير قيل له إني أنا ربك الذي خلقتك ودبرك « فاخلع نعليك » وانما علم موسى (ع)
أن هذا النداء من قبل الله تعالى بمعجزة أظهرها الله ، كما قال في موضع آخر « نودي
من شاطي . الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انا الله رب
العالمين » وان ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب » حتى قيل له
« يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » (١) وقيل السبب الذي لأجله أمر
بخلع النعلين فيه قولان :

احدهما - ليباشر بقدميه بركة الوادي المقدس في قول علي (ع) والحسن
وابن جريج .

وقال كعب وعكرمة : لأنها كانت من جلد حمار ميت . وحكى البلخي أنه امر
بذلك على وجه الخضوع والتواضع ، لان التحني في مثل ذلك أعظم تواضعاً وخضوعاً .
والخلع نزع الملبوس يقال : خلع ثوبه عن بدنه و خلع نعله عن رجله . وقد ينزع
المسار ، فلا يكون خلعاً ، لانه غير ملبوس ويقال : خلع عليه رداؤه كأنه نزعته عن
نفسه وألبسه اياه . والوادي سفح الجبل . ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد
واصله عظم الامر . ووديته إذا أعطيته ديته ، لأنها عطية عن الأمر العظيم من القتل .
والمقدس المبارك - في قول ابن عباس ومجاهد - وقيل هو المطهر ، قال امرؤ القيس :

كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٢)

يريد بالمقدس : العابد من النصارى ، كاتقسيس ونحوه و (شبرق) أي شق .

(١) سورة ٢٨ القصص آية ٣٠ - ٣١ (٢) شرح ديوانه : ١٢٠ وصدرة :

فأدر كنهه يأخذن بالساق والنسا

وقيل في معنى (طوى) قولان :

أحدهما - قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد : هو اسم الوادي .
وقال الحسن : لأنه طوي بالبركة مرتين ، فعلى هذا يكون مصدر طويته طوى ،
وقال عدي بن زيد :

أعاذل ان اللوم في غير كنهه عليّ طوى من غيك المتردد (١)

وقوله « وأنا اخترتك » اي اصطفيتك « فاستمع لما يوحى ، اليك من كلامي
واضع اليه وثبت « إني انا الله لا إله إلا انا » أي لا إله يستحق العبادة غيري
« فاعبدني » خالصاً ، ولا تشرك في عبادتي احداً « واقم الصلاة لذكري » أي
لندكري فيها بالتسبيح والتعظيم - في قول الحسن ومجاهد - وقيل : معناه لأن أذكرك
بالمدح والثناء . وقيل المعنى متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها أوفات وقتها ،
فأقمها . وقرئ - بفتح الراء - قال أبو علي يحتمل أن يكون قلب الكسرة فتحة مع
ياء الاضافة.

ثم اخبر الله تعالى بأن الساعة يعني القيامة « آتية » أي جائية « اكاد اخفيها »
معناه أكاد لا أظهرها لاحد - في قول ابن عباس والحسن وقتادة - أي لا أذكرها
بأنها آتية ، كما قال تعالى « لا تأتكم إلا بغتة » (٢) وقيل « اخفيها » بضم الألف
بمعنى أظهرها ، وانشد بيتاً لأمرئ القيس بن عابس الكندي :

فان تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد (٣)

فضم النون من نخفه - ذكره ابرعبيدة - قال انشدني ابو الخطاب هكنا ، وانشده

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٩٦ ومجمع البيان ٤ | ٤

(٢) سورة ٧ الاعراف آية ١٨٦ (٣) شرح ديوان امرئ القيس : ٧٧

والطبري ١٦ | ١٠٠ والقرطبي ١١ / ١٨٢ والشوكاني ٣ / ٣٤٧ وغيرها

الفراء بفتح النون . وقال ابي بن كعب : المعنى « أكاد اخفيها » من نفسي . قال ابن
الانباري تأويله من نفسي « أكاد اخفيها » أي من قبلي . كما قال « تعلم ما في نفسي
ولا أعلم ما في نفسك » (١) . وقوله « لتجزى كل نفس بما تسعى » أي تجازي كل
نفس بحسب عملها ، فمن عمل الطاعات ائيب عليها ، ومن عمل المعاصي عوقب بحسبها
قوله تعالى :

﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)
وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَى
بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩)
فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿ (٢٠) خمس آيات بلا خلاف .

قوله « فلا يصدنك عنها » نهي متوجه الى موسى من الله تعالى والمراد به جميع
المكلفين ، نهاهم الله ان يصددهم عن ذكر الساعة ، والمجازاة فيها من لا يصدق بها من
الكفار . و (الصد) الصرف عن الخير يقال : صدته عن الايمان وصدته عن الحق ،
ولا يقال : صدته عن الشر ، ولكن يقال : صرفه عن الشر ، ومنعه منه .
وقوله « واتبع هواه » يعني من لا يؤمن بالقيامة و (الهوى) ميل النفس الى
الشيء بأريحية تلحق فيه . وهواه الجؤ ممدود ، وهوى النفس مقصور .
وقوله « فتردى » معناه فتهلك ، يقال : ردى يردى ردى ، فهو ردى . إذا
هلك ، أي ان صدت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت ، وتردى هلك بالسقوط .
وقوله « وما تلك يمينك يا موسى » قال الفراء : (تلك) تجرى مجرى (هذه) وهي
بمعنى الذي و (يمينك) صلته وتقديره ، وما الذي يمينك يا موسى وأنشد :

عَدَس ما لعباد عليك امارة أمنت وهذا تحمّلين طليق (١)

يعني الذي تحمّلين ، وهو في صورة السؤال لموسى عما في يده اليمنى ، والغرض بذلك تنبيهه له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها ، والتأمل لها .

وقوله « قال هي عصاي » جواب من موسى ان الذي في يدي « عصاي اتوكؤ عليها » في مشي « واهش بها على غنمي » اي اخبط بها ورق الشجر اليابس لترعاه غنمي يقال : هش بهش هشا : قال الراجز :

أهش بالعصا على اغنامي من ناعم الاراك والبشام (٢)

﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾ اي حوائج أخر من قولهم : لا أرب لي في هذا أي لاجابة . والعرب في واحدها ثلاث لغات : مأربة بضم الراء وفتحها وكسرها .

وقوله « قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى » حكاية عما امر الله تعالى موسى بأن يلقى العصا من يده وأن موسى ألقاها ، فلما ألقاها صارت في الحال حية تسعى ، خرق الله العادة فيها وجعلها معجزة ظاهرة باهرة .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (٢١) وَأَضْمُمْ
يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيِّضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيكَ
مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ (٢٣) إِذْ هَبَّ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ
أَسْرِحْ لِي صَدْرِي ﴿ (٢٥) خمس آيات بلا خلاف .

(١) تفسير الطبري ١٦ / ١٠٢ وأكثر كتب النحو يأتون به شاعداً على أن (هذا) اسم موصول بمعنى الذي .

(٢) تفسير الشوكاني ٣ / ٣٤٩ والقرطبي ١١ / ١٨٧ والطبري ١٦ / ١٠٢

اخبر الله تعالى أن العصا حين صارت حية تسعى خاف موسى منها فقال الله له « خذها » يا موسى فانا « سعيدها » الى ما كانت اول شي . في يدك عصي . ومعنى « خذها » تناولها بيدك . و (الخوف) انزعاج النفس بتوقع الضرر ، خافه خوفاً ، فهو خائف وذلك مخوف . وضد الخوف الأمن ، ومثل الخوف الفزع والذعر ، والاعادة رد الشيء ثانية الى ما كان عليه أول مرة . ومثل الاعادة التكرير والترديد . والمعنى سعيدها خلقتها الاولى ، وقد يقال : الى سيرتها . والسيرة مرور الشيء في جهة ، من سار يسير سيرة حسنة او قبيحة . وكان مستمر على حال العصا فاعيدت الى تلك الحال . ونظير السيرة الطريقة . وقيل المعنى سعيدها الى سيرتها ، فانتصب باسقاط الخافض .

وقوله « واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء » قيل في معناه قولان : احدها - الى جنبك ، قال الراجز :

اضمه للصدر والجناح (١)

الثاني - الى عضدك واصل الجنوح الميل ، ومنه جناح الطائر ، لانه يميل به في طيرانه حيث شاء . والجنب فيه جنوح الاضلاع . واصل العضد من جهته يميل اليد حيث شاء صاحبها . وقال ابو عبيدة : الجناحان الناحيتان .

وقوله « تخرج بيضاء من غير سوء » اي من غير برص - في قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي والضحاك - وقوله « آية اخرى » قيل في نصبها قولان : احدها - على الحال . والاخر على المنعولية ، اي نعطيك آية اخرى ، فحذف للدلالة الكلام عليه ، فالآية الاولى قلب العصا حية والاخرى اليد البيضاء من غير سوء . وقيل انه امره ان يدخل يده في فيها فيقبض عليها ، فادخل يده في فيها

فصارت يده بين الشعبين اللتين كانتا في العصا ، وصارت الحية في يده عصاً كما كانت .

وقوله ﴿ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ معناه قلب العصا حية لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا وَحَجَجْنَا الْكُبْرَى مِنْهَا ، ولو قال الكبر على الجمع كان وصفاً لجميع الآيات ، وكان جائزاً .
ثم قال تعالى له ﴿ إِذْ هَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ اي امض اليه وادعه الى الله ، وخوفه من عقابه ، فانه طغى ، أي تجاوز قدره في عصيان الله ، وتجاوز به قدر معاصي الناس ، يقال : طغى بطنى طغياناً ، فهو طاغ ، ونظيره البغي على الناس ، وهم الطغاة والبقاة .
فقال عند ذلك موسى يا ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ اي وسع لي صدري ، ومنه شرح المعنى اي بسط القول فيه .

قوله تعالى :

﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧)
يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هُرُونٌ أَخِي (٣٠)
خمس آيات .

وهذا ايضاً اخبار عما سأل الله تعالى موسى ، فانه سأله ان يسر له أمره ، أي يسهله عليه ويرفع المشقة عنه ويضع المحنة ، يقال : يسره تيسيراً ، فهو يسر ونقيضه التعسير ، ومنه اليسر واليسير . والحل نفي العقد بالفرق ، حله يحله حلاً ، فهو حال والشئ محلول . وشد الحل العقد ، ونظيره الفصل والقطع . والعقدة جملة مجتمعة يصعب حلها متفلكة . عقد يعقد عقداً وعقدة ، فهو عاقد والشئ معقود .

﴿ ج ٧ م ٢٢ من التبيان ﴾

ويقال : انه كان في لسان موسى (ع) رثة وهي التي لا يفتح معها بالحروف شبه التمتعة وغيرها . وقيل : إن سبب العقدة في لسانه أنه طرح جرة في فيه لما اراد فرعون قتله ، لأنه اخذ لحيته وهو طفل فنتفها ، فقالت له آسية : لا تفعل ، فانه صبي لا يعقل ، وعلامته انه اخذ جرة من طست فجعلها في فيه . ذكره سعيد بن جبير ومجاهد والسدي .

وقوله « يفقهوا قولي » أي يفقهوه إذا حلت العقدة من لساني افصحت بما اريد . وسأله ايضاً أن يجعل له وزيراً يؤزره على المضي الى فرعون ويعاضده عليه . والوزير حامل الثقل عن الرئيس ، مشتق من الوزر الذي هو الثقل ، واشتقاقه ايضاً من الوزر ، وهو الذي يلجأ اليه من الجبال والمواضع المنيعة . وقوله « هارون اخي » قيل في نصب (هارون) وجهان :

احدهما - على انه مفعول (اجعل) الاول و (وزيراً) المفعول الثاني على

جهة الخبر .

والوجه الثاني - ان يكون بدلا من (وزيراً) وبيانا عنه . فقيل : ان الله حل اكثر ما كان بلسانه إلا بقية منه بدلالة قوله « ولا يكاد يبين » (١) في قول ابي علي . وقال الحسن : ان الله استجاب دعاءه ، فحل العقدة من لسانه . وهو الصحيح ، لقوله تعالى « قد أوتيت سؤالك يا موسى » ويكون قول فرعون « ولا يكاد يبين » (١) انه لا يأتي ببيان يفهم كذباً عليه ليغوي بذلك الناس ويصرف به وجوههم عنه .
قوله تعالى :

﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيِّ

نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذُكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا
بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) ست آيات •

قرأ ابن عامر وحده « اشدد به ازري » بتقطع الهمزة « واشركه » بضم
الألف . الباقون بوصل الهمزة الأولى ، وفتح الثانية . فوجه قراءة ابن عامر: أنه جعله
جزاء . الباقون جعلوه : دعاء . وضم الف (اشركه) في قراءة ابن عامر ضعيف ، لانه
ليس اليه اشراكه في النبوة بل ذلك الى الله تعالى . والوجه فتح الهمزة على الدعاء إلا
ان يحمل على أنه أراد اشراكه في أمره في غير النبوة وذلك بعيد ، لانه جاء بعده ما
يعلم به مراد موسى ، لانه قال « واخي هارون هو أفصح مني لساناً فارسله معي ردهاً
يصدقني » (١) فقال الله تعالى « سنشد عضدك باخيك » (٢).

قوله « اشدد به أزري » فالشد جمع يستمك به المجموع يقال : شده يشده
شداً ، فهو شاد وذاك مشدود ، ومثله الربط والعقد . والازر الظهر يقال : آزرني
فلان على أمري أي كان لي ظهراً، ومنه المنزر ، لانه يشد على الظهر ، والازار لانه يشد
على الظهر ، والتأزير لأنه تقوية من جهة الظهر . ويجوز ان يكون ازر لغة في وزر ،
مثل أرخت وورخت ، واكدت ووكدت . وقوله « واشركه في امري » فلاشراك
الجمع بين الشيثين في معنى على انه لهما ، يجعل جاعل . وقد أشرك الله بين موسى وهارون
في النبوة . وقوى الله به أزره ، كما دعاه .

وقوله « كي نسبحك كثيراً » فالتسبيح التنزيه لله عما لا يجوز عليه من وصفه بما
لا يليق به ، فكل شيء عظم به الله بنفي ما لا يجوز عليه ، فهو تسبيح ، مثل :
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقوله « ونذكرك كثيراً » معناه

نذكرك بحمدك والثناء عليك بما أوليتنا من نعمك ، ومننت به علينا من تحميل رسالتك « انك كنت بنا بصيراً » أي عالماً بأحوالنا وأمورنا . فقال الله تعالى إجابة له « لقد أوتيت سؤالك يا موسى » أي أعطيت منك فيما سألته . والسؤال المنى فيما يسأله الانسان ، مشتق من السؤال . ويجوز بالهمز وترك الهمز .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ
مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ
بِالسَّاحِلِ يَا حُذَّهُ عِدُوِّي وَعَدُوُّكَ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ
عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ
فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا
فَجَجِينَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) إِذْ هَبَّ
أَنْتَ وَأُخُوكَ بِالْيَأْتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) إِذْ هَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۙ (٤٤) ﴾

ثمان آيات بلا خلاف . إلا أن في تفصيلها خلافاً لا تطول بذكره .

لما أخبر الله تعالى موسى بأنه قد آتاه ما طلبه . واعطاه سؤاله ، عدد ما تقدم

ذلك من نعمه عليه ومنته لديه . فقال « ولقد مننا عليك مرة اخرى » والمنّ نعمة
يقطع صاحبها بباعن غيره باختصاصها به . يقال : منّ عليه بمنّا إذا انعم عليه نعمة
يقطعه إياها . واصله القطع ، ومنه قوله « لهم اجر غير ممنون » (١) أي غير مقطوع .
وحبل منين : أي منقطع . والمرّة الكرة الواحدة من المر ، وذلك ان نعمة الله (عز
وجل) عليه مستمرة ، فذكره الاجازة مرة وقبلها مرة اخرى . وقوله « إذ أوحينا الى
أمك ما يوحى » أي كانت هذه النعمة عليك حين أوحينا الى أمك ما يوحى ، قال
قوم : اراد انه ألهمها ذلك . وقال الجبائي : رأت في المنام أن اقدفيه في التابوت ، ثم
اقدفيه في اليم ، والقذف هو الطرح ، واليم البحر قال الراجز :

كنازح اليم سقاء اليم (٢)

وقيل : المراد به ههنا النيل . وقوله « فليلقه اليم بالساحل » جزاء وخبر أخرج
مخرج الامر ومثله « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم » والتقدير فاطر حيه في اليم فليلقه اليم
بالساحل . وقوله « ياخذنه عدو لي وعدو له » يعني فرعون . وكان عدو الله بكفره
وحدايته وادعائه الربوبية ، وكان عدو موسى ، انصوره أن ملكه ينقرض على يده .
وقوله « والقيت عليك محبة مني » معناه إني جعلت من رآك احبك حتى
احبك فرعون ، فسلمت من شره ، واحبتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك .

وقوله « ولتضع على عيني » قال قتادة : معناه اتغذى على محبتي واراقتي ،
وتقديره وأنا اراك ، يجري امرك على ما اريد بك من الرفاهة في غذائك ، كما يقول
القائل لغيره : أنت مني بمره أومستمع أي انا مراعى لاحوالك . وقوله « إذ تمشي
اختك فتقول هل أدلكم على من يكفله » قيل ان موسى امتنع أن يقبل ثدي مرضعة

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٨ وسورة ٨٤ الانشقاق آية ٢٥

وسورة ٩٥ التين آية ٦ (٢) من تخريج في ٤ / ٥٥٧ من هذا الكتاب

الا ئدي امه لما دلتهم عليها أختيه ، فلذلك قال ﴿ فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ .

وقوله « وقتلت نفساً فنجيناك من الغم » وروى عن النبي (ص) أن قتله النفس كان خطأ . وقال جماعة من المعتزلة : انه كان صغيرة . وقال اصحابنا : انه كان ترك مندوب اليه ، لان الله تعالى قد كان حكم بقتله لكن ندبه الى تأخير قتله الى مدة غير ذلك ، وانما نجاح من الفكر في قتله ، كيف لم يؤخره الى الوقت الذي ندبه اليه . وقال قوم : أراد نجييناك من القتل لانهم طلبوه ليقتلوه بالقبطي .

وقوله ﴿ وفتناك فتونا ﴾ أى اختبرناك اختباراً . والمعنى انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاه بالرسالة ، فكل هذا من اكبر نعمه . وقيل : الفتون وقوعه في محنة بعد محنة حتى خلصه الله منها : اولها - أن امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ، ثم القساؤه في اليم ، ثم منعه من الرضاع إلا من ئدي امه ، ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ، ثم تناوله الجرة بدل الدرّة ، فدرأ الله بذلك عنه قتل فرعون ، ثم مجيى رجل من شيعة يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله . وذلك عن ابن عباس فالعنى على هذا وخلصناك من الحن تخليصاً . وقيل : معناه اخلصناك إخلاصاً . ذكره مجاهد .

وقوله « فلبثت سنين في أهل مدين » يعنى اقامت سنين عند شعيب، يعنى احوالا اجبراً له ترعى غنمه، فمننا عليك وجعلناك نبياً حتى « جئت على قدر » أى في الوقت الذي قدر لارسالك، قال الشاعر :

نال الخلافة إذ كانت له قدراً كما آتى ربه موسى على قدر (١)

وقال الجبائي معنى « وفتناك فتونا » أي شددنا عليك التعب في أمر المعاش

حتى رعت لشعيب عشر سنين ، ويؤكد قوله « فلبثت سنين في اهل مدين » وهي مدينة شعيب « ثم جئت على قدر يا موسى » وقوله « واصطنعتك » أي اصطفيتك واخلصتك بالالطاف التي فعلتها بك ، اخترت عندها الاخلاص لعبادتي . وقوله « لنفسي » أي لتصرف على ارادتي ومحبتتي يقال : اصطنعه يصطنعه اصطناعاً ، وهو (افتعال) من الصنع ، والصنع اتخاذ الخير لصاحبه . ووجه قوله « لنفسي » يعني محبتي ، لان المحبة لما كانت أخص شيء ، بالنفس حسن أن يجعل ما اختص بها مختصاً بالنفس على هذا الوجه .
 وقوله « اذهب انت واخوك بآياتي » أي بعلاماتي وحججتي « ولا تيسا » أي لا تفترا ، يقال : ونى في الامر يني ونياً إذا فتر فيه ، فهو وان ومتوان . وقيل :
 معناه لا تضعفا قال العجاج :

فما ونى محمد مذأن غفر له إلا له ماضى وما غير (١)

وقوله « في ذكري . اذهبا الى فرعون انه طغى » أي عتا وخرج عن الحد في المعاصي « فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى » معناه ادعوا الى الله والى الايمان به وبما جئنا به ، على الرجاء والطمع ، لا على اليأس . من فلاحه . فوقع التعبد لهما على هذا الوجه ، لأنه أبلغ في دعائه الى الحق ، بالحرص الذي يكون من الراجي للامر . وقال السدي : معنى قوله « فقولا له قولاً لينا » أي كنياه . وقيل : انه كانت كنية فرعون ابا الوليد . وقيل : ابا مرة . وقيل : معناه وقراه وقارباه . وقوله « لعله يتذكر » معناه ليتذكر « أو يخشى » معناه أو يخاف . والمعنى انه يكون أجدها إما التذكر أو الخشية . وقيل المعنى على رجائكما او طمعكما . لانهما لا يعلمان هل يتذكر أم لا . و (لعل) للترجي إلا انه يكون لترجي المخاطب تارة ولترجي المخاطب أخرى

(١) مر تخريجه في ٦ / ٣٤٤ من هذا الكتاب

قوله تعالى :

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) ﴾

قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ آتَبَعِ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذَبٍ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) ست

آيات بلا خلاف .

لما امر الله موسى وهارون (ع) أن يمضيا الى فرعون ويدعوا الى الله «قالا اننا نخاف أن يفرط علينا» ومعناه ان يتقدم فينا بعذاب ، ويعجل علينا ، ومنه الفارط المتقدم امام القوم الى الماء ، قال الشاعر :

قد فرط العجل علينا وعجل (١)

ومنه الافراط الاسراف ، لانه تقدم بين يدي الحق . والتفریط التقصير في الأمر ، لأنه تأخير عما يجب فيه التقدم . فالأصل فيه التقدم «أو ان يطغي» أو يعتوا علينا ويتجبر ، فقال الله تعالى لهما «لا تخافا» ولا تخشيا «انني معكما» أي عالم بأحوالكما ، لا يخفى علي شيء من ذلك ، وإني ناصر لكما ، وحافظ لكما «اسمع» ما

(١) تفسير الشوكاني ٣ / ٣٥٥ والقرطبي ١١ / ١٩٨

يقول لكما « وارى » ما يفعل بكما . وقال ابن جريج « اني معكما اسمع » ما يحاوركما به « وأرى » ما تجيئسان به . فالسامع هو المدرك للصوت . والرأي المدرك للبريات . ثم امرها بأن ياتياه ، ويقولوا له « انارسولا ربك » بعثنا الله اليك والى قومك لندعوكم الى توحيد الله واخلاص عبادته ، وبأمرك أن ترسل « معنا بني اسرائيل » اى تخليهم وتفرج عنهم ، وتطلقهم من اعتقالك « ولا تعذبهم قد جئتكم بآية من ربك » اى بمعجزة ظاهرة ، ودلالة واضحة من عند ربك « والسلام » يعنى السلامة والرحمة « على من اتبع » طريق الحق و « الهدى » ، و (على) بمعنى اللام وتقديره السلامة لمن اتبع . والمعنى ان من اتبع طريق الهدى سلم من عذاب الله .

وقوله ﴿ انا قد اوحى الينا ﴾ معناه قولاً : ﴿ انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب ﴾ بآيات الله واعرض عن اتباعها . وفي الكلام محذوف ، وتقديره فانياه فقولا له ذلك . قال « فمن ربكما يا موسى » وقيل : انه قال فمن ربكما ؟ على تغليب الخطاب ، والمعنى فمن ربك وربك يا موسى ، فقال موسى مجيباً له « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ومعناه أعطى كل شيء حي صورته التي قدر له ثم هداه الى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه ، الى غير ذلك من ضروب هدايته - في قول مجاهد - وقيل : معناه أعطى كل شيء مثل خلقه من زوجة ، ثم هداه لمنكحه من غير أن رأى ذكراً أتى اتى قبل ذلك . وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وغير ذلك من هدايته . وقرأ نصير عن الكسائي « خلقه » بفتح اللام والخاء ، على انه فعل ماض . الباقرن بسكونها على انه مفعول به . والمعنى إنه خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع والتي هي أصلح الخلق له ، ثم هداه لمعيشته ومنافعه لدينه ودنياه .

﴿ ج ٧ م ٢٣ من التبيان ﴾

قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٥٥) خمس آيات بلا خلاف .

قرأ اهل الكوفة ﴿ مهدياً ﴾ على التوحيد. الباقون «مهادياً» على الجمع . وهو مثل فرش وفراش . ومن قرأ « مهدياً » قال ليوافق رؤس الآي . والمعنى « لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض » مستقراً يمكنكم من التصرف عليها . وقال الزجاج : القرن اهل كل عصر فيهم نبي أو إمام او عالم يقتدى به ، وإن لم يكن واحد منهم لم يسم قرناً .

حكى الله تعالى ما قال فرعون لموسى « ما بال القرون الأولى » وهي الامم الماضية ، وكان هذا السؤال منه معاياة لموسى ، فأجابه موسى بأن قال « علمها عند ربي » لانه لا يخفى عليه شيء من المعلومات . وقوله « في كتاب » اي اثبت ذلك في الكتاب المحفوظ لتعرفه الملائكة . و(الأولى) تأنيث (الأول) وهو الكائن على صفة قبل غيره . فاذا لم يكن قبله شيء ، فهو قبل كل شيء . و اراد ذلك على ما في معلوم الله من امرها . وقيل انه اراد من يؤدبهم ويجازيهم . وقيل : ان معنى « لا يضل ربي ولا ينسى » اي لا يذهب

عليه شيء ، والعرب تقول لكل ما ذهب على الانسان مما ليس بحيوان : ضله ، كقولهم :
ضل منزله إذا اخطأه يضل به غير الف ، فاذا ضل منه حيوان فيقولون : أضل - بألف
بغيره أو ناقته أو شاته بالألف . والاصل في الاول ضل عنه . وقرأ الحسن « يضل »
بضم الياء وكسر الضاد .

وقوله « الذي جعل لكم الارض مهدأ » موضع (الذي) رفع بدل عن قوله
« ربني . ولا ينسى الذي جعل لكم الارض . مهدأ » أي جعله لكم مستقراً تستقرون
عليه « وسلك لكم فيها سبلاً » معناه انه جعل لكم في الارض سبلاً تسلكوا فيها في حوائجكم
من موضع الى موضع ، وانهج لكم الطرق « وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجاً
من نبات شتى » كل ذلك من صفات قوله « لا يضل ربني ولا ينسى الذي جعل »
جميع ما ذكر صفاته . وقوله « كلوا وارعوا انعامكم » لفظه لفظ الامر والمراد الاباحة .
وقوله « إن في ذلك لآيات لاولى النهى » أي أن في جميع ما عددناه دلالات لاولى
العقول ، والنهى جمع نهية نحو كسبية وكسى ، وهو شحم في جوف الضب ، وانما
خص اولى النهى ، لانهم أهل الفكر والاعتبار وأهل التدبير والاتعاظ . وقيل
لهم : اهل النهى ، لانهم يبهون النفوس عن القبائح وقيل لانه ينتهى الى رأيهم .
وقوله « منها خلقناكم وفيها نعيدكم » يعني من الارض خلقناكم وفي الارض نعيدكم
إذا امتناكم « ومنها نخرجكم تارة اخرى » دفعة اخرى إذا حشرناكم .

قوله تعالى !

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ
أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَّا تَيْمَكُ
بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ يَمِينَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ

مَكَانًا سُوَّى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ
ضُحَى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) خمس
آيات بلا خلاف .

قوله ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها ﴾ تفديره أريناه آياتنا التي اعطيناها موسى
واظهرناها عليه ﴿ كلها ﴾ لما يقتضيه حال موسى (ع) معه ، ولم يرد جميع آيات الله
التي يقدر عليها ، ولا كل آية خلقها الله ، لان المعلوم أنه لم يرد به جميعها . وقوله
﴿ فكذب وأبى ﴾ معناه نسب الخبر الذي أتاه الى الكذب ﴿ وابتى ﴾ امتنع مما دعي اليه
من توحيد الله واخلاص عبادته والطاعة لما أمر به . وقال فرعون لموسى ﴿ اجئتنا
لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴾ والسحر حيلة يخفى سببها ويظن بها المعجزة ،
ولذلك يكفر المصدق بالسحر ، لانه لا يمكنه العلم بصحة النبوة مع تصديقه بأن الساحر
يأتي بسحره بتغيير الثابت . ثم قال فرعون لموسى ﴿ فلنأتينك ﴾ يا موسى ﴿ بسحر ﴾ مثل
سحرك ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى ﴾ اي عدنا مكاناً
نجتمع فيه ووقتاً نأتي فيه ﴿ مكاناً سوى ﴾ أي مكاناً عدلاً بيننا وبينك - في قول
قتادة والسدي - وقيل معناه مستوياً يقين الناس ما بيننا فيه - ذكره ابن زيد - وقيل:
معناه يستوي حالنا في الرضا به . وفيه إذا قصر لغتان - كسر السين ، وضمها - وإذا
فتحت السين مددته نحو قوله ﴿ الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ (١) ومثله عدى
وعدى . وطوى وطوى ، وثنى وثنى . وقال أبو عبيدة : (سوى) النصف والوسط
قال الشاعر :

وإن ابانا كانت حل ببلدة سوى بين قيس قيس غيلان والفرز (٢)

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٦٤ (٢) تفسير القرطبي ١١/١٩٨ والطبري ١٦/١١٩

قيس وفزر قبيلتان هنا . والفزر القطيع من الشاء . والقيس الفردة . والقيس مصدر قاس خطاه قيساً إذا سوى بينها . ويقال جارية تيمس ميساً وتقيس قيساً ، فمعنى تيمس تتبختر . وسأل رجل اعرابياً : ما اسمك قال محمد ، قال : والكنيسة ، قال : ابو قيس . قال فبحك الله أنجمع بين اسم النبي والفرد .

وقرأ ابن عامر وعاصم وحزمة (سوى) بضم السين . الباقيون بالكسر . فقال له موسى « موعدم يوم الزينة » وهو يوم عيد كان لهم - في قول قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وابن اسحاق - وقال الفراء « يوم الزينة » يوم شرف كانوا يتزينون بها . وقوله « وأن يحشر الناس ضحى » يحتمل أن يكون في موضع رفع ، وتقديره موعدم حشر الناس . ويحتمل ان يكون في موضع جر وتقديره يوم يحشر الناس .

وقوله « فتولى فرعون » أي اعرض عن موسى على هذا الوعد « فجمع كيده » من السحر و « أنى » يوم الموعد . وقرأ هيبرة عن حفص عن عاصم « يوم » بفتح الميم على الظرف . الباقيون بضمها على أنه خبر (موعدم) فجعلوا الموعد هو اليوم بعينه . قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى (٦٣) فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا

يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ
أَلْقُوا فَإِذَا حِيبًا لَهُمْ وَعَصِيْمٌ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦)
ست آيات بلا خلاف .

قرأ « فيسحتكم » - بضم الياء وكسر الحاء - أهل الكوفة إلا أبا بكر . الباقون
بفتح الياء والحاء . وهما لغتان . يقال : سحت وأسحت إذا استأصل . وقرأ أبو
عمرو « إن هذين » بتشديد (إن) ونصب (هذين) . وقرأ نافع وحزمة والكسائي
وأبو بكر عن عاصم - بتشديد (ان) والالف في (هذان) . وقرأ ابن كثير (ان)
مخففة (هذان) مشددة النون . وقرأ ابن عامر بتخفيف نون (إن) وتخفيف نون
(هذان) . وقرأ أبو عمرو وحده « فاجمعوا » بهمزة الوصل . الباقون بقطع الهمزة من
اجمعت الأمر إذا عزم عليه ، قال الشاعر :

يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل اغدون يوماً وأمرى مجمع (١)

وقيل : إن جمعت وأجمعت لغتان في العزم على الأمر يقال : جمعت الأمر ، واجمعت
عليه ، بمعنى ازمعت عليه وفي الكلام حذف ، لأن تقديره انهم حضروا واجتمعوا يوم
الزينة ، فقال لهم حينئذ موسى يعني للسحرة الذين جاؤا بسحرتهم « لا تغفروا على الله » أي
لا تكذبوا عليه كذباً بتكذبي ، وتقولوا إن ما جئت به السحر . والافتراء اختراع الخبر
الباطل بادخاله في جملة الحق وأصله القطع من فراه يفريه فرياً . واقترى افتراء ، والافتراء
والافتعال والاختلاق واحد وقوله « فيسحتكم بعذاب » قال قتادة وابن زيد والسدي
معناه فيستأصلكم بعذاب . والسحت استقصاء الشعر في الحلق : سحته سحتاً وأسحته

اسحاتاً لغتان ، قال الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
وينشد (مسحت) بالرفع على معنى لم يدع أي لم يبق . ومن نصب قال
أو مجلف ، كذاك روي مسحتاً ومجلف . وسئل الفرزدق على ما رفعت إلا مسحتاً
أو مجلف . فقال للسائل على ما يسؤك وينؤك . ويقال : سحت شعره إذا استقصى
حلقه . والمعنى إن العذاب إذا أتى من قبل الله أخذهم واهلكهم عن آخرهم .
وقوله « وقد خاب من اقترى » أي انقطع رجاء من اقترى الكذب . والخيبة
الامتناع على الطالب ما أمل ، والخيبة انقطاع الرجاء يقال : رجع بخيبة ، وهو إذا
رجع بغير قضاء حاجته . واشد ما يكون إذا أمل خيراً من جهة ، فانقلب شرأمنها .
وقوله « فتنازعوا أمرهم » معناه اختلفوا فيما بينهم . والتنازع محاولة كل واحد
من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه ، تنازعا في الامر تنازعا ، ونازعه منازعة .
وقوله « واسروا النجوى » أي اخفوها فيما بينهم . قال قتادة : انهم قالوا :
إن كان هذا ساحراً فسنغلبه ، وإن كان من السماء ، فله أمره . وقال : وهب بن
منية : لما قال لهم « ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من
اقترى » قالوا : ما هذا بقول ساحر . وقيل : اسرارهم كان أنهم قالوا : ان غلبنا
موسى اتبعناه . وقيل أسروا النجوى دون موسى وهارون بقوله « إن هذين
لساحران . . . » الآية . وهو قول السدي . وقوله « ان هذان لساحران »
قيل فيه أوجه :

اولها - إنه ضعف عمل (إن) لأنها تعمل وليست فعلاً لشبهها بالفعل ، وليست

(١) مر تخريجها في ٣ / ٥٢٣ وفي ديوان الفرزدق طبع (دار صادر ،

دار بيروت) ٢ / ٢٦ (بحرف) بدل (مجلف) وهو خطأ

بأصل في العمل ، كما انها لما خففت لم تعمل أصلاً .
والثاني - « إن هذان » أشبه (الذين) في البناء ، لأن أصله الذي فزادوا
نوناً للجمع ، وتركوه على حالة واحدة في النصب والجر والرفع ، فكذلك كان أصله
(هذا) فيه ألف مجهولة فزادوا نوناً للتثنية وتركوها على حالة واحدة في
الاحوال الثلاثة .

والثالث - إن (ان) بمعنى (إنه) إلا انها حذفت الهاء .
والرابع - انه لما حذفت الألف من (هذا) صارت ألف التثنية عوضاً
منها ، فلم تزل على حالها . وهي لغة بني الحارث بن كعب ، وخثعم ، وزبيد ، وجماعة من
قبائل اليمن . وقال بعض بني الحارث بن كعب :

وطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساعياً لناباه الشجاع لصمما (١)
وقال آخر :

إن اباه و اباباهها قد بلغنا في المجد غايتها (٢)
وقال آخر :

تزود منسا بين اذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيم (٣)
الخامس - وقال المبرد و اسماعيل بن اسحاق القاضي : أحسن ما قيل في ذلك
ان (ان) تكون بمعنى نعم ويكون تقديره نعم هذان لساحران ، فيكون ابتداء وخبراً
قال الشاعر :

ظل العواذل بالضحى يلحيني والومه

(١) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٥ وتفسير الطبري ١٦ / ١١٩

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٧ والشوكاني ٣ / ٣٦١

(٣) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٧ ونجم البيان ٤ / ١٦

ويقلن شيب قدءلاك وقد كبرت فقلت انه (١)

ووجه قراءة حفص انه جعل (إن) بمعنى (ما) وتقديره : ما هذان ساحران .
وروي ان ابن مسعود قرأ (ان هذان ساحران) بغير لام . وقرأ ابي (إن هذان
إلا ساحران) . ومن جعل (إن) بمعنى (نعم) جعل حجته في دخول اللام في الخير
قول الشاعر :

خالي لانت ومن جرير خاله ينل العلاء وتكرم الاخوال (٢)
وقال آخر :

ام الخليس لعجوز شهرية ترضى من اللحم بعظم الرقبة (٣)
هذه الآية حكاية عن قول فرعون أنه قال لهم « إن هذين ، يعني موسى
وهارون » لساحران يريدان أن يخرجاك من ارضك بسحرهما وبذهبا بطريقتكم المثلى »
قال مجاهد : معناه يذهبا بطريقة اولى العقل والاشراف والانساب . وقال ابو صالح :
ويذهبا بسراة الناس . وقال قتادة : ويذهبا ببني اسرائيل ، وكانوا عدداً سيراً . وقال ابن
زيد : معناه وبذهبا بالطريقة التي أنتم عليها في السيرة [وقيل : المعنى يذهبان بأهل
طريقتكم المثلى . والامثل الاشبه بالحق الثابت ، والصواب الظاهر . وهو الاول به] (٤) .
وقال لهم فرعون ايضاً « فاجمعوا كيدكم » فمن قطع الهمزة أراد فاعزموا على
أمركم وكيدكم وسحركم . وقيل : جمع وأجمع لغتان في العزم على الشيء . يقال : جمعت

(١) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٨ وجمع البيان : ١٥

(٢) تفسير الشوكاني ٣ / ٤٣٣ وتفسير القرطبي ١١ / ٢١٩

(٣) تفسير القرطبي ١١ / ٢١٩

(٤) ما بين القوسين كان في المطبوعة متأخراً عن موضعه مع اخطاء كثيرة فيه

(ج ٧ م ٢٤ من التبيان)

الأمر وأجمعت عليه .

« ثم اتوا صفًا » ومعناه مصطفين . وقال الزجاج : هو كقولهم : أتيت الصف أي الجماعة . ولم يجمع (صفًا) لانه مصدر . وقال قوم : إن هذا من قول فرعون للسحرة . وقال آخرون : بل هو من قول بعض السحرة لبعض .

وقوله « وقد افلح اليوم من استعلى » معناه قد فاز اليوم من علا على صاحبه بالقلبة . و « قالوا يا موسى اما أن تلتقي واما أن نكون أول من التقي » حكاية عما قالت السحرة لموسى فانهم خيرّوه في الالتقاء بين أن يلتقوا أولاً ما معهم أو يلتقي موسى عصاه ، ثم يلتقون ما معهم ، فقال لهم موسى « بل القوا » أنتم ما معكم « فاذا جبالهم وعصيهم » أي القوا ما معهم ، فاذا جبالهم وعصيهم . وجبال جمع جبل ، وعصي جمع عصا ، ويجمع الجبل جبلاً والعصى أعصيا ويثنى عصوان . وإنما أمرهم بالالتقاء ، وهو كفر منهم ، لانه ليس بأمر ، وإنما هو تهديد . ومعناه الخبر ، بأن من كان إلقاءه منكم حجة عنده ابتداء بالالتقاء ، ذكره الجبائي . وقال قوم : يجوز أن يكون ذلك أمراً على الحقيقة أمرهم بالالتقاء على وجه الاعتبار ، لاعلى وجه الكفر . وقيل كان عدّة السحرة سبعين ألفاً - في قول القاسم بن ابي برة وقال ابن جريج : كانوا تسعمائة .

وقوله « فاذا جبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى » وإنما قال يخيل ، لأنها لم تكن تسعى حقيقة ، وإنما تحركت ، لأنه قيل إنه كان جعل داخلها زئبق ، فلما حميت بالشمس طلب الزئبق الصعود ، فتحركت العصي والجبال ، فظن موسى أنها تسعى . وقوله « يخيل اليه » قيل الى فرعون : وقيل الى موسى . وهو الأظهر . لقوله « فاجس في نفسه خيفة موسى » وإنما خاف دخول الشبهة على قومه . وقيل خاف بطبع البشرية .

قوله تعالى:

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ
السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) اربع آيات .

قرأ ابن عامر « تلقف » بتشديد القاف ورفع الفاء . وقرأ حفص عن عاصم
سا كنة الفاء مجزومة خفيفة القاف . الباقرن مشددة القاف مجزومة الفاء . وقرأ حمزة
والكسائي « كيد سحر » على (فعل) الباقرن « ساحر » على (فاعل) قال ابو علي : حجة
من قال (ساحر) أن الكيد للساحر ، لا للسحر إلا أن يريد كيد ذي سحر ،
فيكون المعنيان واحداً ، ولا يمتنع ان يضاف الكيد الى السحر مجازاً . قوله « فأوجس في
نفسه خيفة موسى » قيل في وجه خيفته قولان :

احدهما - قال الجبائي والبلخي خاف أن يلبس على الناس أمرهم، فيتوهوا أنه
كان بمنزلة ما كان من أمر عصاه .

الثاني - انه خاف بطبع البشرية لما رأى من كثرة ما تخيل من الحيات العظام،
فقال الله تعالى له « لا تخف إنك انت الأعلى » أي انك انت الغالب لهم والقاهر
لامرهم ، ثم أمره تعالى فقال له « ألق ما في يمينك » يعني العصا « تلقف ما صنعوا »
أي تأخذها فيها ابتلاءً و (ما) ها هنا بمعنى الذي ، وتقديره تلقف الذي صنعوا
فيه ، لان فعلهم لا يمكن ابتلاءه، لانها اعراض . ويقال: لقف يلقف وتلقف يتلقف .
ومن قرأ (تلقف) مضمومة الفاء مشددة القاف، أراد تتلقف فاسقط احد التائين، وكذلك

روى ابن فليح عن البرقي عن ابن كثير بتشديد التاء . لانه ادغم الحداها في الاخرى .
ومن سكن الفاء جعلها جواب الأمر . ومن رفع ، فعلى تقدير ، فهي تلقف . وقيل : إنها
ابتلعت حمل ثلاث مئة بعير من الحبال والعصي . ثم اخذها موسى فرجعت الى حالها
عصاً ، كما كانت . ثم اخبر تعالى ، بأن الذي صنعوه كيد سحر ، او كيد ساحر ،
على اختلاف القراءتين . وانما رفع « كيد ساحر » لانه خبر (ان) . والمعنى إن
الذي صنعوه كيد ساحر ، ويجوز فيه النصب على أن تكون (ما) كافة لعمل (إن)
كقولك إنما ضربت زيداً ، ومثله « انما تعبذون من دون الله أو ثانياً » (١) ثم اخبر
تعالى أن الساحر لا يفلح أي لا يفوز بفلاح أي بنجاة « حيث أتى » أي حيث
وجد . وقال بعضهم ، لانه يجب قتله على كل حال ، فلما رأت السحرة ما فعله الله من
قلب العصا ثعباناً وابطال سحرهم علموا انه من قبل الله ، وانه ليس بسحر ، فالفوا
نفوسهم ساجدين لله ، مقرين بنبوة موسى (ع) مصدقين له . و « قالوا آمنا » أي
صدقنا « برب هارون وموسى » وقيل معناه صدقنا بالرب الذي يدعوا اليه هارون
وموسى ، لانه رب الخلائق اجمعين .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كَسَمُ الَّذِي
عَلَّمَكُمْ السَّحْرَ فَلَا قَطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا
صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعَلَّمْنَ أَثِينًا شَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)
قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ

مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنْ مَأْتَقَضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا
 لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ
 وَأَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا
 وَلَا يَحْيَى (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ
 الدَّرَجَاتُ العُلَى (٧٥) خمس آيات بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحفص وورش « آمنتم » على لفظ الخبر . وقرأ أهل الكوفة
 إلا حفصاً بهمزتين . الباقيون بهمزة واحدة بعدها مدة . قال أبو علي : من قرأ على
 الخبر ، فوجهه أنه قرأهم على تقدمهم بين يديه ، وعلى استبدارهم بما كان منهم من
 الإيمان بغير أذنه وأمره ، والاستفهام يؤل إلى هذا المعنى . ووجه قراءة أبي عمرو
 أنه أتى بهمزة الاستفهام وهمزة الوصل ، وقلب الثانية مدة ، كراهية اجتماع الهمزتين .
 وقد مضى شرح ذلك فيما مضى .

حكى الله تعالى ما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى وهارون « آمنتم له »
 أي صدقتموه واتبعتموه « قبل أن آذن لكم » وقال في موضع آخر « آمنتم به » (١)
 وقيل في الفرق بينهما « أن آمنتم له » يفيد الاتباع ، وليس كذلك « آمنتم به » لأنه
 قد يوقن بالخير من غير اتباع له فيما دعا إليه إلا أنه إذا قبل قول الداعي إلى أمر
 أخذ به . ومن قرأ « آمنتم على الخبر » كأن فرعون أخبر بذلك . ومن قرأ على لفظ
 الاستفهام كأنه استفهم عن إيمانهم على وجه التقرير لهم .

والفرق بين الأذن والأمر، أن في الأمر دلالة على إرادة الفعل المأمور به ، وليس

في الاذن دلالة على إرادة المأذون فيه ، كقوله « وإذا حلتم فاصطادوا » (١) فهذا إذن . ثم قال فرعون « انه » يعني موسى « لكبيركم » اي رئيسكم ومتقدمكم « الذي علمكم السحر » ثم هددهم فقال « لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف » يعني قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى او اليد اليسرى والرجل اليمنى . وقيل أول من فعل ذلك فرعون ، وأول من صلب في جذوع النخل هو ، و (في) بمعنى (على) قال الشاعر :

وهم صلبوا العبدى في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا (٢)

وقوله « ولتعلمن ايناً اشد عذاباً وأبقى » قال ابن اسحاق ومحمد بن كعب القرطبي معناه : ابقى عقاباً ان عصي وثواباً ان اطيع ، ورفع « آينا » لانه وقع موقع الاستفهام ، ولم يعمل فيه ما قبله من العلم . وقيل انما نسبهم الى اتباع رئيسهم في السحر ليصرف بذلك الناس عن اتباع موسى (ع) فأجابته السحرة فقالوا « لن نؤثرك » أي لا نختارك يا فرعون « على ما جاءنا من اليبينات » يعني الادلة الدالة على صدق موسى وصحة نبوته . وقوله « والذي فطرنا » يعني وعلى الذي خلقنا فيكون عطفنا على « ما جاءنا من اليبينات » فيكون جرأ ، ويحتمل أن يكون جرأ بأنه قسم . وقوله « فاقض ما انت قاض » معناه فاصنع ما انت صانع على تمام من قولهم : قضى فلان حاجتي إذا صنع ما اريد على اتمام ، قال ابو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاها داود أو صنع السوايغ تبع (٣)

وقوله « انما تقضي هذه الحياة الدنيا » يعني انما تصنع بسلطانك وعذابك في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة . وقيل : معناه ان الذي يقضى وينقضي هذه الحياة

(١) سورة ٥٤ ، المائة آية ٣

(٢) تفسير الشوكاني ٣/٣٦٣ والقرطبي ١١/٢٢٤ والطبري ١٦/١٢٦

(٣) مر هذا البيت في ١/٢٢٩ و ٤/٨٨ و ١٦٥ و ٣٩٨/٥

الدنيا دون حياة الآخرة . وقوله « انا آمننا بربنا » اي صدقنا به، نطلب بذلك أن يغفر لنا خطايانا ويغفر لنا ما اكرهتنا عليه من السحر . قال ابن زيد وابن عباس : إن فرعون رفع غلسانا الى السحرة يعلمونهم السحر بالغرائم قالوا « والله خير » لنا منكم « وابقى » لنا نواباً من نوابك . ثم حكى قول السحرة انهم قالوا « انه من بات ربه مجرمًا » وقيل انه خبر من الله تعالى بذلك دون الحكاية عن السحرة « فان له جهنم » جزاء على جرمه وعصيانه « لا يموت فيها » يعني جهنم « ولا يحيى » اي لا يموت فيها فيستريح من العذاب ، ولا يحيى حياة فيها راحة ، بل هو معاقب بأنواع العقاب .

ثم اخبر تعالى فقال « ومن يأته مؤمناً » أي مصدقاً بتوحيده وصدق أنبيائه و « قد عمل » الطاعات التي أمره بها ﴿ فاولئك لهم الدرجات العلى ﴾ أي العالیه والعلی جمع علیا . مثل ظلمة وظلم والكبرى والكبر .

قوله تعالى :

﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (٧٦) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا
تَخْشَى (٧٧) فَأَتَّبَعَهُمْ فَرَعُونُ بِنُجُودِهِ فَنَعَشِيهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا عَشِيَهُمْ (٧٨)
وَأَضَلَّ فَرَعُونُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ
مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ

الْمَنِّ وَالسَّلْوَى (٨٠) خمس آيات .

قرأ حمزة وحده ﴿ لا تخف دركاً ﴾ على النهي ، أو على الجزاء لقوله « فاضرب لهم طريقاً » الباقوت « لا تخاف » بالرفع « ولا تخشى » بآلف بلا خلاف على الاستئناف . ومثله قوله « يولوكم الادبار ثم لا ينصرون » (١١) . وقيل انه يحتمل ان يكون « لا تخش » مجزوماً ، وزيد الالف ليوافق رؤس الآي كما قال الشاعر :

لم يأتيك والأبناء تنمي بما لاقت لبون بني زياد (٢)

ومن قرأ « لا تخاف » بالرفع ، و « لا تخشى » مثله ، فهو على الخبر . وقال ابو علي : هو في موضع نصب على الحال ، وتقديره طريقاً في البحر يساً غير خائف دركاً . وقرأ حمزة والكسائي « انجيتكم ، ووعدتكم » بالتاء فيهما بغير الف . الباقوت بالالف والنون . وقرأ ابو عمرو وحده « ووعدناكم » بغير الف . الباقوت « ووعدناكم » بالف . ولم يختلفوا في « نزلنا » انه بالنون . ومعنى التاء والنون قريب بعضه من بعض ، لكن النون لعظم حال المتكلم .

لما اخبر الله تعالى ان لمن آمن بالله الدرجات العلى ، قال ولهم « جنات عدن » اي يساتين إقامة « تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها » وقد فسرناه في غير موضع . ثم قال « وذلك » الذي وصفه « جزاء » من تزكى ، فالتزكي طلب الزكا بارادة الطاعة ، والعمل بها ، والزكا النماء في الخير ، و منه الزكاة ، لان المال ينمو بها في العاجل والاجل ، لما لصاحبها عليها من ثواب الله تعالى . وقيل : معنى « تزكى » تطهر من الذنوب بالطاعة بدلا من تدينسها بالمعصية . والخلود المكث في الشيء الى غير غاية .

(١) سورة ٣ آية آل عمران آية ١١١ (٢) مر هذا البيت ٦ / ١٩٠ وهو

في تفسير القرطبي ١١ / ٢٢٤ وتفسير الشوكاني ٣ / ٤٣٣

ثم أخير تعالى فقال ﴿واقعدأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ أي سر بهم ليلاً لأن الاسراء السير بالليل ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً﴾ والمعنى : اضرب بعصاك البحر تجعل طريقاً ، فكأنه قيل : اجعل طريقاً بالضرب بالعصا ، فعساه إلى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق ، كضربه الدينار .

واليبس اليابس وجمعه ايباس ، وجمع اليبس - بسكون الباء - ييوس . وقال ابو عبيدة : اليبس - بفتح الباء - المسكن الجاف . واذا كان اليبس في نبات الارض فهو اليبس - بسكون الباء - قال علقمة بن عبده :

تخشخش أبدان الحديد عليهم كما خششت ييس الحصاد جنوب

وقوله ﴿لاتخاف دركا ولا تخشى﴾ معناه لاتخف أن يدركك فرعون ، ولا تخش الغرق من البحر - في قول ابن عباس وقتادة - . وقيل : معناه لاتخف لحوقاً من عدوك ، ولا تخش الغرق من البحر الذي انفرج عنك . والمعنيان متقاربان . وكان سبب ذلك أن اصحاب موسى قالوا له : هذا فرعون قد لحقنا ، وهذا البحر قد غشنا يعنون اليم ، فقال الله تعالى ﴿لاتخف دركا ولا تخش﴾ .

ثم اخبر تعالى فقال ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ أي دخل خلف موسى وبني إسرائيل ، وفي الكلام حذف لأن تقديره : فدخل موسى وقومه البحر ثم أتبعهم فرعون بجنوده . فمن قطع الهمزة جعل الباء زائدة . ومن وصلها أراد : تبعهم وسار في أثرهم ، والباء للتعدي .

وقوله ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ يعني الذي غشيهم . وقيل : معناه تعظيم للامر لأن (غشيهم) قد دل على (ما غشيهم) وإنما ذكره تمظيهاً . وقيل : ذكره تأكيداً . وقال قوم : معناه فغشيهم الذي عرفتموه . كما قال ابو النجم :

﴿ج ٧ م ٢٥ من التبيان﴾

أنا ابو النجم وشعري شعري (١)

وقال الزجاج : فغشيم من اليم ما غرقهم . وقال الفراء : معناه « فغشيم من اليم ما غشيم » لأنه ليس الماء كله غشيم ، وإنما غشيم بعضه . وقال قوم : معناه « فغشيم » يعني أصحاب فرعون « من اليم » ما غشي قوم موسى إلا أن الله غرق هؤلاء ، ونجا أولئك . ويجوز أن يكون المراد : فغشيم من قبل اليم الذي غشيم من الموت والهلاك ، فكأنه قال : الذي غشيم من الموت والهلاك كان من قبل البحر إذ غشيم ، فيكون (غشيم) الاول للبحر ، و (غشيم) الثاني للهلاك والموت .

وقوله « وأضل فرعون قومه وما هدى » معناه أنه دعاهم الى الضلال واغواهم ، فضلوا عنده ، فنسب اليه الضلال . وقيل : إن معناه أستمر بهم على الضلالة فلذلك قيل « وما هدى » . ثم عدد الله على بني إسرائيل نعمه ، بأن قال « يا بني اسرائيل قد أتجيناكم » أي خلصناكم « من عدوكم » فرعون « وواعدناكم جانب الطور الأيمن » معناه إن الله واعدكم جانب الجبل الذي هو الطور ، لتسمعوا كلام الله لموسى بحضرتكم هناك « ونزلنا عليكم المن والسلوى » يعني في زمان التيه أنزل عليهم المن ، وهو الذي يقع على بعض الاشجار ، والسلوى طائر أكبر من السمان .

قوله تعالى :

﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ

(١٠) آمالي السيد المرتضى ١/ ٣٥٠ . وبعد : (لله دري مايجن صدري)

قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ لَهُمْ أُولَاءِ عَلَيَّ أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ
لَتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمْ
السَّامِرِيُّ (٨٥) خمس آيات .

قرأ الكسائي وحده « فيحل عليكم » بضم الحاء ، وكذلك « من يحلل » بضم
اللام . الباقون - بكسر ها - ولم يختلفوا في الكسر من قوله « ان يحل عليكم غضب
من ربكم » (١) يقال حل بالمكان يحل إذا نزل به ، وحل يحل - بالكسر - بمعنى وجب .
قوله « كلوا من طيبات ما رزقناكم » صورته صورة الأمر والمراد به
الاباحة ، لان الله تعالى لا يريد المباحات من الأكل والشرب في دار التكليف .
والطيبات معناه الحلال . وقيل معناه المستلذات .

وقوله « ولا تطغوا فيه » معناه لا تتعدوا فيه فتأكلوه على وجه حرمه الله
عليكم ، فتعدون فيه بمعصية الله ، ويمكن ترك الأكل على وجه حرمه الله الى وجه
أباحه الله على الوجه الذي أذن فيه ، وعلى وجه الطاعة أيضاً ، للاستعانة به على غيره
من طاعة الله .

وقوله « فيحل عليكم غضبي » معناه متى طغيتم فيه واكتموه على وجه
الحرام ، نزل عليكم غضبي ، على قراءة من ضم الحاء . ومن كسره ، معناه يجب
عليكم غضبي الذي هو عقاب الله .

ثم اخبر تعالى أن من حل غضب الله عليه « فقد هوى » يعني هلك ، لأن
من هوى من علو الى سفلى ، فقد هلك . وقيل : هو بمعنى تردى وقيل : معناه
هوى الى النار .

ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه « غفار » أي ستار « لمن تاب من المعاصي » فاستقط عقابه وستر معاصيه إذا أضاف الى إيمانه الأعمال الصالحات « ثم أهدى » قال قتادة : معناه ثم لزم الايمان إلى أن يموت ، كأنه قال : ثم استمر على الاستقامة . وإنما قال ذلك ، لئلا يتكل الانسان على انه قد كان أخلص الطاعة . وفي تفسير أهل البيت (ع) ان معناه « ثم أهدى » الى ولاية أوليائه الذين أوجب الله طاعتهم والانتقياد لامرهم . وقال ثابت البناني : ثم أهدى الى ولاية أهل بيت النبي (ص) . ثم خاطب موسى (ع) ، فقال « وما أعجلك عن قومك يا موسى » قال ابن اسحاق : كانت المواعدة أن يوافي هو وقومه ، فسبق موسى الى ميقات ربه ، فقرره الله على ذلك لم فعله ؟ وقال موسى في جوابه « هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى » فقال الله تعالى « فانا قد فتنا قومك من بعدك » أي عاملناهم معاملة المختبر بان شددنا عليهم في التعبد بأن ألزمناهم عند اخراج العجل أن يستدلوا على أنه لا يجوز أن يكون إلهاً ، ولا أن يحل الاله فيه ، لحقيقة الفتنة تشديد العبادة .

وقوله « واطلهم السامري » معناه أنه دعاهم الى عبادة العجل ، فضلوا عند ذلك ، فنسب الله الاضلال اليه لما ضلوا بدعائه .

قوله تعالى :

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْ زَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ

فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا
 لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ
 إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ
 قَالَ لَهُمْ هُرُونٌ مِنْ قَبْلِ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ
 فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿ (٩٠) خمس آيات .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر « بملكنا » بكسر الميم - وقرأ نافع
 وعاصم - بفتح الميم - وقرأ حمزة والكسائي - بضم الميم - من ضم الميم فمعناه بسلطاننا
 وقيل إن في ذلك ثلاث لغات : فتح الميم وضمها وكسرها . وقرأ أبو عمرو ، وحمزة
 وأبو بكر « حملنا » - بفتح الحاء والميم - مخففاً . الباقون - بضم الحاء وكسر
 الميم .. مشدداً .

أخبر الله تعالى أن موسى رجع من ميقات ربه « إلى قومه غضبان أسفاً »
 والغضب ضد الرضا ، وهو ما يدعو إلى فعل العقاب ، والأسف أشد الغضب . وقال
 ابن عباس : معنى « أسفاً » أي حزيناً . وبه قال قتادة والسدي . والأسف أشد
 الغضب . وقال بعضهم : قد يكون بمعنى الغضب ، ويكون بمعنى الحزن . قال الله تعالى
 « فلما أسفونا انتقمنا منهم » (١) أي أغضبونا ، فقال موسى لقومه « يا قوم ألم
 يعدكم ربكم وعداً حسناً » لأن الله تعالى كان وعد موسى بالنجاة من عدوهم ، ومجيئهم
 إلى جانب الطور الأيمن ، ووعدته بأنه تعالى « غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم

أهتدى « ثم قال « أفضال عليكم العهد » أي عهدي ولقائي فنسيتموه « أم أردتم أن يحل عليكم « أي يجب عليكم « غضب » أي عقاب « من ربكم فأخلفتم موعدي ، أي ما وعدتموني من المقام على الطاعات . وقال الحسن : معنى « ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً » في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا . وقيل الذي وعدهم الله به التوراة ، وفيها النور والهدى ليعملوا بما فيها ، ويستحقوا عليه الثواب . وكانوا وعدوه أن يقيموا على أمرهم ، فأخلفوا ، وقالوا جواباً لموسى « ما أخلفنا موعدك بملكنا » أي قال المؤمنون : لم نملك أن نرد عن ذلك السفهاء . قال قتادة والسدي : معنى « بملكنا » بطاقتنا . وقال ابن زيد : معناه لم نملك أنفسنا للبلية التي وقعت بنا . فمن فتح الميم : أراد المصدر . ومن كسرهما أراد : ما يملك . ومن ضم أراد : السلطان والقوة به .

وقوله « ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم » معناه إنا حملنا أثقالاً من حلي آل فرعون ، وذلك أن موسى أمرهم ان يستعبروا من حليهم - في قول ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد - وقيل : جعلت حلالاً لهم . ومن قرأ بالتشديد أراد ان غيرنا حملنا ذلك بأن أمرنا بحمله .

وقوله « فقدفناها » أي طرحنا تلك الحلي ، ومثل ذلك « ألقى السامري » ما كان معه من الحلي . وقيل « أوزاراً » أي أثقالاً من حلي آل فرعون ، لما قدفهم البحر أخذوها منهم . ثم أخبر تعالى فقال : إن السامري أخرج لقوم موسى عجلاً جسداً له خوار ، فقيل ان ذلك العجل كان في صورة ثور صاغها من الحلي التي كانت معهم ، ثم ألقى عليها من أثر جبرائيل شيئاً ، فانقلب حيواناً يخور - ذكره الحسن وقتادة والسدي - و (الخور) الصوت الشديد كصوت البقرة . وقال مجاهد : كان خواره بالريح إذ دخلت في جوفه . وأجاز قوم الأول ، وقالوا : إن ذلك معجزة تجوز

في زمن الأنبياء . وقول مجاهد أقوى ، لأن إظهار المعجزات لا يجوز على أيدي
البطلين ، وإن كان في زمن الأنبياء . وقال الجبائي : إنما صورته على صورة العجل
وجعل فيه خروفاً إذا دخله الريح أو هم أنه يخور . وقيل : أنه خار دفعة واحدة « فقالوا
هذا إلهكم وإله موسى » يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ان هذا العجل معبودكم
ومعبود موسى ، « فنسي » أي نسي موسى أنه إلهه ، وهو قول السامري - في
قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وابن زيد والضحاك - وقال ابن عباس في
رواية أخرى : معناه ، فنسى السامري ما كان عليه من الايمان ، لأنه نافق لما عبر
البحر . ومعناه ترك ما كان عليه . وقال قوم : معناه « فنسي » موسى أنه أراد هذا
العجل ، فنسي وترك الطريق الذي يصل منه اليه ، ويكون حكاية قول السامري .
ثم قال تعالى تنبيهاً لهم على خطئهم « أفلا يرون » أي أفلا يعلمون أنه
« لا يرجع اليهم قولا » أي لا يجيبهم إذا خاطبوه ، ولا يقدر لهم على ضر ولا نفع .
ثم اخبر ان هارون قال لهم قبل ذلك « يا قوم إنما فتنتم به » أي ابتليتكم واختبرتم
به « وإن ربكم الرحمن » أي الذي يستحق العبادة عليكم هو الرحمن الذي
أنعم عليكم بضروب النعم « فاتبعوني » فيما أقول لكم « واطيعوا أمري » فيما
أمركم به .

قوله تعالى:

﴿ قَالُوا كُنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١)
قَالَ يَا هَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ
أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخَافُ لَأَتَّخِذَ بِلَحِيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ

أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَلِمَ تَرُوبٍ قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا
خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿ (٩٥) خمس آيات .

قرأ « يا ابن أم » - بفتح الميم - ابن كثير وأبو عمرو ، وعاصم في رواية حفص . الباقون - بكسر الميم - من فتح الميم جعل « ابن أم » اسماً واحداً وبناهما على الفتح مثل (خمسة عشر) إلا ان (خمسة عشر) تضمن معنى الواو ، وتقديره خمسة وعشرة ، و « ابن أم » بمعنى اللام وتقديره : لأمي ، وكلاهما على تقدير الاتصال بالحرف على جهة الخذف ، ويجوز « يا ابن أم » على الإضافة ، ولم يجيء هذا البناء إلا في يا ابن أم ، ويا ابن عم ، لأنه كثر حتى صار يقال للأجنبي ، فلما عدل بمعناه عدل بلفظه ، قال الشاعر :

رجال ونسوان يردون أتني وإياك نخزي يا ابن عم ونفضح
ويحتمل ان يكون (اراد يا ابن أماء) فرخم . ويحتمل ان يكون اراد (يا ابن
اما) [تخفف ، ومن كسر اراد يا ابن امي] (١) لأن العرب تقول : يا ابن اما بمعنى
يا ابن امي ويا ربا بمعنى يا ربي . فن كسر اراد : يا ابن امي ، فخذف الياء وابقى
الكسرة تدل عليها .

حكى الله تعالى ما اجاب به قوم موسى لهارون حين نهام عن عبادة العجل
وأمرهم باتباعه ، فانهم « قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى » أي
لن نزال لازمين لهذا العجل الى أن يعود الينا موسى ، فننظر ما يقول قال الشاعر :

فما برحت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع (٢)

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) مر تخريجها في ٦/١٨٢ وروايتها هناك - (فتت) بدل (برحت)

والعكوف لزوم الشيء. مع القصد اليه على مرور الوقت ، ومنه الاعتكاف في المسجد . ثم اخبر تعالى أن موسى لما رجع الى قومه ، قال لهارون « يا هارون ما منعك ألا تتبعتني » قال ابن عباس : معناه بمن أقام على إيمانه . وقال ابن جريج : معناه ألا تتبعني في شدة الزجر لهم عن الكفر . ومعنى (ألا تتبعني) ما منعك أن تتبعني و (الا) زائدة . كما « قال ما منعك ألا تسجد إذ امرتك » (١) وقد بينا القول في ذلك . وإنما جاز ذلك لأنه المفهوم أن المراد ما منعك بدعائه لك الى أن لا تتبعني فدخلت (لا) لتنبئ عن هذا المعنى ، وهو منع الداعي دون منع الحائل .

وقوله « أف عصيت أمري » صورته صورة الاستفهام ، والمراد به التقرير ، لأن موسى كان يعلم أن هارون لا يعصيه في أمره ، فقال له هارون في الجواب « لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » حين اخذ موسى بلحيته ورأسه . وقيل في وجه ذلك قولان :

أحدهما - ان عادة ذلك الوقت أن الواحد إذا خاطب غيره قبض على لحيته ، كما يقبض على يده في عاداتنا ، والعادات تختلف ولم يكن ذلك على وجه الاستخفاف . والثاني - انه أجراه مجرى نفسه إذا غضب ، في القبض على لحيته ، لأنه لم يكن يتهم عليه ، كما لا يتهم على نفسه .

وقوله « إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل » معناه إني خفت أنني إن فعلت ذلك على وجه العنف والأكراه أن يتفرقوا ويختلف كلمتهم ويصيروا أحزاباً ، حزباً يلحقون بموسى وحزباً يقيمون مع السامري على اتباعه ، وحزباً يقيمون على الشك في أمره . ثم لا يؤمن إذا تركتهم كذلك أن يصيروا بالخلاف الى سفك الدماء ، وشدة التصميم على أمر السامري ، فاعتذر بما مثله يقبل ، لأنه وجه

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١١

﴿ ج ٧ م ٢٦ من التبيان ﴾

من وجوه الرأي .

قوله « ولم ترقب قولي » أي لم تحفظ قولي - في قول ابن عباس - فعملك عن ذلك موسى الى خطاب السامري ، فقال له « ما خطبك يا سامري » أي ما شأنك وما دعاك الى ما صنعت ؟ وأصل الخطب : الجليل من الأمر ، فكأنه قيل : ما هذا العظيم الذي دعاك الى ما صنعت .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ أَفَأَذْهَبُ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلْهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا (١٠٠) خمس آيات .

قرأ حمزة والكسائي « بما لم تبصروا » بالناه . الباقون بالياء المعجمة من اسفل . من قرأ بالناه حمله على خطابه لجميعهم . ومن قرأ بالياء اراد : بصرت بما لم يبصروا بنو إسرائيل . وقرأ ابن كثير وابو عمرو « لن تخلفه » بكسر اللام .

الباقون يفتح اللام . والمعنى : لأن الله يكفيك على ما فعلت يوم القيامة ، لأنه بذلك وعد . يقال : اخلفت موعد فلان إذا لم تف بما وعدته . ومن قرأ - على ما لم يسم فاعله - جعل الخليف من غير المخاطب ، والهاء كناية عن الموعد ، وهو للفعل به ، والفاعل لم يذكر .

حكى الله تعالى قول موسى للسامري وسؤاله إياه بقوله « ما خطبك يا سامري » وحكى ما أجاب به السامري ، فانه قال « بصرت بما لم يبصروا به » والمعنى رأيت ما لم يروه . فمن قرأ بالياء أراد ما لم يبصروا هؤلاء . ومن قرأ بالتاء حمله على الخطاب وبصر لا يتعدى ، وإن كانت الرؤية متعدية ، لأن ما كان على وزن (فعل) بضم العين لا يتعدى . غير أنه وإن كان غير متعد ، فانه يتعدى بحرف الجر ، كما عدها - هنا - بالياء . وقيل بصرت - ههنا - بمعنى علمت من البصرة . يقال : بصر يبصر إذا علم . وابتصر ابصاراً إذا رأى .

وقوله « فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها » قرأ الحسن بالصاد غير المعجمة . والقراء على القراءة بالاضاد المنقطة ، والفرق بينهما أن (القبض) بالاضاد بمجىء الكف ، وبالصاد غير المعجمة بأطراف الأصابع . وقيل : انه قبض قبضة من اثر جبرائيل (ع) « فنبذتها » في الحلي على ما طمعتني نفسي من انقلابه حيواناً . وقال ابن زيد : معنى « سولت لي نفسي » حدثني . وقيل : معناه زينت لي نفسي .

فان قيل : لم جاز انقلابه حيواناً - مع انه معجز - لغير نبي ؟

قلنا : في ذلك خلاف ، فمنهم من قال : انه كان معلوماً معتاداً في ذلك الوقت انه من قبض من اثر الرسول قبضة فألقاها على جراد صار حيواناً - ذكره ابو بكر ابن الاخشاذ - فعلى هذا لا يكون خرق عادة بل كان معتاداً . وقال الحسن : صار لحماً ودماً . وقال الجبائي : المعنى سولت له نفسه مالا حقيقة له والمخار بجيلة : جعلت

فيه خروق اذا دخلتها الريح سمع له خوار منه . فقال له موسى عند ذلك « فاذهب »
يا سامري « فان لك في الحياة أن تقول لامساس » واختلفوا في معناه ، فقال قوم :
معناه تقول لا أمس ولا أمس . وكان موسى امر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا
يخالطوه ولا يبابعوه ، فيما ذكر . وقال الجبائي : معناه انه لامساس لأحد من
الناس ، لأنه جعل بهيم في البرية مع الوحش والسباع . وقوله « لامساس » بالكسر
والفتح ، فان كسرت فمثل لا رجال ، واذا فتحت الميم بنيت على الكسر مثل نزال ،
قال رؤبة :

حتى تقول الأزد لا مساسا (١)

وقال الشاعر :

تميم كرهط السامري وقوله ألا لا يريد السامري مساسا (٢)

وكله بمعنى المماسه والمخالطة . ثم قال « وان لك موعداً لن تخلفه » من جهتنا فيمن
قرأ بالفتح ، ومن قرأ بالكسر معناه لا تخلفه انت ، وهما متقاربان ، ويريد بالموعد
البعث والنشور والجزاء ، اما جنسة واما ناراً . ثم قال « انظر الى الهك » يعني
معبودك عند قسك أبصره « الذي ظلت عليه عاكفاً » قال ابن عباس : معناه اقامت
عليه عاكفاً ، واصله ظلت ، فحذف اللام المكسورة للتخفيف وكرهية التخفيف ، وللعرب
فيها مذهبان ، فتح الظاه ، وكسرها ، فمن فتح تركها على حالها ، ومن كسر نقل حركة
اللام اليها للاشعار باصلها . ومثله مست ومست في مسست . وهمت وهمت ، في
هممت ، وهل احست في احسست ، قال الشاعر :

(١) تفسير القرطبي ١١ / ٢٤١ / والشوكاني ٣ / ٣٧١

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢٤٠

خلا ان العتاق من المطايا أحسن به فهن اليه شوس (١)
 وقوله « لنحرقنه » يعني بالنار يقال : انه حرقه ثم ذراه في البحر - في قول ابن عباس - يقال حرقته بتشديد الراء اذا حرقته بالنار وحرقته بتخفيف الراء بمعنى برده بالمبرد ، وذلك لانه يقطع به كما يقطع المحرق بالنار يقال حرقته واحرقته حرقاً ، كما قال الشاعر :

بذي فرير يوم بنو حبيب بيوتهم علينا يحرقونا (٢)
 وقال زهير :

ابى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فأفضى والسيوف معاقله (٣)
 وقراً ابو جعفر المدني « لنحرقنه » بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء بمعنى لنبردنه . وروى ذلك عن علي (ع) ، ويقال نسف فلان الطعام بالمنسف اذا ذراه لتطير عنه قشوره . وقال سعيد بن جبير : كان السامري رجلاً من اهل كرمان . وقال قوم : كان من بني اسرائيل ، واليه تنسب (السامرة) من اليهود . وحكى قوم : ان قبيلته الى اليوم يقولون في كلامهم : لامساس .
 ثم اقبل على قومه فقال « انما الحكم الله الذي لا اله الا هو » اي ليس لكم معبود الا الله الذي « وسع كل شيء علماً » اي يعلم كل شيء ، لا يخفى عليه شيء منها ، وهي لفظة عجيبة في الفصاحة .

ثم قال تعالى لتببه محمد (ص) مثل ذلك « نقص عليك من ابنا » يعني اخبار « ما قد سبق » وتقدم « وقد آتيناك من لدنا ذكراً » اي اعطيناك من عندنا

(١) تفسير الطبري ١٦ / ١٣٧ والقرطبي ١١ / ٢٤٢

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٣٨ (٢) ديوان (دار بيروت) ٦٩ وهذا البيت

برمته ساقط من المطبوعة

علماً بأخبار الماضين : وقال الجبلي : اراد آتيناك من عندنا القرآن لأنه سمى ذكراً .
ثم قال « من اعرض » عن التصديق بما اخبرناك به وعن توحيد الله ، واخلاص
عبادته « فإنه يحمل يوم القيامة وزراً » اي اثماً ، واصل الوزر الثقل ، في قول مجاهد .
قوله تعالى :

﴿ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ
يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
قُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَلَعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى
فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ (١٠٧) سبع آيات .

قرأ أبو عمرو وجده « يوم ينفخ » بفتح النون مع قوله « ونحشر » . الباقون
« ينفخ » بالياء على ما لم يسم فاعله . قوله « خالد بن فيه » نصب على الجمل ، والعمل
فيه (العذاب) الذي تقدم ذكره من الوزر ، والمعنى في عذاب الاثم وساء لهم
يوم القيامة حملاً) نصب (حملاً) على التمييز . وفاعل (ساء) مضمر ، وتقديره :
ساء الحمل حملاً ، الا انه استغني بالمفسر عن اظهار المضمر ، كقولهم بشي رجلاً
صاحبك . وانما اضمر ، ثم فسره ، لأنه الغم واهول ، والمعنى وساء ذلك الحمل
الوزر لهم يوم القيامة حملاً ، فيما ينزل بهم .

وقوله « يوم ينفخ في الصور » فالنفخ اخراج الريح من الجوف بالدفع من

الشم، فهذا أصله، ثم قد يسمى الحداثات الريح من الزق أو البوق نفتحاً، لأنه كالنضح المعروف . و (الصور) قيل في معناه قولان :

أحدهما - أنه جمع صورة ، كل حيوان تنفخ فيه الروح ، فصجري في جسده ، ويقوم حياً بأذن الله .

والثاني - أنه قرن ينفخ فيه النفخة الثانية ليقوم الناس من قبورهم عند تلك النفخة تصوراً لتلك الحال في النفوس بما هو معلوم ، مما عهدوه من بوق الرحيل وبوق النزول .

وقوله ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴾ قيل : معناه إنه أزرقت عيونهم من شدة العطش . وقيل : معناه عمياً ، كما قال ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً ﴾ (١) كأنهم سارت زرقاً وهي عمي . وقيل : المعني في (زرقاً) تشويه الخلق : وجوههم سود وأصبنهم زرق .

وقوله ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ معناه يتشاورون بينهم - في قول ابن عباس - ومنه قوله ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ومعناه لا تعلن صوتك بالقراءة في الصلاة كل الاعلان ولا تخفها كل الاخفاء ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ (٢) وقوله ﴿ إن لبئس إلا عشراً ﴾ يعني ما أقمت في قبوركم إلا عشراً . وإنما يقولون ذلك القول لأنهم لشدة ما يرونه من هول القيامة ينسون ما لبثوا في الدنيا ، فيقولون ههنا القول . وقيل : معناه وتأويله أنه يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم لما يرون من أهوالهم التي رجعت اليهم ، كأنهم كانوا نياماً ، فانتبهوا . وقال الحسن : إن لبئس إلا عشراً يقللون لبثهم في الدنيا لطول ما هم لا بشون في النار .

ثم قال تعالى ﴿ نحن اعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ أي اصلحهم

(١) سورة ١٧ الاسري آية ٩٧ (٢) سورة ١٧ الاسري آية ١١٠

طريقة وأوفرهم عقلاً . وقيل : أ كثرهم سداداً ، يعني عند نفسه ﴿ إن لبثتم إلا يوماً ﴾ قال أبو علي الجبائي : معناه ﴿ إن لبثتم إلا يوماً ﴾ بعد انقطاع عذاب القبر عنهم ، وذلك إن الله يعذبهم ثم يعيدهم .

ثم قال لنبية محمد (ص) ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ﴾ قيل : أنه يجعلها بمنزلة الرمل ، ثم يرسل عليها الرياح فتذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب . وقيل : إن الجبال تصير كالحبباء ﴿ فيذرها قاعاً صفصفاً ﴾ قال ابن عباس : الصفصف الموضع المستوي الذي لا نبات فيه ، وهو قول مجاهد وابن زيد . وقيل هو المكان المستوي كأنه على صف واحد في استوائه ، والقاع قيل : هو الأرض الملساء . وقيل مستنقع الماء وجمعه اقواع قال الشاعر :

كان أيدهن بالقاع القرقر
أيدي جوار يتعاطين الورق (١)

وقال الكلبي : الصفصف ما لا تراب فيه . ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ يعني وادياً ولا راية - في قول ابن عباس - وقيل ﴿ عوجاً ﴾ معناه صدعاً ﴿ ولا أمتاً ﴾ يعني أكمة . وقيل : معنى ﴿ عوجاً ﴾ ميلاً و ﴿ أمتاً ﴾ انزلاً . وقال أبو عبيدة : ﴿ صفصفاً ﴾ أي مستوياً أملساً . و (العوج) مصدر ما عوج من المجاري ، والمسائل والأودية والارتفاع يميناً وشمالاً و « لا أمتاً » أي لا ارتفاع فيه ، أي لا ارتفاع فيه ولا هبوط ، يقال : مد جبهه حتى ما ترك فيه أمتاً ، وملاً سقاه حتى ما ترك فيه أمتاً أي انثناء ، قال الشاعر :

ما في انحداب سيره من أمت (٢)

(١) أمالي الشريف المرتضى ١ / ٥٦١ واللسان (قرقر)

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١٤١ والشوكاني ٣ / ٣٧٢

قوله تعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا
مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (١١٠) ثلاث آيات .

يقول الله تعالى إن اليوم الذي ينسف الله فيه الجبال نسفاً ، ويندرها قاعاً
صنصفاً ، حتى لا يبقى فيه عوج ولا امت ، تتبع الخلائق يرمئذ الداعي لهم الى المحشر
﴿ لا عوج له ﴾ اي لا يميلون عنه ، ولا يعدلون عن ندائه ، ولا يعصونه كما يعصون
في دار الدنيا ﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ اي تخضع له بمعنى انها تسكن ، ولا
ترتفع - في قول ابن عباس - والخشوع الخضوع قال الشاعر :

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع (١)

وقوله تعالى « فلا تسمع إلا همساً » فالهمس صوت الأقدام - في قول ابن عباس
وابن زيد - وقال مجاهد : الهمس إخفاء الكلام ، قال الراجز في الهمس :

وهن يمشين بنا هميساً (٢)

يعني صوت اخفاف الابل في سيرها . وقوله ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ
أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ اخبر الله تعالى أن ذلك اليوم لا تنفع شفاعه احد في

(١) قائله جرير ديوانه (دار بيروت) ٢٧٠ وقد مر في ١/٢٠٤، ٣١٢ من هذا الكتاب

(٢) تفسير القرطبي ١١/٢٤٩ والشوكاني ٣/٣٧٢ والطبري ١٦/١٤١

﴿ ج ٢٧٢ من التبيان ﴾

غيره ، إلا شفاعه من أذن الله له أن يشفع ، ورضي قوله فيها : من الأنبياء والأولياء والصديقين والمؤمنين . ثم قال ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي يعلم ما بين أيدي الخلائق من أمور القيامة واحوالهم ، ويعلم ما سبقهم فيما تقدمهم ﴿ ولا يحيطون ﴾ هم ﴿ به ﴾ بالله ﴿ علماً ﴾ . والمعنى انهم لا يعلمون كل ما هو تعالى عالم به لنفسه ، فلا يعلمه أحد علم إحاطة ، وهو تعالى يعلم جميع ذلك ، وجميع الاشياء علم إحاطة ، بمعنى انه يعلمها على كل وجه يصح أن تعلم عليه مفصلاً . وقال الجبائي : معناه ولا يحيطون بما خلفهم علماً ، ولا بما بين أيديهم .
قوله تعالى :

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُرْمٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا
هَضْمًا (١١٢) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ
الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ
الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ
زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ
لَهُ عَزْمًا ﴾ (١١٥) خمس آيات .

قرأ ابن كثير وحده ﴿ فلا يخف ظلماً ﴾ على النهي . الباقر على الخبر . قال ابو علي النحوي : قوله ﴿ وهو مؤمن ﴾ جملة في موضع الحال والعامل فيها ﴿ يعمل ﴾ وذو الحال الذكر الذي في يعمل من ﴿ من ﴾ ، وموضع الفاء ، وما بعدها من قوله

﴿ فلا يخاف ﴾ الجزم ، لكونه في موضع جواب الشرط . والمبتدأ محذوف مراد بعد الفاء ، وتقديره : فهو لا يخاف ، والأمر في ذلك حسن ، لأن تقديره من عمل صالحاً فليأمن ، ولا يخف . والمراد الخبر بأن المؤمن الصالح لاخوف عليه .

وقوله ﴿ وعنت الوجوه ﴾ أي خضعت وذلت خضوع الاسير في يد القاهر له ، والعاني الاسير ، ويقال : عنا وجهي لربه يعنو عنواً أي ذل وخضع ومنه : أخذت الشيء عنوة أي غلبة بذل المأخوذ منه ، وقد يكون العنوة عن تسليم وطاعة ، لأنه على طاعة الذليل للعزير قال الشاعر :

هل انت مطيعي ايها القلب عنوة ولم تلح نفس لم تلم في اخيتالها (١)
وقال آخر :

فما اخذوها عنوة عن مودة ولكن بضرب المشرفي استقالها (٢)
و ﴿ عنت ﴾ ذلت - في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة . و ﴿ القيوم ﴾ قيل في معناه قولان :

احدهما - انه العالم فيما يستقيم به تدبير جميع الخلق ، فعلى هذا لم يزل الله قيوماً والثاني - انه القائم بتدبير الخلق ، وهي مثل صفة حكيم على وجهين . وقال الجبائي : القيوم القائم بأنه دائم لا يبئد ولا يزول . وقال الحسن : هو القائم على كل نفس بما كست حتى يجزيها . ووجه ﴿ عنت الوجوه للحي القيوم ﴾ انها تدل عليه ، لأن الفعل منه تعالى يدل على انه قادر وكونه قادراً يدل على انه عالم . وقيل : معنى ﴿ وعنت الوجوه ﴾ هو وضع الجبهة والانف على الارض في السجود - في قول طلق ابن حبيب

(١) تفسير الطبري ١٦/١٤٢ (٢) تفسير الطبري ١٦/١٤٢ والقرطبي

وقوله ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ أي خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافرًا ظلماً مستحقاً للعقاب . و ﴿من﴾ في قوله ﴿من الصالحات﴾ زائدة عند قوم والمراد من يعمل الصالحات . ويحتمل ان تكون للتبويض ، لان جميع الصالحات لا يمكن احد فعلها ، فأخبر الله تعالى ان من يعمل الاعمال الصالحات ، وهو مؤمن عارف بالله تعالى مصدق بأنبيائه ﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾ اي لا يخاف ظلماً بالزيادة في سيئاته ، ولا زيادة في عقابه الذي يستحقه على معاصيه ﴿ولا هضماً﴾ أي ولا نقصاناً من حسناته ولا من ثوابه . في قول ابن عباس والحسن وقتادة - وقيل ﴿لا يخاف ظلماً﴾ بأن لا يجزى بعمله ﴿ولا هضماً﴾ بالانتقاص من حقه - في قول ابن زيد . فن قرأ « فلا يخاف » أراد الاخبار بذلك . ومن قرأ « فلا يخاف » معناه معنى النهي للمؤمن الذي وصفه عن أن يخاف ظلماً او هضماً . وأصل الهضم النقص ، يقال : هضمي فلان حتى اي نقصني . وامرأة هضم الحشا أي ضامرة الكشحين بنقصانه عن حد غيره . ومنه هضمت المعدة الطعام اي نقصت مع تغييرها له .

وقوله « وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً » أي كما أخبرناك باخبار القيامة أنزلنا عليك يا محمد القرآن « وصرفنا فيه من الوعيد » اي ذكرناه على وجوه مختلفة ، وبيناه بألفاظ مختلفة ، لكي يتقوا معاصيه ويحذروا عقابه « او يحدث » القرآن « لهم ذكراً » ومعناه ذكراً يعتبرون به . وقيل « ذكراً » اي شرفاً بإيمانهم به .

ثم قال تعالى « فتعالى الله الملك الحق » اي ذو الحق ، ومعناه ارتفع - معنى صفته - فوق كل شيء سواه ، لأنه اقدر من كل قادر ، واعلم من كل عالم سواه لأن كل قادر عالم سواه يحتاج اليه ، وهو غني عنه .

وقوله « ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه » اي لا تسأل إنزاله قبل ان يأتيك وحيه . وقيل : معناه لا تلقه الى الناس قبل ان يأتيك بيان

تأويله . وقيل : لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ جبرائيل من ادائه اليك .
 وقوله « وقل رب زدني علماً » اي استزد من الله علماً الى علمك . وقال
 الحسن : كان النبي (ص) إذا نزل عليه الوحي يعجل بقراءته مخافة نسيانه .
 وقوله « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً » قال ابن عباس
 ومجاهد : معناه عهد الله اليه ، بأن امره به ووصاه به « فنسي » اي ترك . وقيل إنما
 اخذ الانسان من انه عهد اليه فنسي - في قول ابن عباس - وقوله « ولم نجد له
 عزماً » اي عقداً ثابتاً . وقال قتادة : يعني صبراً . وقال عطية : اي لم نجد له حفظاً .
 والعزم الارادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل .

وقرأ يعقوب « من قبل ان تقضي » بالنون وكسر الضاد وفتح الياء بعدها
 « وحيه » بنصب الياء . الباقون « يقضى » بناه لما لم يسم فاعله ورفع الياء في
 قوله « وحيه » .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
 أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا
 مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨)
 وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
 يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى (١٢٠) خمس آيات
 قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم « وإنك لا تظمؤ » بكسر الهمزة على الاستئناف

وقطعه عن الأول . الباقيون بالنصب عطفاً على اسم (أن) .
يقول الله تعالى لنبيه (ص) يا محمد واذكر حين قال الله تعالى « للملائكة اسجدوا
لآدم » أي أمرهم بالسجود له ، وانهم سجدوا له بأجمعهم إلا إبليس وقد بينا . فيما
تقدم - أن أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم يدل على تفضيله عليهم ، وإن كان
السجود لله تعالى لا لآدم ، لأن السجود عبادة ، لا يجوز أن يفعل إلا لله ، فأما
المخلوقات فلا تستحق شيئاً من العبادة بحال ، لأن العبادة تستحق بأصول النعم وبقدر
من النعم لا يوازيها نعمة منعم .

وقال قوم : ان سجود الملائكة لآدم كان كما يسجد الى جهة الكعبة - وهو
قول الجبائي - والسحيح الأول ، لأن التعظيم الذي هو في أعلى المراتب حاصل لله لا
لآدم باسجاد الملائكة له . ولو لم يكن الأمر على ما قلناه من أن في ذلك تفضيلاً لآدم
عليهم ، لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه ، ولما كان لقوله « أنا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين » (١) وجه . فلما احتج إبليس بأنه أفضل من
آدم - وإن أخطأ في الاحتجاج - علمنا أن موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة
التفضيل ، وإلا كان يقول الله لا إبليس : إني ما فضلته على من أمرته بالسجود لآدم
وإنما السجود لي ، وهو بمنزلة القبلة ، فلا ينبغي أن تانف من ذلك . وقد بينا أن
الظاهر - في روايات أصحابنا - أن إبليس كان من جملة الملائكة ، وهو المشهور
- في قول ابن عباس - وذكره البلخي - فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة
الملائكة استثناء متصلاً . ومن قال : إن إبليس لم يكن من جملة الملائكة قال : هو
استثناء منقطع ، وإنما جاز ذلك ، لأنه كان مأموراً ايضاً بالسجود له ، فاستثنى على
المعنى دون اللفظ ، كما يقال : خرج أصحاب الأمير إلا الأمير ، وكما قال عنتر

ابن دجاجة :

من كان أشرك في تفرق مالح فلبونه جربت معاً واضذت
 الا كناشرة الذي ضيعتم كالغصن في غلوانه المتثبت

والمعنى لكن هذا كناشرة . وتقول : قام الأشراف للرئيس ، إلا العامي الذي لا يلتفت اليه . قال الرماني : وإذا أمر الملائكة بالسجود اقتضى أن من دونهم داخل معهم ، كما أنه إذا أمر الكبراء بالقيام للأمر اقتضى أن الصغار القدر ، قد دخلوا معهم .

وقوله « أبي » معناه امتنع « فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك » حكاية عما قال الله لآدم: إن إبليس عدوك وعدو زوجتك يريد إخراجكما من الجنة ، ونسب الإخراج إلى إبليس إذ كان بدعائه واغوانه .

وقوله « فتشقى » قيل : معناه تتعب بأن تأكل من كد يديك وما اكتسبه لنفسك . وقيل : فتشقى على خطاب الواحد ، والمعنى فتشقى أنت وزوجك ، لأن أمرهما في السبب واحد ، فاستوى حكمهما لاستوائهما في العلة . وقيل : خص بالشفاه لأن الرجل يكذب على زوجته .

وقوله « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » يعني في الجنة ما دمت على طاعتك لي والامتنال لأمري وانك « لا تعرى » فيها من الكسوة « وإنك لا تظماً فيها » أي لا تعطش فيها « ولا تضحى » أي لا يصيبك حر الشمس - وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة - وقال عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلاً ما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخضر (١)

أي يخضر من البرد . وقيل : ليس في الجنة شمس إنما فيها نور وضياء . وإنما

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٢١ وروايته (يخضر) بدل (يخضر) ومعناها واحد

الشمس في سماء الدنيا خاصة . وضحي الرجل يضحي إذا برز للشمس . قال أبو علي :
 إنما لم يحز أن يقول انك لا تجوع وإنك لا تظما . بغير فصل كراهة اجتماع حرفين
 متقاربين في المعنى . فاذا فصل بينهما لم يكره ذلك ، كما كرهوا : إن لزيداً قائم ، ولم
 يكرهوا « إن في ذلك لآيات » مع الفصل . وقال الرماني إنما جاز أن تعمل (ان)
 في (أن) بفصل ولم يحز من غير فصل كراهية التعقيد بمدخلة المعاني المتقاربة ، فلما
 المتباعدة فلا يقع بالاتصال فيها تعقيد . لأنها متباينة مع الاتصال لافاظها ، فلذلك
 جاز « إن لك ان لا تظموا فيها » ولم يحز ان انك لا تظموا ، لأنه بغير فصل .

ثم اخبر تعالى أن إبليس وسوس لادم ، فقال له « هل أدلك على شجرة
 الخلد ٠٠٠ » أي على شجرة إن تناولت منها بقيت في الجنة مخلداً لا تخرج منها ، وحصل
 لك ملك وسلطان لا يبلى على الأبد ، ولا يهلك . وهي الشجرة التي نهاه الله تعالى
 عن تناولها . وقد قدمنا اختلاف المفسرين في ماهية تلك الشجرة فيما مضى فلا
 وجه لاعادته .

قوله تعالى :

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتِمَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
 مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ
 قَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
 عَدُوٌّ وَقَامَا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
 يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) خمس آيات .

اخبر الله تعالى عن آدم وحواء أنهما أكلا من الشجرة التي نهي الله عن أكلها ،
وعندنا أن النهي كان على وجه التنزيه . والأولى أن يكون على وجه التندب دون
نهي الحظر والتحریم ، لأن الحرام لا يكون إلا قبيحاً ، والأنبياء لا يجوز عليهم شيء
من القبائح لا كبيرها ولا صغيرها . وقال الجبائي : لا تقع معاصي الانبياء إلا سهواً ،
فأما مع العلم بأنهم معاصي فلا تقع . وقال قوم آخرون : إنه وقع من آدم أكل الشجرة
خطأ . لأنه كان نهي عن جنس الشجرة فظن أنه نهي عن شجرة بعينها ، فأخطأ في
ذلك . وهذا خطأ لأنه تنزيه له من وجه العصية ، ونسبة العصية إليه من وجهين :
أحدهما - أنه فعل القبيح . والثاني - أنه أخطأ في الاستدلال . وقال قوم : انها وقعت
منه عمداً ، وكانت صغيرة ، وقعت محبطة . وقد بينا أن ذلك لا يجوز عليهم (ع) عندنا
بحال . وقال الرماني : لما حلف ابليس لهما لم يقبلأ منه ، ولم يصدقه ، ولكن فعلا
ذلك لغلبة شهوتها ، كما يقول الغاوي للانسان إزن بهذه المرأة ، فانك ان أخذت لم
تجد ، فلا يصدقه ، ويزني بها لشهوته . وقال الحسن : أكلت حواء أولاً وابت عليه
ان يجامعها حتى يأكل منها ، فأكل حينئذ .

وقوله « فبدت لهما سؤاتهما » أي ظهرت لهما عوراتهما ، لان ما كان عليهما
من اللباس نزع عنهما ، ولم يكن ذلك على وجه العقوبة بل لتغيير المصلحة في نزعها
وإخراجها من الجنة وإهباطها الأرض وتكليفها فيها . وانما جمع سؤاتهما ، وهو
لأثنين ، لأن كل شيئين من شيئين ، فهو من موضع التثنية جمع ، لأن الاضافة تثنية
(ج ٧ م ٢٨ من التبيان)

مع أنه لا إخلال فيه لمناسبة الجمع للتثنية . وقال السدي : كان لباس سواتهما الظفر .
وقوله « طفقاً » يعني ظلاً ، وجعلاً يفعلان .

وقوله « يخلصان عليهما من ورق الجنة » فالخلص خيط الشيء بقطعة من غيره ، يقال : خصفه يخلصه خصفاً ، فهو خاصف وخصاف . وقيل : انهما كانا يطبقان ورق الجنة بعضه على بعض ويخيطان بعضه الى بعض ليسترا به سواتهما .

وقوله « وعصى آدم ربه فغوى » معناه خالف ما أمره الله به فخاب ثوابه .
والمعصية مخالفة الأمر سواء كان واجباً او ندباً قال الشاعر :

أمرتك امرأ جازماً فعصيتني (١)

ويقال ايضاً: أشرت عليك بكذا ، فعصيتني ، ويقال غوى يغوي غواية وغياً

إذا خاب ، قال الشاعر :

فمن يلقى خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً (٢)

أي من يخب ، وفي الكلام حذف ، لان تمسديره ان آدم تاب الى الله وندم على ما فعل ، فاجتبه الله واصطفاه « وتاب عليه » أي قبل توبته . وهداه الى معرفته والى الثواب الذي عرضه له .

وقوله « قال اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو » يعني آدم وحواء وابليس وذريته . وقد بينا معنى الهبوط فيما تقدم (٣) واختلاف الناس فيه . والمعنى أنه أخرج هؤلاء من الجنة بأن أمرهم بالخروج منها على وجه تغيير المصلحة في أمره ، ولا بليس على وجه العقوبة . وقد بينا فيما تقدم ان إخراج ابليس من الجنة ، كان قبل ذلك حين أمره الله بالسجود لآدم فامتنع فلغنه وأخرجه ، وانما أغوى آدم من

(١) مر هذا البيت كاملاً في ٣٥٥/٦ (٢) مر هذا البيت في ٣٠٢/٢ و ٣٩١/٤

و ٥٤٨/٥ و ٢٣٦/٦ (٣) انظر ١٦٢/١ و ٢٩٨/٤

خارج الجنة ، لأنه قيل : ان آدم كان يخرج الى باب الجنة . وذكرنا أقوال المفسرين في ذلك فيما مضى (١) .

وقوله « فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى » معناه ان أتاكم هدى مني بأن أكلفكم ، وانصب لكم الادلة على ما أمركم به من معرفتي وتوحيدي والعمل بطاعتي ، فمن اتبع أدلتي وعمل بما أمره به ، فانه « لا يضل » في الدنيا « ولا يشقى » في الآخرة . وقال ابن عباس : ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

وقوله « ومن اعرض عن ذكرى » [أي من لم ينظر في ذكرى الذي هو القرآن والادلة المنصوبة على الحق وصدق عنها] (٢) « فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » فالضنك الضيق الصعب ، منزل ضنك أي ضيق ، وعيش ضنك ، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، لأن أصله المصدر . ثم وصف به ، قال عنترة :
 إن يلحقوا أكرر وان يستلحموا
 أشدد وان يلفوا بضعك أنزل
 وقال ايضاً :

ان النية لو تمثل مثلت مثلي اذا نزلوا بضعك المنزل (٣)

والضنك : الضيق ، في قول مجاهد وقتادة . وقال الحسن وابن زيد : المعيشة الضنك هو الضرب ، والزقوم في النار . وقيل : الضريع شوك من نار . وقال عكرمة والضحاك : هو الحرام في الدنيا الذي يؤدي الى النار . وقال ابن عباس : لأنه غير موثق بالخلف ، فعيثه منغص . وقال ابو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وأبو

(١) انظر ١/١٦٢ و ٤/٢٩٨

(٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٣) البيت الأول في ديوان (دار بيروت) : ٤٧ والثاني في ٥٨

صالح، والسدي، ورواه ابو هريرة عن النبي (ص) أنه عذاب القبر، ولقوله تعالى
 « ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » يقتضي انه عذاب القبر .
 وقوله « ونحشره يوم القيامة أعمى » قيل معناه نحشره يوم القيامة أعمى
 البصر . وقيل أعمى الحجرة . وقيل أعمى عن جهات الخير لا يهتدي اليها . والأول
 هو الظاهر اذا اطلق . فمن قال : أعمى البصر قال : معناه لا يبصر في حال ويبصر
 العذاب في حال . ومن قال : بالآخرة قال : هو أعمى عن جهات الخير لا يهتدي
 لشيء منها .

وقوله « قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً » حكاية عما يقول
 الذي يحشره أعمى « لم حشرتني أعمى » ذاهب البصر « وقد كنت بصيراً »
 أبصر بها . وهذا يقوي أنه أراد عمى البصر دون عمى البصيرة ، لان الكافر لم
 يكن بصيراً في الدنيا الا على وجه صحة الحاسة . وقيل معناه كنت بصيراً بحجتي
 عند نفسي .

قوله تعالى :

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦)
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
 فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّسْهِ (١٢٨) وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرِزَامِنَا أَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنْبَاءِ
اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) خمس آيات .

قرأ الكسائي وأبو عمرو عن عاصم « ترضى » بضم التاء . الباقيون بفتحها .
هذا جواب من الله تعالى لمن يقول « لم حشرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً »
فيقول الله له في جواب ذلك كما حشرتك أعمى مثل ذلك « أتنتك آياتنا » يعني أدلتنا
وحججنا « فنسيتها » أي تركتها ولم تعتبر بها ، وفعلت معها ما يفعله الناسي الذي لم
يذكرها أصلاً ، ومثل ذلك اليوم تترك من ثواب الله ورحمته وتحرم من نعمه ، وتصير
بمنزلة من قد ترك في المنسى بعذاب لا يفنى .

ثم قال ومثل ذلك « نجزي من أسرف » على نفسه بارتكاب المعاصي ، وترك
الواجبات ولم يصدق بآيات ربه وحججه .

ثم قال « ولعذاب الآخرة » بالنار « أشد وأبقى » لأنه دائم ، وعذاب القبر
وعذاب الدنيا يزول . وهذا يقوي قول من قال : إن قوله « معيشة ضنكاً » أراد
به عذاب القبر . ولا يجوز أن يكون المراد بقوله « فنسيتها » النسيان الذي يناق العلم
لأن ذلك من فعل الله لا يعاقب العبد عليه ، اللهم إلا أن يراد أن الوعيد على التعرض
لنسيان آيات الله فأجري في الذكر على نسيان الآيات التحذير من الوقوع فيه .

ثم قال تعالى « أو لم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم »
قيل : إن قريشاً كانت تتجر إلى الشام فتمر بمساكن عاد وثمود ، فترى آثار أهلاك
الله إياهم ، فنبههم الله بذلك على معرفته وتوحيده . وفاعل « يهد » مضمَر يفسره « كم
أهلكنا » والمعنى أو لم يهد لهم أهلاكنا من قبلهم من القرون . ويجوز أن يكون
المضمَر المصدر يفسره (كم أهلكنا) وموضع (كم) نصب بـ (أهلكنا) في قول الفراء

والزجاج . وقال بعضهم : انه رفع يد (يهد) وهذا خطأ ، لانه خرج مخرج الاستفهام ، كما يقول القائل : قد تبين لي أقام زيد أم عمرو ؟ . وقوله « ان في ذلك » يعني في اهلا كنا القرون الماضية « لآيات » وحججاً لأولي العقول . والنهي العقول ، على ما بيناه في غير موضع (١) .

وقوله « ولو لا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً واجل مسمى » فيه تقديم وتأخير وتقديره : ولو لا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاماً ومعناه : لو لا ما سبق من وعد الله بأن الساعة تقوم في وقت بعينه وان المكلف له اجل مقدر معين . لكان هلاكهم « لزاماً » أي لازماً ابدأ . وقيل : معناه فيصلا يلزم كل انسان طأره ، ان خيراً خيراً وان شراً ، فشرأ ، فالاول قول الزجاج ، والثاني قول أبي عبيدة . وقال قوم : عذاب اللزام كان يوم بدر ، قتل الله فيه الكفار ، ولو لا ما قدر الله من آجال الباقيين ووعدهم من عذاب الآخرة ، لكان لازماً لهم ابدأ في سائر الازمان . وقال قتادة : الاجل الاول يعني في قيام الساعة والثاني الذي كتبه الله للانسان انه يبقى اليه .

ثم قال لنبيه محمد (ص) « فاصبر على ما يقولون » من كفرهم بتوحيد الله وجحدهم لنبوتك وأذاهم اياك بكلام يسمعونك يثقل عليك » وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس » يعني صلاة الفجر « وقبل غروبها » يعني صلاة العصر « ومن آناه الليل » يعني صلاة المغرب والعشاء « وأطراف النهار » صلاة الظهر - في قول قتادة - « وآناه الليل » ساعات الليل . واحدها إني ، قال السعدي :

حلو ومر كعصف القدح مرتة بكل إني حذاه الليل ينتعل (٢)

وقيل في قوله « وأطراف النهار » لم جمع ؟ ثلاثة افعال :

اولها - انه أراد اطراف كل نهار ، فالنهار في معنى الجمع .
 الثاني - انه بمنزلة قوله « فقد صغت قلوبكما » (١)
 الثالث - انه أراد طرف اول النصف الاول ، وآخر النصف الاول ، واول
 النصف الاخير ، وآخر النصف الاخير ، ولذلك جمع .
 وقوله « لعلك ترضى » معناه افعل ما امرتك به لكي ترضى بما يعطيك الله
 من الثواب على ذلك . ومن ضم التاء أراد : لكي تفعل معك من الثواب ما ترضى
 معه . وقيل : لكي ترضى بالشفاعة . والمعاني متقاربة ، لانه اذا أرضى الله النبي (ص)
 فانه يرضى .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأُمِرٌ
 أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ
 وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) وَقَالُوا لَوْلَا يَا تِينًا بَايَةَ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَمِ
 تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣) وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
 مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا كَوْلَا أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ نَنْزَلَ وَنَخْزِي (١٣٤) قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَّ بِصُورٍ فَسَتَعْلَمُونَ
 مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ (١٣٥) خمس آيات .

قرأ « زهرة » - بفتح الهاء - يعقوب . وقرأ الباقون بسكونها ، وهما لغتان .
وقرأ نافع وابو جعفر - من طريق ابن العلاف - وأهل البصرة وحفص « أو لم تأتهم »
بالتاء . الباقون بالياء . وقد مضى نظائره .

نهى الله تعالى نبيه محمداً (ص) والمراد به جميع المكلفين عن ان يمدوا أعينهم ،
وينظروا إلى ما متع الله الكفار به ، من نعيم الدنيا ولذاتها ، والامتناع الا للذات بما
يدرك ، وذلك بما يرى من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات المطربة ، ويشم من
الروائح الطيبة ، يقال : أمتعته إمتاعاً ، ومتعه تمتيعاً ، إلا ان في متعه تكثر الامتناع .
وقوله « ازواجاً منهم » معناه أشكالاً منهم ، من المزاوجة بين الاشياء ،
وهي المشاكلة ، وذلك أنهم اشكال في الذهب عن الصواب .

وقوله « زهرة الحياة الدنيا » فالزهرة الأنوار التي تروق عند الرؤية ، ومن
ذلك قيل للكوكب يزهر ، لتوره الذي يظهر . والمعاني الحسنة زهرة النفوس .
وقوله « لفتنتهم فيه » معناه لنعامهم معاملة المختبر ، بشدة التعبد في العمل بالحق
في هذه الأمور التي خلقناها لهم .

وقوله « ورزق ربك » يعني الذي وعدك به في الآخرة من الثواب « خير
وأبقى » مما متعنا به هؤلاء في الدنيا .

وقيل إن هذه الآية نزلت على سبب ، وذلك أن النبي (ص) استسلف من
يهودي طاعماً فأبى أن يسلفه إلا برهن ، فحزن رسول الله (ص) ، فأنزل الله هذه
الآية تسلية له . وروى ذلك أبو رافع مولاه .

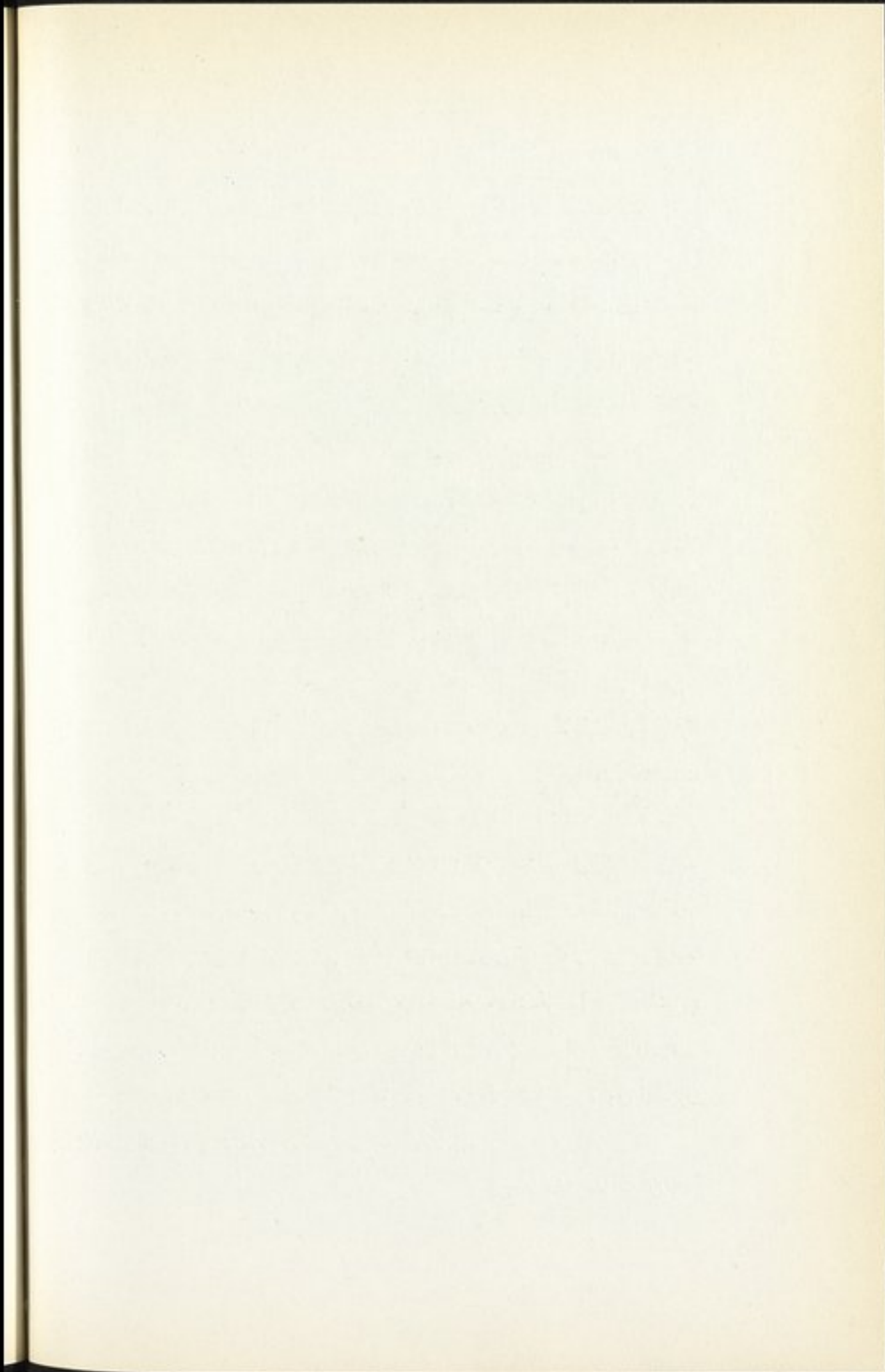
وقيل « زهرة الحياة الدنيا » زينة الحياة الدنيا - في قول قتادة - .

ثم قال لنبيه (ص) « وأمر » يا محمد « أهلك بالصلاة » وقيل : المراد به أهل
بيتك ، وأهل دينك ، فدخلوا كلهم في الجملة « واصطبر عليها » بالاستعانة بها على

الصبر عن محارم الله . ثم قال له « لا نسألك رزقاً نحن نرزقك » الخطاب للنبي ص والمراد به جميع الخلق ، فان الله تعالى يرزق خلقه ، ولا يسترزقهم ، فيكون أبلغ في المنة « والعاقبة للمتقوى » يعني العاقبة المحمودة لمن اتقى معاصي الله واجتنب محارمه . وفي الآية دلالة على وجوب اللطف ، لما في ذلك من الحجة ، لمن في المعلوم انه يصلح به ، ولو لم يكن فيه حجة لجرى مجرى أن تقول : لولا فعلت بنا ما لا يحتاج اليه في الدين ، ولا الدنيا ، من جهة أنه لا حجة فيه ، كما لا حجة في هذا .

وقوله « ولو انا أهلكنام بعذاب من قبله » اخبار منه تعالى أنه لو أهلكنهم بعذاب أنزله عليهم جزاء على كفرهم « لقالوا » يوم القيامة « لولا أرسلت » اي هلا أرسلت « النار سولا » يدعوننا الى الله ويأمرنا بتوحيده « فنتبع » ادلتك و « آياتك من قبل ان نذل ونخزى » اي قبل أن نهون ، يقال : خزي يخزي اذا هان وافتضح . وقوله « وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه » حكاية عما قال الكفار للنبي (ص) هلا ياتينا بآية من ربه يريدون الآية التي يقترحونها ، لأنه أتى بالآيات . ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب اليه . ومن قرأ - بالياء - حكى بأنهم قالوا فيما بينهم هلا ياتينا بالمعجز . او دلالة تدل على صدق قوله ، فقال الله لهم « أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى » يعني ألسنا بيننا ذلك في الكتب التي انزلناها على موسى وعيسى ، فلم لم يؤمنوا بها ولم يصدقوا بها؟ ومن قرأ - بالتاء - وجه الخطاب اليه ، فقال الله تعالى لنبيه « قل » لهم يا محمد « كل متربص » اي كل واحد منا ومنكم متربص ، فنحن نتربص بكم وعد الله لنا فيكم وانتم تتربصون بنا ان نموت ، فتستريحوا « فستعلمون » اي سوف تعلمون فيما بعد « من اصحاب الصراط السوي » يعني الصراط المستقيم و (من) الذي « اهتدى » الى طريق الحق . و « من » يحتمل ان تكون نصباً إن كانت بمعنى الذي وان تكون رفعاً على طريقة الاستفهام .

﴿ ج ٧ ٢٩٣ من التبيان ﴾



٢١ - سورة الانبياء

هي مكية في قول قتادة ومجاهد وهي مائة واثننا عشرة آية في الكوفي واحدى عشرة في البصري والمدنيين .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

اِئْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا
يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ اِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)
لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَاَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا اِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ اَفْتَاتُونَ السَّجَرَ وَاَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ
الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَاَلْاَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا
اَضْغَاثَ اَحْلَامٍ بَلْ اَفْتَرِيْهِ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَا تَنَا بِآيَةٍ كَمَا اُرْسِلَ
الْاَوَّلُونَ (٥) خمس آيات .

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر وخلفاء « قال ربي » على وجه الخبر . الباقر .

« قل ربي » على وجه الامر .

هذا اخبار من الله تعالى بأنه « اقترب للناس » يعني دنا وقت « حسابهم » ومعناه دنا وقت اظهار ما للعبد وما عليه ليجازى به وعليه . والحساب اخراج مقدار العدد بعقد يحصل . ويقال : هو إخراج الكمية من مبلغ العدة . وقيل انه دنا لأنه بالاضافة الى ما مضى يسير .

وقيل : نزلت الآية في أهل مكة استبطؤا عذاب الله تكديباً بالوعيد ، فقتلوا يوم بدر . والاقتراب قصر مدة الشيء بالاضافة الى ما مضى من زمانه . وحقيقة القرب قلة ما بين الشيئين ، يقال : قرب ما بينهما تقريباً إذا قلل ما بينهما من مدة او مسافة او اي فاصلة ، والقرب قد يكون في الزمان ، وفي المكان ، وفي الحال . وقد قيل : كل آت قريب ، فلذلك وصف الله تعالى القيامة بالاقتراب ، لأنها جائية بلا خلاف .

(٦) وقوله « وهم في غفلة معرضون » فالغفلة السهو ، وهو ذهاب المعنى عن النفس وتضييق اليقظة ، ونقيض السهو الذكر ، وهو حضور المعنى للنفس ، والنسيان ، هو عزوب المعنى عن النفس بعد حضوره . وقوله « معرضون » يعني عن الفكر في ذلك ، والعمل بموجبه . وقيل : هم في غفلة بالاشتغال بالدنيا ، معرضون عن الآخرة . وقيل : هم في غفلة بالضلال ، معرضون عن الهدى . وهو مثل ما قلناه .

وقوله « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » معناه اي شيء من القرآن محدث بتنزيله سورة بعد سورة وآية بعد آية « إلا استمعوه وهم يلعبون » اي كل ما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل - في قول الحسن وقتادة - وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن محدث ، لأنه تعالى اخبر انه ليس يأتيهم ذكر محدث من ربهم إلا استمعوه وهم لاعبون . والذكر : هو القرآن قال الله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر

وإناله لحافظون» (١) وقال «وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم» (٢) يعني القرآن، ويقويه في هذه الآية قوله «الاستمعوه» والاستماع لا يكون إلا في الكلام، وقد وصفه بأنه محدث، فيجب القول بحدوثه.

ويجوز في (محدث) الجر على أنه صفة. ويجوز الرفع والنصب. فالنصب على الحال والرفع على تقديره ومحدث. ولم يقرأ بهما، وقوله «لاهيته قلوبهم» نصب (لاهيته) على الحال. وقال قتادة: معناه غافلة. وقال غيره: معناه طالبة للهو، هازلة. واللهو الهزل الممتع. وقوله «واسروا النجوى الذين ظلموا» فوضع «الذين ظلموا» من الاعراب يحتمل أن يكون رفعاً على البدل من الضمير في قوله «واسروا» كما قال تعالى «ثم عموا وصموا كثير منهم» (٣) ويجوز ان يكون رفعاً على الاستئناف، وتقديره وهم الذين ظلموا. ويحتمل وجهاً ثالثاً - أن يكون خفضاً بدلا من الناس. والمعنى ان الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله وجحدهم أنبيائه، وأخفوا القول فيما بينهم. وقالوا «هل هذا» يعنون رسول الله «إلا بشر مثلكم». وقال قوم: معناه انهم أظهروا هذا القول. لأن لفظة (أسروا) مشتركة بين الاخفاء والاظهار، والأول أصح. وقوله «أفتأتون السحر» معناه أفتقبلون السحر «وأنتم تبصرون» أي وانتم تعلمون انه سحر. وقيل: معناه أفتعدلون الى الباطل وأنتم تعلمون الحق وتتكرون ثبوته.

ثم أمر نبيه (ص) فقال «قل» يا محمد «ربي» الذي خلقتني واصطفاني «يعلم القول في السماء والارض» لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يعلمه جميعه «وهو السميع العليم» أي هو من يجب أن يسمع المسموعات إذا وجدت عالم بجميع المعلومات

(٢) سورة ١٦ النحل آية ٤٤

(١) سورة ١٥ / الحجر آية ٩

(٣) سورة ٥ المائدة آية ٧٤

وقوله ﴿ بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه ﴾ فلمعني في (بل) الاضراب بها عما حكى انهم قالوه أولاً ، والاخبار عما قالوه ثانياً ، لانهم اولاً قالوا : هذا الذي اتانا به من القرآن ﴿ أضغاث احلام ﴾ اي تخاليط رؤيا ، رآها في المنام - في قول قتادة - قال الشاعر :

كضفت حلم عزمته حاملة (١)

ثم قالوا : لا ﴿ بل افتراه ﴾ اي تخرصه وافتعله . ثم قالوا : ﴿ بل هو شاعر ﴾ وانما قالوا : هو شاعر ، قول متحير ، قد بهره ما سمع ، فمرة يقول ساحر ، ومرة يقول شاعر . ولا يجزم على امر واحد . قال المبرد : في (أسروا) اضمار هؤلاء الالهية قلوبهم ، والذين ظلموا بدلا منه . وقال قوم : قدم علامة الجمع ، لان الواو علامة الجمع ، وليست بضمير ، كقولهم : انطلقوا اخوتك ، وانطلقا صاحبك ، تشبيها بعلامة التانيث ، نحو : ذهبت جاريتك ، وهذا يجوز ، لكن لا يختار في القرآن مثله .
قوله تعالى :

﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠) خمس آيات .

قرأ عاصم « نوحى » بالنون . الباقون - بالياء - على ما لم يسم فاعله . من قرأ بالنون اراد الاخبار من الله تعالى عن نفسه ، بدلالة قوله « وما أرسلنا » لأن النون والالف اسم الله .

لما حكى الله تعالى ما قال الكفار فى القرآن . الذى أنزله الله على نبيه محمد (ص) من أنهم قالوا تارة : هو اضغاث احلام ، يريدون أقاويله . وتارة قالوا : بل اختلقه وافتعله . وتارة قالوا : هو شاعر ، لتحيرهم فى امره . ثم قالوا ﴿ فليأتنا بآية ﴾ غير هذا على ما يقترحونها ﴿ كما أرسل ﴾ الانبياء ﴿ الأولون ﴾ بمثلها ، فقال الله تعالى ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها فهم يؤمنون ﴾ اى انا أظهرنا الآيات التى اقترحوها على الأمم الماضية ، فلم يؤمنوا عندها ، فأهلكناهم ، فهؤلاء ايضا يؤمنون لو انزلنا ما ارادوه . وأراد الله بهذا الاحتجاج عليهم ان يبين ان سبب مجيء الآيات ليس لانه سبب يؤدي الى ايمان هؤلاء ، وانما مجيئها لما فيها من اللطف والمصلحة ، بدلالة انها لو كانت سبباً لايمان هؤلاء لكانت سبباً لايمان اولئك ، فلما بطل ان تكون سبباً لايمان اولئك ، بطل ان تكون سبباً لايمان هؤلاء على هذا الوجه . وقيل : ان معناه اننا لما أظهرنا الآيات التى اقترحوها على الأمم الماضية ، فلم يؤمنوا اهلكناهم ، فلو أظهرنا على هؤلاء مثلها لم يؤمنوا وكانت تقتضى المصلحة ان نهلكهم . ومثله قوله ﴿ وما منعنا ان نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾ (١) وقال الفراء : المعنى ما آمنت قبلهم امة جاءتهم آية ، فكيف يؤمن هؤلاء !

ثم اخبر تعالى انه لم يرسل قبل نبيه محمد (ص) الى الامم الماضية ﴿ إلا رجلاً

يوحى اليهم ﴿ ووجه الاحتجاج بذلك انه لو كان يجب ان يكون الرسول الى هؤلاء الناس من غير البشر ، كما طلبوه ، لوجب ان يكون الرسول الى من تقدمهم من غير البشر . فلما صح إرسال رجال الى من تقدم ، صح الى من تأخر . وقال الحسن : ما ارسل الله امرأة ، ولا رسولا من الجن ، ولا من اهل البادية . ووجه اللطف في إرسال البشر ان الشكل الى شكله أنس ، وعنه افهم ومن الأنفة منه ابعد ، لأنه يجري مجرى النفس ، والانسان لا يأنف من نفسه .

ثم قال لهم « فاسألوا اهل الذكر » عن صحة ما أخبرتكم به من انه لم يرسل الى من تقدم إلا الرجال من البشر .
وفي الآية دلالة على بطلان قول ابن حائط : من أن الله تعالى بعث الى البهائم والحيوانات كلها رسلا .

واختلفوا في المعنى بأهل الذكر ، فروي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال : (نحن اهل الذكر) ويشهد لذلك أن الله تعالى سمى نبيه ذكراً بقوله « ذكراً رسولا » (١) وقال الحسن : وقتادة : هم أهل التوراة والانجيل . وقال ابن زيد : أراد اهل القرآن ، لان الله تعالى سمى القرآن ذكراً في قوله « انا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون » (٢) وقال قوم : معناه واسألوا اهل العلم باخبار من مضى من الأمم هل كانت رسل الله رجلا من البشر أم لا ؟ .

وقيل في وجه الأمر بسؤال الكفار عن ذلك قولان :
احدهما - انه يقع العلم الضروري بخبرهم إذا كانوا متواترين ، واخبروا عن مشاهدة ، هذا قول الجبائي .

والثاني - ان الجماعة الكثيرة إذا أخبرت عن مشاهدة حصل العلم بخبرها إذا

كانوا بشروط المتواترين وإن لم يوجب خبرهم العلم الضروري .
وقال البلخي : المعنى انك لو سألتهم عن ذلك لأخبروك أنا لم نرسل قبلك
إلا رجالا . وقال قوم : أراد من آمن منهم . ولم يرد الأمر بسوءال غير المؤمن .
ثم اخبر تعالى انه لم يبعث رسولا ممن أرسله إلا وكان مثل سائر البشر
يأكل الطعام ، وانه لم يجعلهم مثل الملائكة لا يأكلون الطعام ، وأنهم مع ذلك لم يكونوا
خالدين مؤبدين ، بل كان يصيبهم الموت والفناء كسائر الخلق . وإنما وحد « جسداً »
لأنه مصدر يقع على القليل والكثير ، كما لو قال : وما جعلناهم خلقاً .
ثم قال تعالى « ثم صدقناهم الوعد » يعني الانبياء الماضين ما وعدناهم به من
النصر والنجاة ، والظهور على الاعداء ، وما وعدناهم به من الثواب ، فأنجيناهم من
اعدائهم ، ومعهم من نشاء من عبادنا ، واهلكنا السرفين على انفسهم ، بتكذيبهم
للانبياء . وقال قتادة : المسرفون هم المشركون . والمسرف الخارج عن الحق الى
ما تباعد عنه . يقال : اسرف إسرافاً إذا جاوز حد الحق وتباعد عنه .
ثم اقسام تعالى بقوله « لقد أنزلنا اليكم » ، لان هذه اللام يتلقى بها القسم ،
بأننا أنزلنا عليكم « كتاباً » يعني القرآن « فيه ذكركم » قال الحسن : معناه فيه
ما تحتاجون اليه من أمر دينكم . وقيل : فيه شرفكم إن تمسكتم به ، وعلمتم بما فيه .
وقيل : ذكر ، لما فيه من مكارم الاخلاق ، ومحاسن الافعال « أفلا تعقلون » يعني أفلا
تندبرون ، فتعلموا أن الأمر على ما قلناه .

قوله تعالى :

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَدَلَهَا قَوْمًا

﴿ ج ٧ م ٣٠ من التبيان ﴾

آخِرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢)
لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاَهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿ (١٥) خمس آيات .

يقول الله تعالى مخبراً انه قصم قرى كثيرة ، ويريد أهلها . وقوله « كانت ظالمة » لما اضاف الهلاك الى القرية اضاف الظلم اليها . والتقدير قصمنا اهل قرية كانوا ظالمين لنفوسهم ، بمعاصي الله ، وارتكب ما حرمه . و (كم) للكثرة وهي ضد (رب) لان (رب) للتقليل . و (كم) في موضع نصب بـ (قصمنا) . والقصم كسر الصلب قهراً ، قصمه يقصمه قصماً ، فهو قاصم الجبارة . وانقصم انقصاماً مثل انقص انقصافاً .

وقوله « وانشاننا بعدها قوماً آخرين » يعني أوجدنا بعد هلاك أولئك قوماً آخرين . والانشاء إيجاد الشيء . من غير سبب يولده ، يقال انشاء إنشاء . والنشأة الاولى الدنيا ، والنشأة الثانية الآخرة . ومثل الانشاء الاختراع والابتداع - هذا في اللغة - فأما في عرف المتكلمين ، فالاختراع هو ابتداع الفعل في غير محل القدرة عليه .
وقوله « فلما أحسوا بأسنا » معناه لما أدركوا بجواسهم عذابنا ، والاحساس الادراك بجاسة . من الحواس الخمس : السمع ، والبصر ، والانف ، والشم ، والبشرة . يقال : أحسه إحساساً وأحس به . وقال قوم : أراد عذاب الدنيا . وقال آخرون : أراد عذاب الآخرة .

وقوله « إذا هم منها يركضون » فالركض العدو بشدة الوطى . ، ركض فرسه

إذا حثه على المر السريع ، فعنى « يركضون » يهربون من العذاب سراعاً ، كللنهمز من عدو . فيقول الله تعالى لهم « لا تركضوا » أي لا تهربوا من الهلاك « وارجعوا إلى ما أترفتم فيه » أي ارجعوا إلى ما كنتم تنعمون فيه ، توبيخاً لهم وتقريعاً على ما فرط منهم . ومعنى « ما أترفتم فيه » نعمتم ، فالترف المنعم والتترف التمتع ، وهي طلب النعمة . « ومساكنكم لعلكم تسألون » أي ارجعوا إلى مساكنكم لكي تفيقوا بالمسألة - في قول مجاهد - وقال قتادة : إنما هو توبيخ لهم في الحقيقة . والمعنى تسألون من انبيائكم ؟ على طريق الهزء بهم ، فقالوا عند ذلك معترفين على نفوسهم بالخطأ « يا ويلنا إنا كنا ظالمين » لنفوسنا بترك معرفة الله وتصديق أنبيائه ، وركوب معاصيه . والويل الوقوع في الهلكة . ونصب على معنى أزمنا وبلنا .

ثم اخبر الله تعالى عنهم بأن ما حكاه عنهم من الويل « دعواهم » ونداؤهم أبدأ « حتى جعلناهم حصيداً خامدين » بالعذاب - في قول الحسن - وقال مجاهد : يعني بالسيف ، وهو قتل (بخت نصر) لهم . والحصيد قتل الاستئصال ، كما يحصد الزرع بالمنجل ، والحمود كخمود النار إذا طفيت .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)
 كَوَأْرَدْنَا أَنْ نَنْتَخِذَ لَهُمْ آيَةً فَتَوَخَّذُوا لَكُمْ آيَةً (١٧)
 بَلْ نَقْنِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ
 مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَكَهْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ

وَالَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٢٠) خمس آيات بلاخلاف .

بقول الله تعالى مخبراً على وجه التمدح : « إنا » ما خلقنا السموات والارض وما بينهما « أي ما أنشأناها » لا عينين » ونصبه على الحال . واللعب الفعل الذي يدعو اليه الجهل بما فيه من النقص ، لان العلم يدعو الى أمر ، والجهل يدعو الى خلافه . والعلم يدعو الى الاحسان . والجهل يدعو الى الاساءة لتعجيل الانتفاع . واللعب يستحيل في صفة القديم تعالى ، لانه عالم لنفسه . بجميع المعلومات غني عن جميع الاشياء ، ولا يمتنع وصفه بالقدرة عليه كما نقول في سائر القبائح ، وإن كان المعلوم أنه لا يفعله ، لما قدمناه .

ثم قال تعالى « لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذنا من لدنا » قال الحسن ومجاهد : اللهو المرأة . وقال قتادة : اللهو المرأة - بلغة أهل اليمن - وهو من اللهو المعروف ، لانه يطلب بها صرف الهم . وهذا إنكار لقولهم : الملائكة بنات الله ، والمسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك ، وروي عن الحسن البصري أيضاً انه قال : اللهو الولد .

ووجه اتصال الآية بما قبلها أن هؤلاء الذين وصفوهم أنهم بنات الله ، وأبناء الله هم عبيد الله ، على أنهم وجه العبودية ، وذلك يحيل معنى الولادة لانها لا تكون إلا مع المجانسة . ومعنى « لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذنا من لدنا » الإنكار على من أضاف ذلك الى الله ، ومحاجته بأنه لو كان جازاً أي صفة لم يتخذ به حيث يظهر لكم أن غيركم من العباد ، لما في ذلك من خلاف صفة الحكيم الذي يقدر أن يستر النقص ، فيظهره . وإنما استحال الله على الله تعالى ، لانه غني بنفسه عن كل شيء . سواه ، يستحيل عليه المرح . واللاهي المارح والممتد بالمناظر الحسنة والاصوات المؤنقة .

وقوله « إن كنا فاعلين » قيل في معنى (ان) قولان :
 احدهما - انها بمعنى (ما) التي للنفي ، والمعنى لم نكن فاعلين .
 والآخر - انها بمعنى التي للشرط ، والمعنى إن كنا نفعل ذلك ، فعلناه من
 لدنا ، على ما أردناه إلا اننا لا نفعل ذلك .

وقوله « من لدنا » قيل : معناه بما في السماء من الملائكة . وقال الزجاج :
 معناه مما خلقه . ثم قال تعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه » معناه إنا نلقي
 الحق على الباطل فيهلكه ، والمراد به إن حجج الله تعالى الدالة على الحق تبطل شبهات
 الباطل . ويقال : دمع الرجل إذا شج شجة تبلغ أم الدماغ ، فلا يجيها صاحبها بعدها .
 وقوله « فاذا هو زاهق » أي هالك مضمحل ، وهو قول قتادة . يقال : زهق
 زهوقاً إذا هلك . ثم قال لهم ، يعني الكفار « ولكم الويل مما تصفون » يعني الوقوع
 في العقاب ، جزاء على ما تصفون الله به من اتخاذ الأولاد .

ثم أخبر الله تعالى بأن « له من في السموات والارض ومن عنده » يعني
 الملائكة أي يملكهم بالتصرف فيهم ﴿ لا يستكبرون ﴾ هؤلاء عن عبادة الله ﴿ ولا
 يستحسرون ﴾ قال قتادة : معناه لا يعيون . وقال ابن زيد : لا يملون ، من قولهم :
 يعير حسير اذا أعيا ونام . ومنه قول علقمة بن عبدة :

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيبيض وأما جلدها فصليب (١)

وقيل : معناه يسهل عليهم التسييح ، كسهولة فتح الطرف والنفوس - في قول كعب -
 والاستحسار الانقطاع من الاعياء مأخوذ من قولهم حسر عن ذراعه إذا كشف عنه .
 ثم وصف تعالى الذين ذكرهم بأنهم ﴿ يسبحون الليل والنهار ﴾ أي
 ينزهونه عما أضافه هؤلاء الكفار اليه من اتخاذ الصاحبة والولد ، وغير ذلك من

القبائح ﴿ لا يفترون ﴾ أي يملونه فيتركونه بل هم دائمون عليه .
قوله تعالى:

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا
آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)
لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ (٢٣) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) خمس آيات

يقول الله تعالى إن هؤلاء الكفار الذين اتخذوا مع الله شركاء عبدوهم وجعلوها
آلهة « هم ينشرون » أي هم يجربون ?? تقريراً لهم وتعنيفاً لهم على خطيئهم - في قول
مجاهد - يقال : أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياءم فحيوا وهو النشر بعد الطي ،
لان الحيا كأنه كان مطوياً بالقبض عن الادراك ، فأنشر بالحياة . والمعنى في ذلك
أن هؤلاء إذا كانوا لا يتقدرون على الاحياء الذي من قدر عليه فقد على أن ينعم بالنعمة
التي يستحق بها العبادة . فكيف يستحقون العبادة ؟! . وحكى الزجاج : انه قرئ - بفتح
الشين - والمعنى هل اتخذوا آلهة لا يموتون أبداً ، ويبقون أحياء أبداً ؟! أي
لا يكون ذلك .

ثم قال تعالى « لو كان فيهما آلهة » يعني في السماء والارض آلهة أي من
يحق له العبادة « غير الله لفسدتا » لأنه لو صح إلهان او آلهة لصح بينهما التمتع .

فكان يؤدي ذلك الى ان احدهما إذا أراد فعلاً ، وأراد الآخر ضده ، إما ان يقع مرادها ، فيؤدي الى اجتماع الضدين أولاً يقع مرادها ، فينتقض كونها قادرين ، او يقع مراد أحدهما ، فيؤدي الى نقض كون الآخر قادراً . وكل ذلك فاسد ، فإذا لا يجوز أن يكون الآله إلا واحداً . وهذا مشروح في كتب الاصول .

ثم نزه تعالى نفسه عن ان يكون معه إله يحق له العبادة ، بأن قال « فسبحان الله رب العرش عما يصفون » وإنما أضافه الى العرش ، لانه أعظم المخلوقات . ومن قدر على اعظم المخلوقات كان قادراً على ما دونه .

ثم قال تعالى « لا يسأل عما يفعل » لانه لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب ، ولا يقال للحكيم لو فعلت الصواب « وهم يسألون » لانه يجوز عليهم الخطأ .

ثم قال « أم اتخذوا من دونه آلهة » معنى (أم) بل . ثم قال : فل لهم يا محمد « ها تو برهانكم » على ذلك وحججكم على صحة ما فعملتموه . فالبرهان هو الدليل المؤدي الى العلم ، لانهم لا يقدرّون على ذلك ابداً .

وفي ذلك دلالة على فساد التقليد ، لانه طالبيهم بالحجة على صحة قولهم ، قال الرماني (إلا) في قوله « إلا الله » صفة ، وليست باستثناء ، لانك لا تقول لو كان معناه إلا زيد لهلكنا ، على الاستثناء . لان ذلك محال ، من حيث انك لم تذكر ما تستثني منه كما لم تذكره في قولك كان معنا إلا زيد ، فهلكنا قال الشاعر :

وكل اخ مفارقة اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان (١)

اراد وكل اخ يفارقه اخوه غير الفرقدين . ثم قال لنبيه (ص) وقل لهم : « هذا ذكر من معي ، بما يلزمهم من الحلال والحرام والخطأ والصواب ، وذكر من قبلي من الامم ، ممن نجا بالايمان او هلك بالشرك - في قول قتادة - وقيل :

معناه ذكر من معي بالحق في اخلاص الالهية والتوحيد في القرآن ، وعلى هذا ﴿ ذكر من قبلي ﴾ في التوراة والانجيل .

ثم اخبر ان ﴿ اكثرهم لا يعلمون الحق ﴾ ولا يعرفونه ، فهم يعرضون عنه الى الباطل . ثم قال لنبيه ﴿ وما ارسلنا من قبلك ﴾ يا محمد ﴿ من رسول ﴾ اي رسولا ، و (من) زائدة ﴿ الانوحي اليه ﴾ نحن ، فيمن قرأ بالنون . ومن قرأ - بالياء - معناه الا يوحى الله اليه ، بأنه لا معبود على الحقيقة سواه ﴿ فاعبدون ﴾ اي وجهوا العبادة اليه دون غيره .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦)
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ رِضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)
وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٠) خمس آيات .

حكى الله تعالى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم أنهم « قالوا اتخذ الرحمن ولداً » أي تبنا الملائكة بناتاً ، فزعه الله تعالى نفسه عن ذلك بأن قال « سبحانه بل عباد مكرمون » أي هؤلاء الذين جعلوهم أولاد الله هم عبيد الله مكرمون لديه ، و (عباد)

رفع بأنه خبر ابتداء وتقديره هم عباد، ولا يجوز عليه تعالى التنبئ . لأن التنبئ إقامة المتخذ لولد غيره مقام ولده لو كان له ، فإذا استحال أن يكون له تعالى ولد على الحقيقة استحال أن يقوم ولد غيره مقام ولده ، ولذلك لا يجوز أن يشبه بخلقه على وجه المجاز، لما لم يكن مشبهاً به على الحقيقة .

والفرق بين الخلة والنبوة أن الخلة إخلاص المودة بما يوجب الإخلاص والاختصاص بتخلل الأسرار ، فلما جاز أن يطلع الله إبراهيم على أسرار لا يطلع عليها غيره تشرىفاً له اتخذ خليلاً على هذا الوجه ، والنبوة ولادة ابن أو إقامته مقام ابن لو كان للمتخذ له . وهذا المعنى لا يجوز عليه تعالى كما يستحيل أن يتخذ إلهاً تعالى الله عن ذلك .

ثم وصف تعالى الملائكة بأنهم « لا يسبقونه بالقول » ومعناه لا يخرجون بقولهم عن حد ما أمرهم به ، طاعة لربهم ، وناهيك بهذا إجلالاً لهم وتعظيماً لشأنهم « وهم بأمره يعملون » أي لا يعملون القبائح وإنما يعملون الطاعات التي أمرهم بها . وقوله « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » قال ابن عباس : معناه يعلم ما قدموا وما آخروا من أعمالهم . وقال الكلبي « ما بين أيديهم » يعني القيامة وأحوالها « وما خلفهم » من أمر الدنيا « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » قال أهل الوعيد : معناه لا يشفع هؤلاء الملائكة إلا لمن ارتضى الله جميع عمله . قالوا : وذلك يدل على أن أهل الكبار لا يشفع فيهم ، لأن أعمالهم ليست رضا الله . وقال مجاهد : معناه إلا لمن رضي عنه .

وهذا الذي ذكره ليس في الظاهر ، بل لا يمتنع أن يكون المراد لا يشفعون إلا

(ج ٧ م ٣١ من التبيان)

لمن رضي الله ان يشفع فيه ، كما قال تعالى « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (١) والمراد أنهم لا يشفعون الا من بعد اذن الله لهم ، فيمن يشفعون فيه ، ولو سلمنا أن المراد الا لمن رضي عمله ، لجاز لنا أن نحمل على أنه رضي ايمانه ، وكثيراً من طاعانه. فمن أين أنه أراد : الا لمن رضي جميع اعماله ؟ ! ومعنى - رضا الله - عن العبد إرادته لفعله الذي عرض به للشواب .

وقوله « وهم من خشيته مشفقون » يخافون من عقاب الله من مواجهة المعاصي . ثم هدد الملائكة بقوله « ومن يقل منهم اني إله » تحق لي العبادة من دون الله « فذلك نجزيه جهنم » معناه ان ادعى منهم مدع ذلك فانا نجزيه بعذاب جهنم ، كما نجزي الظالمين بها . وقال ابن جريج ، وقتادة : غنى بالآية ابليس ، لانه الذي ادعى الالهية من الملائكة دون غيره ، وذلك يدل على ان الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات ، كما يقول الجبال . وقوله « كذلك نجزي الظالمين » معناه مثل ما جازينا هؤلاء نجزي الظالمين أنفسهم بفعل المعاصي .

ثم قال « او لم ير الذين كفروا » أي او لم يعلموا « ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما » وقيل في معناه اقوال :

قال الحسن وقتادة « كانتا رتقاً » أي ملتصقتين ففصل الله بينهما بهذا الهوا . وقيل « كانتا رتقاً » السماء لا تمطر والارض لا تنبت ، ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ، ذكره ابن زيد وعكرمة . وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) .

وقيل معناه : كانتا منسدتين لافرج فيهما فصدعهما عما يخرج منهما . وإنما قال : السموات ، والمطر والغيث ينزل من سماء الدنيا ، لأن كل قطعة منها سماء ، كما يقال :

نوب أخلاق ، ومقيص اسمال . وقيل الرتق الظلمة ففتقهما بالضياء . وانما قال
« كأننا » والسموات جمع ، لانهما صنغان ، كما قال الاسود بن يعفر النهشلي :

إن النية والحتوف كلاهما يوفي المحارم يرقبان سوادى (١)

لانه على النوعين ، وقال القطامي :

ألم يحزنك أن جبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا (٢)

فثنى الجمع لما قسمه صنفين صنف لقيس وصنف لتغلب ، و (الرتق) السد
رتق فلا الفتق رتقا إذا سده ، ومنه الرتقاء : المرأة التي فرجها ملتحم . ووحيد لانه
مصدر وصف به .

وقوله « وجعلنا من الماء كل شيء حي » والمعنى إن كل شيء صار حيا ، فهو
مجموع من الماء . ويدخل فيه الشجر والنبات على التبع . وقال بعضهم : اراد بالماء
النطف التي خلق الله منها الحيوان . والاول أصح .

وقوله « أفلا يؤمنون » معناه أفلا يصدقون بما أخبرتهم . وقيل : معناه
أفلا يصدقون بما يشاهدونه ، من أفعال الله الدالة على أنه المستحق للعبادة لا غير
والمختص بها ، وأنه لا يجوز عليه اتخاذ صاحبة الولد .

وقرأ ابن كثير وحده « ألم ير الذين كفروا » بغير واو . الباقون « أو لم »
بالواو . والألف التي قبل الواو ، الف توييح وتقرير .

قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا
فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا

وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ
مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ
ذَاتُ نَفْسٍ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَمْتِنَا وَإِنَّا
نُتْرَجِعُونَ ﴿ (٣٥) خمس آيات .

قال المبرد : معنى « أن تמיד » أي منع الأرض « أن تמיד » أي لطفا خلقت
الجبال . ومثله قوله « أن تضل احداها » (١) والمعنى عدة أن تضل احداها . كقول
القائل : أعددت الخشبة أن يميل الحائل فأدعمه . وهو لم بعدها ليميل الحائط ،
وانما جعلها عدة ، لأن يميل ، فيدعم بها .

يقول الله تعالى انا « جعلنا في الأرض رواسي » وهي الجبال ، واحدا راسية
يقال : رست ترسو رسوآ إذا ثبتت بثقلها ، وهي راسية . كما ترسو السفينة إذا وقفت
متمكنة في وقوفها « أن تמיד بكم » معناه ألا تמיד بكم ، كما قال « يبين الله لسكم أن
تضلوا » (٢) والمعنى ألا تضلوا . وقال الزجاج : معناه كراهة أن تמיד بكم . والميد
الاضطراب ، بالذهب في الجهات ، يقال : ماد يמיד ميسداً ، فهو مأند . وقيل : إن
الأرض كانت تמיד وترجف ، رجوف السفينة بالوطى . ، فنقلها الله تعالى بالجبال
الرواسي - لتمتنع من رجوفها . والوجه في تثقيب الله تعالى الأرض بالرواسي مع
قدرته على امسالك الارض أن تמיד ، ما فيه من المصلحة والاعتبار ، وكان ابن الاخشاذ

يقول : لو لم يثقل الله الأرض بالرواسي لأمكن العباد أن يحركوها بما معهم من
القدر ، فجعلت على صفة مالا يمكنهم تحريكها . وقال قتادة : تميد بهم معناه تمور ،
ولا تستقر بهم .

وقوله « وجعلنا فيها فجأجا » يعني في الأرض طرفاً ، والفج الطريق الواسع
بين الجبلين .

وقوله « لعلمكم تهتدون » أي لكي تهتدوا فيها إلى حوائجكم ومواطنكم ، وبلوغ
أغراضكم . ويحتمل أن يكون المراد لتهتدوا ، فتستدلوا بذلك على توحيد الله وحكمته .
وقال ابن زيد : معناه ليظهر شكركم ، فيما تحبون ، وصبركم فيما تكرهون .

وقوله « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » وإنما ذكرها ، لأنه أراد السقف ، ولو
أنت كان جائزاً . وقيل : حفظها الله من أن تسقط على الأرض . وقيل : حفظها
من أن يطمع احد ان يتعرض لها بنقض ، ومن ان يلحقها ما يلحق غيرها من الهدم
او الشعث ، على طول الدهر . وقيل : هي محفوظة من الشياطين بالشهب التي
يرجمون بها .

وقوله « وهم عن آياتها معرضون » أي هم عن الاستدلال بحججها وادلتها ،
على توحيد الله معرضون .

ثم قال تعالى مخبراً ، بأنه « هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر »
واخبر ان جميع ذلك « في فلك يسبحون » فالفلك هو المجري الذي تجري فيه الشمس
والقمر ، بدورانها عليه - في قول الضحاك - وقال قوم : هو برج مكفوف تجر بان
فيه . وقال الحسن : الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل . والفلك في اللغة كل شيء
دائر ، وجمعه افلاك قال الراجز :

باتت تناصي الفلك الدوارا حتى الصباح تعمل الافتارا (١)
ومعنى « يسبحون » بالخير والشر ، والشدة والرخاء . وانما قل « يسبحون » على فعل
ما يعقل ، لأنه أضاف اليها الفعل الذي يقع من العقلاء ، كما قال « والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين » (٢) وقال « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » (٣) . وقال
الناطقة الجعدي :

تمزتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا (٤)
وقوله « كل في فلك يسبحون » أراد الشمس والقمر والنجوم ، لأن قوله
« الليل » دل على النجوم .

ثم قال لنبيه (ص) و « ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » أي البقاء دائماً في
الدنيا « أفان مت فهم الخالدون » أي لم يجعل لهم الخلود ، حتى لو مت أنت لبقوا
أولئك مخلدين ، بل ما أولئك مخلدين . ثم أكد ذلك ، وبين بأن قال « كل نفس
ذائقة الموت » والمعنى لا بد لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت ، وتخرج عن
كونها حية . وانما قال (ذائقة) لان العرب تصف كل أمر شاق على النفس بالذوق
كما قال « ذق انك انت العزيز الكريم » (٥) . وقال الفراء : إذا كان اسم الفاعل
لما مضى جازت الاضافة ، وإذا كان للمستقبل ، فالاختيار التنوين ، ونصب ما بعده .
ثم قال تعالى « ونبوكم » أي نختبركم معاشر العقلاء بالشر والخير ، يعني
بالمرض والصحة . والرخص والغلاء . وغير ذلك من انواع الخير والشر « فتنة »

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٦ (٢) سورة ١٢ يوسف آية ٤

(٣) سورة ٢١ الانبياء آية ٦٥ (٤) هو في مجمع البيان ٤ / ٦٦

(٥) سورة ٤٤ الدخان آية ٤٩

أي اختبار آمني لكم ، وتكليفاً لكم . ثم قال « والينا ترجعون » يوم القيامة . فيجازى كل انسان على قدر عمله . ودخلت الفاء في قوله « أفان » وهي جزاء ، وفي جوابه ، لان الجزاء متصل بكلام قبله . ودخلت في « فهم » لانه جواب الجزاء ، ولو لم يكن في « فهم » الفاء ، كان جائزاً على وجهين :

احدهما - ان تكون مرادة ، وقد حذفت .

والآخري - أن تكون قد قدمت على الجزاء ، وتقديره « أفهم الخالدون »

إن مت .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي
يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦) خَلِقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩)
بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠) ﴾

خمس آيات .

يقول الله تعالى لنبيه محمد (ص) إنه « إذا رأى الذين كفروا » وجحدوا
وحداية الله ، ولم يقرروا بنبوتك « إن يتخذونك » اي ايس يتخذونك « إلا
هزواً » يعني سخريه ، جهلا منهم وسخفاً وفي ذلك تسليه لكل محق يلحقه أذى

من جاهل مبطل . والهزؤ إظهار خلاف الابطان ، لا يهائم النقص عن فهم القصد .
يقال : هزى . منه يهزؤ هزؤاً ، فهو هازى . ومثله السخرية « أهذا الذي يذكر
آلتكم » حكاية ، أي يقولون ذلك ، ومعناه إنهم يعيرون من جحد إلهية من لانهمة
له ، وهم يمجدون إلهية من كل نعمة ، فهي منه ، وهذا نهاية الجهل . والمعنى أهذا
الذي يعيب آلتكم ، تقول العرب ، فلان يذكر فلاناً أي يعيبه ، قال عنتره :

لأنك كرى مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الاجراب (١)

وقوله « وهم يذكر الرحمن » معناه وهم يذكر توحيد الرحمن « هم كفرون » .
وقوله « خلق الانسان من عجل » قال قتادة : معناه خلق الانسان عجولاً . والمراد
به جنس الانسان . وقال السدي : المعنى به آدم (ع) . وقال مجاهد : خلق الانسان
على تعجيل ، قبل غروب الشمس يوم الجمعة . وقال ابو عبيدة : معناه خلقت العجلة
من الانسان ، على القلب . وهو ضعيف ، لأنه لا وجه لخلق على القلب . وقال قوم :
معناه على حب العجلة ، لانه لم يخلقه من نطفة ومن علقه بل خلقه دفعة واحدة .
والذي قاله قتادة ، أقوى الوجوه . وقيل خلق الانسان من عجل مبالغة ، كأنه قيل
هو عجلة ، كما يقال : انما هو إقبال وادبار . وقال المبرد : خلق على صفة من شأنه ان
يعجل في الامور . وقال الحسن : معناه خلق الانسان من ضعف ، وهو النطفة . وقال
قوم : العجل هو الطين الذي خلق آدم منه ، قال الشاعر :

والنبع ينبت بين الصخر ضاحيه والنخل ينبت بين الماء والعجل (٢)

يعني الطين . والاستعجال طلب الشيء قبل وقته الذي حقه أن يكون فيه
دون غيره . والعجول الكثير الطلب للشيء قبل وقته . والعجلة تقديم الشيء قبل

(١) ديوانه : ٣٣ (٢) تفسير القرطبي ٢٨٩/١١ والشوكاني ٣/٣٩٤

وروايته : (والنبع في الصخرة الصماء منبئة . . .)

وقته ، وهو مذموم . والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته ، وهو محمود .
 وقوله « سأوريكم آياتي فلا تستعجلون » أي سأظهر بيناتي وعلاماتي ، فلا
 تطلبوه قبل وقته . ثم أخبر تعالى عن الكفار أنهم « يقولون متى هذا الوعد »
 يريدون ما توعد الله به من الجزاء والعقاب على المعاصي بالنيران وأنواع العذاب « إن
 كنتم صادقين » يعني يقولون « إن كنتم صادقين » ومحقين فيما تقولون متى يكون
 ما وعدتموه ، فقال الله تعالى « لو يعلم الذين كفروا » الوقت الذي « لا يكفون فيه »
 أي لا يمنعون فيه « عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم » يعني إن النار تحيط بهم
 من جميع وجوههم « ولا هم ينصرون » أي لا يدفع عنهم العذاب بوجه من الوجوه .
 وجواب (لو) مخذوف ، وتقديره : لعلوا صدق ما وعدوا به من الساعة .

ثم قال « بل تأتيهم » يعني الساعة ، والقيامة « بغتة » أي فجأة « فتبهتهم » أي تحيرهم
 والمبهوت المتحير « فلا يستطيعون ردها » ومعناه : لا يقدر على دفعها « ولا هم ينظرون »
 أي لا يؤخرون إلى وقت آخر . وقال البلخي : ويجوز أن تكون العجلة من فعل الله
 وهو ما طبع الله عليه الخلق من طلب سرعة الأشياء . وهو كما خلقهم يشتهون أشياء
 ويميلون إليها ، ويحسن أمرهم بالتأني عنها ، والتوقف عند ذلك ، فلا جل ذلك قال
 « فلا تستعجلون » كما حسن نهيهم عن ارتكاب الزنا الذي تدعوهم إليه الشهوة .

قوله تعالى :

﴿ وَ لَقَدْ أَسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا
 مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٤١) قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِالنَّارِ رَأَيْتُمْ

﴿ ج ٧ م ٣٢ من التبيان ﴾

مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
تَمْتَعُونَ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَشْفِعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا
يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ
أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤)
قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ خمس آيات .

قرأ ابن عامر « ولا تسمع » بالتاء، وضمها وكسر الميم « الصم » بالنصب .
الباقون - بالياء - مفتوحة ، وفتح الميم ، وضم « الصم » .
فوجه قراءة ابن عامر ، أنه وجه الخطاب الى النبي (ص) فكأنه قال
« ولا تسمع » أنت يا محمد « الصم » كما قال « وما أنت بسمع من في القبور » (١)
لأن الله تعالى ، لما خاطبهم ، فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم اليه ، صاروا بمنزلة الميت الذي
لا يسمع ولا يعقل .

ووجه قراءة الباقيين أنهم جعلوا الفعل لهم ، ويقويه قوله ﴿ إذا ما ينذرون ﴾
قال أبو علي : ولو كان على قراءة ابن عامر ، لقال : إذا ينذرون .
و (الصم) وزنه ﴿ فعل ﴾ جمع أصم . وأصله (أصمم) فادغموا الميم في الميم
وتصغير (أصم) (أصيمم) . و (الصمم) ثقل في الأذن ، فاذا كان لا يسمع
شيئاً قيل أصلج . وقال ابن زيد : (أصم) أصلج بالجيم . والوقر المثلث في الأذن .

لما قال الله تعالى لنبيه محمد: إن الكفار إذا ما رأوك اتخذوك هزواً وسخرية علم
ان ذلك يغمه فسلاه عن ذلك بأن اقسم بأن الكفار فيما سلف استهزؤا بالرسول الذين
بعث الله فيهم . وسخروا منهم ﴿ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾
أي حل بهم عقوبة ما كانوا يسخرون منهم ، وحقاق معناه حل ، حاق يحق حيقاً .
ومنه قوله ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ﴾ (١) أي يحل وبال القبيح بأهله الذين
يفعلونه . فكان كما أرادوه بالداعي لهم الى الله حل بهم .

والفرق بين الهزء والسخرية ، أن في السخرية معنى الذلة ، لأن التسخير التذليل
والهزء يقتضي طلب صغر القدر مما يظهر في القول .

ثم أمر نبيه (ص) بأن يقول لهؤلاء الكفار ﴿ من يكلؤكم بالليل والنهار ﴾
أي من يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه . وقيل : من عوارض الآفات ، يقال : كلاه
يكلؤه ، فهو كالي . قال ابن هرمة :

إن سلمي والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان برزؤها (٢)

ومعنى ﴿ يكلؤكم ٠٠٠ من الرحمن ﴾ أي من يحفظكم من أن يحل بكم عذابه
وقوله ﴿ بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ معناه كأنه قال : ما يلتفتون الى
شيء من الحجج والمواعظ ، بل هم عن ذكر ربهم معرضون . وقيل : من يحفظكم مما
يريد الله إحلاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة . ثم قال على وجه التوبيخ لهم
والنقريع ﴿ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا ﴾ أي من عذابنا وعقوباتنا . ثم أخبر أنهم
﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴾ . وقيل : ان المعنى إن آلهتهم لا يقدر على نصر
أنفسهم ، فكيف يقدر على نصر غيرهم؟ وقيل ان الكفار ﴿ لا يستطيعون نصر

(١) سورة ٣٥ فاطر ٤٣

(٢) تفسير القرطبي ١١ / ٢٩١ والطبري ١٧ / ٢٠ والشوكاني ٣ / ٣٩٥

أنفسهم ﴿ وهو الاشبه اي لا يقدر على دفع ما ينزل بهم عن نفوسهم ﴾ ولا هم منا يصحبون ﴿ معناه لا يصحبهم صاحب يمنعهم منا . وقيل ولا هم منا يصحبون بأن يجيرهم مجير علينا . وقال ابن عباس : معناه ولا الكفار منا يجارون ، كما يقولون : ان لك من فلان صاحباً ، أي من يجبرك ويمنعك . وقال قتادة : معناه ﴿ ولا هم منا يصحبون ﴾ بجير ثم قال تعالى ﴿ بل متعنا هؤلاء وآباءهم ﴾ فلم نعالجهم بالعقوبة حتى طالت اعمارهم . ثم قال مؤبناً لهم ﴿ أفلا يرون ﴾ اي ألا يعلمون ﴿ انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها ﴾ قيل : بخرايبها . وقيل : بموت اهلها . وقيل : بموت العلماء .

وقوله ﴿ افهم الغالبون ﴾ قال قتادة : افهم الغالبون رسول الله مع ما يشاهدونه من نصر الله في مقام بعد مقام ، توبيخاً لهم ، فكأنه قال : ما حملهم على الاعراض الا الاعتزاز بطول الامهال حيث لم يعالجوا بالعقوبة .

ثم قال لنبيه محمد (ص) ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ انما انذركم بالوحى ﴾ اي اعلمكم واخوفكم بما اوحى الله الي . ثم شبههم بالصم الذين لا يسمعون النداء اذا نودوا ، فقال ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ﴾ اي يخوفون ، من حيث لم ينتفعوا بدعاء من دعاهم ، ولم يلتفتوا اليه ، فسامهم صماً مجازاً وتوسعاً .

قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا

لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَذَا إِذْ كَرَّمْنَا بَارَكًا أَنْزَلْنَا لَهُ آفَاءً أَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٠)

• خمس آيات •

قرأ أهل المدينة ﴿ مثقال حبة ﴾ برفع السلام - ههنا - وفي القمر •

الباقون بنصبها •

من رفع اللام جعل (كان) تامة بمعنى حدث ، كما قال ﴿ الا ان تكون
تجارة ﴾ (١) ولا خبر لها • ومن نصبه جعل في (كان) ضميراً ونصب (مثقال) بأنه خبر
(كان) وتقديره فلا تظلم نفس شيئاً وان كان الشيء ﴿ مثقال حبة من خردل ﴾
وانما قال ﴿ بها ﴾ بلفظ التأنيث والمثقال مذكر ، لان مثقال الحبة وزنها ، ومثله
قراءة الحسن ﴿ تلتقطه بعض السيارة ﴾ (٢) لان بعض السيارة سيارة • وروي ان
مجاهد قرأ ﴿ آتينا ﴾ ممدوداً بمعنى جازينا بها •

اخبر الله تعالى انه لو مس هؤلاء الكفار ﴿ نفحة من عذاب الله ﴾ ومعناه
لو لحقهم واصابهم دفعة يسيرة ، فالنفحة الدفعة اليسيرة ، يقال : نفح ينفح نفحاً ،
فهو نافح ، لا يقنوا بالهلاك ، ولقالوا ﴿ يا ويلنا ﴾ اي الهلاك علينا ﴿ انا كنا
ظالمين ﴾ لنفوسنا بارتكاب المعاصي اعترافاً منهم بذلك • ومعنى ﴿ يا ويلنا ﴾ يا بلاءنا
الذي نزل بنا • وانما يقال استغائه مما يكون منه ، كما يستغيث الانسان بئسائه من
يرفع به •

ثم قال تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ قال قتادة : معناه نضع

العدل في المجازاة بالحق لكل احد على قدر استحقاقه ، فلا يبخس المشاب بعض ما يستحقه ، ولا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه . وقال الحسن : هو ميزان له كفتان ولسان ، يذهب الى انه علامة جعلها الله للعباد يعرفون بها مقادير الاستحقاق . وقال قوم : ميزان ذو كفتين توزن بها صحف الاعمال . وقال بعضهم : يكون في احدى الكفتين نور ، وفي الأخرى ظلمة ، فايهما رجح ، علم به مقدار ما يستحقه ، وتكون المعرفة في ذلك ما فيه من اللطف والمصلحة في دار الدنيا .

وقوله « ليوم القيامة » معناه لأهل يوم القيامة . وقيل في يوم القيامة .

وقوله « وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها » معناه أنه لا يضع لديه قليل الاعمال والمجازاة عليه ، طاعة كانت أو معصية « وكفى بنا حاسين » أي وكفى المطيع أو العاصي بمجازاة الله وحسبه ذلك . وفي ذلك غاية التهديد ، لأنه إذا كان الذي يتولى الحساب لا ينجي عليه قليل ولا كثير ، كان اعظم . والباء في قوله « كفى بنا » زائدة . و « حاسين » يحتمل أن يكون نصباً على الحال أو المصدر في قول الزجاج . ثم اخبر الله تعالى فقال : « ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان » قال مجاهد وقتادة : هو التوراة التي تفرق بين الحق والباطل . وقال ابن زيد : هو البرهان الذي فرق بين حقه وباطل فرعون ، كما قال تعالى « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (١) . وقوله « وضياء » أي وآتيناها ضياء يعني أدلة يهتدون بها ، كما يهتدون بالضياء . وآتيناها « ذكراً للمتقين » أي مذكراً لهم ، يذكرون الله به . ومن جعل الضياء والذكر حالاً للفرقان قال : دخلته واو العطف ، لاختلاف الأحوال ، كقولك جاءني زيد الجواد والحليم والعالم . وأضافه الى المتقين ، لانهم المنتفعون به دون غيرهم .

ثم وصف المتقين بأن قال « الذين يخشون » عذاب الله فيجتنبون معاصيه في

حال السر والغيب . وقال الجبائي : معناه يؤمنون بالغيب الذي أخبرهم به ، وهم من مجازاة يوم القيامة « مشفقون » أي خائفون .

ثم أخبر عن القرآن ، فقال « وهذا ذكر مبارك » يعني القرآن « أنزلناه » عليك يا محمد . وخاطب الكفار فقال « أفأنتم له منكرون » أي تجحدونه ، على وجه التوبيخ لهم ، والتقرير ، وفي ذلك دلالة على حدوثة ، لأن ما يوصف بالانزال وبأنه مبارك يتنزل به ، لا يكون قديماً ، لان ذلك من صفات المحدثات .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)
 قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَمَا كُنَّا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) ﴾
 خمس آيات •

لما أخبر الله تعالى أنه آتى موسى وهارون الفرقان ، والضياء ، والذكر .
 وبين أن القرآن ذكر مبارك أنزله على محمد (ص) ، أخبر أنه آتى إبراهيم أيضاً قبل ذلك ﴿ رشده ﴾ يعني آتيناه من الحجج والبيانات ما يوصله الى رشده ، من معرفة الله وتوحيده . والرشد هو الحق الذي يؤدي الى نفع يدعو اليه . ونقيضه الغي ، رشد يرشد رشداً ورشداً ، فهو رشيد . وفي نقيضه : غوى يغوى غياً ، فهو غاو . وقال قتادة ومجاهد : معنى ﴿ آتيناه رشده ﴾ هديناه صغيراً . وقال قوم : معنى ﴿ رشده ﴾

النبوة . وقوله ﴿ من قبل ﴾ يعني من قبل موسى وهارون . وقوله ﴿ وكنا به عالمين ﴾ أي كنا عالمين بأنه موضع لايتناه الرشد ، كما قال تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ (١) وقيل : كنا نعلم أنه يصلح للنبوة ﴿ إذ قال لآييه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ . (إذ) في موضع نصب ، والعامل فيه ﴿ آتيناہ رشدہ ... إذ قال ﴾ أي في ذلك الوقت ، وفيه إخبار عما أنكر إبراهيم على قومه وأبيه حين رآهم يعبدون الأصنام والأوثان ، فانه قال لهم : أي شيء هذه الاصنام ؟ ! يعني الصور التي صرتم لازمين لها بالعبادة ، والعاكف اللزوم لأمر من الامور : عكف عليه عكوفاً ، فهو عاكف . وقيل في معنى ﴿ لها عاكفون ﴾ لاجلها . قال مجاهد ﴿ هذه التماثيل ﴾ الأصنام . ثم حكى ما أجابه به قومه ، فانهم قالوا « وجدنا آباءنا لها » لهذه الاصنام « عابدين » فأحالوا على مجرد التقليد . فقال لهم إبراهيم « لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين » فدمعهم على تقليد الآباء ، ونسب الجميع الى الضلالة والعدول عن الحق . فقالوا له عند ذلك « أجنثنا بالحق أم أنت من اللاعنين » ومعناه أجاد أنت فيما تقول محق عند نفسك أم أنت لاعب مازح ؟ وذلك أنهم كانوا يستبعدون إنكار عبادتها عليهم .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ
وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ
بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُنَادًا لِأكْبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِاللَّيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩)

قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ خمس آيات .

قرأ الكسائي « جذاذآ » بكسر الجيم . الباقون بضمها . فمن ضم الجيم أراد جعلهم قطعاً ، وهو (فعل) على وزن الرفات والفتات والرقاق ، وجذذته أجذذته جذاً أي قطعته . وقال ابن عباس : الجذاذ الحطام . ومن كسر الجيم فانه أراد جمع جذيد (فعيل) بمعنى مجذوذ . ومثله كريم وكرام ، وخفيف وخفاف ، وبالضم مصدر لايشق ولا يجمع . قال جرير :

آل المهلب جند الله دابره
أمسوار مادأفلا أصل ولا طرف (١)

حكى الله تعالى ما رد به إبراهيم على كفار قومه حين قالوا له « أجبتنا بالحق أم أنت من اللاعبين » فانه قال لهم « بل ربكم رب السموات والارض الذي « خلقكم ودبركم والذي خلق السموات والارض و « فطرهن » معناه ابتدأهن والفطر شق الشيء من امر ظهر منه يقال : فطره يفطره فطراً وانفطر انفطاراً ، ومنه فطر الشجر بالورق ، فكان السماء تشق عن شيء فظهرت بخلقها . ثم قال إبراهيم « وأنا على ذلكم من الشاهدين » يعني أنا على ما قلت لكم : من انه تعالى خالقكم وخالق السموات شاهد بالحق لانه دال ، والشاهد الدال على الشيء عن مشاهدة ، فإبراهيم (ع) شاهد بالحق دال عليه بما يرجع الى ثقة المشاهدة . ثم أقسم إبراهيم فقال « وتالله لأكيدن أضنامكم » وذلك قسم ، والتاء في القسم لا تدخل إلا في اسم الله تعالى ، لأنها بدل من الواو والواو بدل من الباء ، فهي بدل من بدل ، فلذلك أختصت باسم الله . وقال قتادة : معناه لأكيدن أضنامكم في سر من قومه . والكيد ضرب النبي . بتدبير عليه ، يقال :

(١) تبوانه (دار بيروت) ٣٠٨

(ج ٧ ص ٣٣٣ من التبيان)

كلده يكيدده كيداً . فهو كائد .

وقوله « بعد أن تولوا مدبرين » يقال : انه انتظرهم حتى خرجوا الى عيد لهم فحينئذ كسر اصنامهم . ثم أخبر تعالى انه « جعلهم جذاذاً » أي قطعاً « إلا كبيراً لهم » تركه على حاله . ويجوز أن يكون كبيرهم في الخلقة . ويجوز أن يكون أكبرهم عندهم في التعظيم « لعلمهم اليه يرجعون » أي لكي يرجعوا اليه فينتبهوا على ما يلزمهم فيه من جهل من اتخذوه إلهاً ، إذا وجدوه على تلك الصفة . وكان ذلك كيداً لهم . وفي الكلام حذف ، لان تقديره إن قومه رجعوا من عيدهم ، فوجدوا أصنامهم مكسرة « قالوا من فعل هذا بالهتانا لمن الضالين » (من) بمعنى الذي ، وتقديره الذي فعل هذا بمعبودنا ، فانه ظلم نفسه .

وقوله « قالوا سمعنا فنى يذكرهم يقال له ابراهيم » قيل تخلف بعضهم فسمع ابراهيم يذكرها بالغيب ، فذكر ذلك ، ورفع (ابراهيم) بتقدير ، يقال له هذا ابراهيم ، او ينادى يا ابراهيم ، ذكره الزجاج .

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأنتَ فَعَلتَ هَذَا بِاللَّهِمَّ يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٦٥) خمس آيات .

لما قال بعضهم انه سمع ابراهيم يعيب آلهتهم وحكاه لقومه قالو : جيثوا « به على اعين الناس لعلهم يشهدون » وقيل في معناه قولان :
احدهما - قال الحسن وقتادة والسدي : كرهوا أن يأخذوه بغير بينة ، فقالوا جيثوا به بحيث يراه الناس ، ويكون بمرء آمنهم « لعلهم يشهدون » بما قاله إني أكيد اصنامهم شهادة تكون حجة عليه .

الثاني - قال ابن اسحاق « لعلهم يشهدون » عقابه . وقيل « لعلهم يشهدون » حجته وما يقال له من الجواب ، فلما جاؤا به قالوا له ﴿ أنت فعلت هذا بأهتنا يا ابراهيم ﴾ مقررين له على ذلك : فأجابهم ابراهيم بأن قال ﴿ بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ وإنما جاز أن يقول ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وما فعل شيئاً لأحد امرين :

احدهما - انه قيده بقوله ﴿ إن كانوا ينطقون ﴾ فقد فعله كبيرهم . وقوله ﴿ فاسألوهم ﴾ اعتراض بين الكلامين ، كما يقول القائل : عليه الدارهم فاسأله إن أقر .

والثاني - انه خرج مخرج الخبر وليس بخبر ، وإنما هو إزام دل على تلك الحال ، كأنه قال بل ما تنكرون فعله كبيرهم هذا . فالإزام تارة يأتي بلفظ السؤال وتارة بلفظ الامر ، كقوله ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ وتارة بلفظ الخبر . والمعنى فيه أنه من اعتقد كذا لزمه كذا وقد قرىء في الشواذ ﴿ فعله كبيرهم ﴾ - بتشديد اللام - بمعنى فعل كبيرهم ، فعلى هذا لا يكون خبراً . فلا يلزم ان يكون كذباً ، والكذب قبيح لكونه كذباً ، فلا يحسن على وجه ، سواء كان فيه نفع او دفع ضرر ، وعلى كل حال ، فلا يجوز على الأنبياء القبايح ، ولا يجوز ايضاً عليهم التعمية في الاخبار ، ولا التقية

في اخبارهم ، لأنه يؤدي الى التشكيك في اخبارهم ، فلا يجوز ذلك عليهم على وجهه .
 فأما ما روي عن النبي (ص) بأن قال (لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات كلها
 في الله) فإنه خبر لا أصل له ، ولو حسن الكذب على وجهه ، كما يتوهم بعض الجهال ،
 لجاز من القديم تعالى ذلك . وزعموا ان الثلاث كذبات هي قوله « فعله كبيرهم هنا »
 وما كان فعله . وقوله « اني سقيم » (١) ولم يكن كذلك . وقوله في سارة لما اراد
 الجبار أخذها : إنها اختي ، وكانت زوجته . حتى قال بعضهم : كان الله أذن له في
 ذلك . وهذا باطل ، لأنه لو اذن الله له فيه ، لكان الكذب حسناً . وقد بينا أنه فيصح
 على كل حال . وقيل : معنى قوله « اني سقيم » اي سأسقم ، لأنه لما نظر الى بعض
 الكواكب علم انه وقت نوبة حمى كانت تبيثه ، فقال : اني سقيم . وقيل معناه : اني
 سقيم ، اي غماً بضالكم . وقيل : معناه سقيم عندكم ، فيما أدعوكم اليه من الدين .
 وقيل : ان من كانت عاقبته الموت جاز ان يقال فيه سقيم ، مثل المريض المشفى على
 الموت . وأما قوله في سارة إنها اختي فإنه أراد في الدين . وأما قول يوسف لأخوته
 « انكم لسارقون » (٢) فقد قال قوم : هو من قول مؤذن يوسف على ظنه فيما يقتضيه
 الحال من الظن الذي يعمل عليه . وقيل معناه : « انكم لسارقون » يوسف (ع)
 وقوله تعالى ﴿ فرجعوا الى انفسهم ﴾ اي عادوا الى نفوسهم يعني بعضهم الى
 بعض وقال بعضهم لبعض : ﴿ انكم انتم الظالمون ﴾ في سؤاله ، لأنها لو كانت آلهة لم
 يصل ابراهيم الى كسرهما .

وقوله ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ فالنكس هو جعل
 الشيء أسفله أعلاه ، ومنه النكس في العلة إذا رجع الى اول حاله . والمعنى ادر كنتم
 حيرة سوء ، فنكسوا لأجلها رؤسهم . ثم أقروا بما هو حجة عليهم ، فقالوا لابراهيم

﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ فأقروا بهذا للحيرة التي لحقتهم ، فكان ذلك دلالة على خطيئهم ، لكنهم أصروا على العناد .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (٦٦) أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّ قُوَّهُ وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) خمس آيات .

يقول الله تعالى لما قال كفار قوم إبراهيم (ع) ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ فقال لهم إبراهيم منبها لهم على خطيئهم وضلالهم ﴿ أفتعبدون من دون الله ﴾ أي توجهون عبادتكم الى الاصنام التي لا تنفعكم شيئا . ولا تدفع عنكم ضرا ، لانها لو قدرت على نفعكم وضرركم . لدفعت عن نفسها ، حتى لم تكسر ، ولا جابت حين سئلت ﴿ من دون الله ﴾ الذي يقدر على ضرركم ونفعكم من ثوابكم وعقابكم ، وإنه يفعل معكم مالا يقدر عليه سواه . وليس كل من يقدر على الضر والنفع يستحق العبادة ، وإنما يستحقها من يقدر على اصول النعم التي هي خلق الحياة ، والشهوة ، والقدرة ، وكمال العقل ، ويقدر على الثواب والعقاب او لمنافع تقع على وجه لا يقدر على ايقاعها على ذلك الوجه سواه . قال الرماني : لانه تعالى لو فعل حركة فيها لطف في إيمان زيد كزلزلة الارض في بعض الاحوال . ثم ان عندها إيمانا يتخلص به من

العقاب . ويستحق الثواب الذي ضمنه بالإيمان، لا يستحق - بفعل الحركة على هذا الوجه - العبادة .

ثم قال مبهجاً لأفعالهم مستقنراً لها ﴿ اف لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ فمعنى (أف) الضجر بما كان من الأمر وهي كلمة ، مبنية ، لأنها وضعت وضع الصوت الخارج عن دلالة الإشارة والافادة ، فصارت كدلالة الحرف ، لأنه يفهم المعنى بالحال المقارنة لها ، وبنيت على الحركة لالتقاء الساكنين إذ لا أصل لها في التمكن مستعمل ، فتستحق به البناء على الحركة . وكسرت على أصل الحركة لالتقاء الساكنين . وقال الزجاج : معنى ﴿ اف لكم ﴾ ننتأ لأفعالكم ، ويجوز - ضم الفاء - للاتباع لضمه الهمزة ويجوز - الفتح - لثقل التضعيف . ويجوز - التنوين - على التنكير .

وقوله « أفلا تعقلون » معناه أفلا تتفكرون بعقولكم في أن هذه الاصنام لا تستحق العبادة ، ولأ تقدر على الضر والنفع ، فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض « حرقوه » يعني بالنار « وانصروا آلهتكم » أي عظموها وادفعوا عنها وعن عبادتها « إن كنتم فاعلين » معناه إن كنتم ناصرينها ، ولم تردوا ترك عبادتها . والتحريق هو التقطيع بالنار ، يقال : حرقه تحريقاً وأحرقه إحراقاً ، وثوب حرق أي متقطع كالتقطع بالنار . واحترق الشيء احتراقاً ، وتحرق على الأمر تحرقاً . وقال ابن عمر : الذي أشار بتحريق إبراهيم رجل من أكراد فارس . وفي الكلام حذف . لأن تقديره أو ثقوا إبراهيم وطرحوه في النار ، فقال الله تعالى عند ذلك للنار « كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » وقيل في وجه كون النار برداً وسلاماً قولان :

أحدهما - أنه تعالى أحدث فيها برداً بدلاً من شدة الحرارة التي فيها .

فلم تؤذّه .

والثاني - انه تعالى حال بينها وبين جسمه ، فلم تصل اليه ، ولو لم يقل سلاماً لأهلكه بردها ، ولم يكن هناك أمر على الحقيقة . والمعنى أنه فعل ذلك ، كما قال « كونوا فردة خاسئين » (١) أي صيرهم كذلك من غير ان أمرهم بذلك . وقال قتادة : ما أحرقت النار منه إلا وثاقه . وقال قوم : ان إبراهيم لما أوثقوه ليلقوه في النار قال (لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين . لك الحمد ولك الملك لا شريك لك) . ثم اخبر تعالى ان الكفار أرادوا بإبراهيم كيداً وبلاء ، فجعلهم الله « الأخسرين » يعني بتأييد إبراهيم وتوفيقه ، ومنع النار من إحراقه حتى خسروا وتبين كفرهم وضلالهم .

قوله تعالى :

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)
 وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
 الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا
 وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرِيْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا
 قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) ﴾

خمس آيات .

يقول الله تعالى إنا نجينا ابراهيم ولوطاً من الكفار الذين كانوا يخافوهم ،
 وحملناهما « الى الارض التي باركنا فيها للعالمين » قال قتادة : نجيا من ارض كوثارياً
 الى الشام . وقال ابو العالية : ليس ماء عذب الا من الصخرة التي في بيت المقدس .
 وقال ابن عباس : نجيا الى مكة ، كما قال « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
 مباركاً » (١) وقيل : الى ارض بيت المقدس . وقال الزجاج : من العراق الى ارض
 الشام . وقال الجبائي : اراد ارض الشام . وانما قل « للعالمين » لما فيها من كثرة
 الاشجار والخيرات التي ينتفع جميع الخلق بها اذا حلوا بها . وانما جعلها مباركة ،
 لان اكثر الانبياء بمثوا منها ، فلذلك كانت مباركة . وقيل : لما فيها من كثرة
 الاشجار والثمار ، والنجاة هو الدفع عن الهلاك ، فدفع الله ابراهيم ولوطاً عن الهلكة
 الى الارض المباركة . والبركة ثبوت الخير النامي ونقيضها الشؤم وهو إحقاق الخير
 وذهابه . وقيل في هذه الآية دلالة على نجاة محمد (ص) كما نجا ابراهيم من عبدة
 الاصنام ، الى الارض التي اختارها له .

ثم قال « ووهبنا له » يعني ابراهيم اي أعطيناها اجتناباً لمحبهه ، فالله تعالى
 يحب انبياءه ويحبونه ، ويحب أن يزدادوا في محبهه بما يهب لهم من نعمه « اسحاق
 ويعقوب » اي أعطيناها اسحاق ومعه يعقوب « نافلة » اي زيادة على ما دعا الله
 اليه . وقوله « نافلة » اي فضلاً - في قول ابن عباس وقتادة وابن زيد - لأنه كان
 سأل الله ان يرزقه ولدأ من سارة ، فوهب له اسحاق ، وزاده يعقوب ولد ولده .
 وقيل جميعاً نافلة ، لانها عطية زائدة على ما تقدم من النعمة - في قول مجاهد وعطاء -
 والنفل النفع الذي يوجب الحمد به لانه مما زاد على حد الواجب ، ومنه صلاة النافلة
 اي فضلاً على الفرائض . وقيل : نافلة اي غنيمة قال الشاعر :

الله نافلة الأعز الأفضل

وقوله ﴿ وكلا جعلنا صالحين ﴾ يحتمل امرين :

أحدهما - انه جعلهم بالتسمية على وجه المدح بالصلاح أي سميناهم صالحين .
والثاني - انا فعلنا بهم من اللطف الذي صلحوا به . ثم وصفهم بأن قال
﴿ وجعلناهم أئمة ﴾ يقتدى بهم في أفعالهم ﴿ يهدون ﴾ الخلق الى طريق الحق ﴿ بأمرنا
وأوحينا اليهم فعل الخيرات ﴾ أي أوحينا اليهم بأن يفعلوا الخيرات « واقام الصلاة »
أي وبأن يقيموا الصلاة بمحدودها وانما قال « واقام الصلاة » بلا (هاء) لأن الاضافة
عوض الهاء « وإيتاء الزكاة » أي بأن يؤتوا الزكاة ، التي فرضها الله عليهم .
ثم اخبر : أنهم كانوا عابدين لله وحده لا شريك له ، لا يشركون بعبادته سواه .
وقوله « ولوطاً آتينا حكماً وعلماً » نصب (لوطاً) بـ (آتينا) وتقديره : وآتينا
لوطاً آتينا ، كقوله « والقمر قدرناه منازل » (١) . ويجوز ان يكون نصباً بتقدير
اذكر « لوطاً » إذ « آتينا حكماً » أي اعطيناه الفصل بين الخصوم بالحق أي جعلناه
حاكماً ، وعلماً ما يحتاج الى العلم به .

وقوله « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث » يعني انهم كانوا يأتون
الذكران ، في أديارهم ويتضارطون في اندبتهم ، وهي قرية (سدوم) على ما روي .
ثم اخبر « انهم كانوا قوم سوء فاسقين » أي خارجين عن طاعة الله الى
معاصيه . ثم عاد الى ذكر لوط فقال « وادخلناه في رحمتنا » أي نعمتنا « انه من
الصالحين » الذين أصلحوا أفعالهم . فعملوا بما هو حسن منها ، دون ما هو قبيح .

(١) سورة ٣٦ يس آية ٣٩

﴿ ج ٧ م ٣٤٤ من التبيان ﴾

قوله تعالى:

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصْرَانَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) وَدَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ
شَاكِرُونَ ﴿ (٨٠) خمس آيات

قرأ « لنحصنكم » بالنون ابو بكر عن عاصم . وقرأ ابن عامر وحفص عن
عاصم بالتاء . الباقيون بالياء . فمن قرأ بالتاء ، فلأن الدروع مؤنثة ، فأسند الفعل
اليها . ومن قرأ بالياء اضافه الى (لبوس) ، وهو مذكر ويجوز ان يكون اسند
الفعل الى الله . ويجوز ان يضيفه الى التعليم - ذكره ابو علي - ومن قرأ بالنون اسند
الفعل الى الله ليطابق قوله « وعلمناه » .

يقول الله تعالى لنبية محمد (ص) واذكر يا محمد « نوحاً » حين نادى من
قبل « ابراهيم » والنداء الدعاء على طريقة (يا فلان) فأما على طريقة (افعل)
و (لاتفعل) فلا يسمى نداء ، وإن كان دعاء . والمعنى إذ دعا ربه ، فقال : رب ، أي

يا رب نجني واهلي من الكرب العظيم فقال الله تعالى « فاستجبنا له » اي اجبناه الى ما التمسناه « فنجيناه واهله من الكرب العظيم » . والكرب الغم الذي يحمى به القلب ، ويحتمل ان يكون غمه كان لقومه . ويجوز ان يكون من العذاب الذي نزل بهم .

وقوله « ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا » اي منعناه منهم ان يصلوا اليه بسوء . ومعنى نصرته عليه أعنته على غلبه . ثم اخبر تعالى « انهم كانوا قوم سوء » فأغرقهم الله اجمعين بالطوفان .

ثم قال واذكر يا محمد « داود وسليمان اذ يحكما في الحرث إذ » في الوقت الذي « نفشت فيه غنم القوم » والنفش لا يكون الا ليلا على ما قاله شريح . وقال الزهري: العمل والنشر بالنهار ، والنفش بالليل ، والحرث الذي حكه فيه : قال قتادة : هو زرع وقعت فيه الغنم ليلا ، فأكلته . وقيل : كرم قد نبتت عناقيده - في قول ابن مسعود - وشريح . وقيل : ان داود كان يحكم بالغنم لصاحب الكرم . فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله . قال : وما ذلك ؟ قال : يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى اذا عاد الكرم كما كان دفع كل واحد الى صاحبه - ذكره ابن مسعود - وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . وقال ابو علي الجبائي : أوحى الله الى سليمان مما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل . ولم يكن ذلك عن اجتهاد ، لان الاجتهاد لا يجوز ان يحكم به الانبياء . وهذا هو الصحيح عندنا . وقال ابن الاخشاذ ، والبلخي والرماني: يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد ، لأن رأي النبي افضل من رأي غيره ، فكيف يجوز التعبد بالتزام حكم غيره من طريق الاجتهاد ، ويمتنع من حكمه من هذا الوجه . والدليل على صحة الاول ان الانبياء (ع) يوحى اليهم ، ولهم طريق الى العلم بالحكم ، فكيف

يجوز أن يعملوا بالظن؟! والأمة لا طريق لها إلى العلم بالاحكام فجاز ان يكلفوا ما طريقه الظن؟! على ان عندنا لا يجوز في الأمة أيضاً العمل على الاجتهاد . وقد بينا ذلك في غير موضع . ومن قال : انهما اجتهدا ، قال أخطأ داود وأصاب سليمان . وذكروا في قوله « إذ يحكمان » ثلاثة أوجه :

أحدها - إذ شرعا في الحكم فيه من غير قطع به في ابتداء الشرع .
وثانيها - ان يكون حكمه حكما معلقاً بشرط لم يفعله بعد .

وثالثها - أن يكون معناه طلباً بحكم في الحرث ، ولم يتديا به بعد . ويقوي ما قلناه قوله تعالى « ففهمناها سليمان » يعني علمنا الحكومة في ذلك سليمان . وقيل : ان الله تعالى « فهم سليمان » قيمة ما أفسدت الغنم .

ثم أخبر تعالى بأنه آتى كلا حكماً وعلماً ، فدل على ان ما حكم به داود كان بوحى الله ، وتعليمه . وقيل : معنى قوله « ففهمناها سليمان » أي فتحنا له طريق الحكومة ، لما اجتهد في طلب الحق فيها ، من غير عيب على داود فيما كان منه في ذلك ، لأنه اجتهد ، فحكم بما أدى اجتهاده اليه .

وقوله « وسخرنا مع داود الجبال » معناه سير الله تعالى الجبال مع داود حيث سار ، فعبر عن ذلك بالتسبيح ، لما فيها من الآية العظيمة التي تدعوه بتعظيم الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به ، ولا يجوز وصفه به . وكذلك سخر له الطير ، وعبر عن ذلك التسخير بأنه تسبيح من الطير ، لدلالته على أن من سخرها قادر لا يجوز اعليه العجز ، كما يجوز على العباد .

وقوله « وكنا فاعلين » أي وكنا قادرين على ما نريده . وقال الجبائي : اكمل الله تعالى عقول الطير حتى فهمت ما كان سليمان يأمرها به وينهاها عنه ، وما يتوعداها به متى خالفت .

وقوله « وكنا لحكمهم شاهدين » أما جمعه في موضع التثنية ، لأن داود وسليمان كان معهما المحكوم عليه ، ومن حكم له . فلا يمكن الاستدلال به على أن اقل الجمع اثنان . ومن قال : إنه كناية عن الاثنين ، قال : هو يجري مجرى قوله « فان كان له أخوة » (١) في موضع فان كان له أخوان . وهذا ليس بشيء ، لان ذلك علمناه بدليل الاجماع ، ولذلك خالف فيه ابن عباس ، فلم يحجب ما قل عن الثلاثة .

وقوله « وعلمناه » يعني داود « صنعة لبوس لكم » اي علمناه كيف يصنع الدرع . وقيل : ان اللبوس - عند العرب - هو السلاح كله ، درعاً كان ، أو جوشناً ، أو سيفاً ، أو رمحاً ، قال الهذلي .

ومعني لبوس للبنين كأنه روق بجبهة ذي نعاج مجفل (٢)

يصف رمحاً . وقال قتادة ، والمفسرون : المراد به في الآية الدروع . والاحصان الاحراز ، والباس شدة القتال . وقوله « فهل أنتم شاكرون » تقرير للخق على شكره تعالى على نعمه التي انعم بها عليهم بأشياء مختلفة .

قوله تعالى :

﴿ وَاسْلَيْمِنَ الرِّيْحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ .

(١) سورة النساء آية ١٠ (٢) تفسير القرطبي ١١/٣٢٠ والطبري ١٧/٣٧

رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرُنَا لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) خمس آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى وسخرنا « لسليمان الريح عاصفة » من رفع (الريح) وهو عبد
الرحمن الأعرج : أضاف الريح الى سليمان إضافة الملك ، كأنه قال له الريح .
و « عاصفة » نصب على الحال في القراءتين ، والريح هو الجو ، يشتد تارة ويضعف
أخرى . وحد الرمانى الريح بأن قال : هو جسم منتشر لطيف ، يمتنع بلطفه من القبض عليه
ويظهر للحس بحركته . وقولهم : سكنت الريح مثل قولهم : هبت الريح ، وإلا فانها لا تكون
ريحا إلا بالحركة . ويقولون : أسرع فلان فى الحاجة كالريح ، وراح فلان الى منزله .
و (العصوف) شدة حركة الريح ، وعصفت تعصف عصفاً وعصفاً ، وعصف عصفاً
وعصوفاً إذا اشتد ، والعصف التبن ، لان الريح تعصفه بتطيرها . وقيل : عصوف
الريح شدة هبوبها . وذكر ان الريح كانت تجري لسليمان إلى حيث شاء ، فذلك هو
التسخير « تجري بأمره » يعنى بأمر سليمان « الى الارض التي باركنا فيها » يعنى
الشام ، لانها كانت مأواه ، فأى مكان شاء . مضى اليه . وعاد اليها بالعشي .

وقوله « وكنا بكل شيء عالمين » معناه علمنا معه على ما يعلمه من صحة التدبير ،
فان ما أعطيناه من التسخير يدعو الى الخضوع له . ويدعو طالب الحق الى الاستبصار
فى ذلك ، فكان لطفاً يجب فعله .

وقوله « ومن الشياطين من يغوصون له » أى وسخرنا لسليمان قوماً من
الشياطين يغوصون له فى البحر « ويعملون عملاً دون ذلك » قال الزجاج : معناه
سوى ذلك « وكنا لهم حافظين » أى يحفظهم الله من الفساد لما عملوه . وقيل :
كان حفظهم لئلا يهربوا من العمل . وقال الجبائى : كنف الله تعالى أجسام الجن حتى

تهدياً لهم تلك الاعمال ، معجزة لسليمان (ع) قال : انهم كانوا يبنون له البيوت ،
والفوص في البحار ، وإخراج ما فيه من اللؤلؤ وغيره ، وذلك لا يتأتى مع رقة
أجسامهم . قال : وسخر له الطير بأن قوَّى أفهامها ، حتى صارت كصبياننا الذين
يفهمون التخويف والترغيب .

ثم قال واذكر يا محمد « أيوب إذ نادى ربه » أي حين دعاه ، فقال يا رب
« أي مسني الضر » أي نالني الضر يعني ما كان ناله من المرض والضعف . قال
الجبائي : كان به السلعة « وأنت ارحم الراحمين » فارحمني . وقيل إنما فعل ذلك
بايوب ، ليلبغ بصبره على ذلك المنزلة الجليلة التي أعدها الله - عز وجل - له ولكل
مؤمن فيما يلحقه من مصيبة اسوة بايوب ، قال الجبائي : لم يكن ما نزل به من المرض فعلا
للسيطان ، لأنه لا يقدر على ذلك ، وإنما آذاه بالوسوسة وما جرى مجراها . قال
الحسن : وكان الله تعالى أعطاه مالا وولداً ، فهلك ماله ومات ولده ، فصبر ، فأنقذ الله
عليه . ثم قال تعالى « فاستجبنا له » يعني أجبتنا دعاه ونداءه « فكشفنا ما به من ضر »
أي أزالنا عنه ذلك المرض « وآتيناه أهله ومثلهم معهم » قيل : رد الله إليه أهله الذين
هلكوا بأعيانهم ، وأعطاه مثلهم معهم - في قول ابن مسعود وابن عباس - وقال الحسن
وقزادة : إن الله أحيا له أهله بأعيانهم وزاده اليهم مثلهم . وقال عكرمة ومجاهد
- في رواية - أنه خير فاختار إحياء أهله في الآخرة ، ومثلهم في الدنيا ، فأوتي على
ما اختار . وقال ابن عباس : أبدله الله تعالى بكل شيء ذهب له ضعفين « رحمة من
عندنا » أي نعمة منا عليه « وذكرى للعابدين » أي عظة بتذكره العابدون لله
تعالى مخلصين .

وقوله « واسماعيل وإدريس وذا الكفل » أي اذكر هؤلاء الذين عددتهم
لك من الانبياء ، وما أنعمت عليهم من فنون النعمة . ثم أخبر أنهم كانوا كلهم

« من الصابرين » يصبرون على بلاه الله ، والعمل بطاعته . دون معاصيه .
وأختلفوا في ذي الكفل ، فقال ابر موسى الاشعري ، وقتادة ، ومجاهد : كان
رجلا صالحا ، كفل لنبي بصوم النهار ، وقيام الليل ، وألا يعضب ، ويقضي بالحق ،
فوفى الله بذلك ، فأثنى الله عليه . وقال قوم : كان نبيا ، كفل بأمر وفي به . وقال
الحسن : هو نبي اسمه ذو الكفل . وقال الجبائي : هو نبي ، ومعنى وصفه بالكفل أنه
ذو الضعف أي ضعف ثواب غيره ، ممن في زمانه لشرف عمله .

قوله تعالى :

﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٦) وَذَا
النُّشُورِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)
وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ ﴿ (٩٠) خمس آيات .

قرأ يعقوب « فظن ان لن يقدر عليه » بالياء مضمومة . وفتح الدال .
الباقون بالنون ، وكسر الدال ، والمعنيان متقاربان .

يقول الله تعالى إنا ادخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الانبياء « في رحمتنا »
 أي في نعمتنا ، ومعنى ﴿ ادخلناهم في رحمتنا ﴾ غمرناهم بالرحمة . ولو قال رحمتنا لما
 أفاد الاغمار ، بل أفاد أنه فعل بهم الرحمة ، التي هي النعمة .
 وقوله ﴿ انهم من الصالحين ﴾ معناه إنما ادخلناهم في رحمتنا ، لانهم كانوا ممن
 صلحت أعمالهم ، وفعلوا الطاعات ، وتجنبوا المعاصي . و (صالح) صفة مدح
 في الشرع .

ثم قال لنبيه محمد (ص) واذكر ﴿ ذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن
 نقدر عليه ﴾ والنون الحوت ، وصاحبها يونس بن متى ، غضب على قومه - في قول
 ابن عباس والضحاك - فذهب مغاضباً لهم ، فظن ان الله لا يضيق عليه ، لأنه كان
 ندبه الى الصبر عليهم والمقام فيهم من قوله « ومن قدر عليه رزقه » (١) أي ضيق ،
 وقوله « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (٢) أي يضيق ، وهو قول ابن عباس
 ومجاهد والضحاك ، واكثر المفسرين . وقال الزجاج والفراء : معناه « ظن أن لن تقدر
 عليه » ما قدرناه . وقال الجبائي : ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه الى ركوب البحر
 حتى قذف فيه ، وابتلعه السمكة . ومن قال : ان يونس (ع) ظن أن الله لا يقدر
 عليه من القدرة ، فقد كفر . وقيل إنما عوتب على ذلك ، لأنه خرج مغاضباً لهم قبل
 أن يؤذنه ، فقال قوم : كانت خطيئة ، من جهة تأويله أنه يجوز له ذلك . وقد قلنا :
 انه كان مندوباً الى المقام فلم يكن ذلك محظوراً ، وإنما كان ترك الأولى . فأما ما روي
 عن الشعبي وسعيد بن جبير من انه خرج مغاضباً لربه فلا يجوز ذلك على نبي من
 الانبياء ، وكذلك لا يجوز أن يغضب لم عفى الله عنهم إذ آمنوا ، لان هذا اعتراض

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ٧

(٢) سورة ١٣ الرعد آية ٢٨

﴿ ج ٧ م ٣٥ من التبيان ﴾

على الله بما لا يجوز في حكمته .

وقوله « فنأدى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » فالظلمات قيل : إنها ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، على ما قاله ابن عباس وقتادة . وقيل : حوت في بطن حوت ، في قول سالم بن أبي حفصة . وقيل : ان أكثر دعائه كان في جوف الليل في الظلمات . والأول أظهر في اقوال المفسرين . وقال الجبائي : الغضب عداوة لمن غضب عليه ، وبقاؤه في بطن الحوت حياً معجز له . ولم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة ، لان العقوبة عداوة للمعاقب ، لكن كان ذلك على وجه التأديب ، والتأديب يجوز على المكلف وغير المكلف ، كتأديب الصبي وغيره . وقال قوم : معنى قوله « فظن أن لن نقدر » الاستفهام ، وتقديره أظن . وهذا ضعيف ، لأنهم لا يحذفون حرف الاستفهام إلا وفي الكلام عوض عنه من (أم) أو غيرها .

وقوله « إني كنت من الظالمين » أي كنت من الباطنين نفسي ثوابها ، لو أقت ، لأنه كان مندوباً إليه ، ومن قال يجوز الصغار على الانبياء ، قال : كان ذلك صغيرة نقصت ثوابه . فأما الظلم الذي هو كبيرة ، فلا يجوزها عليهم إلا الحشوية الجهال ، الذين لا يعرفون مقادير الانبياء ، الذين وصفهم الله بأنه اصطفاهم واختارهم . ثم اخبر تعالى أنه استجاب دعائه ونجاه من الغم الذي كان فيه . ووعده مثل ذلك أن ينجي المؤمنين .

وقد قرأ أبو بكر عن عاصم « نجى المؤمنين » بنون واحدة مشددة الجيم . الباقر بنونين . وهي في المصحف بنون واحدة حذف الثانية كراهة الجمع بين المثليين في الخط ، ولأن النون الثانية تخفى مع الجيم ، ومع حروف الفم ، ولا تظهر ، ولذلك ظن قوم أنها ادغمت في الجيم ، فقرؤها مدغماً ، وليس بمدغم . ولا وجه لقراءة عاصم هذه

ولا لقول أبي عبيدة حاكياً عن أبي عمرو : ان النون مدغمة ، لانها لا تدغم في الجيم .
وقال الزجاج : هذا لحن ، ولا وجه لمن تأوله : نجى النجا المؤمنين ، كما لا يجوز ضرب
زيداً بمعنى ضرب الضرب زيداً . وقال الفراء : هو لحن . وقال قوم - محتجين لأبي
بكر - انه أراد فعلاً ماضياً ، على ما لم يسم فاعله ، فاسكن الياء ، كما قرأ الحسن
« وذروا ما بقي من الربا » (١) أقام المصدر مقام المفعول الذي لا يذكر فاعله ،
فكذلك نجى النجا المؤمنين ، واحتجوا بأن أبا جعفر قرأ « لنجزي قوماً » (٢) في
الجائية على تقدير لنجزي الجزء قوماً قال الشاعر .

ولو ولدت فقيرة جر و كلب لسب بذلك الجرو الكلابا (٣)
ثم قال تعالى لنبيه (ص) واذكر « زكريا إذ نادى ربه ، أي دعاه ، فقال
يا رب لا تذرني فرداً » أي وحيداً ، بل ارزقني ولداً . ثم قال « وأنت خير
الوارثين » ومعناه أنت خير من يرث العباد من الأهل والولد ، فقال الله تعالى إنا
استجبنا دعاءه « وهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه » قال قتادة : إنها كانت عقيماً
فجعلها الله ولوداً . وقيل : كانت سيئة الخلق ، فرزقها الله حسن الخلق . ثم اخبر
« انهم كانوا يسارعون في الخيرات » أي يبادرون في فعل الطاعات « ويدعون الله
« رغبة » في ثوابه « ورهبة » من عقابه « وكانوا » لله « خاشعين » متواضعين .
وقال الجبائي : إجابة الدعاء لا تكون إلا ثواباً . وقال ابن الاخشاذ : يجوز أن تكون
استصلاحاً لا ثواباً ، ولذلك لا يمتنع أن يجيب الله دعاء الكافر والفاسق . فأما قولهم :
فلان مجاب الدعوة ، فلا يجوز إطلاقه على الكفار والفاسق ، لأن فيه تعظيماً
وأن له منزلة جلية عند الله . والامر بخلاف ذلك .

(٢) سورة ٤٥ الجائية آية ١٣

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٧٨

(٣) تفسير القرطبي ١١ / ٣٣٥

قوله تعالى :

﴿ وَالَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١) إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَلًّا إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣)
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ
كَاتِبُونَ (٩٤) وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥) ﴾

• خمس آيات •

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً عن عاصم « وحرم » بكسر الحاء بلا الف . الباقون
بفتح الحاء . وإثبات الالف ، وهما بمعنى واحد .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) واذكر ايضاً « التي احصنت فرجها » يعني مريم
بنت عمران . والاحصان إحراز الشيء . من الفساد ، فريم احصنت فرجها بمنعه من
الفساد . فأتى الله عليها . ورزقها ولداً عظيماً الشأن ، لا كالأولاد المخلوقين من
النطفة . وجعله نبياً . وقوله « فنفخنا فيها من روحنا » معناه أجرينا فيها روح
المسيح ، كما يجري الهواء بالنفخ ، وأضاف الروح الى نفسه ، على وجه الملك تشریفاً
له في الاختصاص بالذكر . وقيل : إن الله تعالى أمر جبرائيل بنفخ الروح في فرجها ،
وخلق المسيح في رحمها . وقوله « وجعلناها وابنها آية للعالمين » معناه إنا جعلنا مريم
وابنها عيسى آية للعالمين . وإنما قال « آية » ولم ين ، لأنه في موضع دلالة لهما ، فلا
يحتاج أن يشي . والآية فيها أنها جاءت به من غير نخل ، فتكلم في المهد بما يجب

براءة ساحتها من العيب ، وفي ذلك دليل واضح على سعة مقدوراته تعالى ، وأنه يتصرف كيف شاء .

وقوله « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » قال ابن عباس ومجاهد والحسن : معناه دينكم دين واحد . واصل الأمة الجماعة التي على مقصد واحد ، فجعلت الشريعة أمة ، لاجتماعهم بها على مقصد واحد . وقيل : معناه جماعة واحدة في أنها مخلوقة مملوكة لله . ونصب « أمة » على الحال ، ويسميه الكوفيون قطعاً . ثم قال « وأنا ربكم » الذي خلقكم « فاعبدوني » ولا تشركوا بي أحداً .

وقوله « وتقطعوا أمرهم بينهم » معناه اختلفوا في الدين بما لا يسوغ ، ولا يجوز - في قول ابن زيد - ثم قال مهدداً لهم « كل الينا راجعون » أي الى حكمتنا ، في الوقت الذي لا يقدر على الحكم فيه سوانا ، كما يقال : رجع أمرهم الى القاضي أي الى حكمه .

وقوله « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن » قيل : الصالحات - ههنا - صلة الرحم ، ومعونة الضعيف ، ونصرة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، والكف عن الظلم ، ونحو ذلك من اعمال الخير ، وإنما شرط الايمان ، لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله . وقوله « فلا كفران لسعيه » معناه لا جحود لاحسانه في عمله ، وهو مصدر كفر كفرأ وكفراناً ، قال الشاعر :

من الناس ناس لا تنام خنودهم وخدي ولا كفران لله نائم (١)

وقوله « وإنا له كاتبون » أي ملائكتنا يثبتون ذلك ويكتبونه ، فلا يضيع له لديه شيء .

وقوله « وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون » قيل : (لا) صلة .

والمعنى : حرام رجوعهم . وقيل « انهم لا يرجعون » أي حال قبول التوبة . وقال قوم : حرام على قرية أهلكتها ، لانهم لا يرجعون . وقال الزجاج : المعنى وحرام على قرية أهلكتها أن نتقبل منهم عملاً لأنهم لا يرجعون ، أي لا يتوبون أبداً . وحرم وحرام لغتان مثل حل وحلال . وقيل : في معنى « وحرام على قرية » معناه واجب عليهم ألا يرجعون إلى تلك القرية أبداً . وقال الجبائي : معناه وحرام على قرية أهلكتها عقوبة لهم ان يرجعوا إلى دار الدنيا .

قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ (٩٦) وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هُؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)

• خمس آيات •

قرأ ابن عامر « فتحت » مشددة ، على التكرير . الباقون بالتخفيف .

يقول الله تعالى : إنه حرام على أهل قرية أهلكتها رجوعهم ، « حتى إذا فتحت يا جوج وماجوج » أي ينفرج السدان (يا جوج وماجوج) ويظهروا ، والتقدير فتحت

جهة بأجوج ومأجوج ، والفتح أنفراج الشيء عن غيره .

وقوله « وهم من كل حذب ينسلون » قال مجاهد : ان قوله « وهم » كناية عن الناس ، يحشرون الى أرض الموقف يوم القيامة . وقال عبدالله بن مسعود : هو كناية عن بأجوج ومأجوج . وبأجوج ومأجوج إسحان أعجميان ، وهما قيسلان . ولو كانا عربيين لكانا من أج النار ، أو الماء الاجاج . وقال قتاده : الحذب الاكم . وقيل : هو الارتفاع من الأرض بين الانخفاض ، ومعناها واحد . والحذبة خروج الظهر ، يقال : رجل أحذب إذا حدودب كبيراً . وقوله « ينسلون » فالنسل الخروج عن الشيء الملابس ، يقال : نسل ينسل وينسل نسولا ، قال امرؤ القيس :

وان كنت قد ساءتكم مني خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل (١)

ونسل ريش الطائر إذا سقط . وقيل : النسل الخروج باسراع مثل نسلان الذئب ، قال الشاعر :

عسلان الذئب أمسى قارباً برد الليل عليه فنسل (٢)

وقوله تعالى : « واقترب الوعد الحق » قال قوم : الواو مقحمة والتقدير اقترب الوعد الحق ، يعني القيامة . وقال آخرون : ليست مقحمة ، بل الجواب محذوف ، وهو الأجود ، والتقدير على قول الأولين « حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون . . . اقترب الوعد الحق » ذكره الفراء قال : وهو مثل قوله « وتله للجبين وناديناه » (٣) وكقوله « حتى إذا جاؤها وفتحت » (٤) والمعنى فتحت . وعلى قول البصريين الواو مرادة والتقدير حتى إذا فتحت ، واقترب الوعد الحق ، قالوا يا ويلنا قد كنا في غفلة . وقيل : خروج بأجوج ومأجوج من اشراط الساعة .

(١) شرح ديوانه ١٤٧ (٢) تفسير الطبري ١٧ / ٦٦

(٣) سورة ٣٧ الصافات آية ١٠٣ (٤) سورة ٣٩ الزمر آية ٧٣

وقوله ﴿ فاذا هي شاخصة ﴾ قيل ان الضمير في قوله ﴿ فاذا هي ﴾ عائد الى معلوم ينبه عليه ابصار الذين كفروا ، كما قال الشاعر :

لعمري ايها لا تقول ظعنيتي إلا فرّ عني مالك ابن أبي كعب (١)

فكنى في ايها ثم بين ذكرها . وقال قوم : إضمار العماد على شروط التفسير ، كقوله تعالى ﴿ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (٢) وقوله ﴿ يا ويلنا ﴾ أي يقول الكفار الذين شخصت أبصارهم : الويل لنا إننا قد كنا في غفلة من هذا اليوم ، وهذا المقام ، بل كنا ظالمين لنفوسنا بارتكاب معاصي الله ، فيقول الله تعالى لهم ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ﴾ والمعنى انكم ايها الكافرون والذي عبدتموه من الاصنام والاونان حصب جهنم . وقال ابن عباس : وقودها . وقال مجاهد : حطبها . وقيل : انهم يرمون فيها ، كما يرمى بالحصباء - في قول مجاهد ، وقال : إنما يحصب بهم أي يرمى بهم .

وقرأ (علي) (ع) ، وعائشة ﴿ حطب ﴾ . وقرأ الحسن ﴿ حضب ﴾ بالضاد . ومعناه ما تهيج به النار وتذكابه . والحضب الحية .

وقوله ﴿ انتم لها واردون ﴾ خطاب لجميع الكفار انهم يردون جهنم ويدخونها لا محالة ، فالورود قد يكون الدخول . كقولهم وردت الدار ، أي دخلتها ، ويكون بالاشراف ، كقوله ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ (٣) ومعناه أشرف عليه . والمراد في الآية الدخول ، لأن الكفار يدخلون النار لا محالة .

ثم قال تعالى : لو كان هذه الاصنام والاونان آلهة لم يردوا جهنم . ويحتمل :

(١) تفسير الطبري ٦٦/١٧ والقرطبي ٣٤٢/١١

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٤٦ (٣) سورة ٢٨ القصص آية ٢٢

أن يكون أراد ما وردت الاصنام جهنم ، لأنه كان يكون عبادتهم واقعة موقعها ،
ولكأنوا يقدرون على الدفاع عنهم والنصرة لهم .

ثم اخبر تعالى ان كل في جهنم خالدون ، مؤبدون فيها . وأن لهم في جهنم
زفيراً ، وهو شدة التنفس . وقيل : هو الشهيق ل هول ما يرد عليهم من النار ﴿ وهم
فيها ﴾ يعني في جهنم ﴿ لا يسمعون ﴾ قال الجبائي : لا يسمعون ما ينتفعون به ، وإن
سمعوا ما يسؤهم . وقال ابن مسعود : يجعلون في توأيت من نار ، فلا يسمعون
شيئاً . وقال قوم : المراد بقوله ﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾ الشياطين الذين دعواهم
الى عبادة غير الله . فأطاعوهم ، فكأنهم عبدوهم ، كما قال ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ﴾ (١)
أي لا تطعه .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢)
لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ
كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ آلِ ذَكَرٍ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ

(١) سورة ١٩ مريم آية ٤٤

﴿ ج ٧ م ٣٦٦ من التبيان ﴾

الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ خمس آيات .

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر ﴿للكتب﴾ على الجمع . الباقون ﴿للكتاب﴾ على التوحيد . وقرأ حمزة وحده ﴿الزبور﴾ بضم الزاي . من ضم الزاي أراد الجمع . ومن فتحها أراد الواحد . يقال : زبرت الكتاب أزبره زبراً إذا كتبته .

لما أخبر الله تعالى : ان الكفار حصب جهنم وانهم واردون النار ، وداخلون فيها مؤبدين ، أخبر ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ يعني الوعد بالجنة . وقيل : الحسنى الطاعة لله تعالى يجازون عليها في الآخرة بما وعدهم الله به . وأخبر تعالى ان من هذه صفته مبتعد عن النار ناء عنها ، ويكونون بحيث ﴿لا يسمعون حسيبها﴾ يعني صوتها ، الذي يحس ، وإنهم في ما تشبهه أنفسهم من الثواب والنعيم خالدون والشهوة طلب النفس للذة يقال : اشتهى شهوة . وتشهى تشيياً ، وتقيض الشهوة تكره النفس ، فالغذاء يشتهي والدواء يتكره . وقيل : الحسنى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين . وقال ابن زيد : الحسنى السعادة لأهلها من الله ، وسبق الشقاء لأهلها ، كأنه يذهب الى ان معنى الكلمة انه : سيسعد أو أنه سيشقى . وقال الحسن ومجاهد : الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى ، وعزير ، والملائكة الذين عبدوا من دون الله ، وهم كل هون ، استثناهم من جملة من أخبر انهم مع الكفار في جهنم . وقوله « لا يحزنهم الفزع الأكبر » معناه لا يغم الذين سبقت لهم من الله الحسنى الفزع الأكبر . ومن ضم الياء أراد لا يفزعهم الفزع الأكبر . قال ابن جبير ، وابن جريج : هو عذاب النار ، على أهلها . وقال ابن عباس : هي النفخة الأخيرة . وقال الحسن : هو حين يؤمر بالعباد الى النار « وتلقاهم الملائكة » قيل تتلقاهم الملائكة بالتهنئة ويقولون لهم « هذا يومكم الذي كنتم توعدون » به أي تخوفون بما فيه من

العقاب ، وترغبون فيما فيه من الثواب .

وقوله « يوم نطوي السماء » يحتمل نصب (يوم) وجهين :

أحدهما - أن يكون بدلا من (توعدون) لان تقديره توعدونه .

الثاني - انه نعدكم يوم نطوي السماء . وقوله « كطي السجل للكتاب » فالسجل

الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة ، فشبّه الله تعالى طي السماء يوم القيامة بطي

الكتاب - في قول ابن عباس ومجاهد - وقال ابن عمر ، والسدي : السجل ملك يكتب

اعمال العباد . وقال ابن عباس - في رواية أخرى - السجل كاتب كان لرسول

الله (ص) والتقدير كطي الكتاب السجل ، والسلام مؤكدة . ويحتمل أن يكون

المعنى كطي السجل ، وقدمت الكلام . ثم قال للكتب أي لما كتبناه وعلّمناه ، فعلنا

ذلك ، كما قال « ولو لا كلمة سبقت » (١) وقوله « كما بدأنا أول خلق نعيده » المعنى

نعيد الخلق كما بدأناه . قال ابن عباس : معناه انه يهلك كل شيء . كما كان أول

مرة . ثم قال : إن الذي ذكرناه وعيد منا لازم نفعله لا محالة .

ثم قال تعالى « ولقد كتبنا في الزبور » قيل الزبور كتب الانبياء « من بعد

الذكر » من بعد كتبه في أم الكتاب - في قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد .

وقيل : الزبور ، زبور داود ، من بعد الذكر في توراة موسى - في قول الشعبي - وقال

قوم « من بعد الذكر » معناه قبل الذكر الذي هو القرآن ، حكاه ابن خالويه .

وقوله « ان الأرض يرثها عبادي الصالحون » قال ابن عباس وسعيد بن جبير

وابن زيد : يعني أرض الجنة يرثها الصالحون من عباد الله ، كما قال « وأورثنا الأرض

(١) سورة ١٠ يونس آية ١٩ ، وسورة ١١ هود آية ١١١ ، وسورة ٢٠ طه آية

١٢٩ ، وسورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٤٥ ، وسورة ٢٤ الشورى آية ١٤

نتبوا من الجنة حيث نشاء» (١) وقيل: هي الارض في الدنيا التي تصير للمؤمنين في أمة محمد (ص) من بعد اجلاء الكفار عنها - في رواية اخرى - عن ابن عباس . وقيل: يعني أرض الشام، يرثها الصالحون من بني اسرائيل ذكره الكلبي . وعن ابي جعفر (ع) إن ذلك وعد للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الارض .
قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ قَبْلُ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أُدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿ (١١٢) سبع آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى «إن في هذا» المعنى الذي أخبرتم به ، مما أوعدنا به الكفار، من النار والخلود فيها ، وما وعدنا به المؤمنين من الجنة والكون فيها « لبلاغاً » وقيل: « ان في هذا » يعني القرآن « لبلاغاً » أي لما يبلغ الى البغية من أخذ به ، وعمل عليه . والبلوغ الوصول . والبلاغ سبب الوصول الى الحق ، ففي البرهان بلاغ ، والقرآن

دليل وبرهان . وقيل : معناه إنه يبلغ رضوان الله ومحبته وجزيل ثوابه « لقوم عابدين »
لله مخلصين له .

ثم قال لنبيه محمد (ص) ﴿ وما أرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ إلا رحمة للعالمين ﴾ أي
نعمة عليهم ، ولأن ترجمهم .

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة في أنه : ليس لله على الكافرين نعمة .
لأنه تعالى بين ان إرسال الله رسوله نعمة على العالمين . وعلى كل من أرسل اليهم .
ووجه النعمة على الكافر انه عرضه للإيمان ولطف له في ترك معاصيه . وقيل : هي
نعمة على الكافر بأن عوفي مما اصاب الأمم قبلهم من الخسف والقذف - في قول ابن
عباس - ثم قال له (ص) قل لهم ﴿ انما يوحى الي انما إلهكم إله واحد فهل أنتم
مسلمون ﴾ أي مسلمون لهذا الوحي الذي أوحى الي ، من اخلاص الالهية والعبادة لله
تعالى . ثم قال ﴿ فان تولوا ﴾ يعني إن اعرضوا عن هذا الذي تدعوهم اليه من إخلاص
التوحيد ، فقل لهم ﴿ آذنتكم على سواء ﴾ أي اعلتكم على سواء في الايدان
تساوون في العلم به لم اظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره ، وهو دليل على بطلان
قول أصحاب الرموز ، وأن للقرآن بواطن خص بالعلم بها اقوام . وقيل على سواء
[في العلم اني صرت مثلكم ، ومثله قوله « فانبذ اليهم على سواء » (١) أي ليستوي
علمك وعلمهم . وقيل معناه : لتستوا في الايمان به .

وقوله ﴿ وإن أدري اقرب أم بعيد ما توعدون ﴾ معناه لست اعلم ان
ما وعدكم الله به من العقاب اقرب مجيؤه أم بعيد . وقوله ﴿ وإن أدري لعله فتنة
لكم ومتاع الى حين ﴾ أي لست ادري لعل التأخير شدة في عبادتكم يظهر بها ما هو
كالسرفيكم من خير أو شر ، فيخلص الجزاء بحسب العمل . واصل الفتنة التخليص

(١) - سورة الأنفال آية ٥٩ . وما بين القوين - ساقط من المطبوعة .

بالشدة ، كتخليص الذهب بشدة النار من كل شائب من غيره . وقيل ﴿ فتنة لكم ﴾ اي اختبار لكم ﴿ ومتاع الى حين ﴾ أي تتمتعون الى الوقت الذي قدره الله لا هلاككم .

ثم قال لنبيه (ص) ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ رب احكم بالحق ﴾ انما أمره أن يدعو بما يعلم انه لا بد أن يفعله تعبداً ، لانه إذا دعا بهذا ظهرت رغبته في الحق الذي دعا به . وقال قتادة : كان النبي (ص) اذا شهد فتالاً قال ﴿ رب احكم بالحق ﴾ بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع . وقرأ حفص وحده ﴿ قال رب أحكم ﴾ على الخبر . الباقون على الامر . وضم الباء ابو جعفر اتباعاً لضم الكاف . الباقون بكسرها على أصل حركة إنتقاء الساكنين .

وقوله ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفرون ﴾ أي على ما تذكرون ، مما ينافي التوحيد . وحكي عن الضحك انه قرأ ﴿ قال ربي أحكم ﴾ باثبات الياء ، وهو خلاف ما في المصاحف ، ويكون على هذا ﴿ ربي ﴾ مبتدأ و ﴿ أحكم ﴾ خبره ، كقوله ﴿ الله احسن الخالقين ﴾ (١) . وقرأ ابن ذكران عن ابن عامر ﴿ عما يصفون ﴾ بالياء يعني على ما يكذب هؤلاء الكفار من انكار البعث . الباقون بالتساقط على الخطاب لهم بذلك .

٢٢ - سورة الحج

قال قتادة هي مدينة إلا أربع آيات فانها مكيات من قوله « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » الى قوله ﴿ عذاب مقيم ﴾ وقال مجاهد وعياش بن ابي ربيعة : هي مدينة كلها . وهي ثمان وسبعون آية في الكوفي وست في المدنيين وخمس في المكي .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ
شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٤) أربع آيات بلا خلاف .

قرا اهل الكوفة إلا عاصماً « سكرى » بلا الف بسكون الكاف في الموضعين.
الباقون « سكرى » .

هذا خطاب من الله تعالى لجميع المكلفين من البشر يأمرهم بأن يتقوا معاصي الله
لأنه يستحق بفعل المعاصي والا خلال بالواجبات العقوبات يوم القيامة .
ثم اخبر « ان زلزلة الساعة » يعني القيامة « شيء عظيم » والزلزلة شدة الحركة
على حالة هائلة ، ومنه زلزلة الارض لما يلحق من الهول ، وكان اصله زلت قدمه
إذا زالت عن الجهة بسرعة . ثم ضوعف فقييل : زلزل الله اقدامهم ، كما قيل : دكة
ودكدكة ، والزلزلة والزلزال - بكسر الزاي - مصدر . والزلزال - بالفتح - الاسم
قال الشاعر :

يعرف الجاهل المضلل ان الدهر فيه النكراء والزلزال (١)

وقال علقمه والشعبي : الزلزلة من اشراط القيامة . وروى الحسن في حديث
رفعه عن النبي (ص) انها يوم القيامة . والعظيم المختص بمقدار يقصر عنه غيره .
وضده الحقيقير . والكبير تقيض الصغير .

وفي الآية دلالة على أن المعدوم يسمى شيئاً ، لان الله تعالى سمى الزلزلة يوم
القيامة شيئاً ، وهي معدومة اليوم .

وقوله « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » قال الفراء والكوفيون :
يجوز ان يقال : مرضع بلا هاء ، لأن ذلك لا يكون في الرجال ، فهو مثل حائض
وطامت . وقال الزجاج وغيره من البصريين : إذا أجرته على الفعل قلت أرضعت
فهي مرضعة ، فاذا قالوا مرضع ، فمعنى انها ذات رضاع . وقيل في قولهم : حائض
وطامت معناه انها ذات حيض وطامت . وقال قوم : اذا قلت : مرضعة ، فانه يراد

بها ام الصبي المرضع . واذا اسقطت الماء ، فانه يراد بها المرأة التي معها صبي
مرضعة لغيرها .

والمعنى ان الزلزلة هي شيء عظيم ، في يوم ترون فيها الزلزلة ، على وجه
« تذهل كل مرضعة » اي يشغلها عن ولدها اشتغالها بنفسها ، وما يلحقها من الخوف .
وقال الحسن : تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام ، وتضع الحامل الغير تمام .
والذهول الذهاب عن الشيء دهشاً وحيرة ، تقول : ذهلت عنه ذهولا ، وذهلت
- بالكسر - ايضاً ، وهو قليل ، والذهل السلو ، قال الشاعر :

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل (١)

وهذا تهويل ليوم القيامة ، وتعظيم لما يكون فيه من الشدة على وجه لو كان
هناك مرضعة لشغلت عن الذي ترضعه ، ولو كان هناك حامل لاسقطت من هول ذلك
اليوم ، وإن لم يكن هناك حامل ولا مرضعة .

وقوله ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ﴾ معناه تراهم سكارى من
الفرح ، وما هم بسكارى من شرب الخمر . وانما جاز « وترى الناس سكارى » ، وما هم
بسكارى » ، لانها رواية تخيل . وقيل : معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم
لشدة ما يمر بهم . فيضطربون كاضطراب السكران من الشراب . وقرأ ابو هريرة
﴿ وترى الناس ﴾ بضم التاء ، والناس منصوب على أنه مفعول ثان . وتقديره وترى
أن الناس . وتكون « سكارى » نصباً على الحال . ومن قرأ « سكارى » جملة مثل
جرحي وقتلي . وقيل : هما جمعان كسكران وسكرانة ، قال ابو زيد : يقولون : مريض
ومرضى ، ومرضى . فمن قرأ « سكارى » ، فلأن السكر كل مرض والهلاك ، فقلو :

(١) تفسير الطبري ١٧ / ٨٠

﴿ ج ٧ م ٣٧ من التبيان ﴾

(سكرى) مثل هلكى ومثل عكلى . ومن قرأ «سكارى» فلائنه روي أن النبي (ص) قرأ كذلك .

ثم علل تعالى ذلك ، فقال ليس هم بسكارى « ولكن عذاب الله شديد » فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم من الاضطراب .

ثم اخبر تعالى ان « من الناس من يجادل » أي يخاصم « في الله » فيما يدعوهم اليه من توحيد الله ونفي الشرك عنه « بغير علم » منه بل للجهل المحض « ويتبع » في ذلك « كل شيطان مرید » يعوبه عن الهدى ويدعوه الى الضلال . وذلك يدل على أن المجادل في نصره الباطل مذموم ، وأن من جادل بعلم ووضع الحجج موضعها بخلافه . و (المرید) المتجرد للفساد . وقيل أصله الملاسة ، فكأنه متملس من الخير ، ومنه صخرة مرداء أي ملساء ، ومنه الأمرد . والمرید الداهية المنكرة . ويقال : ترد فلان . والمرد من البناء المتناول المتجاوز .

وقوله « كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير » يقول الله تعالى أنه كتب في اللوح المحفوظ ان من تولى الشيطان واتبعه واطاعه فيما يدعوه اليه ، فانه يضله . وقال الزجاج : معناه كتب عليه أنه من تولاه يضله ، فعطف (أن) الثانية على الأولى تأكيذاً ، فلذلك نصبت (أن) الثانية . والاكثر في التأكيذ أن لا يكون معه حرف عطف غير انه جائز ، كما يجوز : زيد - فافهم - في الدار . وقال قوم : نصبت (أن) الثانية ، لان المعنى فلائنه يضله عن طريق الحق « ويهديه الى عذاب السعير » أي عذاب النار الذي يستعر ويلتهب . والهاء في « كتب عليه » راجعة الى الشيطان ، وتقديره كتب على الشيطان أنه من تولى الشيطان واتبعه ، فان الشيطان يضله ، فالهاء في يضله عائدة الى (من) في قوله « من تولاه » .

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ
مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن
يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَاذًا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ
زَوْجٍ بَّيْجٍ (٥) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ أبو جعفر « وربأت » . الباقون (ربت) .

خاطب الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من البشر . فقال لهم « ان كنتم
في ريب من البعث » والنشور . والريب اقيح الشك « فانا خلقناكم من تراب » قال
الحسن : المعنى خلقنا آدم من تراب الذي هو أصلكم وأنتم نسله . وقال قوم : أراد به
جميع الخلق ، لانه إذا أراد انه خلقهم من نطفة ، والنطفة يجعلها الله من الغذاء ، والغذاء
ينبت من التراب والماء ، فكان أصلهم كلهم التراب ، ثم أحالهم بالتدرج : الى النطفة ،
ثم أحال النطفة علقه ، وهي القطعة من الدم جامدة . ثم أحال العلقه مضغة ، وهي
شبه قطعة من اللحم مضوغة . والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم .

وقوله « مخلقة وغير مخلقة » قال قتادة : تامة الخلق ، وغير تامة . وقيل :

مصورة وغير مصورة . وهي السقط في قول مجاهد .

وقوله « لنبين لكم » معناه لنردكم على مقدورنا ، بتصريفه في ضروب الخلق
وقوله « ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى » مستأنف ، فلذلك رفع .
وقال مجاهد : معناه نقره الى وقت تمامه .

وقوله « ثم نخرجكم طفلا يعني نخرجكم » من بطون أمهاتكم ، وانتم أطفال .
والطفل الصغير من الناس ، ونصب طفلا على المصدر ، وهو في موضع جمع . وقيل :
هو نصب على التمييز ، وهو جائز ، وتفسيره نخرجكم أطفالا ، وقيل الطفل الى قبل
مقاربة البلوغ .

وقوله « ثم لتبلغوا أشدكم » يعني وقت كمال عقولكم وتمام خلقكم . وقيل :
وقت الاحتلام والبلوغ ، وهو جمع (شد) . والأشد في غير هذا للموضع قد ينسا
اختلاف المفسرين فيه (١) . وقوله « ومنكم من يتوفى » يعني قبل بلوغ الأشد .
وقيل : قبل أن يبلغ أرذل العمر « ومنكم من يرد الى أرذل العمر » وقيل معناه
أهونه وأخسه عند أهله . وقيل : احقره . وقيل هي حال الخرف . وانما قيل : أرذل
العمر ، لان الانسان لا يرجو بعده صحة وقوة ، وانما يتروى الموت والفناء ، بخلاف
حال الطفولية ، والضعف الذي يرجو معها الكمال والتمام والقوة ، فلذلك كان
أرذل العمر .

وقوله « لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » معناه ان اردناه الى أرذل العمر
لكي لا يعلم ، لأنه يزول عقله من بعد أن كان عاقلا عالما بكثرة من الاشياء ، ينسا
جميع ذلك .

وقوله « وترى الارض هامدة » اي دارسة دائرة يابسة ، يقال : همد يهمد
همودا إذا درسته ودثرته . قال الاعشى :

(١) انظر ٤ / ٣٤٣ و ٦ / ١١٢ ، ٤٧٦

قالت فتيلة ما لجسمك شاحباً وأرى ثيابك باليات همدا (١)
 وقوله تعالى « فاذا انزلنا عليها الماء » يعني الغيث والمطر « اهتزت وربت »
 فالاهتزاز شدة الحركة في الجهات . والربو الزيارة فيها اي تزيد بما يخرج منها من
 النبات ، وتهتز بما يذهب في الجهات « وانبتت » يعني الارض « من كل زوج
 بهيج » فالبهيج الحسن الصورة ، الذي يمتنع في الرؤية . وقال الزجاج : (ربت)
 و (ربأت) لغتان . وقال الفراء : ان ذهب ابو جعفر في قراءته (ربأت) الى انه
 من الربة التي تجرى بين الناس ، فهو مذهب . والافوه غلط ، ويغلط العرب كقولهم :
 حلات السويق ، ولبات بالحج ، ورنات الميت . وقد قرأ الحسن البصري في يونس :
 « ولا أدرككم به » وهو مما يرخص في القراءة .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝ (٨) ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ (١٠) خمس آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى ان الذي ذكرناه انما دللنا به لتعلم ان « الله هو الحق » وانه

(١) ديوانه ٥٤ وروايته (سائثا) بدل (شاحباً)

الواحد الذي لا يستحق العبادة سواه ، ومن اعتقده كذلك ، فمعتقده على ما هو به ، وهو محق ، والحق هو ما كان معتقده على ما أعتقده « وأنه يحبي الموتى » لأن من قدر على انشاء الخلق ابتداءً ونقله من حال الى حال على ما وصف ، فانه يقدر على إعادته حياً بعد كونه ميتاً ، ويعلم ايضاً انه قادر على كل ما يصح أن يكون مقدوراً له ، واصل الوصف بالحق من قولهم : حقه يحقه حقاً ، وهو تقيض الباطل . والفرق بين الحق والعدل أن العدل جعل الشيء على قدر ما تدعو اليه الحكمة ، والحق في الأصل جعل الشيء لما هو له في ما تدعو اليه الحكمة غير انه نقل الى معنى مستحق لصفات التعظيم ، فالله تعالى لم يزل حقاً أي انه لم يزل مستحقاً لمعنى صفة التعظيم بأنه الاله الواحد الذي هو على كل شيء قدير .

ثم اخبر تعالى ان في جملة الناس من يخاصم « ويجادل في الله » وصفاته « بغير علم » بل للجهد المحض « ولا هدى » أي ولا حجة « ولا كتاب منير » أي ولا حجة كتاب ظاهر ، وهذا يدل ايضاً على ان الجدل بالمعصوم صواب ، وبغير العلم خطأ ، لأن الجدل بالعلم يدعو الى اعتماد الحق ، وبغير العلم يدعو الى الاعتقاد بالباطل . ولذلك قال تعالى « وجادلهم بالتى هي احسن » (١)

« وقوله » ثاني عطنه « نصب على الحال يعني الذي يجادل بغير علم بشي عطنه . قال مجاهد وقتادة : يلوي عنقه كبراً . وقيل انها : نزلت في النضر بن الحارث ابن كلدة - ذكره ابن عباس - .

وقوله « ليضل عن سبيل الله » من فتح الياء ، معناه يفعل هذا ليضل عن طريق الحق المؤدي الى توحيد الله . ومن ضم الياء اراد انه يفعل ذلك ليضل غيره . ثم اخبر تعالى ان من هذه صفته « له في الدنيا خزي » وأنه يذيقه « عذاب

الحريق « يوم القيامة أي العذاب الذي يحرق بالنار . ثم قال « ذلك بما قدمت يدك » أي يقول الله تعالى عند نزول العذاب به ﴿ ذلك بما قدمت يدك وأن الله ليس بظلام للعبيد » ومعناه إن ما يفعل بالظالم نفسه من عذاب الحريق جزاء على ما كسبت يده ، فذكر اليدين مبالغة في إضافة الجرم إليه ، وهذا يدل على أن ذكر اليدين قد يكون لتحقيق الإضافة . وقوله « وإن الله » أي ولأن الله « ليس بظلام للعبيد » وإنما ذكره بلفظ المبالغة ، وإن كان لا يفعل القليل من الظلم لأميرين :

أحدهما - أنه خرج مخرج الجواب للمجبرة ، ورداً عليهم ، لأنهم ينسبون كل ظلم في العالم إليه تعالى ، فيبين أنه لو كان ، كما قالوا لكان ظلماً وليس بظلم .

والثاني - أنه لو فعل أقل قليل الظلم لكان عظيماً منه ، لأنه يفعله من غير حاجة إليه ، فهو أعظم من كل ظلم فاعله لجأته إليه .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُونَ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُونَ لَمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَشَرٍ أَلْفَاظٍ وَلِلْبَشَرِ الْعَشِيرِ (١٣) إِنْ أَلَّ اللَّهُ يُدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنْ أَلَّ اللَّهُ يَفْعَلْ مَا يُرِيدُ (١٤) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ كُنَّ يَنْصُرُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ

هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦) ست آيات بلاخلاف .

قرأ ابن عامر وأبو عمرو ، ورويس ، وورش « ثم ليقطع » ثم « ليقضوا » (١)
- بسكون اللام - فيهما ، ووافقهم قنبل في « ثم ليقضوا » . الباقون بسكون اللام .
معنى قوله « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أي في الناس من يوجه
عبادته إلى الله على ضعف في العبادة ، كضعف القيام على حرف جرف ، وذلك من
اضطرابه في استيفاء النظر المؤدي إلى المعرفة . فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها ،
ولا يعمل في حلها . والحرف والطرف والجانب نظائر . والحرف منتهى الجسم ، ومنه
الانحراف الانعдал إلى الجانب . وقلم محرف قد عدل بقطعه عن الاستواء إلى
جانب ، وتحريف القول هو العدول به عن جهة الاستواء . فالحرف معتدل إلى الجانب
عن الوسط . وقال مجاهد : معنى على حرف على شك . وقال الحسن : يعبد الله على
حرف يعني المنافق يعبده بلسانه دون قلبه . وقيل على حرف الطريقة لا يدخل فيها
على تمكن .

وقوله « فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه » قال
ابن عباس : كان بعضهم إذا قدم المدينة فإن صح جسمه ونتجت فرسه مهراً حسناً
وولدت امرأته غلاماً رضي به واطمأن إليه ، وإن أصابه وجع المدينة ، وولدت
امرأته جارية ، وتأخرت عنه الصدقة ، قال ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا
شراً . وكل ذلك من عدم البصيرة . وقيل : أنها نزلت في بني أسد كانوا نزلوا
حول المدينة . و (الفتنة) - ههنا - معناه المحنة بضيق المعيشة ، وتعذر المراد من

أمور الدنيا .

ثم اخبر الله تعالى أن من هذه صفته على خسران ظاهر ، لانه يخسر الجنة ،
 وتحصل له النار . ثم اخبر عن من ذكره انه « يدعو من دون الله مالا يضره وما
 لا ينفعه » يعني الاصنام والاولئان ، لانها جماد لا تضر ولا تنفع ، فانه يعبدها دون
 الله . ثم قال تعالى « ذلك هو الضلال البعيد » يعني عبادة مالا يضر ولا ينفع من
 العدول عن الصواب ، والانحراف عن الطريقة المستقيمة الى البعيد عن الاستقامة .
 و « ذلك » في موضع نصب بـ (يدعو) ومعناه (الذي) كأنه قال : الذي هو
 الضلال البعيد يدعو . وقوله « يدعو لمن » مستأنف على ما ذكره الزجاج . وقوله
 « يدعو لمن ضره أقرب من نفعه » يعني يدعو هذه الاصنام التي ضررها أقرب من
 نفعها ، لان الضرر بعبادتها عذاب النار ، والنفع ليس فيها . وإنما جاز دخول اللام
 في « لمن ضره » لأن (يدعو) معلقة ، وإنما هي تكرر للأولى ، كأنه قال : يدعو
 - للتأكيد - للذي ضره أقرب من نفعه يدعو . ثم حذفت (يدعو) الأخيرة اجتزاء
 بالأولى . ولا يجوز قياساً على ذلك ضربت لزيد ، ولو قلت بدلا من ذلك يضرب
 لمن خيره أكثر من شره يضرب ، ثم حذفت الخبر جاز . والعرب تقول عندي لما
 غيره هو خير منه ، كأنه قال للذي غيره غيره خير منه عندي ، ثم حذفت الخبر من
 الثاني ، والابتداء من الاول ، كأنه قال عندي شي . غيره خير منه وعلى هذا يقال :
 اعطيك لما غيره خير منه ، على حذف الخبر . وقيل : في خبر (لمن ضره) أنه (لبس
 المولى) . وقيل : يدعو بمعنى يقول . والخبر محذوف . وتقديره يقول لمن ضره أقرب
 من نفعه : هو آلهة ، قال عنبرة :

﴿ ج ٧ م ٣٨ من التبيان ﴾

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبنان الأدم (١)
أي يقولون يا عنتر ، وقيل تقدير اللام التأخر ، وإن كانت متقدمة . والمعنى
يدعو من لضره أقرب من نفعه .

وقوله « لبئس المولى ولبئس العشير » فالمولى هو الولي ، وهو الناصر الذي يولي غيره
نصرته إلا أنها نصره سوء ، والعشير الصاحب المعاشر أي المخالط . في قول ابن زيد -
وقال الحسن : المولى - ههنا - الولي . وقيل : ابن العم أي بئس القوم لبني عمهم بما يدعونهم
إليه من الضلال . وقيل : اللام لام اليمين ، والتقدير يدعو وعزتي لمن ضره أقرب
من نفعه .

ثم اخبر تعالى أنه « يدخل الذين آمنوا » بالله وأقروا بوحدانيته وصدقوا
رسله « وعملوا » الاعمال « الصالحات » التي أمرهم بها « جنات » أي بساتين « تجري
من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد » من ذلك لا اعتراض عليه في ذلك .
ثم قال « من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب
الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » فالهاء في قوله « ينصره
الله » قال ابن عباس وقتادة : عائدة الى النبي (ص) ، والمعنى من كان يظن أن
الله لا ينصر نبيه ولا يعينه على عدوه ، ويظهر دينه فليمت غيظاً . والنصرة المعونة
- في قول قتادة - وقال مجاهد والضحاك : أن الكناية عائدة الى (من) والمعنى إن
من ظن أن لا ينصره الله . وقال ابن عباس : النصره - ههنا - الرزق . والمعنى من
ظن ان الله تعالى لا يرزقه ، والعرب تقول : من ينصرني نصره الله أي من
يعطيني أعطاه الله . وقال الفقهي :

وإنك لا تعط امرءاً فوق حظه ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره (١)
 أي معطيه وجايده ، ويقال نصر الله أرض فلان أي جاد عليها بالمطر وقوله
 « فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع » قيل في معنى (السماء) قولان :
 أحدهما - قال ابن عباس : أراد سقف البيت . والسبب الجبل . وقال ابن
 زيد : إلى السماء سماء الدنيا والسبب المراد به الوحي إلى النبي (ص) « ثم ليقطع »
 الوحي عن النبي (ص) والمعنى من ظن أنه لا يرزقه الله على وجه السخط لما أعطى
 « فليمدد » بجبل إلى سماء بيته وأضعافاً له في حلفه ، على طريق كيد نفسه لينذهب
 غيظه به . وهذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل . والمعنى مثله مثل من فعل بنفسه هذا ،
 فما كان إلا زائداً في بلائه . وقيل : هذا مثل رجل وعدته وعداً ، ووعدت على
 نفسك الوعد ، وهو يراجعك . لا يثق بقولك له . فنقول له : فاهب فاختنق ، يعني اجهد
 جهدك فلا ينفعك ، وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين نفروا من اتباع النبي (ص)
 خيفة من المشركين يخشون أن لا يتم له أمره .

وقرأ ابن مسعود « يدعو من ضره أقرب من نفعه » بلالاً . الباقر
 بأثبات اللام . ووجهه أن (من) كلمة لا يبين فيها الاعراب فاستجازوا الاعتراض
 باللام دون الاسم الذي يبين فيه الاعراب ، ولذلك قالت العرب : عندي لما غيره
 خير منه . وقد يجوز أن يكون (يدعو) الثانية من صلة الضلال البعيد ، ويضم في
 يدعو الهاء . ثم يستأنف الكلام باللام . ولو قرئ . بكسر اللام كان قوياً . قال الفراء :
 كأن يكون المعنى يدعو إلى ما ضره أقرب من نفعه ، كما قال تعالى « الحمد لله الذي
 هدانا لهذا » (٢) أي إلى هذا إلا أنه لم يقرأ به أحد .

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٢٢ والطبري ١٧ / ٨٧

(٢) سورة ٧ الاعراف آية ٤٢

وقوله « وكذلك أنزلناه » أي مثل ما ذكرنا من الأدلة الواضحة أنزلناه « آيات ، واضحات ، لان « الله يهدي من يريد » منه فعل الطاعات ويدله عليها .
قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
وَالشَّجَرُ وَالذَّابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ
وَمَنْ يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) هَذَانِ
خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ
نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ
وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ (٢٢) ست آيات .

اقسم الله تعالى لأن (إن ، يتلقى بها القسم ، فأقسم تعالى « إن الذين آمنوا »
بالله وصدقوا بوحدانيته وصدقوا أنبياءه « والذين هادوا » يعني اليهود « والصابئين
والنصارى والمجوس والذين أشركوا » مع الله غيره « إن الله يفصل بينهم يوم القيامة »

خبر « ان الذين آمنوا » قوله « ان الله يفصل » فدخل (ان) على الخبر تأكيذاً ، كما يقول القائل : ان زيدا ان الخير عنده لكثير . وقال جرير :

ان الخليفة ان الله سر به سر بال ملك به ترجى الخواتيم (١)

وقال الفراء لا يجوز أن تقول : ان زيدا انه صائم لا تفارق الاسمين . قال الزجاج : يجوز ذلك ، وهو جيد بالغ . ومعنى قوله « يفصل بينهم » يعني ان الله يفصل بين الخصوم في الدين يوم القيامة بما يضطر الى العلم بصحة الصحيح ويبيض وجه الحق ، ويسود وجه المبطل . والفصل هو التمييز بين الحق والباطل . وإظهار احدهما من الآخر .

وقوله « ان الله على كل شيء شهيد » أي عالم بما من شأنه أن يشاهد ، فالله تعالى يعلمه قبل أن يكون ، لأنه علام الغيوب . ثم خاطب نبيه (ص) والمراد به جميع المكلفين فقال « ألم تر » ومعناه ألم تعلم « ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض » من العقلاء . ويسجد له « الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب » فسجود الجماد هو ما فيه من ذلة الخضوع التي تدعو العارفين الى السجود ، سجود العبادة لله المالك للامور ، وسجود العقلاء هو الخضوع له تعالى والعبادة له . وقوله « من في السموات ومن في الارض » وإن كان ظاهره العموم ، فللإشارة بالخصوص إذا حملنا السجود على العبادة والخضوع ، لأننا علمنا أن كثيراً من الخلق كفرون بالله تعالى . فلذلك قال « وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب » ارتفع (كثير) بفعل مقدر ، كأنه قال « وكثير » أبي السجود ، فد (حق عليه العذاب) دل عليه ، لانهم يستحقون العقاب بمجدهم وحدانية الله ، وإشراكهم معه غيره . وقيل : سجود كل شيء - سوى

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٣١ وروايته : (يكفي الخليفة)

المؤمنين - سجود ظله حين تطلع الشمس وحين تغيب - في قول مجاهد - كأنه يجعل ذلك لما فيه من العبرة بتصريف الشمس في دورها عليه سجوداً .

وقوله ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ يعني لا بأنه السجود . وقيل : بل هو يسجد بما يقتضيه عقله من الخضوع ، وإن كفر بغير ذلك من الأمور ، وأنشدنا في السجود بمعنى الخضوع قول الشاعر :

بجمع تضل البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجداً للحوافر (١)

وقوله ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم ﴾ معناه من يهنه الله بالشقوة بادخاله جهنم ﴿ فما له من مكرم ﴾ بالسعادة بادخاله الجنة ، لأنه الذي يملك العقوبة والثوبة ﴿ ان الله يفعل ما يشاء ﴾ يعني يكرم من يشاء ، ويبين من يشاء إذا استحق ذلك .
وقوله ﴿ هذان خصمان ﴾ يعني الفريقين من المؤمنين والكفار يوم بدر ، وهم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن أبي ربيعة ، وعلي بن أبي طالب (ع) قتل الوليد بن عتبة ، وعبيدة بن الحارث قتل شيبه بن ربيعة - في قول ابي ذر - وقال ابن عباس : هم اهل الكتاب ، وأهل القرآن . وقال الحسن ومجاهد وعطاء : هم المؤمنون والكافرون .
« اختصموا في ربهم » لان المؤمنين قالوا بتوحيد الله وأنه لا يستحق العبادة سواه . والكفار اشركوا معه غيره ، وإنما جمع قوله « اختصموا » لأنه أراد ما يختصون فيه او أراد بالخصمين القبيلتين وخصومهم . ثم قال تعالى « فالذين كفروا » بالله وجحدوا وحدانيته « قطعت لهم ثياب من نار » ومعناه إن النار تحيط بهم كاحاطة الثياب التي يلبسونها . و « يصب من فوق رؤسهم الحميم » روي في خبر مرفوع : انه يصب على رؤسهم الحميم ، فينفذ الى أجوافهم فيسلب ما فيها . والحميم الماء المغلي . وقيل : ثياب نحاس من نار تقطع لهم ، وهي أشد ما يكون حمى . وقوله « يصبر به

ما في بطونهم والجلود « فالصهر الاذابة . والمعنى يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤسهم ما في بطونهم من الشحوم وتساقط من حره الجلود . تقول : صهرت الالية بالنار إذا أذبتها ، أصهرها صهراً كمال الشاعر :

تروي لقي ألقى في صنفص تصهره الشمس فما ينصهر (١)

يعني ولدها ، وتروي معناه أن تحمل له الماء في حوصلتها ، فتصير له راوية كالبعير الذي يحمل عليه الماء ، يقال : رويت للقوم إذا حملت لهم الماء . واللقى كل شيء ملقى من حيوان أو غيره ، وقال الآخر :

شك السفايفد الشواء المصطبر

وقوله تعالى « ولهم مقامع من حديد » فالمقامع جمع مقمعة ، وهي مدقة الرأس . ومثله المنقفة ، قمعاً قمعاً إذا رده عن الأمر . فالزبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رؤسهم إذا أرادوا الخروج من النار من العنم الذي يلحقهم ، والعذاب الذي ينالهم ردوا بتلك المقامع فيها وأعيدوا الى حالتهم التي كانوا فيها من العقاب . وقيل : يرفعهم زفيرها حتى إذا كادوا أن يخرجوا منها ضربوا بالمقامع ، حتى يهروا فيها . وقيل : لهم ذوقوا عذاب الحريق ، فالذوق طلب ادراك الطعم ، فهو اشد لاحساسه عند تفقده وطلب ادراك طعمه . فأهل النار يجدون ألمها وجدان الطالب لادراك الشيء ، والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك . وقيل : هو بمعنى محرق كأليم بمعنى مؤلم ، فهو لاء أحد الخصمين ، والآخرون هم المؤمنون الذين وصفهم في الآية بعدها .

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٢٧ والطبري ١٧ / ٩٢ وللصان (صهر) نسبة

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحِسَادِ يُلْطَمُ نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٢٥) ثلاث آيات

قرأ نافع وأبو بكر « ولؤلؤاً » بالنصب . الباقر بالجر .

لما حكى الله تعالى أمر الخصمين اللذين يختصمان ، من الكفار ، والمؤمنين . ثم بين ما للكفار من عذاب النار ، وإصهار ما في بطونهم ، والمقارع من الحديد ، وغير ذلك ، بين ما للمؤمنين ، وهم الفريق الآخر في هذه الآية ، فقال : « إن الله يدخل الذين آمنوا » بالله وأقروا بوجدانته ، وصدقوا رسله « وعملوا » الاعمال « الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها » أي يلبسون الخلي « من أساور من ذهب » والأساور جمع أسوار ، وفيه ثلاث لغات أسوار - بالالف - وسوار وسوار . فمن جعله أسوار ، جمعه على أساور . ومن جعله سوراً ، وسوراً ، جمعه أسورة . وفي قراءة عبد الله « أساور » واحدها إسوار أيضاً ، وسوار وأساور ، مثل كراع وأكراع ، وجمع الاسورة سوراً « ولؤلؤاً » فمن جره عطفه على « من ذهب » وتقديره : يحلون أساور من ذهب ولؤلؤاً ، ومن نصبه عطفه على الموضع ، لأن (من) وما بعدها

في موضع نصب ، فعطف « ولؤلؤاً » على الموضع ، وتقديره : ويجلون لؤلؤاً . وقد روي عن عاصم همز الأولى وتلين الثانية . وروي ضده ، وهو تلين الأولى وهمز الثانية . الباقيون بهمزونها . وكل ذلك جائز في العربية . واللؤلؤ الكبار ، والمرجان الصغار . ويجوز أن يكون اللؤلؤ مرصعاً في الذهب ، فلذلك قال : يجلون لؤلؤاً وقوى القراءة بالنصب أنه في المصاحف مكتوباً بالالف ، قال ابو عمرو : كتب كذلك ، كما كتبوا كفروا بالالف .

ثم اخبر ان لباسهم في الجنة حرير ، فخرم الله على الرجال لبس الحرير في الدنيا وشوقهم اليه في الآخرة . ثم قال « وهدوا » يعني أهل الجنة الى الصواب من القول . قال الجبائي : هدوا الى البشارات من عند الله بالنعيم الدائم . وقيل : معناه الى القرآن . وقيل : الى الايمان . وقال الكلبي : الى قول : لا إله إلا الله . وقال قوم : هو القول الذي لا فحش فيه ، ولا صخب « وهدوا الى صراط الحميد » قيل : الى الاسلام . وقيل : الى الجنة . فالحميد هو الله المستحق الحمد . وقيل : المستحمد الى عباده بنعمه - في قول الحسن - أي الطالب منهم أن يمدوه . وروي عن النبي (ص) أنه قال ما احد أحب اليه الحمد من الله - عز وجل - .

ثم قال تعالى ﴿ إن الذين كفروا ﴾ بوحدايته واختصاصه بالعبادة . ﴿ ويصدون ﴾ أي ويمنعون غيرهم ﴿ عن ﴾ اتباع ﴿ سبيل الله ﴾ بالقهر والاغواء . ﴿ والمسجد الحرام ﴾ أي ويمنعونهم عن المسجد الحرام أن يجيئوا اليه حجاً وعماراً ﴿ الذي ﴾ جعله الله تعالى ﴿ للناس ﴾ كافة قبلة لصلاتهم ومنسكاً لحجهم ، والمراد بالمسجد الحرام المسجد بقبة . وقيل الحرم كله « سواء العاكف فيه والباد » قال ابن عباس وقتادة : العاكف المقيم فيه ، والباد الطارى . ونصب ﴿ سواء ﴾ حفص عن ﴿ ج ٧ م ٣٩ من التبيان ﴾

عاصم على أنه مفعول ثان من قوله ﴿ جعلناه للناس سواء ﴾ أي مساوياً ، كما قال ﴿ انا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ . (١) ويرتفع (العاكف) في هذه القراءة بفعله أي يستوي العاكف والبادي . ومن رفع (سواء) جعله ابتداءً وخبراً ، كما تقول : مهدت برجل سواء عنده الخير والشر ، وتقديره العاكف والبادي سواء فيه بالنزول فيه . وقال مجاهد : معناه إنهم سواء في حرمة وحق الله عليهما فيه . واستدل بذلك قوم على أن أجرة المنازل في أيام الموسم محرمة ، وقال غيرهم : هذا ليس بصحيح ، لأن المراد به سواء العاكف فيه والبادي ، في ما يلزمه من فرائض الله تعالى فيه ، فليس لهم أن يمنعوه من الدور ، والمنازل ، فهي لملاكها . وهو قول الحسن . وإنما عطف بالمستقبل على الماضي من قوله ﴿ كفروا ، ويصدون ﴾ لأن المعنى ومن شأنهم الصد ، ونظيره ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ (٢) ويجوز في (سواء) الرفع والنصب والجر ، فالتصويب على أن يكون المفعول الثاني لـ ﴿ جعلناه ﴾ على ما بيناه ، والرفع على تقدير : هم سواء فيه . والجر على البدل من قوله ﴿ للناس سواء ﴾ .

وقوله ﴿ ومن يرد فيه بالحد بظلم ﴾ معناه من أرادته فيه بالحد كما قال الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل (٣)

ذكره الزجاج . والباء في قوله ﴿ بالحد ﴾ مؤكدة . والباء في قوله ﴿ بظلم ﴾

للتعدية ، ومثله قول الشاعر :

بواد يمان يذب الشث صدره وأسفله بالمرخ والشبهان (٤)

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٣ (٢) سورة ١٣ الرعد آية ٣٠

(٣) مر هذا البيت في ٣ / ١٧٤ و ٤ / ١٨٤

(٤) تفسير القرطبي ١٢ / ٣٦ والطبري ١٧ / ٩٤ واللسان (شث)

وروايته (فرعه) بدل (صدره)

والمعنى ينبت المرخ . ومثله قوله ﴿ تنبت بالدهن ﴾ (١) .

أي تنبت الدهن . وقال الاعشى :

ضمنت برزق عيالنسا أرماعنا نيل المراحل والصریح الأجردا (٢)

وقال امرؤ القيس :

ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرؤ القيس بن تملك بيقرأ (٣)

وقال الآخر :

فلما جزت بالشرب هز لها العصا شجیح له عند الازاء نهيم (٤)

وقال الآخر :

ألم يأتيك والابنساء تنمی بما لاقت لبون بني زياد (٥)

ويجوز ان يكون المعنى ، ومن يرد فيه منعاً ﴿ بالحداد ﴾ أي يميل بظلم ، فتكون حينئذ معدية للارادة ، وذلك انه يمكن أن يريد منعاً لا بالحداد ، كما يمكن أن يميل لا بظلم ، وكما يمكن أن يمر لا بشيء . وقال ابن عباس : المعنى فيه من يرد استحلال ما حرم الله . و (الحداد) هو الميل عن الحق .

وقوله « نذقه من عذاب اليم » يعني مؤلم . وحكى الفراء : انه قرئ « ومن يرد » بفتح الياء - من الورد ، ومعناه من ورده ظلماً على غير ما أمر الله به ، إلا انه شاذ . وقال مجاهد : معناه من ظلم فيه وعمل شيئاً واشرك بالله غيره . وقال ابن

(١) سورة ٢٣ للمؤمنون آية ٢٠ (٢) ديوانه ٥٧ وروايته :

ضمنت لنا اعجازهن قدورنا وضروهن لنا الصريح الأجردا

(٣) شرح ديوانه (للسندوبى) ٨٦ (٤) تفسير الطبري ١٧ / ٩٥

(٥) مر تخرجه في ٦ / ١٩٠

مسعود: من استحل ما حرمه الله . وقال ابن عباس : هو استحلال الحرم متعمداً .
وقال حسان بن ثابت : هو احتكار الطعام بمكة .

وقيل نزلت في ابي سفيان وأصحابه ، حين صدوا رسول الله (ص) عن
عمرة الحديبية .

قوله تعالى :

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا
وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي
النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوكِرِ جَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ
الْفَقِيرِ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ
الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ
وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ
الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) خمس آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) واذكر يا محمد « إذ بوأنال إبراهيم مكان البيت »
ومعناه جعلنا له علامة يرجع إليها . وقال قوم : معنى بوأنال وطأناله . وقال السدي : كانت
العلامة ربحاً هبت ، فكشف حول البيت ، يقال لها الحجوج . وقال قوم : كانت :

سحابة تطوقت حيال الكعبة ، فبنى على ظلها . واصل برأنا من قوله « ياؤا بغضب من الله » أي رجعوا بغضب منه . ومنه قول الحارث بن عباد (يؤ بشمع كليب) أي ارجع ، قال الشاعر :

فإن تكن القتلى بواء فانكم فني ما قتلتم آل عوف ابن عامر (١)

أي قد رجع بعضها ببعض في تكافؤ . وتقول : برأته منزلاً أي جعلت له منزلاً يرجع إليه . والمكان والموضع والمستقر نظائر . والبيت مكان مهياً بالبناء للبيتوة ، فهذا أصله . وجعل البيت الحرام على هذه الصورة . وقوله « ألا تشرك بي شيئاً » معناه وأمرناه ألا تشرك بي شيئاً في العبادة ﴿ وطهر بيتي ﴾ قال قتادة : يعني من عبادة الاوثان . وقيل : من الادناس . وقيل من الدماء ، والفريث ، والافذار التي كانت ترمى حول البيت ، ويلطخون به البيت إذا ذبحوا .

وقوله ﴿ للطائفين ﴾ يعني حول البيت ﴿ والقائمين والركع السجود ﴾ يعني طهر حول البيت الذين يقومون هناك للصلاة والركوع والسجود . وقال عطاء : والقائمين في الصلاة . وإذا قال : طاف ، فهو من الطائفين ، وإذا قعد ، فهو من العكف ، وإذا صلى ، فهو من الركع السجود .

وفي الآية دلالة على جواز الصلاة في الكعبة .

وقوله ﴿ وأذن في الناس بالحج ﴾ قال الحسن : والجبائي : هو أمر للنبي (ص) أن يؤذن للناس بالحج ويأمرهم به ، وأنه فعل ذلك في حجة الوداع . وقال ابن عباس : إن إبراهيم قام في المقام ، فنادى يا أيها الناس إن الله قد دعاكم إلى الحج فأجابوا (بلييك اللهم لييك) .

وقوله ﴿ يأتوك رجالاً ﴾ أي مشاة على أرجلهم ، فرجال جمع راجل مثل

صاحب وصحاب ، وقائم وقيام ﴿وعلى كل ضامر﴾ أي على كل جعل ضامر ، وهو المهزول ، أضره السير ﴿من كل فيج عميق﴾ أي طريق بعيد ، قال الراجز :

يقطعن بعد النازح العميق

وإنما قال ﴿يأتين﴾ لانه في معنى الجمع . وقيل : لأن المعنى وعلى كل ناقة ضامر . وقوله ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قيل الأجر والثواب في الآخرة ، والتجارة في الدنيا . وقال أبو جعفر (ع) : المغفرة . وقوله ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ قال الحسن وقتادة : الأيام المعلومات عشر من ذي الحجة ، والأيام المعدودات أيام التشريق . وقال أبو جعفر (ع) : الأيام المعلومات أيام التشريق ، والمعدودات العشر ، لأن الذكر الذي هو التكبير في أيام التشريق . وإنما قيل لهذه الأيام : معدودات ، لقلتها . وقيل لتلك : معلومات ، للحرص على عملها بحسابها ، من أجل وقت الحج في آخرها .

وقوله ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ يعني مما يذبح من الهدى . وقال ابن عمر : الأيام المعلومات أيام التشريق . لأن الذبح فيها الذي قال الله تعالى ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ . وقوله ﴿فكلوا منها واطعموا البائس الفقير﴾ قال مجاهد وعطاء : أمرنا بأن نأكل من الهدى ، وليس بواجب . وهو الصحيح ، غير انه مندوب اليه . والبائس الذي به ضر الجوع ، والفقير الذي لاشي له ، يقال : يؤس فهو بائس إذا صار ذا يؤس ، وهو الشدة . أمر الله تعالى أن يعطى هؤلاء من الهدى .

وقوله ﴿ثم ليقضوا تمثهم﴾ فالتفت مناسك الحج ، من الوقوف ، والطواف ، والسعي ، ورمي الجمار ، والحلق بعد الاحرام من الميقات . وقال ابن عباس وابن

عمر : التفت جمع المناسك . وقيل التفت قشف (١) الاحرام ، وقضاؤه بحلق الرأس ، والاعتسال ، ونحوه . قال الازهري : لا يعرف التفت في لغة العرب إلا من قول ابن عباس .

وقوله « وليوفوا نذورهم » أي يوفوا بما نذروا ، من نحر البدن - في قول ابن عباس - وقال مجاهد : كل ما نذر في الحج . وقرأ ابو بكر عن عاصم « وليوفوا » مشددة الفاء ، ذهب إلى انه التكبير . وقوله « وليطوفوا بالبيت العتيق » أمر من الله تعالى بالطواف بالبيت . قال ابن زيد : سمي البيت عتيقاً ، لانه أعتق من ان تملكه الجسابة عن آدم . وقيل : لانه اول بيت بني . كقوله تعالى « إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » (٢) ثم حدده إبراهيم (ع) . وقيل : لانه أعتق من الفرق أيام الطوفان ، ففرقت الارض كلها إلا موضع البيت ، روي عن أبي جعفر (ع) . والطواف المأمور به من الله في هذه الآية ، قال قوم : هو طواف الافاضة بعد التعريف إما يوم النحر ، وإما بعده ، وهو طواف الزيارة . وهو ركن بلا خلاف . وروى أصحابنا ان المراد - ههنا - طواف النساء الذي يستباح به وطؤ النساء ، وهو زيادة على طواف الزيارة .

وقوله « ذلك ومن يعظم حرمات الله » بأن يترك ما حرمه الله . وقوله « واحلت لكم الانعام إلا ما يتلى عليكم » يعني إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله : من الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، والموقوذة ، والمنردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، وما ذبح على النصب . وقيل : واحلت لكم الانعام . من الابل ، والبقر ، والغنم ، في حال إحرامكم « إلا ما يتلى عليكم » من الصيد ، فانه يحرم على المحرم . وقوله « فاجتنبوا الرجس من الاوثان » معنى (من) لتبيين الصفة ، والتقدير

(١) وفي المخطوطة فشق

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٩٦

فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان . وروى أصحابنا أن المراد به اللعب بالشطرنج ،
والنرد ، وسائر أنواع القمار « واجتنبوا قول الزور » يعني الكذب . وروى أصحابنا
أنه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملئية بغير حق .

قوله تعالى :

﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ
مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)
ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَاِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا
مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ
إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشَرِ الْخَبِيثِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٣٥) خمس آيات بلاخلاف .

قوله « حنفاء » نصب على الحال من الضمير في قوله « واجتنبوا قول الزور »
ومعنى « حنفاء » مستقيمي الطريقة ، على أمر الله . وأصل الحنف الاستقامة . وقيل
للمائل القدم : أحنف تفاقولا بالاستقامة . وقيل : أصله الميل . والحنيف المائل الى العمل
بما أمر الله ، والأول أقوى ، لأنه أشرف في معنى الصفة . وقوله « غير مشركين به »
أي غير مشركين بعبادة الله غيره . والاشراك تضييع حق عبادة الله بعبادة غيره .

أو ما يعظم عظم عبادة غيره ، وكل مشرك كافر ، وكل كافر مشرك . ثم قال تعالى «ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء» أي من أشرك بعبادة الله غير الله ، كان بمنزلة من وقع من السماء ، «فتخطفه الطير» أي تتناوله بسرعة وتستلبه . والاختطاف والاستلاب واحد . يقال : خطفه يخطفه خطفاً ، وتخطفه تخطفاً إذا أخذه من كل جهة بسرعة . وقرا ابن عامر «فتخطفه» بتشديد الطاء ، بمعنى فتختطفه ، فنقل فتحة الطاء الى الخاء ، وأدغم التاء في الطاء . الباقون بالتخفيف ، وهو الاقوى لقوله «الامن خطف الخطفة» (١) .

وقوله ﴿أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ والسحيق البعيد . والمعنى أن من أشرك بالله غيره كان هالكا بمنزلة من زل من السماء ، واستلبه الطير ورمى به الريح في مكان بعيد ، فإنه لا يكون إلا هالكا . وقيل : شبه المشرك بحال الهاوي في أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً يوم القيامة . وقيل : شبه أعمال الكفار أنها تذهب فلا يقدر على شيء منها . في قول الحسن - وقوله «ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب» قال سيبويه : تقديره ذلك الأمر من يعظم ، فالشعائر علامات مناسك الحج كلها ، منها رمي الجمار ، والسعي بين الصفا والمروة وغير ذلك - في قول ابن زيد - وقال مجاهد : هي البدن ، وتعظيمها استئمانها واستحسانها . والشعيرة العلامة التي تشعر بها ، لما جعلت له ، وأشعرت البدن إذا علمتها بما يشعر أنها هدي . وقوله «فإنها من تقوى القلوب» فالكناية في قوله «فإنها» تعود الى التعظيم ، ويجوز أن تعود الى الخصلة من التعظيم . وقيل : شعائر الله دين الله . وقوله «فإنها من تقوى القلوب» معناه إن تعظيم الشعائر من تقوى القلوب أي من خشيتها .

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ١٠

﴿حج ٧ م ٤٠ من التبيان﴾

ثم قال « لكم فيها منافع الى أجل مسمى » قال ابن عباس ، ومجاهد : ذلك ما لم يسم هدياً او بدنأ . وقال عطاء : ما لم يقلد ، وقيل : منافعها ركوب ظهرها وشرب ألبانها إذا احتاج اليها . وهو المروي عن ابي جعفر (ع) . وقوله « الى أجل مسمى » قال عطاء بن ابي رباح : الى أن تنحر . وقيل : المنافع التجارة . وقيل : الأجر ، وقيل : جميع ذلك . وهو أعم فأئدة .

وقوله ﴿ ثم محلها الى البيت العتيق ﴾ معناه إن محل الهدي والبدن الى الكعبة . وعند اصحابنا : إن كان الهدي في الحج ، فمحله منى ، وإن كان في العمرة المفردة ، فمحله مكة قبالة الكعبة بالخرورة . وقيل : الحرم كله محل لها ، والظاهر يقتضي أن المحل البيت العتيق . وهو الكعبة . وقال قوم « الى أجل مسمى » يعني يوم القيامة .

ثم اخبر تعالى انه جعل لكل أمة من الامم السالفة منسكاً . وقرأ حمزة والكسائي « منسكا » بكسر السين . الباقون بالفتح ، وهما لغتان ، وهو المكان للعبادة المألوفة الذي يقصده الناس . وقال الحسن : المنسك المنهاج وهو الشريعة جعل الله لكل أمة من الامم السالفة منسكاً أي شريعة . كقوله « لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه » (١) وقال مجاهد « منسكا » يعني عبادة في الذبيح ، والنسكة الذبيحة . يقال : نسكت الشاة أي ذبحتها فكانه المذبح ، وهو الموضع الذي يذبح فيه . وقال محمد بن ابي موسى : محل المناسك الطواف بالبيت .

وقوله « ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » أي جعلنا ذلك للامم وتعبدهناهم به « ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » يعني من الابل والبقر والغنم إذا ارادوا تذكيتها . وفي ذلك دلالة على وجوب التسمية عند الذبيحة .

ثم اخبر تعالى فقال « فإلهكم إله واحد » أي معبودكم الذي ينبغي أن توجهوا العبادة إليه واحدا شريك له « فله اسلموا » أي استسلموا « وبشر المحبتين » قال قتادة : يعني المتواضعين . وقال مجاهد : يعني المطمئنين الى ذكر ربهم . واشتقاق الخبت من الخبت ، وهو المكان المظلم . وقيل : المنخفض ، ومعناها واحد . ثم وصف تعالى المحبتين ، فقال « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » والمعنى إذا ذكر ثواب الله ، على طاعته ، وعقابه على معاصيه ، خافوا عقابه وخشوا من ترك طاعته « والصابرين على ما أصابهم » يعني بصبرون على ما يتليهم الله ، من بلائه في دار الدنيا من أنواع المصائب والأمراض والأوجاع « والمقيمي الصلاة » يعني الذين يقيمون الصلاة ، فيؤدونها بحقوقها ، ويدأومون عليها . « ومما رزقناهم ينفقون » أي مما ملكهم الله وجعل لهم التصرف فيه ينفقون في مرضاه . وفي ذلك دلالة على أن الحرام ليس برزق الله ، لأن الله مدح من ينفق في سبيل الله ممارزقه ، والحرام ممنوع من التصرف فيه ، والانفاق منه فكيف يكون رزقا .

قوله تعالى:

﴿ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) كُنْ يَنَالُ اللَّهُ لِحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ وَبَشِّرِ

المُحْسِنِينَ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ
 خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذُنٌ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْنِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 بِمَا يَصْرِفُهُمْ لِقَدِيرٍ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ
 يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَكَوَلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ
 صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
 وَكَيْنَصْرُنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (٤٠) خمس

آيات بلاخلاف .

قرأ يعقوب « لن تنال الله لحومها ولكن تناله » بالياء . فيهما . الباقون بالياء
 فيهما . وقد مضى ذكر نظائره . وقرأ ابن كثير وحمة والكسائي « أذن » بفتح الالف
 « يقاتلون » بكسر التاء . وقرأ نافع وحفص « أذن » بضم الالف « يقاتلون »
 بفتح التاء . وقرأ أبو عمرو ، وأبو بكر عن عاصم « أذن » بضم الالف « يقاتلون »
 بكسر التاء . وقرأ ابن عامر « أذن » بفتح الالف « يقاتلون » بفتح التاء . وقرأ
 ابن كثير وأبو عمرو « إن الله يدفع ، ولولا دفع الله » بغير ألف في الموضعين
 الباقون « يدافع » ، « ولولا دفع الله » بآثبات الالف في الموضعين . وقرأ أهل
 الكوفة وإبن كثير وأبو جعفر « لهدمت » بتخفيف الدال . الباقون بتشديدها ، وهما
 لغتان . والتشديد للتكثير .

قال الحسن : هدمها تعطيلها ، فاذا هدمت . وواضع الصلاة فكأنهم هدموا
 الصلاة . وقيل : إن الصلوات بيوت النصارى ، يسمونها صلواتنا ، وقال أبو العالفة

الصلوات بيوت الصابئين وانشد :

اتق الله والصلوات فدعها إن في الصوم والصلوات فساداً (١)

يريد بيت النصارى ومعنى الصوم - في البيت - ذرق النعام .

« ودفع الله ، ودفاع الله » [لغتان والأغلب أن يكون (فعال) بين اثنين . وقد يكون للواحد مثل عافاه الله وطارقت النعل] (٢) وقال ابن عمر : دفاع الله ، ويدافع : لحن . ومن فتح الالف في (اذن) وكسر التاء في (يقاتلون) فالمعنى أذن الله للذين يقاتلون أن يقاتلوا من ظلمهم ، وكذلك المعنى في قراءة الباقيين . ومعنى ﴿ بأنهم ظلموا ﴾ أي من أجل أنهم ظلموا .

يقول الله تعالى ﴿ والبدن جعلناها ﴾ فنصب البدن بفعل مضمَر يدل عليه (جعلناها) ومثله « والقمر قدرناه » (٣) فيمن نصب القمر والبدن جمع بدنة ، وهي الأبل المبدنة بالسمن . قال الزجاج : يقولون : بدنت الناقة إذا سمنتها . ويقال لها بدنة من هذه الجهة . وقيل : أصل البدن الضخم ، وكل ضخم بدن . وبدنت بدنًا إذا ضخمت ، وبدن تبيدناً ، فهو بدن ، ثقل لحمه للاسترخاء كما يثقل الضخم . والبدنة الناقة ، وتجمع على بدن وبدن . وتقع على الواحد والجمع قال الرازي :

على حين تملك الأمور صوم شهر وجبت نذوراً

وحلق رأسى وافياً مفضوراً وبدناً مدرعاً موفوراً (٤)

قال عطاء : البدن البقرة والبعير . وقيل : البدنة إذا نحررت علققت يد واحدة ، فكانت على ثلاث ، وكذلك تنحر ، وعند أصحابنا تشد يداها إلى إبطيها ، وتطلق رجلاها . والبقرة تشد يداها ورجلاها ويطلق ذنبها ، والغنم تشد يداها ورجل واحدة

(١) لم أجد في مظانه (٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

(٣) سورة ٣٦ يس آية ٣٩ (٤) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٧

وتطلق الرجل الأخرى .

وقوله « جعلناها لكم من شأركم الله » معناه جعلناها لكم فيها عبادة لله بما في سوفه الى البيت وتقليدها بما ينسب . أنها هدي . ثم نحرها الاكل منها واطعام القانع والعزير وقيل « من شأركم الله » معناه من معالم الله « لكم فيها خير » أي منافع في دينكم ودنياكم ، مثل ما فسرناه .

وقوله « فاذكروا اسم الله عليها صواف » أمر من الله أن يذكر اسم الله عليها إذا إقيمت للنحر ، صافة . وصواف جمع صافة ، وهي المستمرة في وقوفها على منهاج واحد ، فالصف استمرار جسم يلي جسمًا على منهاج واحد . والتسمية بالنحر عند نحرها دون حال قيامها .

وقوله « فاذا وجبت جنوبها » معناه وقعت لنحرها ، والوجوب الوقوع ومنه يقال : وجبت الشمس إذا وقعت في المغرب للغروب . ووجب الحائط إذا وقع ووجب القلب إذا وقع فيه ما يضطرب به . ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به فمسه ووجب المطالبة إذا وقع ما يدعو الى قبولها . ووجب البيع إذا وقع . وقال أبو ابن حجر :

ألم تكسف الشمس والبدن و!! كواكب للجبل الواجب (١)

أي الواقع ، وقرئ « صواف » على ثلاثة أوجه : صواف بمعنى مصطفة وعليه القراء « وصوافي » بمعنى خالصة لله . وهي قراءة الحسن و « صوافن » بمعنى معلقة في قيامها ، بازمتها . وهي قراءة ابن مسعود ، وهو مشتق من صفن الحصان التي إحدى يديه حتى قام على ثلاث ، ومنه قوله « والصافنات الجياد » (٢)

(١) ديوانه (دار بيروت) : ١٠ وتفسير القرطبي ١٢ / ٦٢

(٢) سورة ٣٨ ص آية ٣١

الشاعر :

الف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كبيراً (١)
 والشافن من الخيل الذي يقوم على ثلاث ، وبشي سنبك الرابعة
 وقوله « فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر » فقال قوم : الاكل والاطعام
 جبان . وقال آخرون : الاكل مندوب والاطعام واجب . وقال قوم : لو اكل جميعه
 ، وعندنا يطعم ثلثه ، ويعطى ثلثه القانع والمعتر ، ويهدي الثلث الباقي . والقانع
 يفتن بما أعطي أو بما عنده ولا يسأل ، والمعتر الذي يتعرض لك ان تطعمه من اللحم
 ابن عباس ومجاهد وقتادة : المعتر الذي يسأل ، والقانع الذي لا يسأل ، وقال
 بن سعيد بن جبير : القانع الذي يسأل قال الشماخ :

لمال المرى يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع (٢)

أي من السؤال . وقال الحسن : المعتر يتعرض ، ولا يسأل . وقال مجاهد :

مع جارك الغني ، والمعتر الذي يعتريك من الناس . ويقال : فنع الرجل الى فلان
 إذا سأل قال لييد :

وأعطاني المولى على حين فقره إذا قال الصبر خلتي وقنوعي (٣)

وقنعت بكسر النون اقنع قناعة وقناعاً إذا اكتفيت .

وقوله « كذلك سخرناها لكم » أي مثل ذلك ذلنا هذه الأنعام لكم تصرفوها

حسب اختياركم ، بخلاف السباع الممتعة بفضل قوتها ، لكي تشكروه على نعمه

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٦٢

(٢) تفسير الهجري ١٧ / ١١٠ واللسان (فقر) وتفسير القرطبي ١٢ / ٦٤

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٠ وروايته (اصبر) بدل (الصبر) وشرح

روايته (طبع الكويت : ٧١) روايته (إذا أبصر خلتي وخشوعي)

التي أنعم بها عليكم .

ثم قال تعالى « إن ينال الله لحومها ٠٠٠ » والمعنى إن يتقبل الله اللحوم ، ولا الدماء ، ولكن يتقبل التقوى فيها وفي غيرها ، بأن يوجب في مقابلتها الثواب . وقيل : إن يبلغ رضا الله لحومها ، ولا دماؤها ، ولكن ينالها التقوى منكم .

ثم قال « كذلك سخرها لكم » يعني الأنعام « لتكبروا الله على ما هداكم » أي لتعظموه ثم تشكروه على هدايته إياكم إلى معرفته وطريق ثوابه . وقيل : معناه لتسموا الله تعالى على الذبابة . وقيل : لتكبروا الله في حال الاحلال بما يليق به في حال الاحرام .

ثم قال تعالى « وبشر المحسنين » يا محمد ، الذين يفعلون الأفعال الحسنة وينعمون على غيرهم .

ثم قال « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » أي ينصرهم ويدفع عنهم عدوهم ، تارة بالفهر ، وأخرى بالحجة « إن الله لا يحب كل خوان كفور » إخبار منه تعالى أنه لا يحب الخوان ، وهو الذي يظهر النصيحة ، ويضمر الغش للنفاق ، أو لاقتطاع المال . وقيل : إن من ذكر اسم غير الله على الذبيحة ، فهو الخوان ، والكفور هو الجحود لنعم الله وغمط آيابه .

ثم أخبر أنه « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » قيل : إن هذه الآية نزلت في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم ، فلما قووا ، أمرهم الله بالجهاد ، وبين أنه أذن لهم في قتال من ظلمهم وأخرجهم من أوطانهم . ومعنى « بأنهم ظلموا » أي من أجل أنهم ظلموا .

ثم أخبر أنه « على نصرهم لقدير » ومعناه أنه سينصرهم . قال الجبائي : لا فائدة له إلا هذا المعنى .

وهذه الآية اول آية نزلت في الأمر بالقتال .

ثم بين حالهم فقال « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق » بل ظلماً محضاً « الا أن يقولوا ربنا الله » والمعنى الا أن يقولوا الحق ، فكأنه قال الذين أخرجوا بغير حق ، الا الحق الذي هو قولهم ربنا الله . وقال سيبويه (إلا) بمعنى (لكن) وتقديره لكنهم يقولون : ربنا الله ، فهو استثناء منقطع ، وهو كقولك ما غضبت عليّ إلا أني منصف ، وما تبغض فلاناً إلا أنه يقول الحق ، أي جعلت ذلك ذنبه . وقال الفراء : تقديره إلا بأن يقولوا ، فتكون (أن) في موضع الجر .

ثم قال « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع » في أيام شريعة موسى « وبيع » في أيام شريعة عيسى « ومساجد » في أيام شريعة محمد (ص) - في قول الزجاج - وقال مجاهد : صوامع الرهبان ، وبيع النصارى ، وهو قول قتادة . وعن مجاهد أيضاً ان البيع كنائس اليهود . وقال الضحاك : الصلوات كنائس اليهود بسمونها صلواتاً . وقيل مواضع صلوات المسلمين مما في منازلهم . وقيل : الصلوات أراد بها المصليات ، كما قال « لا تقربوا الصلاة وانتم سكرى » (١) وأراد المساجد ، والظاهر انه أراد نفس الصلاة لا يقر بها سكران . وقيل تقديره : وتركت صلوات - ذكره الا خفش - وقوله « يذكر فيها اسم الله كثيراً » يعني في المساجد والمواضع التي ذكرها .

ثم قال « ولينصرن الله من ينصره » أي من نصر أولياء الله ، ودفع عنهم فان الله ينصره ، ويدفع عنه . ويجوز أن يكون المراد : من ينصر دين الله ويذب عنه فان الله ينصره « إن الله لقوي عزيز » أي قادر قاهر ، لا ينال أحد منه مالا يريد .

(١) سورة النساء آية ٤٢

﴿ ج ٧ م ٤١ من التبيان ﴾

ولا يتعذر عليه من يريد ضره . وقال الحسن : إن الله يدفع عن هدم مصليات أهل الذمة بالمؤمنين . وقرأ عاصم الجحدري « و صلوت » بالتاء - في رواية هارون - وقال غيره : صلوت بالتاء والصاد واللام مضمومتان ، وقال : هي مساجد للنصارى . وقرأ الضحاك (صلوت) بثلاث نقط ، وقال : هي مساجد اليهود . وهذه شواذ لا يقرأ بها ، ولا يعرف لها في اللغة اصل .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) خمس آيات في الكوفي والمدنيين . وفي الباقي أربع آيات . قرأ ابو عمرو وحده « أهلكتها » بالتاء . لقوله في الآية التي فيما بعد ﴿ فأمليت ﴾ . الباقي ﴿ أهلكتها » بالنون .

يقول الله تعالى ﴿ الذين ان مكنائهم في الارض ﴾ ف (الذين) صفة من تقدم ذكره من المهاجرين في سبيل الله ، وموضعه النصب ، وتقديره ﴿ لينصرن الله من ينصره ... الذين ان مكنائهم ﴾ ومعناه أعطيناهم كل ما لا يصح الفعل إلا معه ، لان

التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل ، فان كان هذا الفعل لا يصح إلا بآلة ، فالتمكين باعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة ، وكذلك ان كان لا يصح الفعل إلا بعلم ، ونصب دلالة ، وصحة سلامة ، ولطف وغير ذلك ، فاعطاء جميع ذلك واجب . وإن كان الفعل يكتفي - في صحة وجوده - بمجرد القدرة ، فخلق القدرة هو التمكين . ثم وصفهم . فقال : هؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله ، ﴿ إن مكنناهم في الارض أقاموا الصلاة ﴾ يعني ادوها بحقوقها . وقيل : معناه داموا عليها ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ أي واعطوا ما افترض الله عليهم في أموالهم من الزكوات وغيرها ﴿ وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ . وفي ذلك دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، لأن ما رغب الله فيه ، فقد اراده ، وكل ما اراده من العبد ، فهو واجب إلا أن يقوم دليل على ذلك انه نفل ، لان الاحتياط يقتضي ذلك . و (المعروف) هو الحق ، وسمي معروفاً لأنه تعرف صحته . وسمي المنكر منكراً ، لأنه لا يمكن معرفة صحته .

وقوله « والله عاقبة الامور » معناه تصير جميع الأملاك لله تعالى ، لبطلان كل ملك سوي ملكه . ثم قال لنبية (حن) مسلياً له عن تكذيب قوميه له وقلة قبولهم منه : « وان يكذبوك » يا محمد في ما تدعيه من النبوة « فقد كذبت قبلهم قوم نوح » نوحاً ، وكذبت قوم « عاد » هوداً وقوم « ثمود » صالحاً « وقوم ابراهيم » ابراهيم « وقوم لوط » لوطاً « واصحاب مدين » شعيباً « وكذب » اصحاب موسى « موسى » وإنما قال « وكذب موسى » ولم يقل وقوم موسى ، لأن قومه بني اسرائيل ، وكانوا آمنوا به وإنما كذبه قوم فرعون « فاملت للكافرين » اي أخرت عقابهم وحملت عنهم « ثم أخذتهم » فاستاصلتهم بانواع الهلاك « فكيف كان نكير » أي عذابهم لهم . وإنما اقتصر على ذكر أقوام بعض الانبياء ، ولم يسم أنبياءهم ، للدلالة الكلام عليه .

ثم قال تعالى « وكانين من قرية » معناه وكم من أهل قرية « اهلكناها » لما

استحقوا الاهلاك في حال كونها «ظلمة» لنفسها «فهي خاوية على عروشها» أي
اهلكتها في حال كونها ظلمة لنفسها حتى تهدمت الحيطان على السقوف . وقال الضحاك
على عروشها سقوفها .

وقوله « وبئر معطلة وقصر مشيد » معناه وكم من بئر معطلة أي لا أهل لها .
والتعطيل ابطال العمل بالشيء ، ولذلك قيل للدهري : معطل ، لانه ابطال العمل
بالعلم على مقتضى الحكمة . ويقال : خوت الدار خواء ، ممدود . وهي خاوية ، وخوى
جوف الانسان من الطعام خوى ، مقصور ، وهو خاو . وقيل في خفض « وبئر
معطلة وقصر مشيد » قولان :

احدهما - بالعطف على قرية ، فيكون المعنى اهلاكا كالقرية .

والثاني - بالعطف على العروش ، فيكون المعنى ان بها البئر المعطلة والقصر
المشيد . ومعنى وقصر مشيد أي مجصص ، والشيد الجص - في قول عكرمة ومجاهد -

وقال قتادة : معناه رفيع ، وهو المرفوع بالشيء . وقال عدي بن زيد :

شاده مرمرأ وجلله كـ . سافلطير في ذراه وكور (١)

وقال امرؤ القيس :

وتيماء لم يتورك بها جذع نخلة ولا أجماً إلا مشيداً يجندل (٢)

وقال آخر :

كحبة الماء بين الطين والشيء (٣)

(١) شرح ديوان امرئ القيس { اخبار الراقصة } ٣٦٠ وتفسير القرطبي

١٢ / ٧٤ والطبري ١٧ / ١١٦ والاسان { شيد }

(٢) شرح ديوانه : ١٥٧ وروايته (أطماً) بدل (أجماً)

(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١١٦ والقرطبي ١٢ / ٧٤ وتامه :

لأنجسين وان كنت امرأ غمرأ كحبة الماء بين الطين والشيء

ويقال شدته أشيده إذا زينته . وقال الكلبي قصر مشيد : معناه حصين .
وقيل : ان البئر والقصر معروفان باليمين . وفي تفسير أهل البيت إن معنى « وبئر
معطلة » أي وكم من عالم لا يرجع إليه ، ولا ينتفع بعلمه ، ولا يلتفت إليه . ومعنى الآية:
أفلم يسبروا في الأرض فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بكفرهم وأبادهم بمعصيتهم ،
لبروا من تلك الآثار بيوتاً خاوية ، قد سقطت على غروشها ، وبئر الشرب قد باد
أهلها وعطل رساؤها وغار معينها وقصراً مشيداً مزيناً بالحصن ، قد خلا من
السكن ، وتداعى بالخراب ، فيتعظوا بذلك ، ويخافوا من عقوبة الله ، وبأسه الذي
نزل بهم .

قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا
أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَأَنَّهُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَكِنْ يُخَلِّفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَكَأَيُّنَ مِنْ
قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ (٤٨) قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩) فَأَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) خمس آيات بلاخلاف .

قرأ ابن كثير وحمة والكسائي « مما تعدون » بالياء ، على الخبر عن

الكفار . الباقون بالتاء ، على الخطاب .

لما اخبر الله تعالى عن اهلاك الامم الماضية جزاء على كفرهم ومعاصيهم ، به الذين يرتابون بذلك . فقال « أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » إذا شاهدوا آثار ما أخبرنا به ، وسمعوا صحة ما ذكرناه عن أخبرهم بصحته من الذين عرفوا أخبار الماضين . وفيها دلالة على أن العقل هو العلم ، لان معنى ﴿ يعقلون بها ﴾ يعلمون بها مدلول ما يرون من العبرة . وفيها دلالة على أن القلب محل العقل والعلوم ، لأنه تعالى وصفها بأنها هي التي تذهب عن إدراك الحق ، فلولا أن التبيين يصح أن يحصل فيها ، لما وصفها بأنها تعمي ، كما لا يصح أن يصف اليد والرجل بذلك . والهاء في ﴿ انها لا تعمي ﴾ هاء عماد ، وهو الاضمار على شروط التفسير ، وانما جاز أن يقول : واكن تعمي القلوب التي في الصدور . للتأكيد لثلاثتهم بالذهاب الى غير معنى القلب ، لانه قد يذهب الى ان فيه اشتراكا كقلب النخلة ، فاذا قيل هكذا كان أنفي للبس بتجويز الاشتراك . واما قوله ﴿ يقولون بافواهم ما ليس في قلوبهم ﴾ (١) فلان القول قد يكون بغير الفم . والمعنى في الآية ان الابصار وإن كانت عمياً ، فلا تكون في الحقيقة كذلك ، اذا كان عارفاً بالحق . وانما يكون العمى عمى القلب الذي يجحد معه معرفة الله ووجدانيته .

ثم قال ﴿ ويستعجلونك ﴾ يا محمد ﴿ بالعذاب ﴾ أن ينزل عليهم ، ويستبطلونه ، وان الله لا يخلف ما يوعد به ﴿ وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة : يوم من أيام الآخرة ، يكون كألف سنة من أيام الدنيا . وقال ابن زيد ، وفي رواية اخرى عن ابن عباس : انه أراد يوماً من الأيام التي خلق الله فيها السموات والارض . والمعنى ﴿ وان يوماً عند ربك ﴾ من أيام العذاب ، في

الثقل والاستطالة ﴿كألف سنة مما تعدون﴾ في الدنيا، فكيف يستعجلونك بالعذاب لو لا جهلهم، وهو كقولهم: أيام الهموم طوال، وإيام السرور قصار .
قال الشاعر:

بطول اليوم لا القاك فيه ويوم نلتقي فيه قصير (١)
وأنشد أبو زيد:

تطاولن أيام معن بنا فيوم كشرين أذيتهل (٢)
وقال جرير:

ويوم كأبهام الجبارى لهوته (٣)

وقيل « وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون » في طول الامهال للعباد لصالح من يصلح منهم ، أو من نسلهم ، فكأنه ألف سنة لطوال الأناة . وقيل ﴿ وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون ﴾ في مقدار العذاب في ذلك اليوم ، أي انه لشدة وعظمه كمقدار عذاب ألف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة . وكذلك نعيم الجنة ، لأنه يكون في مقدار يوم السرور والنعيم مثل ما يكون في الف سنة من أيام الدنيا لو بقي ينعم وبلتذ فيها .

ثم قال تعالى ﴿ وكم من قرية أملت لها ﴾ فالاملاء والاملال والتأخير نظائر ﴿ وهي ظالمة ﴾ أي مستحقة لتعجيل العقاب ، لكن اخذتها وأهلكتها والى المصير ،

(١) هذا البيت ساقط من المطبوعة . (٢) هو في مجمع البيان ٩٠/٤

(٣) وفي المخطوطة (ويوم كأبهام الجبارى لطوله) ولم اجده في ديوان

جرير وانما يوجد ابيات تشبه هذا وهي:

ويوم كأبهام القطاء مزين الي صاه غالب لي باطله
لهوت بجني عليه سموطه وإنس مجاليه وانس شمائله

لكل أحد ، بأن يزول ملك كل مالاك ملك شيئاً في دار الدنيا .
 ثم قال لنبيه ﴿ قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ﴾ أي مخوف من
 معاصي الله بعقابه ، مبين لكم ما يجب عليكم فعله ، وما يجب عليكم تجنبه ﴿ فالذين
 آمنوا ﴾ أي صدقوا بالله واقروا برسوله ﴿ لهم مغفرة ﴾ من الله تعالى لمعاصيهم ولهم
 ﴿ رزق كريم ﴾ أي مع أكرامهم بالثواب الذي لا يقاربه تعظيم وتبجيل .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَحِيمِ (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا
 تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ
 يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
 فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
 لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى
 تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ (٥٥) خمس
 آيات بلاخلاف .

قرأ ابن كثير وابو عمرو ﴿ معجزين ﴾ بالتشديد ، بمعنى مشبطين ومبطنين ، وهو قول مجاهد . الباقون ﴿ معجزين ﴾ بالألف . قال قتادة : معناه مشاقين معاندين . يقول الله تعالى ان ﴿ الذين سعوا في آيات الله معجزين ﴾ ومعناه إن الذين يعجزون المؤمنين في قبول هذه الآيات اي يعجزونهم عن اقامتها بمجرد تدبير الله (عز وجل) لها . ويحتمل ان يكون معناه يعجزونهم عن تصحيحها . والسعي الاسراع في المشي ، ومنه قوله ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ﴾ (١) وسعى يسعى سعياً ، فهو ساع ، وجمعه سعاة ، واستسعاء في الامر استسعاء . وقال قتادة : ظنوا انهم يعجزون الله أي يفوتونه وأن يعجزوه . وقال مجاهد : معناه مبطنين عن اتباع آيات الله . ومن قرأ ﴿ معجزين ﴾ اراد انهم يجادلون عجز الغالب . ومن قرأ ﴿ معجزين ﴾ بالتشديد اراد طلب اظهار العجز . وقال ابن عباس : معنى ﴿ معجزين ﴾ مشاقين . وقيل معنى ﴿ معجزين ﴾ مسابقين ، يقال : اعجزني الشيء بمعنى سبقني وفاتني . وقال ابو علي : معجزين ظانين ومعتقدين انهم يفوتونا ، لانكارهم البعث . ومعجزين أي ينسبون من اتبع النبي (ص) الى العجز . وقال مجاهد : معناه مشبطين للناس عن النبي (ص) واتباعه . وقوله « أولئك أصحاب الجحيم » معناه الذين يسمعون في آيات الله طالبين إظهار عجزه إن لهم عذاب الجحيم ، وهم ملازمون لها .

وقوله « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته » روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومحمد بن كعب ومحمد بن قيس : انهم قالوا : كان سبب نزول الآية انه لما تلى النبي (ص) « افرأيتم اللات

(١) سورة الجمعة آية ٩

﴿ ج ٧ م ٤٢ من التبيان ﴾

والعزى ومنوة الثالثة الأخرى « (١) القى الشيطان في تلاوته (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى) ومعنى الآية التسلية للنبي (ص) وأنه لم يبعث الله نبياً ، ولا رسولا إلا إذا تمنى - يعني تلا - القى الشيطان في تلاوته بما يحاول تعطيله ، فيرفع الله ما لقاه بمحكم آياته . وقال المؤرج : الامنية الفكرة ، بلغته قريش . وقال مجاهد : كان النبي (ص) إذا تأخر عنه الوحي تمنى أن ينزل عليه فيلقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته . وقال ابو علي الجبائي : إنما كان يغلط في القراءة سهواً فيها ، وذلك جائز على النبي ، لانه سهو لا يعرى منه بشر ، ولا يلبث ان ينبهه الله تعالى عليه . وقال غيره : إنما قال ذلك في تلاوته بعض المنافقين عن اغواء الشياطين ، وأوهم أنه من القرآن . وقال الحسن : إنما قال : هي عند الله كالغرائق العلى ، يعني الملائكة في قولكم ، وإن شفاعتهن لترجى في اعتقادكم . والتمني في الآية معناه التلاوة ، قال الشاعر :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر (٢)

وقال الجبائي : إنما سها النبي (ص) في القراءة نفسها . فأما الرواية بأنه قرأ تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فلا أصل لها ، لأن مثله لا يغلط على طريق السهو ، وإنما يغلط في التشابه .

وقوله « فينسخ الله ما يلقي الشيطان » أي يزيل الله ما يلقيه الشيطان من الشبهة « ثم يحكم الله آياته » حتى لا يتطرق عليها ما يشعشها . وقال البلخي : ويجوز أن يكون النبي (ص) سمع هاتين الكلمتين من قومه وحفظهما فلما قرأ النبي (ص) وسوس بهما اليه الشيطان ، وألقاهما في فكره ، فكاد أن يجربهما على لسانه ، فعصمه الله ، ونبهه ، ونسخ وسواس الشيطان ، وأحكم آياته ، بأن قرأها النبي (ص) محكمة

(١) سورة ٥٣ النجم آية ١٩ - ٢٠ (٢) مر هذا البيت في ١ / ٣١٩

سليمة مما أراد الشيطان . ويجوز أن يكون النبي (ص) حين اجتمع اليه القوم ، واقترحوا عليه أن يترك ذكر آلهتهم بالسوء ، أقبل عليهم بعضهم ويدعوهم الى الله ، فلما انتهى رسول الله الى ذكر اللات والعزى . قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً بها صوته ، فألقاهما في تلاوته في غمار من القوم وكثرة لفظهم ، فظن الكفار ان ذلك من قول النبي ، فسجدوا عند ذلك .

وقوله « والله عليم حكيم » معناه إنه عالم بجميع المعلومات ، واضع الاشياء مواضعها . والآية تدل على أن كل رسول نبي ، لأنه تعالى ذكر أنه أرسلهم ، وانما قال من رسول ولا نبي ، لاختلاف المعنيين ، لأن الرسول يفيد أن الله أرسله ، والنبي يفيد أنه عظيم المنزلة يخبر عن الله . وقد قال بعض المفسرين : إن المراد بالتمني في الآية تمني القلب ، والمعنى انه ما من نبي ولا رسول إلا وهو يتمنى بقلبه ما يقربه الى الله من طاعاته ، وإن الشيطان يلقي في أميته بسوسته واغوائه ما ينافي ذلك ، فينسخ الله ذلك عن قلبه بأن يلفظ له ما يختار عنده ترك ما اغواه به .

وقوله « ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض » بيان من الله تعالى أنه يجعل ما يلقيه الشيطان من الأمانة فتنة ، فمضى (ليجعل) يحتمل امرين : احدهما - الحكم والتسمية ، كما تقول جعلت حسني قبيحاً ، ويكون المراد انه ينسخ ما يلقي الشيطان طلباً للفتنة والاغواء .

والثاني - انه أراد ليجعل نسخ ما يلقي الشيطان فتنة ، لأن نفس فعل الشيطان لا يجعله الله فتنة ، لأن ذلك قبيح ، والله تعالى منزّه عن القبايح اجمع ، فمعنى الفتنة في الآية الحنة ، وتغليظ التكليف « للذين في قلوبهم مرض » أي شك ونفاق وقلة معرفة « والقاسية قلوبهم » يعني من قسى قلبه عن اتباع الحق . وقيل : هم الظالمون . ثم اخبر تعالى « إن الظالمين » لنفوسهم « اني شقاق بعيد » أي مشاقفة

بعيدة من الله تعالى ، وبين انه يفعل ذلك « ليعلم الذين أوتوا العلم » بالله وصفته وأن أفعاله صواب « انه الحق من ربك » فيصدقوا به « فتخبت له قلوبهم » أي تظلمن اليه وتسكن . وبين ان الله تعالى يهدي من يؤمن الى صراط مستقيم ، بأن يلفظ له ما يعلم انه يهتدي عنده « الى صراط مستقيم » .

ثم قال « ولا يزال الذين كفروا في مرية منه » يعني من القرآن . ومعناه الاخبار عن علم الله تعالى من الكفار انهم لا يؤمنون بالآية خاصة . وهو قول ابن جريج إلا أن « تأتيهم الساعة » يعني القيامة « بغتة » أي فجأة . وعلى غفلة « أو يأتيهم عذاب يوم عقيم » قال الضحاك : هو عذاب يوم القيامة . وقال مجاهد وقتادة : هو عذاب يوم بدر . وقيل معنى « عقيم » أي لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة قال الشاعر :

عقم النساء بأن يلدن شبيهه إن النساء بمثله لعقيم (١)

قوله تعالى:

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَأَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ
قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا كَبُرَتْ رِزْقُهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ (٥٨) كَيْدِخَلْنَهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ

حَلِيمٌ (٥٩) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ
كَيْمُصْرًا نَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ خمس آيات بلا خلاف .

قرأ ابن عامر « ثم قتلوا » بالتشديد . الباقرن بالتخفيف . من شدد أراد
التكثير . ومن خفف ، فلا نه يحتمل القليل والكثير .

يقول الله تعالى إن الملك في اليوم الذي وصفه بأنه « عقيم » وانه لا مثل له
في عظم الاهوال ، فيه الملك لله تعالى وحده . لملك لاحد معه . وانما خص ذلك به ،
لأن في الدنيا قد ملك الله تعالى أقواماً أشياء كثيرة . والملك اتساع المقدور لمن له
تدبير الأمور ، فالله تعالى يملك الأمور لنفسه ، وكل مالك سواه ، فانما هو مملك له
بحكمه ، اما بدليل السمع او بدليل العقل .

وقوله ﴿ يحكم بينهم ﴾ أي يفصل في ذلك اليوم بين الخلائق ، وينصف بينهم
في الحكم ، والحكم الخبر بالمعنى الذي تدعو اليه الحكمة ، ولهذا قيل : الحكم له ، لأن
كل حاكم غيره ، فانما يحكم باذنه واعلام من جهته إما من جهة العقل او جهة السمع .
ثم اخبر تعالى ان ﴿ الذين آمنوا ﴾ اي صدقوا بوحدايته ، وصدقوا أنبياءه
﴿ وعملوا الصالحات ﴾ التي أمر الله بها انهم ﴿ في جنات النعيم ﴾ منعمين فيها .
﴿ وإن الذين كفروا ﴾ اي جحدوا ذلك ﴿ وكذبوا ﴾ بآيات الله ، فان لهم عذاباً
مهيئاً ، يهينهم ويذلهم . والهوان الاذلال بتصغير القدر ، ومثله الاستخفاف
والاحتقار ، أهانه يهينه إهانة فهو مهان مذلل .

وقيل نزلت الآية في قوم من المشركين أتوا جماعة من المسلمين ، فقاتلوهم في
الاشهر الحرم بعد ان نهام المسلمون عن ذلك ، فأبوا ، فنصروا عليهم . وقيل
إن النبي (ص) عاقب بعض المشركين لما مثلوا بقوم من اصحابه يوم أحد .

وقوله ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ﴾ يعني الذين خرجوا من ديارهم
 وأوطانهم بغضاً للمشركين الذين كانوا يؤذونهم بمكة ﴿ ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم
 الله رزقاً حسناً ﴾ يعني الجنة ﴿ وإن الله لهو خير الرازقين ﴾ ثم أقسم تعالى أنه ليدخلن
 هؤلاء المهاجرين في سبيل الله الذين قتلوا ﴿ ليدخلنهم مدخلا برضونه ﴾ ويؤثرونه
 يعني الجنة ، وما فيها من أنواع النعيم . وقرأ نافع « مدخلا » بفتح الميم ، يريد المصدر
 أو اسم المكان ، وتقديره : ليدخلنهم فيدخلون مدخلا برضونه أو مكاناً برضونه .
 والباقون بضم الميم وهو الأجود ، لأنه من ادخل يدخل مدخلا لقوله ﴿ وأدخاني
 مدخل صدق ﴾ (١) وإن الله لعليم بأحوالهم ، حلیم عن معاجلة الكفار بالعقوبة .
 وقوله ﴿ ذلك ومن عاقبت بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ﴾ قيل
 نزلت في قوم من المشركين اتقوا جماعة من المسلمين . فقاتلهم في الأشهر الحرم بعد أن
 نهام المسلمون عن ذلك ، فأبوا . فنصروا عليهم . وقيل : إن النبي (ص) عاقب
 بعض المشركين لما مثلوا بقوم من أصحابه يوم أحد ، والأول لم يكن عقوبة ، وإنما هو
 كفولهم الجزاء بالجزاء . والاول ليس بجزاء ، وإنما هو لازدواج الكلام .
 قوله تعالى :

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي
 اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٦١) ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ
 مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ
 أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ

لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥) خمس آيات بلاخلاف

قرأ أهل العراق إلا أبا بكر « وإن ما يدعون » بالياء . الباقون بالتاء . معنى
ذلك ان « ذلك » الأمر « بأن الله يولج الليل في النهار » أي يدخل الليل على
النهار ، والايلاج الادخال باكره ، ولج يلج ولوجاً وأولج إيلاجاً واتلج اتلاجاً .
وانما قال يولج الليل في النهار - ههنا - لأن ذلك يقتضي أن ذلك صادر من مقتدر
لولاه لم يكن كذلك . وقيل : معنى « يولج الليل في النهار » أن يدخل ما انتقص من
ساعات الليل في النهار ، وما انتقص من ساعات النهار في الليل . ومعنى « وإن الله
سميع بصير » - ههنا - أنه يسمع ما يقول عباده في هذا بصير به ، لا يخفى عليه شيء
منه حتى يجازي به .

وقوله « بأن الله هو الحق » وصفه بأنه الحق يحتمل أمرين :

احدهما - انه ذو الحق في قوله وفعله .

الثاني - انه الواحد في صفات التعظيم التي من اعتقدها ، فهو محق .

وقوله « وإن ما يدعون من دونه هو الباطل » من قرأ بالتاء خاطب بذلك
الكفار . ومن قرأ بالياء أخبر عنهم بأن ما يدعون من دون الله من الاصنام والاورثان
هو الباطل ، على الحقيقة « وإن الله هو العلي الكبير » فالعلي القادر الذي كل شيء
سواه تحت معني صفته ، بأنه قادر عليه ، ولا يجوز وصفه بـ (رفيع) على هذا المعنى ،

لان صفة علي منقولة اليه ، ولم تنقل صفة (رفيع) ووصفه بأنه الكبير ، فيسد أن كل شيء سواه يصغر مقداره عن معنى صفته ، لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء ، العالم الذي لا يخفى عليه شيء .

وقوله « ألم تر » خطاب للنبي (ص) والمراد به جميع المكلفين يقول الله لهم ألم تعلموا « أن الله أنزل من السماء ماء » يعني غيثاً ومطراً « فتصبح الارض » بذلك « مخضرة » بالنبات « ان الله لطيف خبير » فاللطيف معناه أنه المختص بدقيق التدبير الذي لا يخفى عنه شيء ولا يتعذر عليه ، فهو لطيف باستخراج النبات من الارض بالماء ، وابتداع ما يشاء « خبير » بما يحدث عنه وما يصلح له . وقوله « فتصبح الارض » انما رفع (فتصبح) لانه لم يجعله جواباً الاستفهام ، لان الظاهر وإن كان الاستفهام فالمراد به الخبر ، كأنه قال : قد رأيت أن الله ينزل من السماء ماء ، فتصبح الارض مخضرة ، إلا انه نبه على ما كلف رآه ليتأمل ما فيه قال الشاعر :

ألم تسأل الربيع القواء فينطق وهل يخبرنك اليوم بيداً سملق (١)
لان المعنى قد سألته فنطق . ثم أخبر تعالى أن « له » ملك « ما في السماوات وما في الارض » لا ملك لاحد فيه . ومعناه إن له التصرف في جميع ذلك لا اعتراض عليه . وأخبر « إن الله هو الغني الحميد » فالغني هو الحي الذي ليس بمحتاج ، فهو تعالى المختص بأنه لو بطل كل شيء سواه لم تبطل نفسه القادرة العالمة ، الذي لا يجوز عليه الحاجة بوجه من الوجوه ، وكل شيء سواه يحتاج اليه ، لانه لولاه لبطل ، لانه لا يخلو من مقدوره أو مقدور مقدوره . و (الحميد) معناه الذي يستحق الحمد على أفعاله ، وهو بمعنى انه محمود .

ثم قال « ألم تر » يا محمد والمراد بجميع المكلفين « ان الله سخر لكم ما في الأرض من الجناد والحيوان اي قد ذلله لكم ، تنصرفون فيه كيف شئتم ، وينقاد لكم ، على ما تؤثرونه . وان الفلك تجري في البحر بأمر الله اي بفعل الله ، لانها تسير بالريح ، وهو تعالى المجري لها » بمسك السماء أن تقع على الأرض) أي يمنعها من الوقوع على الأرض ، ولا يقدر على إمساكها أحد سواه مع عظمها وثقلها « الا باذنه » اي لا تقع السماء على الأرض إلا اذا أذن الله في ذلك بأن يريد ابطالها واعدامها . ومعنى (أن تقع) ألا تقع . وقيل معناه كراهية أن تقع . ثم أخبر انه تعالى ﴿ بالناس لرؤف رحيم ﴾ أي متعطف منعم عليهم .

قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ (٦٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ (٧٠) خمس آيات بلاخلاف .

لما ذكر الله تعالى انه الذي سخر للخلق ما في الارض من الحيوان وذلها لهم واجرى ﴿ ج ٧ م ٤٣ من التبيان ﴾

الفلك في البحر ، كنا عنه بأن قال « وهو الذي أحياكم » ايضاً بعد ان لم تكونوا كذلك ، يقال أحياء الله ، فهو محي له « ثم يميتكم » بعد هذا الاحياء « ثم يحييكم » يوم القيامة للحساب إما الى الجنة ، وإما الى النار . ثم اخبر عن الانسان بأنه (كفور) أي جحود لنعم الله بما فعل به من انواع النعم ، وجحوده ما ظهر من الآيات الدالة على الحق في كونه قادراً على الاحياء والاماتة . والاحياء بعدها ، لا يعجزه شيء من ذلك .

ثم اخبر تعالى أن « لكل أمة منسكاً » أي مذهباً « هم ناسكوه » أي يلزمهم العمل به . وقيل : المنسك جميع العبادات التي أمر الله بها . وقيل : المنسك الموضع المعتاد لعمل خير او شر ، وهو المؤلف لذلك . ومناسك الحج من هذا ، لأنها مواضع العبادات فيه ، فهي متعبدات الحج . وفيه لغتان . فتح السين ، وكسر ها . وقال ابن عباس « منسكاً » اي عيداً . وقال مجاهد وفتادة : متعبداً في إرافة الدم بمنى ، وغيرها . وقوله « فلا ينزاعنك في الامر » لانهم كانوا يقولون : أتأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله . وقيل « لا ينزاعنك في الأمر » نهي لهم عن منازعة النبي (ص) وقيل : نهي له لان المنازعة تكون من اثنين . فاذا وجه النهي الى من ينزعه ، فقد وجه اليه . وقرئ « فلا ينزاعنك » والمعنى لا يغلبنك على الامر .

ثم قال لنبيه (ص) « وادع الى ربك » يا محمد « انك لعلي هدى مستقيم » أي على طريق واضح . ثم قال « وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » معناه إن جادلوك على وجه المراء والتعننت الذي يعمله السفهاء ، فلا تجادلهم على هذا الوجه ، وادفعهم بهذا القول . وقل « الله أعلم بما تعملون » وهذا أدب من الله حسن ، ينبغي أن يأخذ به كل احد « الله يحكم بينكم » أي يفصل بينكم « يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » من توحيد الله وصفاته واخلاص عبادته ، والأناشرك به غيره .

ثم قال لنبيه (ص) « ألم تعلم » والمراد به جميع المكلفين « أن الله يعلم ما في السماء والارض » من قليل وكثير ، لا يخفى عليه شيء . من ذلك « إن ذلك في كتاب » يعني مثبتاً في اللوح المحفوظ الذي أطلع عليه ملائكته « إن ذلك على الله يسير » أي سهل غير متعذر .

قوله تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِعَسِّ الْمَصِيرُ (٧٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٧٥) خمس آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى مخبراً عن حال الكفار الذين يعبدون مع الله الاصنام ، والوثان :

انهم « يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً » أي لاحجة ولا برهاناً ، وإنما قيل للبرهان سلطان ، لأنه يتسلط على انكار المنكر ، فكل محق في مذهبه ، فله برهان يتسلط به على الانكار لمذهب خصمه .

وقوله « وما ليس لهم به علم » معناه ولا هو معلوم لهم ايضاً من جهة الدلالة ، لان الانسان قد يعلم صحة أشياء يعمل بها من غير برهان أدى اليها كعمله بوجوب شكر المنعم ، ووجوب رد الوديعة ، ومدح المحسن وذم المسيء ، وغير ذلك ، مما يعلمه بكامل عقله ، وإن لم يكن معلوماً بحجة ، فلذلك قال « وما ليس لهم به علم » .
ثم اخبر أنه ليس « للظالمين » أنفسهم بار تكلم المعاصي وترك المعرفة بالله من ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله إذا نزل بهم .

ثم اخبر تعالى عن حال الكفار وشدة عنادهم ، فقال « واذا تتلى عليهم آياتنا » يعني من القرآن وغيره من حجج الله تعالى الظاهرات البينات « تعرف » يا محمد « في وجوه الذين كفروا » بنعم الله ، وجمعدوا ربوبيته « المنكر » من القول « يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » فالسطوة اظهار الحال الهائلة للاخافة . يقال : سطا عليه سطوة وسطواً وسطا به ايضاً فهو ساط . والانسان مسطوب به . والانسان يخاف سطوات الله ونقماته . والسطوة والاستطالة والبطشة نظائر في اللغة . والمعنى إن هؤلاء الكفار إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم ، قاربوا أن يوقعوا بمن يتلوها المكروه .

ثم قال لنبيه (ص) « قل » يا محمد « أفأنبؤكم بشر من ذلكم » أي بشر من اعتدائكم على التالي لآيات الله . وقيل : بشر عليكم مما يلحق التالي منهم . ثم ابتداء فقال « النار وعدّها الله الذين كفروا وبش المصير » وقيل التقدير كل قائل قال بما ذلك الشر ؟ فقيل « النار وعدّها الله الذين كفروا وبش المصير » أي بش

الموضع ، وكان يجوز في (النار) الجر على البذل من (ذلكم) لأنه في موضع جر بـ (من) وكان يجوز النصب بمعنى أعرفكم شراً من ذلكم النار ، والذي عليه القراء الرفع . ثم اخبر تعالى عن النار بأن الله وعدها الذين كفروا وبئس المرجع .
ثم خاطب جميع المكلفين من الناس ، فقال « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » يعني ضرب مثل ، جعل ، كقولهم ضرب على أهل الذمة الجزية ، لأنه كالتثنية شبهه بالضرب المعروف ، وكذلك الضربة . والمثل : شبه حال الثاني بالأولى في الذكر الذي صار كالعلم . ومن حكم المثل أن لا يتغير ، لأنه صار كالعلم . كقولهم « أطري انك فاعلة » .

ثم قال « إن الذين تدعون من دون الله » قرأ يعقوب بالياء على الخبر الباقون بالياء على الخطاب ، كقوله « يا أيها الناس » . والذي عبده من دون الله الأصنام والأوثان « لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » على ذلك وعاون بعضهم بعضاً مع صغر الذباب ، فكيف بالعظيم من الأشياء . ثم زاد في ضرب المثل ، فقال « وإن يسلبهم الذباب شيئاً ٠٠٠ » يعني هؤلاء الكفار ، ومن جرى مجراهم لو سلبهم الذباب شيئاً وطار ، لما قدروا على استنقاذه منه وتخليصه من يديه . ثم اخبر تعالى بأنه « ضعف الطالب » يعني من الأوثان « والمطلوب » من الذباب - وهو قول ابن عباس - ولم يأت بالمثل ، لأن في الكلام دلالة عليه ، كأنه قال يا أيها الناس مثلكم مثل من عبد آلهة اجتمعت لأن تخلق ذباباً ، فلم يقدروا عليه ، وإن يسلبها الذباب شيئاً ، فلم تستنقذه منه . ومثل ذلك في الحذف قول امرئ القيس :

وجسدك لو شيء اتانا رسوله
سواك ولكن لم نجد عنك مدفعاً (١)
وتقديره لو اتانا رسول غيرك لرددناه وفعلنا به ، ولكن لم نجد عنك مدفعاً ،

(١) شرح ديوانه ١٣١ وقد مر في ٥/٥٢٩ و ٦/٢٥٣ مع اختلاف يسير

فاختصر لدلالة الكلام عليه . وقال قوم : اراد أن الكافرين جعلوا لي الامثال من الاصنام التي عبدوها فاستمعوا لما ضرب لي من الامثال . ثم أخبر عنها كيف هي ، وكيف بعدها مما جعلوه مثلاً ، ويدل عليه قوله « ما قدروا الله حق قدره » واختلفوا في معنى « ما قدروا الله حق قدره » فقال الحسن : معناه ما عظموه حق عظمته ، إذ جعلوا له شريكاً في عبادته . وهو قول المبرد والفراء . وقال قوم : معناه ما عرفوه حق معرفته . وقال آخرون : ما وصفوه حق صفته . وهو مثل قول أبي عبيدة . قال : يقول القائل : ما عرفت فلاناً على معرفته ، أي ما عظمته حق تعظيمه .

وفي ذلك دلالة على أن من جوز عبادة غير الله فهو كافر ، وكذلك من جوز ان يكون المنعم - بخلق النفس ، والبصر ، والسمع ، والعقل - غير الله ، فهو كافر بالله . ثم أخبر تعالى عن نفسه ، فقال « ان الله لقوي » أي قادر على ما يصح ان يكون مقدوراً « عزيز » لا يقدر احد على منعه .

ثم قال تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلاً » أي يختار منهم من يصلح للرسالة « ومن الناس » أي ويختار من الناس ايضاً مثل ذلك . وفي ذلك دلالة على انه ليس جميع الملائكة رسلاً ، لأن (من) للتبويض عند اهل اللغة ، وكما ان الناس ليس جميعهم أنبياء . فكذلك الملائكة .

وقوله « ان الله سميع بصير » أي يسمع جميع ما يدرك بالسمع من الاصوات ودعاء من يدعوه خالصاً ، ودعاء من يدعو على وجه الاشرار به بصير بأحوالهم .

قوله تعالى

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنَبِّئُكُمْ إِنَّ بَرُهَيْمَ هُوَ سَمِيُّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مَنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ثلاث آيات بلاخلاف

لما اخبر الله تعالى عن نفسه بأنه « سميع بصير » وصف أيضاً نفسه بأنه « يعلم ما بين أيديهم » يعني ما بين أيدي الخلائق من القيامة وأحوالها ، وما يكون في مستقبل أحوالهم ، « وما خلفهم » أي وما يخلفونه من دنياهم . وقال الحسن : يعلم ما بين أيديهم : أول أعمالهم ، وما خلفهم آخر أعمالهم « واليه ترجع الأمور » يعني يوم القيامة ترجع جميع الأمور إلى الله تعالى بعد أن كان ملكهم في دار الدنيا منها شيئاً كثيراً .

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا » أي صلوا ، على ما أمرتكم به ، من الركوع والسجود فيها ﴿ واعبدوا ربكم ﴾ الذي خلقكم ولا تشركوا به شيئاً ﴿ وافعلوا الخير ﴾ والخير النفع الذي يجلب موقفه ، وتعم السلامة به ، وتقيضه الشر ، وقد أمر الله بفعل الخير ، ففعله طاعة له .

وقوله ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي افعلوا الخير لكي تنفوزوا بثواب الجنة وتتخلصوا من عذاب النار . وقيل معناه افعلوه على رجاء الصلاح منكم بالدوام على افعال الخير واجتناب المعاصي والفوز بالثواب .

ثم أمرهم بالجهاد فقال ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ قال ابن عباس : معناه

جاهدوا المشركين ، ولا تخافوا في الله لومة لائم ، وقال الضحاك : معناه اعملوا بالحق لله حق العمل .

وقوله ﴿ هو اجتباكم ﴾ فالاجتبا هو اختيار الشيء ، لما فيه من الصلاح . وقيل : معناه اختاركم لدينه ، وجهاد اعدائه . والحق يجتبي ، والباطل يتقى ، ولا بد أن يكون ذلك خطاباً متوجهاً الى من اختاره الله بفعل الطاعات . دون أن يكون ارتكب الكبائر الموبقات . وإن كان سبق منه جهاد في سبيل الله .

وقوله ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ معناه لم يجعل عليكم ضيقاً في دينكم ، ولا مالا يخرج منه . وذلك أن منه ما يتخلص منه بالتوبة ، ومنه ما يتخلص منه برد المظلمة ، وليس في دين الاسلام مالا سبيل الى الخلاص من عقابه . وفيه من الدليل - كالذي في قوله ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ (١) - على فساد مذهب المجبرة في العدل . ومثله قوله ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (٢)

وقوله ﴿ ملة ابيكم ابراهيم ﴾ يحتمل نصب (ملة) وجهين : احدهما - اتبعوا ﴿ ملة ابيكم ﴾ وإلزموا ، لان قبله ﴿ جاهدوا في الله حق جهاده ﴾ والآخر - كلمة ابيكم إلا انه لما حذف حرف الجر اتصل الاسم بالفعل فنصب . وقال الفراء : نصبه بتقدير : وسع ملتكم ، كما وسع ملة ابيكم . وقوله ﴿ ملة ابيكم ابراهيم ﴾ معناه انه يرجع جميعهم الى ولادة ابراهيم ، وافاد هذا ان حرمة ابراهيم على المسلمين كحرمة الوالد على الولد ، كما قال ﴿ وازواجه امهاتهم ﴾ (٣) - في قول الحسن .

وقوله « هو سماكم المسلمين » قال ابن عباس ومجاهد : الله سماكم المسلمين ، فهو كناية عن الله . وقال ابن زيد : هو كناية عن ابراهيم وتقديره ابراهيم سماكم المسلمين

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٢٠ (٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٨٦

(٣) سورة ٣٣ الاحزاب آية ٦

بدليل قوله « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (١) .

وقوله « من قبل » اي من قبل القرآن . - في قول مجاهد - وقيل : ملة ابراهيم داخله في ملة محمد (ص) ، فلذلك قال « ملة ايكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . وفي هذا » يعني القرآن . وقال السدي : معناه : وفي هذا الأوان ليكون الرسول شهيدا عليكم بطاعة من أطاع في تبليغه ، وعصيان من عصى « وتكونوا شهداء على الناس » بأعمالهم في ما بلغتهم من كتاب ربهم وسنة نبينهم . ثم أمرهم باقامة الصلاة ، فقال « فاقموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله » أي بدين الله الذي لطف به لعباده - في قول الحسن - وقيل : معناه امتنعوا بالله من أعدائكم « هو مولاكم » أي أولى بكم ، وتبديركم ، وتصريفكم « فنعم » ما لكم « المولى » يعني الله « ونعم النصير » أي الناصر ، والدافع عن الخلق الله تعالى . وقيل : « نعم المولى » من لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه « ونعم النصير » حين أعانكم لما أطمعتموه .

وروي أن الله أعطى هذه الأمة ثلاث اشياء لم يعطها أحداً من الامم : جعلها الله شهيداً على الامم الماضية ، وقال لهم « ما جعل عليكم في الدين من حرج » (٢) وقال ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ (٣) .

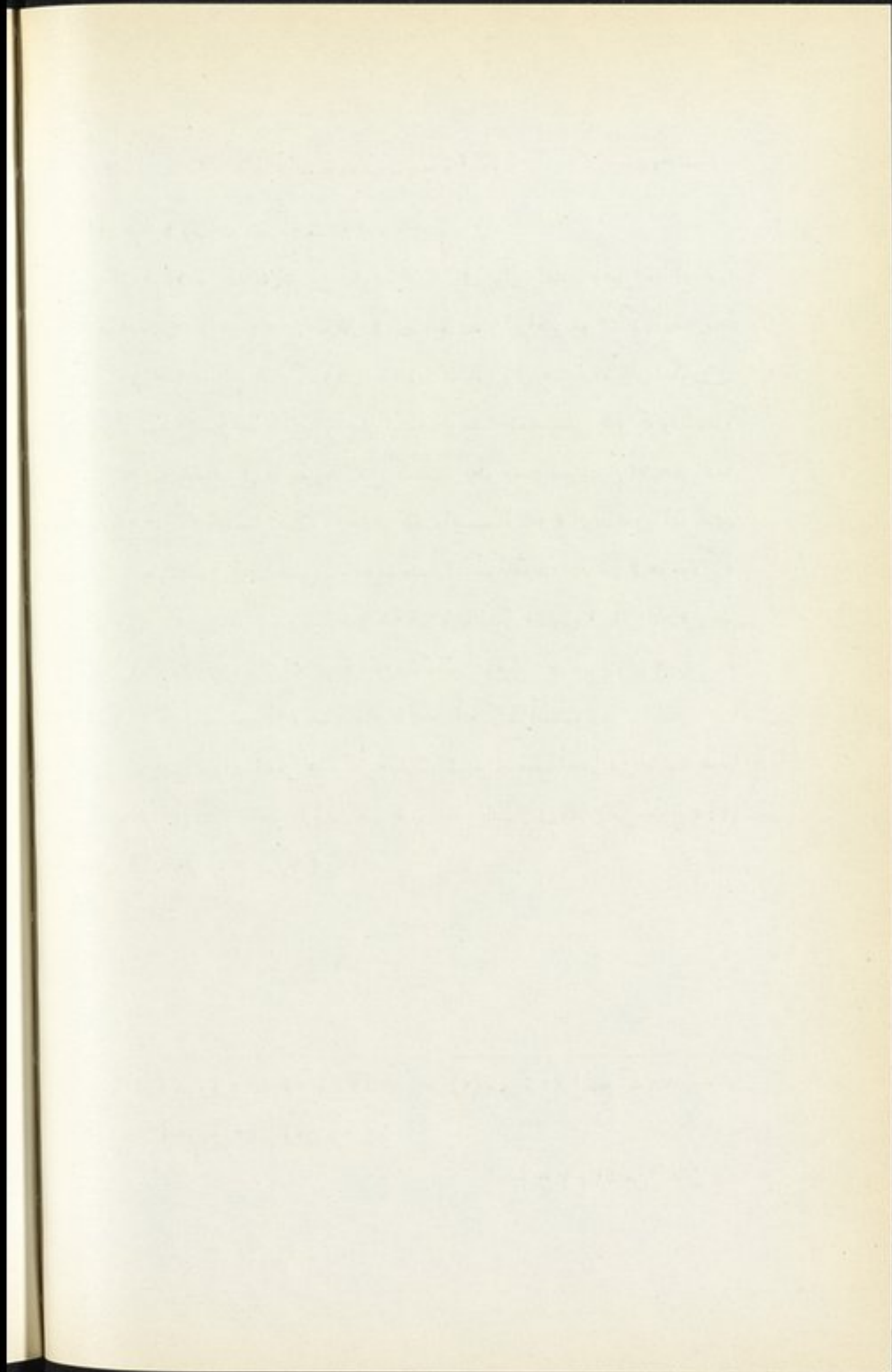
* * *

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٧٨

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٢٨

(٣) سورة ٤٠ المؤمن آية ٦٠

﴿ ج ٧ م ٤٤ من التبيان ﴾



٢٣ - سورة المؤمنون

مكية بلا خلاف ، وهو قول فتادة ومجاهد : وهي مئة وثمان عشرة آية في الكوفي ، وتسع عشرة في البصري ، والمدنيين ، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، إلا ما روي أنهم كانوا يجيزون الالتفات يمينا وشمالا وإلى ما وراء نسخ ذلك بقوله « في صلاتهم خاشعون » فلم يجيزوا أن ينظر المصلي إلا إلى موضع سجوده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ آتَبَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ (٧) سبع آيات

يقول الله تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ أي فازوا بثواب الله ، الذين صدقوا

بالله واقروا بوجدانيته وصدقوا رسله . وقيل : معناه ، قد سعدوا ، قال لبيد :

فاعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد أفلح من كان عقل (١)

وقيل معنى ﴿ أفلح ﴾ بقي أي بقيت أعمالهم الصالحة ، ومنه قولهم (حي على الفلاح) أي على بقاء أعمال الخير ، ومعنى (قد) تقريب الماضي من الحال ، فدل على أن فلاحهم قد حصل بما هم عليه في الحال ، وهذا أبلغ في الصفة من تجريد ذكر الفعل . ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف ، فقال ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ أي خاضعون متذللون لله فيها . وقيل : معناه يسعون ، يتقبلون على الصلاة بالخضوع والتذلل لربهم . وقيل : معناه خائفون . وقال مجاهد : هو غض الطرف وخفض الجناح . وقيل : أن ينظر المصلي الى موضع سجوده . وكان النبي (ص) يرفع بصره الى السماء . فلما نزلت هذه الآية طأطأ رأسه ، ونظر الى مصلاه . والخشوع في الصلاة هو الخضوع بجمع الهمة لها ، والاعراض عما سواها ، لتدبر ما يجري فيها : من التكبير ، والتسبيح ، والتحميد لله ، وتلاوة القرآن . وهو موقف الخاضع لربه الطالب لمرضاه بطاعته .

ثم زاد في صفاتهم فقال ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ واللغو هو القول والفعل الذي لا فائدة فيه يعتديها ، وهو قبيح على هذا الوجه . وقال ابن عباس : اللغو - ههنا - الباطل . وقال السدي : هو الكذب . وقال الكلبي هو الحلف . وحكى النقاش : انهم نهوا عن سباب الكفار إذا سبوا ، وعن محادثتهم .

ثم قال ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ أي يؤدون ما يجب عليهم في أموالهم من الصدقات ، وصميت زكاة ، لأنه يزكو بها المال عاجلاً وآجلاً . ثم قال ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ قيل عنى بالفروج - ههنا - فرج الرجل خاصة بدلالة قوله ﴿ الاعلى أزواجهم

أو ما ملكت إيمانهم) ثم استثنى من الحافظين لفروجهم من لا يحفظ فرجه عن زوجته، أو ما تملك يمينه من الأماء على ما أباحه الله له، لأن التزويج ينبغي أن يكون، على وجه اباحة الله تعالى. و (ملك اليمين) في الآية المراد به الأماء لأن الذكور من الممالك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم. ومن ملك الأيمان، لا يجمع بين الاختين في الوطى، ولا بين الأم والبنت. وكل ما لم يجز الجمع بينهم في العقد، فلا يجوز الجمع بينهم في الوطى. بملك اليمين. ولا يخرج من الآية وطؤ المتمتع بها، لأنها زوجة عندنا، وإن خالف حكمها حكم الزوجات في احكام كثيرة، كما أن حكم الزوجات مختلف في نفسه. وذكره تعالى هذه الاوصاف ومدحه عليها يكفي ويغني عن الأمر بها، لما فيها من الترغيب كالتريغيب في الأمر، وأنها مرادة، كما أن المأثور به مراد، وكلها واجب.

وانما قيل للجارية (ملك يمين) ولم يقل في الدار (ملك يمين) لأن ملك الجارية أخص من ملك الدار إذ له نقض بنية الدار، وليس له نقض بنية الجارية، وله عارية الدار، وليس له عارية الجارية، حتى توطأ بالعارية، فلذلك خص الملك في الأمة، وانما قال «إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فانهم غير ملومين» مع تحريم وطئها على وجوه: كتحريم وطئ الزوجة. والأمة في حال الحيض، ووطئ الجارية إذا كان لها زوج، أو كانت في عدة من زوج. وتحريم وطئ المظاهرة قبل الكفارة، لأن المراد بذلك على ما يصح ويجوز، مما بينه الله، وبينه رسوله في غير هذا الموضع، وحذف لأنه معلوم، وهي من الأمور العارضة في هذه الوجوه أيضاً، فإن من وطئ الزوجة أو الأمة في الأحوال التي حرم عليه وطؤها، فإنه لا يلزمه اللوم من حيث كانت زوجة أو ملك يمين وإنما يستحق اللوم من وجه آخر. واللوم والذم واحد، وضدهما الحد والمدح.

ثم قال تعالى « فمن ابتغى وراء ذلك » ومعناه من طلب سوى ذلك يعني الزوجية ، وملك اليمين ، فهو عاد . والابتغاء والبغية الطلب . والبغاء طلب الزنا ، والباني طالب الاعتداء . و (العادون) هم الذين يتعدون الحلال الى الحرام . وقوله « وراء » - ههنا - قيل : معناه غير . وقال الفراء معناه « إلا على أزواجهم » إلا من أزواجهم « أو ما ملكت أيمانهم » في موضع خفض .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١) أربع آيات بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وحده « لأمانتهم » على التوحيد . الباقيون « لأماناتهم » على الجمع ، لقوله « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » (١) وقرأ ابن كثير ذلك اختياراً ليطابق قوله « وعهدهم » . وقرأ حمزة والكسائي ﴿ على صلواتهم ﴾ على التوحيد ، لان الصلاة اسم جنس يقع على القليل والكثير ، فكذلك قوله ﴿ أمانتهم ﴾ والاصل فيه المصدر كالعامل . الباقيون ﴿ صلواتهم ﴾ على الجمع ، ومن جمع جملة بمنزلة الاسم ، لاختلاف أنواعها . لقوله ﴿ حافظوا على الصلوات ﴾ (٢) قال ابو علي النحوي : الجمع أقوى ، لأنه صار اسماً شائعاً شرعياً ، وقد بينا الوجه فيه .

ثم زاد الله تعالى في صفات المؤمنين الذين وصفهم بالفلاح فقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ﴿ ومعناه الذين يراعون الأمانات التي يؤتمنون عليها ولا

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٣٨

(١) سورة ٤ النساء آية ٥٧

يخزنون فيها ، ويحفظون ما يعاهدون عليه من الأيمان والندور ، فلا يحنثون ولا ينكثون . والمراعات قيام الراعي باصلاح ما يتولاه . ثم قال ﴿ والذين هم ﴾ على صلواتهم يحافظون ﴾ أي لا يضيعونها . ويواظبون على أدائها . وفي تفسير أهل البيت إن معناه : الذين يحافظون على مواقيت الصلوات فيؤدونها في أوقاتها ، ولا يؤخرونها حتى يخرج الوقت . وبه قال مسروق وجماعة من المفسرين . وإنما أعيد ذكر الصلاة - هنا - لأنه أمر - هنا - بالمحافظة عليها ، كما أمر بالخشوع فيها ، في ما تقدم ، كما أعيد ذكر الفلاح ، لأنه يجب بالتحصيل المذكورة بعده كما وجب في - سورة البقرة - (١) بالتحصيل المذكورة قبله .

ثم اخبر تعالى عن اجتمعت فيه هذه التحصيل ، فقال ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ وقيل في معناه قولان :

احدهما - انه يؤل أمره الى النعيم في الجنة ، ويملك ما يعطيه الله ، كما يؤل أمر الوارث الثاني - روى أبو هريرة عن النبي (ص) أنه قال (ما منكم أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فان مات على الضلال ورث منزله أهل الجنة ، وإن مات على الأيمان ، ورث هو منزل أهل النار) . وقال مجاهد : يهدم منزله في النار ، ثم وصف الله تعالى الوارثين ، فقال ﴿ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ وحقبة الارث ملك ما يتركه الميت لمن بعده ، بمن هو أولى به في حكم الله ، فهذا أصله ، ثم يشبه به ، فيقال : ورث فلان علم فلان أي صار اليه ، ومعنى ﴿ يرثون الفردوس ﴾ أي بصيرون اليها بعد الاحوال المتقدمة . والفردوس البستان الذي يجمع محاسن النبات . وقيل أصله رومي . وقيل : بل هو عربي ووزنه (فعلول) وقيل الفردوس البستان . الذي فيه كرم قال جرير :

ما بعد يبرين من باب الفرائد (١)

وقال الجبائي (يريون الفردوس) على التشبيه بالميراث المعروف من جهة الملك الذي ينتهي اليه أمره .

قوله تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النَّسْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) خمس آيات بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم «عظاماً» في الموضعين على التوحيد . الباقيون على الجمع . فمن وحد ، فلأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير . ومن جمع ، فلقوله «أإذا كنا عظاماً ورفاتا» (٢) وقوله «أإذا كنا عظاماً نخرة» (٣) وقوله «من يحيي العظام» (٤) وما أشبه ذلك .

(١) ديوانه ٢٥٠ وصدوره : (فقلت للرحل إذ جد الرحيل بنا) ويبرين اسم

بلد من بلاد بني سعد . وباب الفرائد بدمشق .

(٢) سورة ١٧ الاسرى آية ٤٩ ، ٩٨ (٣) سورة ٧٩ النازعات آية ١١

(٤) سورة ٣٦ يس آية ٧٨

يقول الله تعالى على وجه القسم، انه : خلق « الانسان من سلالة من طين »
فقال ابن عباس ومجاهد : المراد بالانسان كل انسان ، لانه يرجع إلى آدم الذي خلق
من سلالة . وقال قتادة : المراد بالانسان آدم ، لانه استل من أديم الأرض . وقيل :
استل من طين . والسلالة صفوة الشيء التي تخرج منه ، كأنها تستل منه . والسلالة
صفوة الشيء التي تجري قبل ثقله ، وكبره ، لانها متقدمة على ثقله ، كتقديم السلف
والاجر على الآخرة . وقد تسمى النطفة سلالة والولد أيضاً سلالة وسليمة . والجمع
سلالات ، وسلائل ، قال الشاعر :

وهل كنت إلا مهرة عريية سليمة أفراس تجلبها بغل (١)

وقال آخر :

فجأت به غضب الاديم غضنفرًا سلالة فرج كان غير حصين (٢)

وقال آخر :

يقذفن في أسلابها بالسلائل (٣)

وقال آخر :

إذا نتجت منها المهاري تشابهت على القود لا بالانوف سلائله (٤)

وفي الآية دلالة على أن الانسان هو هذا الجسم الشاهد ، لأنه المخلوق من
نطفة ، والمستخرج من سلالة ، دون ما يذهب اليه قوم : من انه الجوهر البسيط ، او
شيء لا يصح عليه التركيب والانقسام ، على ما يذهب اليه معمر وغيره .

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ١٠٩ والطبري ١٨ / ٦

(٢) تفسير الطبري ١٨ / ٦ ، وتفسير القرطبي ١٢ / ١٠٩ وقد نسبة لحسان ،

وروايته (حمات) بدل (فجأت) (٣ ، ٤) تفسير الطبري ١٨ / ٦

(ج ٧ م ٤٥ من التبيان)

وقوله « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » المعنى جعلنا الانسان ، وهو من ولد من نسل آدم « نطفة » وهي القطرة من ماء المني التي يخلق الله منها الحيوان ، على مجرى العادة في التناسل ، فيخلق الله من نطفة الانسان إنساناً ومن نطفة كل حيوان ما هو من جنسه . ومعنى « مكين » أي مكين لذلك ، بأن هيس . لاستقراره فيه الى بلوغ أمدته الذي جعل له .

وقوله « ثم خلقنا النطفة علقة » فالعلقة القطعة من الدم إذا كانت جامدة ، فيبين الله تعالى أنه يصير تلك النطفة علقة ، ثم يجعل العلقة مضغة ، وهي القطعة من اللحم . ثم اخبر انه يجعل المضغة « عظماً » ، وقرىء « عظماً » وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر عن عاصم . فمن قرأ « عظماً » أراد ما في الانسان من أقطاع العظم . ومن قرأ « عظماً » فلأنه اسم جنس يدل على ذلك .

ثم بين تعالى انه يكسو تلك « العظام لحماً » ينشئه فوقها ، كما تكسى الكسوة . وقوله ثم « انشأناه خلقاً آخر » يعني بنفخ الروح فيه - في قول ابن عباس ومجاهد - وقيل : نبات الأسنان والشعر ، واعطاء العقل والفهم . وقيل « خلقاً آخر » معناه ذكر او ائتي . ثم قال « فتبارك الله أحسن الخالقين » ومعنى (تبارك) استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل ، ولا يزال ، وهو مأخوذ من البروك ، وهو الثبوت . وقوله « احسن الخالقين » فيه دلالة على ان الانسان قد يخلق على الحقيقة ، لانه لو لم يوصف بخالق إلا الله ، لما كان لقوله « أحسن الخالقين » معنى . وأصل الخلق التقدير ، كما قال الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعد ض القوم يخلق ثم لا يفري (١)

ثم خاطب الخلق ، فقال ﴿ ثم إنكم ﴾ معاشر الخلق بعد هذا الخلق والاحياء

﴿لميتون﴾ أي تموتون عند انقضاء آجالكم . يقولون لمن لم يميت ويصح عليه الموت : ميت وماتت . ولا يقولون لمن مات : ماتت . وكذلك في نظائره سيد وسأند .
وقوله ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ أي تحشرون إلى الموقف والحساب والجزاء . بعد أن كنتم أمواتاً ، ولا يدل ذلك على أنه لا يحييهم في القبور للساعة ، لان قوله : انه يميتهم عند فناء آجالهم ويبعثهم يوم القيامة ، لا يمنع من أن يحييهم فيما بين ذلك ، ألا ترى أن القائل لو قال : دخلت بغداد في سنة مئة ، وخرجت منها في سنة عشر ومئة ، لم يدل على أنه لم يخرج فيما بينهما وعاد ، فكذلك الآية . على ان الله تعالى اخبر انه احيا قوماً ، فقال لهم الله موتوا ، ثم احيام . فلا بد من تقدير ما قلناه للجميع . وفيه دلالة على بطلان قول معمر ، والنظام في الانسان .
قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْكَافِرِينَ ﴿ (٢٠) أربع آيات بلاخلاف .

قرأ ابن كثير ونافع و ابو عمرو « سيناء » بكسر السين ، ولم يصرف ، لأنه اسم البقعة . الباقيون بفتح السين . وقرأ ابن كثير و ابو عمرو « تنبت » بضم التاء

وكسر الباء . الباقون بفتح التاء وضم الباء . من كسر السين من « سيناء » ، فلقوله « طور سينين » (١) والسيناء الحسن ، وكل جبل ينبت الثار فهو سينين . ومن فتح السين ، فلأنه لغتان . وأصله سرباني ، ومن فتح السين لا يصرفه في المعرفة ولا النكرة ، لأن الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث ، ولا تكون للإلحاق لأن (فعال) لا يكون إلا في المضاعف مثل (الزلال والفلقال) ومن كسر السين ، فالهمزة عنده منقلبة عن الياء كـ (علياء ، وحبوا) وهي التي تظهر في قولك (سينابة) لما بنيت للتأنيث . وإنما لم يصرف على هذا القول ، وإن كان غير مؤنث ، لأنه جعل اسم بقعة أو ارض ، فصار بمنزلة امرأة سميت بـ (جعفر) . ومن ضم التاء من « نبت » لم يعد بالباء ، وأراد نبت الدهن . قال أبو علي الفارسي : ويحتمل أن يكون الباء متعلماً بغير هذا الفعل الظاهر ، وتقدر مفعولاً محذوفاً ، وتقديره : نبت ثمرها وفيها دهن وصيغ . ومن فتح التاء عدى الفعل بالباء . كقولهم : ذهبت بزبد وأ ذهبت زبداً ، ويجوز أن يكون الباء في موضع الحال ، ولا يكون للتعدي . مثل ما قلناه في الوجه الأول وتقديره نبت وفيها دهن .

يقول الله تعالى « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » يعني سبع سماوات ، خلقها الله فوق الخلائق ، وسماها طرائق ، لأن كل طبقة طريقة . وقال الجبائي : لأنها طرائق الملائكة . وقال ابن زيد : الطرائق السموات الطباق . وقال الحسن : ما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وكذلك ما بين السماء والارض .

وقوله « وما كنا عن الخلق غافلين » معناه ما كنا غافلين ان ينزل عليهم ما يحييهم من المطر . ويحتمل أن يكون أراد ما كنا غافلين عن أفعالهم ، وما يستحقون بها من الثواب والعقاب ، بل نحن عالمون بجميع ذلك . وقيل « وما كنا عن الخلق

غافلين » بل كنا حافظين للسماء من أن تسقط عليهم ، فتهلكهم . والغفلة ذهاب المعنى عن النفس . ومثله السهو ، فالعالم لنفسه لا يجوز عليه الغفلة ، لأنه لا شيء إلا وهو عالم به . وإنما ذكر الغفلة بعد الطرائق ، لأن من جاز عليه الغفلة عن العباد جاز عليه الغفلة عن الطرائق التي فوقهم ، فتسقط عليهم ، فأمسك الله تعالى طرائق السموات أن تقع على الأرض إلا بأذنه . ولولا إمساكه لها لم تقف طرفه عين .

وقوله « وأنزلنا من السماء ماء بقدر » أي أنزلنا المطر والغيث بقدر الحاجة ، لا يزيد على قدر الحاجة ، فيفسد ، ولا ينقص عنها فيهلك ، بل وفق الحاجة .

وقوله « فأسكناه في الأرض » يعني انه تعالى أسكن الماء المنزل من السماء في الأرض وأثبته في العيون والأودية . وروي عن النبي (ص) أنه قال : (أربعة أنهار من الجنة : النيل ، والفرات ، وسيحان ، وجيحان) .

ثم قال تعالى « وإنا على ذهابه لقادرون » لا يميزنا عن ذلك شيء ، ولو فعلناه لملك جميع الحيوان ، فنبههم بذلك على عظم نعمة الله على خلقه ، بانزال الماء من السماء .

ثم أخبر تعالى انه ينشيء للخلق بذلك الماء ﴿ جنات ﴾ وهي البساتين ﴿ من نخيل وأعناب ﴾ لتنتفعوا بها معاشر الخلق ﴿ لهم فيها فواكه كثيرة ﴾ تتفكرون بها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ وإنما خص النخيل والأعناب ، لأنها ثمار الحجاز ، من المدينة والطائف . فذكرهم الله تعالى بالنعم التي يعرفونها .

وقوله ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء ﴾ إنما خص الشجرة التي تخرج من طور سيناء ، لما في ذلك من العبرة ، بأنه لا يتماهدا إنسان بالسقي ، ولا يراعيها احد من العباد ، تخرج الثمرة التي يكون فيها الدهن الذي تعظم الفائدة وتكثر المنفعة به . وسيناء البركة ، كأنه قال جبل البركة - وهو قول ابن عباس ومجاهد - وقال قتادة

والضحاك : معناه الحسن . وقال ابن عباس : طور سيناء إسم الجبل الذي نودي منه موسى (ع) وهو كثير الشجر قال العجاج :

داني جناحيه من الطور فمر (١)

وقيل يحتمل ان يكون (سيناء : فيعالا) من السنة ، ودو الارتفاع . والشجرة قيل انها شجرة الزيتون . وقوله ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أي تنبت ثمرها بالدهن . ومن فتح التاء فمعناه تنبت بثمر الدهن . وقيل نبت وأنبت لغتان قال زهير :

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا بها حتى إذا أنبت البقل (٢)

وقيل الباء زائدة ، والمعنى تنبت ثمر الدهن ، كما قال الراجز :

نحن بنو جمدة أرباب الفلج نضرب بالبيض ونرجوا بالفرج (٣)

أي نرجوا الفرج . وقوله ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ أي وجلعناه مما يتأدم به الانسان ويصطبغون به من الزيت والزيتون . والاصطباغ ان يغرز فيه ثم يخرج ويأكله . قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

(١) مر هذا الرجز في ١ / ٢٨٦ (٢) ديوانه (دار بيروت) ١٢٢

(٣) تفسير الطبري ١٨ / ١٠ والقرطبي ١٢ / ١١٥

شَاءَ اللَّهُ لَا نَزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنَّ
هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ خمس آيات
بلاخلاف .

قرأ ابن عامر ونافع وابو بكر عن عاصم « نسقيكم » بفتح النون . الباقون
بضمها . قال بعضهم : هما لغتان سقيت وأسقيت ، قال الشاعر :
سقى قومي بني مجد واسقى نيمراً والقبائل من هلال (١)
ولا يجوز ان يكون المراد في البيت (وأسقى) مثل قوله « وأسقيناكم ماء
فرائنا » (٢) لأنه لا يكون قد دعا لقومه وخاصة بدون ما دعا الاجنبي البعيد عنه .
والصحيح ان سقيت للشفة واسقيت للانهار والانعام تقول : دعوت الله ان يسقيه .
ومن قرأ بضم النون أراد : انا جعلنا ما في ضروعها من الالبان سقياً لكم ، كما يقال :
أسقيناهم نيراً إذا جعلته سقياً لهم ، وهذا كأنه اعم ، لان ما هو سقياً لا يمنع أن
يكون للشفة ، وما يكون للشفة - فقط - يمنع أن يكون سقياً . وما أسقانا الله من البان
الانعام أكثر مما يكون للشفة ومن فتح النون جعل ذلك مختصاً به الشفاء دون المزارع
والراعي ، فلم يكن مثل الماء في قوله « فأسقيناكموه » (٣) وقوله « وأسقيناكم ماء
فرائنا » لأن ذلك يصلح للامرين ، ومن ثم قال « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » (٤)
وانما قال ههنا « مما في بطونها » وفي النحل « بطونه » (٥) لانه إذا أنت ، فلا كلام
لرجوع ذلك الى الانعام . وإذا ذكر فلان النعم والانعام بمعنى واحد ، ولئن التقدير :

(١) مرتخرجه في ٣٩٩/٦ سورة ٧٧ الرسالات آية ٢٧

(٢) سورة ١٣ الحجر آية ٢٢

(٣) سورة ٤٤ سورة ٧٦ الدهر آية ٢١

(٤) سورة ١٦ النحل آية ٦٦

ونسفيكم من بعض ما في بطونهم .

يقول الله تعالى « وإن لكم » معاشر العقلاء « في الأنعام » وهي المشية التي تمشي على نعمة في مشيها ، خلاف الحافر في وطئها ، وهي الأبل والبقر والغنم ﴿ لعبرة ﴾ يعني دلالة نستدلون بها على توحيد الله ، وصفاته التي يختص بها دون سواه . وقوله ﴿ نسفيكم مما في بطونها ﴾ فالسقي اعطاء ما يصلح للشرب ، فلما كان الله تعالى قد أعطى العباد ألبان الأنعام ، باجرائه في ضروعها ، وتمكينهم منها ، من غير حظر لها ، كان قد سقام ايها .

ثم قال ﴿ ولكم فيها ﴾ يعني في الأنعام « منافع كثيرة » ولذات عظيمة ، يبيعها والتصرف فيها وأكل لحومها ، وشرب ألبانها ، وغير ذلك من الانتفاع باصوافها وأوبارها ، وأشعارها ، وغير ذلك ﴿ ومنها تأكلون ﴾ يعني اللحم ، وغيره من الألبان وما يعمل منها . ثم قال : ومن منافعها انكم تحملون عليها الأثقال في أسفاركم بأن تركبوها وتحملوا عليها أثقالكم . ومثل ذلك على الفلك ، وهي السفن .

ثم اقسم تعالى انه أرسل نوحاً الى قومه ، يدعوهم إلى الله ، ويقول لهم ﴿ اعبدوا الله ﴾ وحده لا شريك له ، فانه لا معبود لكم غيره . ويحذركم من عقابه ، ويقول ﴿ أفلا تتفون ﴾ نفمة الله بالاشراك معه في العبادة . ثم حكى أن الملائمة وهم - جماعة اشراف قومه - الكفار ، قال بعضهم لبعض : ليس نوح هذا إلا مخلوقاً مثلكم ، وبشر مثلكم ، وليس بملك ﴿ يريد أن يتفضل عليكم ﴾ فيسودكم ويترأسكم وان يكون افضل منكم « ولو شاء الله » ما قاله من توحيده واختصاصه بالعبادة ﴿ لا نزل . لائكة ﴾ عليكم يدعوكم الى ذلك . ثم قالوا « ما سمعنا بهذا » يعني بما قال نوح ، وبمثل دعوته . وقيل بثله بشرأ أتى برسالة من ربه في اسلافنا الماضين وابائنا واجدادنا الذين تقدمونا . ثم قالوا : ﴿ إن هو الا رجل به جنه ﴾ اي ليس

هذا - يعنون نوحاً - إلا رجلا به جنة أي تعتاده غمرة تنفي عقله حتى يتخيل اليه ما يقوله ويخرجه عن حال الصحة وكمال العقل ، فكان اشرف قومه يصدون الناس عن اتباعه ، بما حكى الله عنهم ، وقالوا : انه لمجنون يأتي مجنونه بمثل هذا . ويحتمل أن يكونوا أرادوا كآته في طعمه فيما يدعو اليه مجنون . ثم قال بعضهم لبعض : ﴿ تر بصوا به حتى حين ﴾ اي الى وقت ما ، كأنهم قالوا لهم تر بصوا به الهلاك وتوقعوه .

قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي يَا وَحِينَا إِذْ جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَّ التَّنْشُورُ فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ آثِنٍ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٦) فَذَا آسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (٣٠)

خمس آيات بلاخلاف .

قرأ أبو بكر عن عاصم ﴿ منزلاً ﴾ بفتح الميم . الباقون بضمها . من فتح الميم جعله اسم المكان أو مصدرًا ثلاثياً . ومن ضم الميم ، فلانه مصدر (أنزل إنزالاً) ﴿ ج ٧ م ٤٦ من التبيان ﴾

لقوله ﴿ انزلني ﴾ ومثله ﴿ ادخلي مـدخل صدق ﴾ (١) ولو قرىء ﴿ وأنت خير
المنزلين ﴾ لكان صواباً بتقدير أنت خير المنزلين به ، كما نقول : أنزلت
حوانجي بك .

وقرأ حفص عن عاصم ﴿ من كل زوجين ﴾ منوناً على تقدير اسلك فيها
زوجين اثنين من كل ، أي من كل جنس ، ومن كل الحيوان . كما قال تعالى
﴿ ولكل وجهة ﴾ أي لكل انسان قبله ﴿ هو موليا ﴾ (٢) لان (كلا ، وبعضاً)
يقتضيان مضافاً إليهما . الباقيون بالاضافة إلى (زوجين) ونصب (اثنين) على
أنه مفعول به

يقول الله تعالى ان نوحاً (ع) لما نسبه قومه الى الجنة ، وذهب العقل ، ولم
يقبلوا منه ، دعا الله تعالى ، فقال ﴿ رب انصرني بما كذبون ﴾ أي اغني عليهم ، فالنصرة
المعونة على العدو . فأجاب الله تعالى دعاه . وأهلك عدوه ، فأغرقهم ونجاه من بينهم بمن
معه من المؤمنين . وقوله ﴿ بما كذبون ﴾ يقتضي أن يكون دعا عليهم بالاهلاك جزاء
على تكذيبهم إياه . فقال الله تعالى انا ﴿ أوحينا اليه أن اصنع الفلك ﴾ وهو السفينة
﴿ بأعيننا ﴾ وقيل في معناه قولان :

احدهما - بحيث تراها ، كما يراها الرائي من عبادنا بعينه ، ليتذكر انه يصنعها ،
والله عز وجل يراه .
الثاني - بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين ، فانهم يحرسونك من منع
مانع لك .

وقوله ﴿ ووحينا ، أي باعلامنا إليك كيفية فعلها . وقوله ﴿ فاذا جاء أمرنا ﴾
يعني إذا جاء وقت اهلاكنا لهم ﴿ وفار التنور ﴾ روي انه كان جعل الله تعالى علامة

وقت الاهلاك فوران التنوير بالماء . فقال له : اذا جاء ذلك الوقت « فاسلك فيها » .
يعني في السفينة ، وكان فوران الماء من التنوير المسجور بالنار ، معجزة لنوح (ع) .
ودلالة على صدقه ، وأكثرت المفسرين على أنها التنوير التي يخبر فيها . وروي عن
علي (ع) انه أراد طلوع الفجر . ويقال : سلكته وأسلكته ، فيه لغتان ، كما
قال الشاعر :

و كنت لزاز خصمك لم أعرد
وقد سلوكك في يوم عصيب (١)

وقال الهذلي :

حتى إذا أسلكوهم في فتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا (٢)
وقيل : سلكته فيه حذف ، لان تقديره سلكت به فيه . ومعنى « فأسلك فيها »
احمل فيها . وادخل الى السفينة « من كل زوجين اثنين » أي من كل زوجين ، من
الحيوان . اثنين : ذكراً وإنتى . والزوج واحد له قرين من جنسه وقوله « واهلك »
أي احمل اهلك معهم . يعني الذين آمنوا معك ﴿ إلا من سبق عليه القول ﴾ بالاهلاك
منهم ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ أي لا تسألني في الظالمين أنفسهم بالاشراك معي
﴿ إنهم مفرقون ﴾ هالكون . ثم قال له ﴿ فاذا استويت أنت ﴾ يا نوح ﴿ ومن
معك على الفلك ﴾ واستقررت فيه وعلوتم عليه ، وتمكنتم منه فقل شكر آله ﴿ الحمد
لله الذي نجانا ﴾ وخلصنا ﴿ من القوم الظالمين ﴾ لنفوسهم بجدد توحيد الله .
وقل داعياً ﴿ رب أنزلي منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ وقال الجبائي : المنزل
البارك هو السفينة . وقال مجاهد : قال ذلك حين خرج من السفينة . وقال الحسن :
كلف في السفينة . سبعة انفس من المؤمنين ، ونوح ثامتهم . وقيل : ستة . وقيل :

(١) انظر ٦ / ٣٨ ، ٣٢١

(٢) من تخرجه في ١ / ١٢٨ ، ١٤٩ و ٦ / ٢٢٢ ، ٤٥٩

ثمانين . وقيل : انه هلك كل ما كان على وجه الأرض إلا من نجا مع نوح في السفينة .
وقال الحسن : كان طول السفينة ألفاً ومئتي ذراع ، وعرضها سمانه ذراع . وكانت
مطبقة تسير بين ماء السماء وبين ماء الأرض .

ثم قال تعالى ﴿ ان في ذلك ﴾ يعني فيما خبرناك به وقصصنا عليك ﴿ آيات ﴾
ودلالات للعقلاء ، يستدلون بها على توحيد الله وصفاته ﴿ وإن كنا لمبتلين ﴾ أي
وإن كنا مختبرين عبادنا بالاستدلال على خالقهم بهذه الآيات ، ومعرفته وشكره على
نعمه عليهم ، وبعبادته وطاعته وتصديق رسوله .

قوله تعالى

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ
رُسُلًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢)
وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ
وَأُتْرَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ
مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَكِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ
إِذَا لَخَّاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا
أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٣٦) ست
آيات بلاخلاف .

قرأ أبو جعفر ﴿ هيهات هيهات ﴾ بكسر التاء . الباقون بفتحها . ولا خلاف

في ترك التنوين فيها .

يقول الله تعالى ﴿ انا انشانا ﴾ واخترعنا ، من بعد اهلاك قوم نوح بالطوفان ﴿ قومًا آخرين ﴾ والانشاء والاختراع واحد ، وكلما يفعل الله تعالى ، فهو إنشاء واختراع . وقد يفعل الله تعالى الفعل عن سبب بحسب ما تقتضيه المصلحة . والقرن أهل العصر لمقارنته بعضهم لبعض ، ومنه قرن الكباش لمقارنته القرن الآخر ، ومنه القرينة ، وهي الدلالة التي تقارن الكلام . وقوله « فارسلنا فيهم رسولا منهم » اخبار منه تعالى انه أرسل رسولا في القرن الذي انشاهم من بعد قوم نوح . وقال قوم : هو صالح وقيل : هود ، لأنه المرسل بعد نوح « ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » أي ارسلناه بأن يقول لهم : اعبدوا الله وحده لا شريك له . ويقول لهم : ما لكم معبود سواه ، وأن يخوفهم إذا خالفوه . ويقول لهم « أفلا تتقون » عذاب الله ، واهلاكه بار تكلم معاصيه ، فوضع (أن) من الاعراب نصب . وتقديره بأن اعبدوا الله ، فلما حذف الباء نصب بـ (ارسلنا) .

وقوله « وقال الملا من قومه » يعني - الاشراف ، ووجوههم - قالوا لغيرهم « الذين كفروا » بالله وكذبوا بآياته وحججه وبياناته ، وجحدوا « وكذبوا بلقاء الآخرة » والبعث والنشور يوم القيامة . وقوله « واترفناهم في الحياة الدنيا » والارراف التعم بضراب الملاذ ، وذلك أن التنعيم قد يكون بنعيم العيش ، وقد يكون بنعيم اللبس ، فالارراف بنعيم العيش قال الراجز :

وقد أراني بالديار مترفاً

وقوله « ما هذا إلا بشر مثلكم » أي ليس هذا الذي يدعي النبوة من قبل الله إلا بشر أمثلكم « يأكل مما تأكلون منه » من الاطعمة « ويشرب مما تشربون منه » من الاشربة . ثم قالوا لهم « لئن أطعتم بشراً مثلكم » وعلى هيئتكم وأحوالكم « إنكم

إذا لخاسرون » فجعلوا اتباع الرسول خساراً ، لأنه بشر مثلهم ، ولم يجعلوا عبادة الصنم خساراً ، لأنه جسم مثلهم ، وهذا مناقضة ظاهرة .

ثم حكى أنهم قالوا لغيرهم « ابعدمكم » هذا الذي يدعي النبوة من قبل الله « أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً » ورفاً « أنكم مخرجون » وقيل في خبر (ان) الاول قولان :

احدهما - انه قوله (مخرجون) وتكون الثانية للتأكيد .

والثاني - ان يكون الخبر الجملة ، وتقديره : ابعدمكم انكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إخراجكم . ونظير تكرير (ان) قوله « ألم يعلموا انه من يجاد الله ورسوله فان له نار جهنم » (١) يعني فله نار جهنم - ذكره الزجاج - إلا ان هذه الثانية عملت في غير ما عملت فيه الأولى . وإنما هي بمنزلة المكرر في المعنى . وموضع « أنكم » الأولى نصب ، وتقديره : ابعدمكم بأنكم . وموضع (ان) الثانية كموضع الأولى ، وإنما ذكرت تاكيداً ، والمعنى : ابعدمكم أنكم مخرجون إذا متم ، فلما بعد ما بين (ان) الأولى ، والثانية بقوله « إذا كنتم تراباً وعظاماً » أعيد ذكر (أن) .

ثم قالوا لهم « هيهات هيهات لما توقعون » من البعث ، والنشور ، والجزاء بالثواب والعقاب . ومعنى « هيهات » بعد الأمر جداً حتى امتنع ، وهو بمنزلة (صه ، ومه) إلا ان هذه الأصوات الأغلب عليها الأمر والنهي وهذا في الخبر ونظيره (شتان) أي بعدما بينهما جداً ، وإنما لم تتمكن هذه الاصوات في الأسماء بخروجها إلى شبه الأفعال التي هي معانيها ، وليست مع ذلك أفعالا ، لأنه لا يضم فيها ، ولا لها تصرف الأفعال في أصلها ، وإنما جعلت هكذا ، للإفهام بما تفهم به البهيمة من الزجر بالأصوات ، على هذه الجملة . وقال ابن عباس : معنى (هيهات)

بعيد بعيد . والعرب تقول : (هيات) لما تبغي ، وهيات ما تبغي ، قال جرير :
 فيهيات هيات العقيق ومن به هيات وصل بالعقيق نواصله (١)
 وروى أبيات وكان الكسائي : يقف بالهاء ، فيقول : هياة ، على قياس
 هاء التأنيث في الواحد زائدة نحو (علقاة) واختار الفراء الوقف بالتاء ، لأن قبلها
 ساكناً ، فصارت كما تقول : بنت وأخت . قال : ولأن من العرب من يخفض التاء ،
 فدل ذلك على أنها ليست بهاء التأنيث ، وإنما هي بمنزلة دراك ، ونظار ماله . ومن
 وقف بالهاء جعلها كالادارة وقال الزجاج : يجوز هيات وهياتاً وهياتاً بالتنوين ،
 وترك التنوين . قال الاخفش : يجوز فتح التاء وكسرها . ومنهم من يجعل بدل الهاء
 همزة ، فيقول : أيات ، وهي لغة تميم ، غير أنهم يكسرون التاء . ومن العرب من
 إذا جعلها في موضع اسم . قال : لم أره مذأيات من النهار - بضم التاء - وتنوينها .
 ومنهم من يجعل مكان التاء نوناً ، فيقول : ايهان واحدها أيها ، قال الشاعر :

ومن دوني الاعيار والقيع كله
 وكنان أيهاناً أشت وأبعداً (٢)

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٣٧)
 ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٨)
 قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ
 نَادِمِينَ ﴿ (٤٠) أربع آيات بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن الملا الذين قالوا « هيات هيات لما توعدون » لقومهم

(٢) تفسير القرطبي ١٢/١٢٣

(١) ديوانه ٣٨٥ دار بيروت

الذين أغووهم، وقالوا أيضاً ليست الحياة « إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » أي لسنا نبعث يوم القيامة على ما يقول هذا المدعي للنبوّة من قبل الله . ومعنى « نموت ونحيا » أي يموت منا قوم ويحيا قوم ، لأنهم لم يكونوا يقرون بالنشأة الثانية ، فلذلك قالوه على هذا الوجه ، وشبهتهم في انكار البعث طول المدة في القرون الخالية ، فظنوا أنه ابدأ على تلك الصفة ، وهذا أبلغ ، لأنه إذا اقتضت الحكمة طول المدة لما في ذلك من المصلحة للمكلفين ، فلا بد منه ، لأن الحكيم لا يخالف مقتضى الحكمة ، فقال النبي المرسل عند ذلك يا « رب انصرني بما كذبون » أي اهلك هؤلاء جزاء على تكذبي ونصرة لي ، ومعونة على صحة قولي . فقال الله تعالى له « عما قليل » أي عن قليل و (ما) زائدة « ليصبحن » هؤلاء القوم « نادمين » على ما فعلوه من تكذيب الرسل ، وجمود وحدانية الله ، والاشراك مع الله في عبادته غيره واللام في قوله « ليصبحن » لام القسم يجوز أن يقدم ما بعدها عليها وتقدير الكلام : ليصبحن هؤلاء نادمين عن قليل .

قوله تعالى :

﴿ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَاءً فَبِعْدَآ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا نَتَرَا كَلِمًا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعْدَآ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ (٤٥) بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

تعالى (٤٧) ست آيات في الكوفي والبصري، وسبع في المدنيين، عدوا قوله
ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون، آية .

لما قال الله تعالى لصالح (ع) انه عما قليل يصبح هؤلاء الكفار نادمين ، على
ما فعلوا . حكى الله أنهم « أخذتهم الصيحة بالحق » والصيحة الضوت الشديد الذي
يفزع منها ، فأهلك الله تعالى (ثمود) بالصيحة وهي صيحة تصدعت منها القلوب .
وقوله « بالحق » معناه على وجه الحق ، وهو أخذهم بالعذاب من أجل ظلمهم ، باذن
ربهم وهو « الحق . ولو أخذوا بغير هذا ، لكان أخذاً بالباطل ، وهو كأنخذ
كل واحد بذنب غيره .

وقوله « نجعلناهم غشاه » فالغشاء القش الذي يجي . به السيل على رأس الماء :
قصب وحشيش وعيدان شجر وغير ذلك . وقيل : الغشاء البالي من ورق الشجر ،
إذا جرى السيل رأيته مخالطاً زبدته . وقوله « فبعداً لقوم لا يؤمنون » معناه بعداً
لهم من الرحمة ، وهي كاللعة التي هي ابعاد من رحمة الله ، وقالوا في الدعاء على
الشيء : بعداً له ، ولم يقولوا في الدعاء له قرباً له أي من الرحمة لانهم طلبوا الانغماس
في الرحمة ، فتركوا التقابل لهذه العلة . وقال ابن عباس ومجاهد . وقتادة : الغشاء
المتفتت البالي من الشجر يحمله السيل . وقيل : ان الله بعث ملكاً صاح بهم صيحة ماتوا
عندها عن آخرهم .

ثم اخبر تعالى فقال « وانشأنا من بعدهم » يعني بعد هؤلاء الذين أهلكتهم
بالصيحة « قروناً » أي أمماً « آخرين » واخبر انه « ما تسبق من أمة أجلها وما
يستأخرون » وهذا وعيد لهؤلاء المشركين ، ومعناه ان كل أمة لها أجل ووقت
(ج ٧ م ٤٧ من التبيان)

مقدر قدره الله لها إذا بلغت لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه ، بل تهلك عنده . والأجل : هو الوقت المضروب لحدوث أمر من الامور ، وليس الأجل الوقت المعلوم أنه يحدث فيه أمر من الامور ، لان التأجيل فعل يكون به الوقت أجلاً لأمر ، وما في المعلوم ليس بفعل . والأجل المحتوم لا يتأخر ولا يتقدم . والأجل المشروط بحسب الشرط . والمعنى في الأجل المذكور - في الآية - الأجل المحتوم .

ثم اخبر تعالى انه ارسل بعد ان أهلك من ذكره (رسلاً تترأ) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتنوين . الباقون بغير تنوين ، ولا خلاف في الوقف انه بألف . فمن نون لم يمل في الوقف ، ومن لم ينون فمنهم من يميل ، ومنهم من لا يميل . والمواترة المتابعة . وقيل : هي المواصله يقال : واترت بين الخبرين أي تابعت بينهما . وقال ابن عباس ومجاهد ، وابن زيد : معنى « تترأ » أي متواترين يتبع بعضهم بعضاً . وهي (فعلى) من المواترة فمن صرفها جعل الألف للالحاق ، ومن لم يصرفها جعلها للتأنيث ، ويقال : جاءت كتبه تترى . وأصل (تترى ، وترى) من وترت ، فنابت الواو تاء لكرامتهم الواو أولاً ، حتى لم يزيدوها هناك البتة مع شبهها بالتاء في اتساع المخرج ، والقرب في الموضع . وأصله في المعنى الاتصال ، فنه الوتر الفرد عن الجمع المتصل ، ومنه الوتر لاتصاله بمكانه من القوس . ومنه وترت الرجل أي قطعتة بعد اتصال .

ثم اخبر تعالى انه « كلما جاء أمة رسولها » الذي بعثه الله اليهم « كذبوه » ولم يقرؤا بنبوته .

وقوله « فاتبعنا بعضهم بعضاً » يعني في الاهلاك أي أهلاكنا قوماً بعد قوم « وجعلناهم أحايث » يتحدثون بهم على وجه المثل في الشر ، وهو جمع احدوته . ولا يقال في الخير لأن الناس يفسرون في الحديث بأسباب الشر أكثر وأغلب . ثم قال تعالى « فبعداً » من رحمة الله ورسوله « لقوم لا يؤمنون » أي

لا يصدقون بوحديته فيقرون بالبعث والنشور والجزاء .

ثم اخبر تعالى انه أرسل - بعد إهلاك من ذكره - « موسى وهارون » نبيين « بآياتنا وسلطان مبين » بأدلة من الله وحجج ظاهرة « الى فرعون وملائته » يعني قومه « فاستكبروا وكانوا قوماً عالين » والملائة الجماعة التي تملأ الصدر هيبتهم ، وهم أشرف القوم ورؤسائهم ، وخصوا بالذكر ، لأن من دونهم أتباع لهم . فلما استكبروا وردوا دعوة الحق تبعهم غيرهم ممن هو دونهم . وقوله « فاستكبروا » اي تكبروا ونجبروا عن الاجابة لهما ، وطلبوا بذلك الكبر ، فكل مستكبر من العباد جاهل ، لانه يطلب أن يعظم بما فوق العبد ، وهو عبد لله مملوك يلزمه التذلل له والخضوع ، فهي صفة ذم للعبد ، وكذلك جبار ومتجبر ، وهو مدح في صفات الله تعالى ، لان صفته تجل عن صفات المخلوقين ، وتعلو فوق كل صفة .

وقوله « وكانوا قوماً عالين » أي كانوا فاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم ولهذا كانت صفة ذم . والعالى القاهر القادر الذي مقدوره فوق مقدور غيره لعظمه يقال : علا فلان إذا ترفع وطغا وتجاوز ، ومنه قوله « ألا تعلوا علي » (١) وقوله « إن فرعون علا في الارض » (٢) وقوله « قد أفلح اليوم من استعلى » (٣) أي من علا على صاحبه وقهره بالحجة .

قوله تعالى :

﴿ فَقَالُوا أَنْزَلْنَا مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٨) ﴾
﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٩) ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

(٢) سورة ٢٨ القصص آية ٤

(١) سورة ٢٧ النمل آية ٣١

(٣) سورة ٢٠ طه آية ٦٤

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٥٠) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥١) أربع آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى حكاية عن فرعون وقومه بعد ما أخبر عنهم بالاستكبار ، والعلو على موسى وهارون ، وترك اجابتهما انهم « قالوا انؤمن » أي نصدق « لبشرين مثلنا » أي انسانين خلقهم مثل خلقنا ، وسمي الانسان بشراً ، لانكشف بشرته ، وهي جلده الظاهرة ، حتى احتاج الى لباس يكتنه ، لأن غيره من الحيوان مغطى بالبشرة بريش أو صوف أو شعر أو وبر أو صدف ، لطفناً من الله تعالى لهم إذ لم يكن هناك عقل يدبر أمره مع حاجته الى ما يكتنه . وهدى الانسان الى ما يستغني به في هذا الباب . وقوله « وقومهما لنساعابدين » معناه انهم لنا مطيعون طائفة العبد لمولاه . وقال قوم : معناه انهم يذلون لنا ويخضعون . وقال ابو عبيدة : كل من دان لملك ، فهو عابد له ، ومنه سمي أهل الحيرة العباد ، لأنهم كانوا يطيعون ملوك العجم . قال الحسن : كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون وفرعون يعبد الأوثان . ثم اخبر عنهم انهم كذبوا موسى وهارون ، فكان عاقبة تكذيبهما أن اهلكهم الله وغرقهم . والاهلاك إلقاء الشيء بحيث لا يحس به ، فهؤلاء هلكوا بالعذاب ويقال للميت : هالك من هذا المعنى .

ثم اقسم تعالى انه آتى موسى الكتاب يعني التوراة التي فيها ما يحتاجون اليه لكي يهتدوا الى طريق الحق ، من معرفة الله وخلق الانداد .

وقوله « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » معناه جعلناهما حجة ، على أنه تعالى قادر على اختراع الاجسام من غير شيء ، كما اخترع عيسى من غير أب . والابنة - ههنا - في عيسى (ع) أنه ولد من غير فحل ، ونطق في المهد . وفي أمه أنها حملته

من غير ذكر وبرأها كلامه في المهد من الفاحشة .

وقوله « وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين » يقال : آوى اليه يأوي ، وآواه غيره يؤويه إيواه أي جعله مأوى له . (والربوة) المكان المرتفع على ما حوله ، ويجوز ضم الراء وفتحها وكسرها ، وبالفتح قرأ عاصم وابن عامر . الباقر بالضم أيضاً . ولم يقرأ احد بالجر . ويقال : ربوة بفتح الراء وكسرها والفاء بعد الباء . فصار خمس لغات . والربوة التي أويها اليها هي الرملة - في قول أبي هريرة - وقال سعيد بن المسيب : هي دمشق ، وقال ابن زيد : هي مصر . وقال قتادة هي بيت المقدس . وقال أبو عبيدة : يقال : فلان في ربوة من قومه أي في عز وشرف ، وعدد . وقوله « ذات قرار » أي تلك الربوة لها ساحة وسعة أسفل منها . و « ذات معين » أي ماء جار ، ظاهر بينهم . وقيل : معنى « ذات قرار » ذات استواء يستقر عليه . ومعين ماء جار ظاهر للعيون - في قول سعيد والضحاك - وقال قتادة « ذات قرار » ذات ثمار ، ذهب إلى انه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها . ومعين (مفعول) من عنته اعينه ، ويجوز أن يكون (فعيل) من معن بمعن ، وهو الماعون ، وهو الشيء القليل - في قول الزجاج - قال الراعي :

قوم على الاسلام لما يمنعوا ما عونهم ويبدلوا التنزيلا

قيل معناه وفدعهم . وقيل : زكائهم . وأمعن في كذا إذا لم يترك منه إلا

القليل . وقال الفراء : المعن الاستقامة . قال عبيد بن الأبرص :

واهية أو معين ممعن أو هضبة دونها لهاب (١)

واحداه لهاب ، وهو شق في الجبل ، واهية أي وهت . ومطر ممعن أي مار .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥٢) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٣) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٤) فَذَرُّهُمْ فِي عَمْرٍ تَهُم حَتَّىٰ حِينٍ (٥٥) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٦) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٧) ﴾

• ست آيات •

قرأ أهل الكوفة وابن عامر (وإن) بكسر الهمزة ، وخفف ابن عامر النون وسكنها . وقرأ الباقر بفتح الهمزة مشددة النون .

قال قوم : هذا خطاب لعيسى (ع) حكاه الله تعالى ، قالوا : وذلك لما جرى ذكره كأنه قال : يا عيسى « كلوا من الطيبات » وقال : آخرون : هو خطاب للنبي (ص) خاصة خاطبه بلفظ الجمع ، كما يقل للرجل الواحد : أيها القوم كفوا عنا . وقال قوم : لما ذكر بعض الأنبياء ، كأنه قال : وقلنا لهم « يا ايها الرسل كلوا من الطيبات » والأكل تناول الطعام بالفم ، ومضغه وابتلاعه . وصورة « كلوا » صورة الأمر ، والمراد به الاباحة . وأصل « كلوا » أو « كلوا » ، فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال . والمعنى مفهوم ، لأنه من الأكل . و (الطيبات) الحلال ، وقيل : هو المستلذ . فعلى الوجه الأول يكون أمراً بنفل . لأن تقديره كلوا من الحلال على الوجه الذي يستحق به الحمد . وعلى الثاني يكون على الاباحة ، كما قال

تعالى « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١) .
 وقوله « واعملوا صالحاً » أمر من الله لهم بأن يعملوا الطاعات ، واجباتها
 ونوافلها . والصلاح الاستقامة ، على ما تدعو اليه الحكمة . وقال قوم : انما هذا حكاية
 لما قيل لجميع الرسل . وهو الوجه . وقال آخرون : المعنى وقلنا لعيسى « يا أيها
 الرسل » على الجمع على ما ذكرناه من المثال .

وقوله « وإن هذه أمتكم » موضع (ان) نصب ، لان تقديره ، ولان ﴿ هذه
 أمتكم أمة واحدة وانار بكم فاتقون ﴾ أي لهذه فاتقون . وقيل : موضعه الجر بالعطف
 على ﴿ بما تعملون عليهم ﴾ . ومن كسر الهمزة استأنف الكلام . ومعنى الأمة
 ..هنا - الأمة سماها بذلك للاجماع عليها بأمر الله . وقال الحسن وابن جريج : معنى
 ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ أي دينكم دين واحد . وقيل : جماعتكم جماعة واحدة
 في الشريعة التي نصبها الله لكم . ونصب ﴿ أمة واحدة ﴾ على الحال . وقال الجبائي :
 معناه ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ في أنهم عبيد الله ، وخلقه وتدييره .

وقوله ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً ﴾ فالزبر الكتب - في قول الحسن وقتادة
 ومجاهد - وابن زيد - وهو جمع زبور ، كرَسُول ورسَل . والمعنى تفرقوا كتباً دانوا
 بها ، وكفروا بما سواها ، كاليهود دانوا بالتوراة وكفروا بالانجيل ، والقرآن .
 وكان نصارى دانوا بالانجيل وكفروا بالقرآن . ومن قرأ ﴿ زبراً ﴾ بفتح الباء ، وهو
 ابن عامر فعناها جماعات ، لانه جمع زبرة ، وزبر ، كبرمة وبرم .

وقوله ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أي كل طائفة بما عندها تفرح لاعتقادها
 بأن الحق معها . فقال الله تعالى لبيه ﴿ فذرهم ﴾ يا محمد ﴿ في غمرتهم ﴾ أي جهلهم
 وضلالتهم . وقيل : في حيرتهم . وقيل : في غفلتهم . والمعاني متقاربة ﴿ حتى حين ﴾

أي حين وقت الموت . وقيل : حين العذاب .

ثم قال تعالى منكرآ عليهم ﴿ أيجسبون ﴾ أي يظنون هؤلاء الكفار ﴿ أنما نمدم به من مال وبنين ﴾ تمام الكلام أحد شيئين :

احدهما - أيجسبون ان الذي نمدم به من اجل ما لهم وبنبيهم ، بل إنما نعمل ذلك لما فيه من المصلحة .

والثاني - أن يكون فيه حذف ، وتقديره أيجسبون أن الذي نمدم به من المال والبنين حق لهم أو لكرامتهم عندنا ، لا ، بل نعمل ذلك لما فيه من المصلحة التي ذكرناها ، ويكون قوله ﴿ نسارع لهم في الخيرات ﴾ ابتداء كلام ، ولا يجوز أن يكون الانكار وقع لظنهم ان ذلك مسارعة لهم في الخيرات ، لأنه تعالى قد سارع لهم في الخيرات ، بما فعل بهم من الأموال والبنين ، لما لهم في ذلك من اللطف والمصلحة . والغرض في ذلك ان يعرفوا الله ويؤدوا حقوقه ﴿ بل لا يشعرون ﴾ أي وهم لا يشعرون بذلك ، ولا يفهمونه لتفريطهم في ذلك .

والمسارعة تقديم العمل في اوقاته التي تدعو الحكمة الى وقوعه فيه ، وهي سرعة العمل . ومثله المبادرة . وانما بني على (مفاعلة) لان الفعل كأنه يسابق فعلا آخر . والخيرات المنافع التي يعظم شأنها ، وتقيضها الشرور . وهي المضار التي يشتد أمرها . والشعور العلم الذي يلقى معلومه ، وفهمه على صاحبه دقة الشعر . وقيل : هو العلم من جهة المشاعر . وهي الخواص ، ولهذا لا يوصف الله تعالى به . وقيل : نسارع لهم في الخيرات أي تقدم لهم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم ، ومحبتنا إياهم ، كلا ، ليس الأمر كذلك ، بل نفعه ابتلاء في التعبد لهم .

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٦٠)
وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦١)
أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿ (٦٢) خمس
آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم ﴾ اي خوفاً من عقابه
﴿ مشفقون ﴾ والخشية ظن لحوق المصرة . ومثلها الخفاة ، ونقيضها الأمنة ، فالخشية
إنزعاج النفس بتوهم المصرة ، والظن كذلك يزعج النفس ، فيسمى باسمه على طريق
البلاغة ، والخشية من الله خشية من عقابه وسخطه على معاصيه ، ﴿ والذين هم بآيات
ربهم يؤمنون ﴾ وبحججه من القرآن وغيره يصدقون ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾
أي لا يشركون بعبادة الله غيره ، من الاصنام والاونان ، لان خصال الايمان لاتتم إلا
بترك الاشرار دون ما يقول أهل الجاهلية إنا نؤمن بالله .

وقوله ﴿ والذين يؤتون ما آتوا ﴾ اي يعطون ما اعطوا ، من الزكاة والصدقة ،
وينفقونه في طاعة الله ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ أي خائفة من عقاب الله لتفريط يقع منهم .
قال الحسن: المؤمن جمع إحساناً وشفقة . وقال ابن عمر : ما آتوا من الزكاة ﴿ وقلوبهم
وجلة ﴾ أي خائفة ﴿ انهم الى ربهم راجعون ﴾ اي يخافون من رجوعهم الى الله
﴿ ج ٧ م ٤٨ من التبيان ﴾

يوم القيامة ، والى مجازاته اي يخافون ذلك ، لانهم لا يأمنون التفريط . ثم أخبر عن جمع هذه الصفات وكتبت فيه ، فقال ﴿ اولئك يسارعون في الخيرات ﴾ أي يبادرون الى الطاعات ، ويسارعون اليها : من الايمان بالله ، ويجتهدون في السبق اليها رغبة فيها ولعلمهم بما لهم بها من حسن الجزاء . وقوله ﴿ وهم لها سابقون ﴾ قيل في معناه ثلاثة اقوال :

احدها - قال ابن عباس انهم : سبقت لهم السعاة .

الثاني - وهم من اجل تلك الخيرات سابقون الى الجنة .

الثالث - وهم الى الخيرات سابقون .

قوله تعالى

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَكَدَيْنَا كِتَابًا يَنْطِقُ بِالْحَقِّ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٣) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ

دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٤) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ

إِذَا هُمْ يَجْئِرُونَ (٦٥) لَا تَجْئِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْهَا لَا تَنْصُرُونَ (٦٦)

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ (٦٧)

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿ (٦٨) ست آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه « لا نكلف نفساً إلا وسعها » يعنى إلا على

قدر طاقتها وقوتها ، ومثله قوله تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (١) والوسع

الحال التي يتسع بها السبيل الى الفعل . وقيل : إن الوسع دون الطاقة . والتكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر والنهي والاعلام ، وهو مأخوذ من الكلفة في الفعل ، والله تعالى مكلف عباده تعريضاً لهم للنفع الذي لا يحسن الابتداء بمثله ، وهو الثواب . وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة : في تكليف ما لا يطاق ، لأنه لو كلف ما لا يطيقه العبد لكان قد كلفه ما ليس في وسعه . والآية تمنع من ذلك . وقوله « ولدينا كتاب ينطق بالحق » يريد الكتاب الذي فيه اعمال العباد مكتوبة من الطاعة والمعصية تكتبه عليه الملائكة الموكلون به كما قال « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (١) ثم أخبر تعالى « انهم لا يظلمون » أي لا يؤخذون بما لا يفعلونه ولا ينقصون عما استحقوه .

ثم أخبر تعالى فقال « بل قلوبهم في غمرة من هذا » أي في غفلة من هذا اليوم ، وهذه المجازاة . وقال الحسن : معناه في حيرة . وهذا اخبار منه تعالى بما يكون منهم في المستقبل من الاعمال القبيحة ، زائدة على ما ذكره وحكاة أنه فعلهم « ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون » قيل في معناه قولان : احدهما - قال قتادة وابو العالية - وفي رواية عن مجاهد - ان لهم خطايا من دون الحق .

والثاني - قال الحسن وابن زيد - وفي رواية عن مجاهد - ايضاً : أعمالاً من دون ما هم عليه لا بد من ان يعملوها . وقوله « حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون » فالترف المتقلب في لين العيش ونعومته . ومنه قوله « وأترفناهم في الحياة الدنيا » (٢) و (يجأرون) معناه يضحجون ، لشدة العذاب . وقال ابن عباس :

(١) سورة ٥٠ ق آية ١٨

(٢) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٣٣

يستغيثون . وقال مجاهد : كان ذلك بالسيوف يوم بدر ، والجوار : رفع الصوت ، كما يجار الثور ، قال الاعشى :

برواح من صلوات الملب — ك طور أسجوداً وطور آجوار (١)

وقيل معنى « يجارون » يصرخون بالتوبة ، فيقول الله لهم « لا تجاروا اليوم » أي لا تصرخوا في هذا اليوم « إنكم منا لا تنصرون » بقبول التوبة ، ولا اسمكم من يدفع عنكم ما أفعله من العذاب . ثم يقول الله تعالى لهم « قد كانت آياتي » أي حججني وبراهيني « تتلى عليكم » من القرآن وغيره « فكنتم على أعقابكم تنكصون » فالنكص الرجوع الفهقري وهو المشي على الأعقاب الى خلف ، وهو أقيح مشية . مثل شبه الله به أقيح حال في الاعراض عن الداعي الى الحق . وقال سيديويه : لأنه يمشي ولا يرى ما وراءه ، فهو النكوص . وقال مجاهد : ينكصون معناه يستأخرون . وقيل : يدبرون . وقوله « مستكبرين » نصب على الحال ، ومعناه « تنكصون » في حال تكبركم عن الانقياد لحجج الله ، والاجابة لانبيائه . وقال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك : « مستكبرين به » أي بحرم الله أنه لا يظهر عليكم فيه أحد .

وقوله « سامراً تهجرون » فالسامر الذي يحدث بالسمر ليلاً ، ومنه السورة والسمار ، لان جميع ذلك من اللون الذي بين السواد والبياض . وقيل : السمر ظل القمر ، ويقال له الفخت ، ومعنى « سامراً » أي سماراً ، فوضع الواحد موضع الجمع لانه في موضع المصدر ، كما يقال قوموا قائماً أي قياماً قال الشاعر :

من دونهم إن جثتهم سمرأ عزف القيان ومجلس غمر (٢)

(١) ديوانه (دار بيروت) ٨٤ وقد مر في ١ / ٢٦٣

(٢) اللسان (سمر) . وتفسير الطبري ١٨ / ٢٦ والفرطبي ١٢ / ١٣٧

وكانوا يسمرون حول الكعبة بالليل . وقيل : إنما واحد ، لأنه في موضع الوقت وتقديره لثلاث تهجرون ، والهجر الكلام المرفوض ، وهو المهجور منه ، لأنه لا خير فيه . والنائم يهجر في نومه أي يأتي بكلام مختلط لا فائدة فيه . وفي معنى تهجرون قولان :

أحدهما - تهجرون الحق بالاعراض عنه ، في قول ابن عباس .

الثاني - تقولون الهجر ، وهو السبي . من القول ، في قول سعيد بن جبير

ومجاهد وابن زيد .

وقرأ نافع وحده « تهجرون » بضم التاء أراد من الهجر ، وهو الكلام

السبي . الباقون بفتح التاء وضم الجيم ، على ما فسرناه ، يقال : هجر يهجر هجراً إذا هذى .

قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٩)
أَمْ لَمْ يَمُرُّوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٧٠) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ
جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧١) ثلاث آيات بلاخلاف

يقول الله تعالى منكرآ على هؤلاء الكفار « أفلم يدبّروا القول » الذي أتاهم به من القرآن وبتفكروا فيه ، فعملوا به من قبل الله . لعجز الجميع عن الاتيان بمثله . وقوله « أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » توبيخ لهم على انكار الدعوة من هذه الجهة ، ومع ذلك ، فقد جاءت الرسل الأمم قبلهم ، متواترة ، فهو عيب وخطأ من كل جهة « أم لم يعرفوا رسولهم » لكونه غريباً فيهم ، فلا يعرفون صدقه ، ولا أمانته

« فهم له منكرون » لذلك؟! ثم اخبر تعالى أن النبي (ص) « جاءهم بالحق » من عند الله « واكثرهم » يعني اكثر الناس « للحق كارهون » أي يكرهونه بمجيئه بما ينافي عادتهم .

قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧٢)
أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٣) وَإِنَّكَ
لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٤) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّا كَبُورٌ (٧٥) وَكَوْ رَحْمَنَانَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ
لَلْجُورِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٦) خمس آيات بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ، ونافع ، وعاصم « خرجاً » بلا ألف « فخرجاً »
بألف . وقرأ حمزة والكسائي « خراجاً فخرجاً » بالألف فيهما . وقرأ ابن عامر « خرجاً
فخرج » بلا ألف فيهما .

معنى قوله « ولو أتبع الحق أهواءهم » ان الحق لما كان يدعو الى الافعال
الحسنة . والاهواء تدعو إلى الافعال الفبيحة ، فلو أتبع الحق داعي الهوى لدعا الى
فبيح الاعمال والى ما فيه الفساد والاختلاط ، ولو جرى الامر على ذلك « لفسدت
السموات والارض ومن فيهن » ووجه فساد العالم بذلك : انه يوجب بطلان الادلة
وامتناع الثقة بالمدلول عليه ، وانه لا يؤمن وقوع الظلم ، الذي لا ينصف منه ، وتختلط

الامور أقيح الاختلاط ولا يوثق برعده ، ولا وعيده ، ولا يؤمن إنقلاب عدل الحكيم . وهذا معنى عجيب . وقال قوم من المفسرين : إن الحق - في الآية - هو الله والتقدير : ولو اتبع الحق أعني الله أهواء هؤلاء الكفار ، وفعل ما يريدونه لفسدت السموات و الارض . وقال الجبائي : المعنى لو اتبع الحق - الذي هو التوحيد - أهواءهم في الاشرار معه معبوداً سواه ، لوجب ان يكون ذلك المعبود مثلاً له ولصح بينهما الممانعة ، فيؤدي ذلك الى الفساد ، كما قال تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (١) .

والهوى ميل النفس الى المشتهى من غير داعي الحق ، كما قال تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » (٢) ، فلا يجوز لاحد أن يفعل شيئاً لأنه يهواه . ولكن يفعله لأنه صواب ، على انه يهواه أو لأنه يهواه مع أنه صواب حسن جائز . وقال ابو صالح ، وابن جرير : الحق هو الله ، وقال الجبائي معنى « ولو اتبع الحق أهواءهم ، فيما يعتقدون من الآلهة » لفسدت السموات والارض » كقوله « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

وقوله « بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون » قال ابن عباس : معنى الذكر البيان للحق . وقال غيره : الذكر الشرف . كقوله « وانه لذكر لك ولقومك » (٣) وكل ذلك يراد به القرآن .

ثم قال « أم تسألهم » يا محمد « خرجاً » أي اجراً على العمل - في قول الحسن - وأصل الخرج والخراج واحد ، وهو الغلة التي تخرج على سبيل الوظيفة منه . ومنه خراج الارض ، وهما مصدران لا يجمعان . ثم قال « خراج ربك » أي أجر ربك « خير وهو خير الرازقين » يعني الله خير من يرزق . وفي ذلك دلالة على أن

(١) سورة ٢١ لانبيا آية ٢٢ (٢) سورة ٧٩ النازعات آية ٤١

(٣) سورة ٤٣ الزخرف آية ٤٤

غير الله قد يرزق باذنه ، ولولا ذلك لم يجز ﴿ خير الرازقين ﴾ .
 ثم قال لنبى محمد (ص) ﴿ وانك ﴾ يا محمد ﴿ لتدعوم ﴾ أي هؤلاء الكفار
 ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ من التوحيد ، واخلاص العبادة ، والعمل بالشرعية ﴿ وإن
 الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ يعني من لا يصدقون بالبعث يوم القيامة ﴿ عن الصراط ﴾
 صراط الحق ﴿ لنا كيون ﴾ أي عادلون عن دين الحق . وقال الجبائي : معناه لنا كيون
 في الآخرة عن طريق الجنة . بأخذهم بمنة ويسرة إلى النار .
 ثم قال تعالى ﴿ ولو رحمناهم ﴾ في الآخرة ورددناهم الى دار الدنيا ، وكلفناهم
 فيها ﴿ للجوا في طغيانهم يعمهون ﴾ كما قال ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ (١) وقال
 ابن جرير يريد في الدنيا أي ﴿ لو انا رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ﴾ وجوع
 ونحوه ﴿ للجوا في طغيانهم ﴾ أي في غوايتهم ﴿ يعمهون ﴾ أي يترددون .
 قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا
 يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٧٧) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ
 فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
 قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ (٨٠) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٨١) خمس آيات .

يقول الله تعالى انا اخذنا هؤلاء الكفار الذين ذكرناهم بالعذاب . وقيل :

هو الجذب وضيق الرزق ، والقتل بالسيف ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ أي لم يفلوا عند هذه الشدائد ، ولم يتضرعوا اليه ، فيطلبوا كشف البلاء منه تعالى عنهم بالاستكانة له ، والاستكانة طلب السكون خوفاً من السطوة . يقال : استكان الرجل استكانة إذا ذل عند الشدة .

وقوله ﴿ حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون ﴾ فالفتح فرج الباب بطريق يمكن السلوك فيه ، فكأنه فتح عليهم باباً أناهم منه العذاب . وقيل : ان ذلك حين دعا النبي (ص) فقال : (اللهم سنين كسني يوسف) نجاءوا حتى أكلو العليز وهو الورب بالدم في قول مجاهد . وقال ابن عباس : هو القتل يوم بدر . وقال الجبائي فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم في الآخرة .

والابلاس الحيرة للباس من الرحمة ، يقال : أبلس فلان إبلاسا إذا بهت عند انقطاع الحجة .

وقوله ﴿ وهو الذي أنشأكم ﴾ أي أوجدكم ، واخترعكم من غير سبب ، وجعل لكم السمع والابصار « أي وخلق لكم السمع تسمعون به الاصوات والابصار تبصرون بها المراتب وخلق لكم ﴿ الافئدة ﴾ وهو جمع فؤاد ، وهو القلب ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ نصب (قليلا) على المصدر و (ما) صلة ، وتقديره تشكرون قليلا لهذه النعم التي أنعم بها عليكم . ثم قال ﴿ وهو الذي ذرأكم ﴾ أي خلقكم وأوجدكم ﴿ في الارض واليه تحشرون ﴾ يوم القيامة ، فيجازيكم على أعمالكم إما الثواب أو العقاب . والمراد إلى الموضع الذي يختص تعالى بالتصرف فيه ، ولا يبقى لاحد هناك ملك . وقال الفراء : وهو الذي خلق السماوات والارض أي اخترعها ، وانشأها ، وقدرها على ما فيها ﴿ ج ٧ م ٤٩ من التبيان ﴾

من انواع المخلوقات ، ليدل بها على توحيده وألا إله سواه » وله اختلاف الليل والنهار ، اي له مرورها يوماً بعد ليلة . وليلة بعد يوم ، كما يقال إذا أتى الرجل الدار مرة بعد مرة : هو يختلف الى هذه الدار . وقيل : معناه وله تديرها بالزيادة والنقصان .

ثم قال ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتفكرون في جميع ذلك ، فتعلمون انه لا يستحق الالهية سواه ، ولا تحسن العبادة إلا له .

قوله تعالى :

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨٢) قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٣) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٤) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٥) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٦) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٧) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٨) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٩) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِي تُسْحَرُونَ (٩٠) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٩١) عشر آيات بلاخلاق .

قرأ ابو عمرو « سيقولون الله » في الأخيرتين . الباقون « لله » بغير الف ،

ولا خلاف في الاولى أنها بغير الف .

اخبر الله تعالى حاكياً عن الكفار ممن عاصر النبي (ص) أنهم لم يؤمنوا بالله ولم يصدقوا رسوله في اخلاص العبادة له تعالى « بل قالوا مثل ما قال الأولون » أي مثل الذي قاله الكفار الأولون : من انكار البعث والنشور والحساب والجنة والنار ، فأقوال هؤلاء . مثل أقوال أولئك . وإنما دخلت عليهم الشبهة في انكار البعث ، لأنهم لم يشاهدوا ميتاً عاش ، ولا جرت به العادة . وشاهدوا النشأة الاولى من ميلاد من لم يكن موجوداً . ولو فكروا في أن النشأة الأولى أعظم منه لعلموا أن من انكره فقد جهل جهلاً عظيماً ، وذهب عن الصواب ذهاباً بعيداً ، لان من قدر على اختراع الاجسام لا من شيء ، قدر على إعادتها إلى الصفة التي كانت عليها ، مع وجودها .

ثم حكى ما قال كل منهم ، فانهم قالوا منكبين « إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون » أي كيف نصير أحياء بعد ان صرنا تراباً ورمماً وعظاماً منخرة ؟ ثم قالوا « لقد وعدنا » بهذا الوعد « نحن وآباؤنا » من قبل هذا الموعد ، فلم نر لذلك صحة ، ولا لهذا الوعد صدقاً . وليس « هذا إلا أساطير الأولين » أي ما سطره الأولون مما لا حقيقة له ، وإنما يجري مجرى حديث السمر الذي يكتب للاطراف به . والأساطير هي الأحاديث المسطرة في الكتب ، واحداً أسطورة .

فقال الله تعالى لنبيه (ص) « قل » يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث والنشور « لمن الارض ومن فيها » أي من يملك الارض ويملك من فيها من العقلاء [وقوله « إن كنتم تعلمون » موافقة لهم في دعواهم . ثم قال في الجواب « سيقولون لله » أي سيقولون إن السموات والارض ومن فيهما لله ، لانهم لم يكونوا يجحدون الله . وإنما كذبوا الرسول . وقوله « قل افلا تذكرون » أي افلا تتفكرون في مالكم . وتذكرون قدرته وأنه لا يعجزه شيء عن إعادتكم بعد الموت ، مرة ثانية كما انشأكم

أول مرة [(١)] ثم قال له « قل » يا محمد لهم ايضاً « من رب السماوات السبع » أي من مالكتها والمتصرف فيها ؟ ولولاه لبطل كل شيء سواه ، لأنه لا يصح إلا مقدوره او مقدور مقدوره ، فقوام كل ذلك به ، ولا تستغني عنه طرفة عين لانها ترجع الى تدبيره على ما يشاء (عز وجل) وكذلك هو تعالى « رب العرش العظيم » وانما وجب أن يكون رب السماوات والعرش ، من حيث كانت هذه الاشياء جميعها محدثة ، لا بد لها من محدث اخترعها وانشأها ، ولا بد لها من مدبر يدبرها ويمسكها ، ويصرفها على ما تتصرف عليه ، ولا بد أن يختص بصفات : من كونه قادراً عالماً لنفسه ليتأنى منه جميع ذلك ، على ما دبره . ولولا كونه على هذه الصفات ، لما صح ذلك .

ثم اخبر أنهم يقولون في الجواب عن ذلك رب السماوات ورب العرش هو « الله » ومن قرأ بلا ألف فعناه انهم يقولون إنها « لله » فعند ذلك « قل » لهم « أولا تتقون » الله ، ولا تخافون عقابه على جحد توحيدهِ والاشراك في عبادته ؟ ثم أمره بان يقول لهم ايضاً « من يده ملكوت كل شيء » والملكوت عظم الملك ووزنه (فعلوت) وهو من صفات المبالغة نحو (جبروت) ومن كلامهم (رهبوت خير من رحمت) أي ترهب خير من ان ترحم . وقال مجاهد : ملكوت كل شيء خزائن كل شيء . والمعنى أنه قادر على كل شيء . إذا صح أن يكون مقدوراً له .

وقوله « وهو يجير » . معناه أنه يعيد بالمتع من سوء ، لما يشاء « ولا يجار عليه » أي لا يمكن منع من أراد به سوء منه . وقيل « هو يجير » من العذاب « ولا يجار عليه » . منه . والاجارة الاعادة ، والجار المجير المعيد ، وهو الذي يمنعك ويؤمنك ومن استجار بالله اعاده ، ومن أعاده الله لم يصل اليه احد . فانهم « سيقولون الله » الذي له

ملكوت كل شيء، وهو يجبر ولا يجار عليه . فقل لهم عند ذلك « أنى تسحرون »
ومعناه كيف يخيل اليكم الحق باطلا ، والصحيح فاسداً ، مع وضوح الحق وتمييزه
عن الباطل . ومن قرأ ﴿ الله ﴾ بآيات الالف ، فلانه يطابق السؤال في قوله ﴿ من
رب السموات السبع ورب الارض . . . ومن بيده ملكوت كل شيء . ﴾ لان جواب
ذلك على اللفظ أن يقولوا ﴿ الله ﴾ . ومن قرأ ﴿ الله ﴾ باسقاط الالف ، حمله على المعنى دون
اللفظ ، كقول القائل لمملوك : من مولاك ؟ فيقول انا فلان ، وانشد الفراء لبعض
بني عامر :

واعلم انني سأكون رمساً إذا سار النواصب لا يسبر
فقال السائلون لمن حفرتم فقال المخبرون لهم وزير (١)

لانه بمنزلة من قال : من الميت ؟ فقالوا له : وزير ، وذكر أنها في مصاحف أهل
الامصار بغير الف ، ومصحف أهل البصرة فانها بالف . (٢) فأما الاولى فلا خلاف
أنها بلا ألف لمطابقة السؤال في قوله ﴿ قل لمن الارض ﴾ والجواب يقتضى أن
يقولوا : لله . وإنما أخبر الله تعالى عنهم ، بأنهم يقولون في جواب السؤال : لله ، لأنهم
لو أحالوا على غير الله في انه مالك السموات والارض ، وأن غيره بيده ملكوت كل
شيء . وأن غيره رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ، لظهر كذبهم . ولعلم كل
احد بطلان قولهم ، لظهور الأمر في ذلك . وقربه من دلائل العقول .

وقوله ﴿ فأنى تسحرون ﴾ أي كيف تعمهون عن هذا ، وتصدون عنه ،
من قولهم : سحرت أعيننا عن ذلك ، فلم نبصره . وقيل معنى ذلك : فأنى تخدعون ،
كقول امرئ القيس :

(١) تفسير الطبري ١٨ / ٣٢

(٢) وفي المخطوطة (في مصاحف أهل الشام بغير الف وفي مصاحف أهل الامصار بالالف)

ونسحر بالطعام وبالشراب (١)

أي نخدع. وقيل معناه أتى تصرفون ، يقال : ما سحرك عن هذا الامر أي ما صرفك عنه . ثم أخبر تعالى أنه أتى هؤلاء الكفار بالحق الواضح : من توحيد الله وصفاته وخلع الابدان دونه . وأنه يبعث الخلق بعد موتهم ، ويجازيهم على طاعاتهم بالثواب ، وعلى معاصيهم بالعقاب ، وان الكفار كاذبون فيما يخبرون بخلافه . قال المبرد : معنى ﴿أنى﴾ كيف ، ومن أين .

قوله تعالى :

﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ
إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩٢)
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٣) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئَنِي
مَا يُوعَدُونَ (٩٤) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٥) وَإِنَّا عَلَى
أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٦) خمس آيات بلاخلاف .

قرأ ﴿عالم الغيب﴾ بالجر ابن كثير وأبو عمرو ، وابن عامر وحفص عن عاصم . الباقون بالرفع . من جر رده على قوله ﴿سبحان الله عالم الغيب﴾ فجعله صفة لله . ومن رفعه ، فعلى تقدير هو ﴿عالم الغيب﴾ .

يقول الله تعالى مخبراً أنه لم يتخذ ولداً أي لم يجعل ولداً غيره ولد نفسه ، لاستحالة ذلك عليه ، لأنه محال أن يكون له ولد ، فلا يجوز التشبيه بما هو مستحيل تمتع

إلا على النبي والتباعد. واتخاذ الولد: أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له. وكذلك النبي إنما هو جعل الجاعل ابن غيره يقوم مقام ابنه الذي يصح أن يكون ولداً له. ولذلك لا يقال: تبني شاب شيخاً، ولا تبني الإنسان بهيمة، لما استحال أن يكون ذلك ولداً له. ولا يجوز أن يقال: اتخذ ولدأ، إذا اختصه بضرب من المحبة، لأن في ذلك إخراج الشيء عن حقيقته كما أن تسمية ما ليس بطويل عريض عميق جسمأ إخراج له عن حقيقته.

ثم اخبر أنه كما لم يتخذ ولدأ، لم يكن معه إله. وهذا جواب لمخدوف، وتقديره: لو كان معه إله آخر «إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلي بعضهم على بعض» وفيه إزام لمن يعبد الأصنام. وقوله «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا» (١) دليل عام في نفي مساو للقديم فيما يقدر عليه من جميع الاجناس والمعاني. ومعنى «إذا لذهب كل إله بما خلق» أي لا نفرده به وحوله من خلق غيره، لأنه لا يرضى أن يضاف خلقه وانعامه الى غيره.

فان قيل: لم لا يكون كل واحد منهم حكيمأ، فلا يستعلي على حكيم غيره؟ قلنا: لأنه إذا كان جسمأ وكل جسم محتاج، جاز منه أن يستعلي لحاجته، بل لا بد من أن يقع ذلك منه، لأنه ليس له مدبر يلفظ له حتى يمتنع من القبيح الذي يحتاج اليه، كما يلفظ الله للملائكته وانبيائه بما في معلومه انهم يصلحون به.

ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد وأن يكون معه إله غيره، فقال «سبحان الله عما يصفون» من الاشرالك معه، واتخاذ الولد له.

وقوله «عالم الغيب والشهادة» فلذلك يأتي بالحق، وهم يأتون بالجهل. ويحتمل أن يكون معناه إن عالم الغيب والشهادة لا يكون له شريك، لأنه أعلى من كل شيء.

في صفته . قال الحسن : هو ردّ لقول المشركين : الملائكة بنات الله . وقال الجبائي : في الآية دلالة على انه يجوز ان يدعو الانسان بما يعلم انه يكون لا محالة وأن الله لا بد أن يفعله .

ثم قال تعالى ﴿ فتعالي عما يشركون ﴾ أي تعاضم الله عن ان يشرك هؤلاء الكفار معه من الاصنام والاولثان . ثم قال لنبيه (ص) ﴿ قل رب اما تريني ما يوعدون ﴾ ومعناه ان أريتنى ما وعد هؤلاء الكفار به من العذاب والاهلاك . فقل يا ﴿ رب فلا تجعلني في القوم الظالمين ﴾ أي لا تجعلني في جملة من يشملهم العذاب بظلمهم ، وتقديره : إن انزلت بهم العقوبة ، فاجعلني خارجاً منهم . فقال الله تعالى ﴿ وإنا على ان نريك ما نعدهم لقادرون ﴾ معناه إن ما وعدتهم به من العذاب والاهلاك على كفرهم قادر عليه ، لكني لا أفعله وأؤخره الى يوم القيامة لما في تأخيره من المصلحة .

قوله تعالى :

﴿ ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون ﴾ (٩٧)
 وقل رب اعود بك من همزات الشياطين (٩٨) واعد بك رب ان
 يحضرون (٩٩) حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون (١٠٠)
 لعلني اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن
 ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ﴾ (١٠١) خمس آيات بلاخلاف .

امر الله تعالى نبيه (ص) أن يدفع السيئة من إساءة الكفار اليه بالتي هي احسن

منها . ومعنى ذلك انهم إذا ذكروا المنكر من القول - الشرك - ذكرت الحججة في مقابلته
وذكرت الموعدة التي تصرف عنه الى ضده من الحق ، على وجه التلطف في الدعاء
اليه ، والحث عليه ، كقول القائل : هذا لا يجوز ، وهذا خطأ ، وعدول عن الحسن .
وأحسن منه أن يوصل بذكر الحججة والموعدة كما بينا . وقال الحسن : « بالتي هي
أحسن » الاغضاء والصفح . وقيل : هو خطاب للنبي (ص) والمراد به الأمة ،
والمعنى إيداع الأفعال السيئة بالأفعال الحسنة التي ذكرها .

وقوله « نحن اعلم بما يصفون » معناه نحن اعلم منهم بما يستحقون به من الجزاء
في الوقت الذي يصلح الأخذ بالعقوبة إذا انقضى الأجل المضروب بالامهال . ثم
قال له « قل » يا محمد ، وادع فقل يا « رب اعوذ بك من همزات الشياطين » أي
نزغاتهم ووساوسهم ، فمعنى (أعوذ) اعتصم بالله من شر الشياطين ، في كل ما يخاف
من شره . والمعاذة هي التي يستدفع بها الشر ، والهمزات دفعهم بالاغواء الى المعاصي ،
والهمزة الدفع . ومنه الهمزة : الحرف الذي يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد .
والعياذ طلب الاعتصام من الشر « واعوذ بك رب أن يخضرون » هؤلاء الشياطين
فيوسوسون لي ويفوونني عن الحق .

وقوله « حتى إذا جاء أحدم الموت قال رب ارجعون » اخبار من الله تعالى
عن أحوال هؤلاء الكفار ، وأنه إذا حضر أحدم الموت ، واشرف عليه سأل الله
عند ذلك و « قال رب ارجعون » أي ردني الى دار التكليف « لعلني أعمل صالحاً »
من الطاعات وأتلافى ما تركته . وإنما قال « رب ارجعون » على لفظ الجمع
لأحد امرين :

أحدهما - انهم استعانوا أولاً بالله ، ثم رجعوا الى مسألة الملائكة بالرجوع الى

﴿ ج ٧ م ٥٠ من التبيان ﴾

الله - في رواية ابن جريج .

والثاني - أنه جرى على تعظيم الذكر في خطاب الواحد بلفظ الجمع لعظم القدر كما يقول ذلك المتكلم ، قال الله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) وقال « ولقد خلقنا الانسان » (٢) وما جرى مجراه . وروى النضر بن سمائل قال : سئل الخليل عن قوله « رب ارجعون » ففكر ثم قال : سألتموني عن شيء لا أحسنه ولا أعرف معناه ، والله أعلم ، لأنه جمع ، فاستحسن الناس منه ذلك . فقال الله تعالى في الجواب عن سؤالهم « كلا » وهي كلمة ردع وزجر أي حقاً « إنها كلمة » فالكناية عن الكلمة والتقدير : ان الكلمة التي قالوها « كلمة هو قائمها » بلسانه . وليس لها حقيقة ، كما قال « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » (٣) وقوله « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » فالبرزخ الحاجز - وههنا - هو الحاجز بين الموت والبعث - في قول ابن زيد - وقال مجاهد : هو الحاجز بين الموت والرجوع الى الدنيا . وقال الضحاك : هو الحاجز بين الدنيا والاخرة . وقيل البرزخ الامهال . وقيل : كل فصل بين شيئين برزخ .

وفي الآية دلالة على أن احداً لا يموت حتى يعرف اضطراباً منزلته عند الله وانه من أهل الثواب أو العقاب - في قول الجبائي وغيره - وفيها دلالة أيضاً على انهم في حال التكليف يقدررون على الطاعة بخلاف ما تقول المجبرة . ومعنى « ومن ورائهم » أي أمامهم وقدامهم ، قال الشاعر :

ابرجو بنو مروان سمي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

ومعنى « يبعثون » يوم يحشرون للحساب والمجازاة ، وأضيف الى الفعل لان ظرف الزمان يضاف الى الافعال .

قوله تعالى

﴿ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠٢)
 فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٣) وَمَنْ خَفَّتْ
 مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٤)
 تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٥) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى
 عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴾ (١٠٦) خمس آيات بلاخلاف .

قوله تعالى « فإذا نفخ في الصور » ليوم الحشر والجزاء ومعنى نفخ الصور :
 هو علامة لوقت إعادة الخلق . وفي تصورهم الاخبار عن تلك الحال صلاح لهم في
 الدنيا ، لانهم على ما اعتادوه في الدنيا من بوق الرهيل والقدوم . وقال الحسن :
 الصور جمع صورة أي إذا نفخ فيها الأرواح واعيدت احياء . وقال قوم : هو قرن
 ينفخ فيه إسرافيل بالصوت العظيم الهائل ، على ما وصفه الله . وقوله « فلا انساب
 بينهم يومئذ ولا يتساءلون » اخبار منه تعالى عن هول ذلك اليوم ، فانهم لا يتواصلون
 هناك بالانساب ، ولا يحنون اليها ، لشغل كل انسان بنفسه . وقيل معناه : انهم
 لا يتناسبون في ذلك اليوم ، ليعرف بعضهم بعضاً من أجل شغله بنفسه عن غيره .
 وقال الحسن : معناه لا أنساب بينهم يتعاطفون بها ، وإن كانت المعرفة بأنسابهم
 حاصلة بدلالة قوله « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » (١) فأثبت
 انهم يعرفون أقاربهم وإن هربهم منهم لاشتغالهم بنفوسهم ، والنسب هو إضافة الى

قراءة في الولادة .

وقوله « ولا يتساءلون » معناه لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبره وحاله ، كما كانوا في الدنيا ، لشغل كل واحد منهم بنفسه . وقيل : لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه من ذنوبه شيئاً . ولا يناقض ذلك قوله « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » (١) لأن هناك مواطن ، فمنها ما يشغلهم من عظيم الأمر الذي ورد عليهم عن المسألة ، ومنها حال يفيقون فيها فيتساءلون . وقال ابن عباس : قوله « فاذا نفخ في الصور » يعني النفخة الاولى التي يهلك عندها الخلق ، فلا احد يبق ، ولا نسب هناك ولا تساؤل . وقوله ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ فذلك عند دخولهم الجنة ، فانه يسأل بعضهم بعضاً ، وهو قول السدي .

وقوله « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » اخبار منه تعالى أن من عظمت طاعاته وسلت من الاحباط - في قول من يقول بذلك - ومن لا يقول بالاحباط فمعناه عندهم : إن من كثرت طاعاته ، وهو غير مستحق للعقاب ، فإن اولئك هم المفلحون الفائزون .

« ومن خفت موازينه » بأن يكون احبطت طاعاته ، لكثرة معاصيه . ومن لا يقول بالاحباط ، قال : معناه من لم يكن معه شيء من الطاعات وإنما معهم المعاصي ، لأن الميزان إذا لم يكن فيه شيء يوصف بالخفة ، كما يوصف بالخفة إذا كان فيه شيء يسير في مقابله ما هو أضعافه ، فإن من هذه صورته « فأولئك الذين خسروا أنفسهم » لأنهم أهلكوها بالمعاصي التي استحقوا بها العقاب الدائم ، وهم ﴿ في جهنم ﴾ مؤبدون ﴿ خالدون ﴾ .

وقال الحسن والجبائي وغيرهما : هناك ميزان له كفتان ولسان . واختلفوا :

فمنهم من قال : يوزن بها صحف الأعمال . وقال بعضهم : يظهر في إحدى الكفتين النور، وفي الأخرى الظلمة ، فأيهما رجح تبينت الملائكة المستحق للثواب من المستحق للعقاب . وقال قتادة والبلخي : الميزان عبارة عن معاداة الاعمال بالحق . وبيان أنه ليس هناك مجازفة ولا تفريط .

ثم اخبر تعالى بأن النار التي يجعلون فيها ﴿ تلفح وجوههم ﴾ وانهم فيها ﴿ كالخون ﴾ يقال : لفح ونفح بمعنى واحد ، غير أن النفح أعظم من النفع . واشد تأثيراً ، وهو ضرب من السموم للوجه ، والنفح ضرب الريح للوجه ، والكروح تقلص الشفتين عن الاسنان حتى تبدو الأسنان ، قال الاعشى :

وله المقدم لا مثل له ساعة الشدق عن الناب كلح (١)

قوله تعالى :

﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٧)
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٨) قَالَ آخِذُوا بِهَا وَلَا
تُكَلِّمُوا (١٠٩) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ
لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٠) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا
حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ (١١١) خمس
آيات بلاخلاف .

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً ﴿ شقاوتنا ﴾ بأثبات الألف . الباقون ﴿ شقوتنا ﴾ .

(١) ديوانه ﴿ دار بيروت ﴾ ٤٠ وروايته : في الحرب ، بدل ﴿ لا مثل له ،

وقرأ اهل الكوفة إلا عاصماً ونافع ﴿ سخرياً ﴾ بضم السين . الباقون بكسر ها .
حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار انهم يعترفون على نفوسهم بالخطأ ، ويقولون
﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ والشقوة المصرة اللاحقة في العاقبة . والسعادة المنفعة
اللاحقة في العاقبة ، وقد يقال لمن حصل في الدنيا على مضرة فادحة : شقي ، من حيث
أنه يؤدي الى أمر شديدة ، فللعاصي شقوة ، تؤدي الى العقاب الدائم . ويجوز أن
يكون المراد بالشقوة العذاب الذي يفعل الله بهم ويغلب عليهم .

وقوله « وكنا قومًا ضالين » اعتراف منهم على نفوسهم أنهم ضلوا عن الحق
في الدنيا وزمان التكليف ، ويسألون الله تعالى فيقولون « ربنا أخرجنا منها » أي من
هذه النار « فان عدنا فانا ظالمون » ولا يجوز أن يكونوا لو أخرجوا الى دار التكليف
لما عادوا . لان الشهوة العاجلة والاعتزاز بالامهال يعود اليهم فلا يكونون ملجئين .
وقد قال الله تعالى « ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون » (١) . وقال
الحسن : هو آخر كلام يتكلمون به أهل النار ، فيقول الله تعالى لهم في جوابهم
« اخسثوا فيها » يعني في النار « ولا تكلمون » أي ابعدوا ، بعد الكلب . واذا
قيل للكلب اخساً ، فهو زجر بمعنى ابعده بعد غيرك من الكلاب ، واذا خوطب به
انسان ، فهو إهانة له ، ولا يكون ذلك إلا عقوبة . وخسأت فلاناً أخسأه خساً ، فهو
خاسئ . إذا أبعده بمكروه ، ومنه قوله « كونوا قردة خاسئين » (٢) وقوله « ولا
تكلمون » قيل في معناه قولان :

احدهما - ان ذلك على وجه الغضب اللازم لهم . فذكر ذلك ليدل على هذا
المعنى ، لان من لا يكلم اهانة له وغضباً ، فقد بلغ به الغاية في الازلال .
والثاني - ولا تكلمون في رفع العذاب عنكم ، فاني لا أرفعه عنكم ، ولا افتره

وهو على صيغة النهي ، وليس بنهي .

ثم يقول الله تعالى لهؤلاء الكفار على وجه التهجين لهم والتوبيخ ﴿ انه كان فريق من عبادي ﴾ يعني المؤمنين في دار الدنيا ﴿ يقولون ربنا آتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين ﴾ أي يدعون بهذه الدعوات ، عبادة لله ، وطلباً لما عنده . من الثواب ﴿ فاتخذتموهم ﴾ انتم يا معشر الكفار ﴿ سخرياً ﴾ اي كنتم تستهزؤون بهم وتسخرون منهم . وقيل (السخري) بضم السين من التسخير و (السخري) بكسر السين من الهزء . وقيل : هما لغتان . وقوله ﴿ حتى انسوكم ذكري ﴾ معناه لتشاغلكم بالسخرية نسيتم ذكري ﴿ وكنتم منهم تضحكون ﴾ فلذلك نسب اليهم انهم انسوهم ذكر الله ، لما كان بسببهم ، والاشغال باغوائهم نسوا ذكر الله .

قوله تعالى :

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١٢) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدِ سِنِينَ (١١٣) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسئِلِ الْعَادِينَ (١١٤) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٥) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٦) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٧) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٨) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ

وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٩) ثمان آيات بلاخلاف .

قرأ حمزة والكسائي وخارجة عن نافع « أنهم هم الفأزون » بكسر الهمزة .
الباقون بفتحها . وقرأ ابن كثير « قل كم لبثتم » على الأمر . الباقون « قال كم
لبثتم » على الخبر . وقرأ حمزة والكسائي « قل » فيهما على الأمر . الباقون « قال »
فيهما على الخبر . وقرأ « ترجعون » بفتح التاء وكسر الجيم حمزة والكسائي . الباقون
بضم التاء وفتح الجيم .

أخبر الله تعالى « إني جزيتهم اليوم » يعني المؤمنين الذين سخر منهم الكفار
في دار التكليف ، وأكافئهم على صبرهم ومضضهم في جنب الله ، على أقوال الكفار
وهزؤهم بهم بـ « أنهم هم الفأزون » وحذف الباء ، ونصب الهمزة ، وقيل : إنها في
موضع جر ، وتقديره جزيتهم بفوزهم بالجنة . وقيل تقديره : لأنهم هم الفأزون .
ومن خفض الهمزة فاستأنف ، فالجزاء مقابلة العمل بما يستحق عليه من ثواب أو
عقاب كما يقال : الناس مجزيون بأعمالهم إن خير أخيراً ، وإن شرأ فشرأ . والصبر حبس
النفس عما تنازع إليه مما لا يحسن ، أو ليس بأولى ، لأن الصبر طاعة الله لما وعد عليه
من الجزاء ، والطاعة قد تكون فرضاً ، وقد تكون نفلاً .

وقوله « اليوم » يريد به أيام الجزاء لا يوماً بعينه ، لأن اليوم هو ما بين طلوع
الفجر الثاني إلى غروب الشمس ، وليس المراد في الآية ذلك .

قوله « قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين » فمن قرأ « قال » فعناه قال الله
لهم كم لبثتم . ومن قرأ « قل » معناه قل لهم يا محمد ، واللبث هو المكث وهو حصول
الشيء على الحال أكثر من وقت واحد ، واللبث هو الكائن على الصفة ، على مرور
الأوقات . والعدد عقد يظهر به مقدار المعدود ، يقال : عدد بعده عدداً وعدداً ،

فهو عاد . والحساب هو اخراج المقدار في الكمية وهي العدة ، وهذا السؤال لهم على وجه التوبيخ لانكارهم البعث والنشور ، فيقول الله لهم اذا بعثهم ﴿ كم لبثتم في الارض عدد سنين ﴾ اي اين ما كنتم تنكرون من اجابت الرسل وما جاءت به وتكذبون به . وقوله ﴿ قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم ﴾ فسأل العادين قال مجاهد: معناه فسأل العادين من الملائكة لانهم يحصون أعمال العباد . وقال قتادة : العادين هم الحساب الذين يعدون الشهور والسنين ، ولا يدل ذلك على بطلان عذاب القبر ، لانهم لم يكونوا يعدون كالملي العقول ، وقد صح عذاب القبر بتضافر الاخبار عن النبي (ص) واجماع الامة عليه - ذكره الرماني - ولا يحتاج الى هذا ، لانه لا يجوز أن يعاقب الله العصاة إلا وهم كاملوا العقول ليعلموا أن ذلك واصل إليهم على وجه الاستحقاق . ووجه اخبارهم بيوم او بعض يوم ، هو الاخبار عن قصر المدة ، وقلته ، لما مضى لسرعة حصولهم في ماتوعدهم الله تعالى ، فيقول الله تعالى في الجواب ﴿ ان لبثتم الا قليلا ﴾ اي لم تلبثوا إلا قليلا ، والمراد ما قلناه من قصر المدة كما قال ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ (١) وكما قال ﴿ اقتربت الساعة ﴾ (٢) وكما قال ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو اقرب ﴾ (٣) وقال الحسن : معناه ﴿ إن لبثتم إلا قليلا ﴾ في طول لبثكم في النار ، والقلة والكثرة بتغيران بالاضافة ، فقد يكون الشيء قليلا بالاضافة الى ما هو أكثر منه ، ويكون كثيراً بالاضافة الى ما هو أقل منه ﴿ لو انكم كنتم تعلمون ﴾ صحة ما أخبرناكم به .

ثم قال لهم ﴿ أحسبتم ﴾ معاشر الجاحدين للبعث والنشور ﴿ أنما خلقناكم عبثاً لا لغرض؟! أي ظننتم ، والحسبان والظن واحد ، أي ظننتم انا خلقناكم لا لغرض ،

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ١

(٢) سورة ٥٤ القم آية ١

(٣) سورة ١٦ النحل آية ٧٧

وحسبتم ﴿ أنكم الينا لا ترجعون ﴾ أي الى الحال التي لا يملك نفعكم وضرركم فيها إلا الله، كما كنتم في ابتداء خلقكم قبل أن يملك أحداً شيئاً من أمركم. ثم نزه تعالى نفسه عن كل دنس، واخبرانه ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ومعناه: علامته صفة، فوق كل صفة لغيره، فهو تعظيم الله تعالى بأن كل شيء سواه بصغر مقداره عن معنى صفة. ﴿ والملك الحق ﴾ هو الذي يحق له الملك، بأنه ملك غير مملك، وكل ملك غيره، فلسكه مستعار له، وإنما يملك ما ملكه الله، فكأنه لا يعتد بملكه في ملك ربه، والحق هو الشيء الذي من اعتقده كان على ما اعتقده، فالله الحق، لأنه من اعتقده لا إله إلا هو، فقد اعتقد الشيء على ما هو به. وقوله ﴿ رب العرش الكريم ﴾ أي خالقه، ووصفه العرش بأنه كريم تعظيم له باتيان الخير من جهته، بما دبره الله لعباده، والكريم في أصل اللغة القادر على التكرم من غير مانع. ثم قال ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ﴾ ومعناه إن من دعا مع الله إلهاً سواه لا يكون له على ذلك برهان ولا حجة، لأنه باطل، ولو دعا الله برهان لكن محققاً، واجري على ذلك قوله ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ (١) وقول الشاعر:

على لاحب لا يهتدى بمناره (٢)

وقوله ﴿ فأنما حسابه على ربه ﴾ يعني الله الذي يبين له مقدار ما يستحقه من ثواب أو عقاب. ثم اخبر تعالى بأنه ﴿ لا يفلح الكافرون ﴾ يعني الجاحدين لنعم الله، والمنكرين لتوحيده، والدافعين للبعث والنشور. ثم أمر نبيه (ص) فقال له ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ رب اغفر وارحم ﴾ أي اغفر الذنوب، وانعم على خلقك. ﴿ وانت خير الراحمين ﴾ معناه افضل من رحم وانعم على غيره، واكثرهم نعمة وأوسعهم فضلاً.

٢٤- سورة النور

مدنية بلا خلاف ، وهي أربع وستون آية
في البصري والكوفي واثنان في المدنيين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وابو عمرو ﴿ وفرضناها ﴾ بتشديد الراء . الباقون بتخفيفها .
وفسر ابو عمرو قراءته بمعنى فصلناها (١) وبيناهما بفرائض مختلفة ، والتقدير هذه
﴿ سورة ﴾ لان النكرة لا يبتدأ بها . وقال غيره : معنى التشديد حددنا فيها الحلال
والحرام . وقال قتادة : معنى التشديد : قد بيناهما . وقيل : معنى التشديد : جعلناها
عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة .

ومن خفف أراد من الفريضة أي فرض فيها الحلال والحرام ، والفرض
مأخوذ من فرض القوس وهو الحز الذي فيه الوتر ، والفرض ايضاً نزول القرآن قال

(١) وفي بعض النسخ الخطية (فمعنى قراءة ابي عمرو : وفصلناها)

الله تعالى ﴿ ان الذي فرض عليك القرآن ﴾ (١) أي انزل . وارتفع ﴿ سورة ﴾ على تقدير هذه (سورة) إلا انه حذف على تقدير التوقع لما ينزل من القرآن . والسورة المنزلة الشريفة قال الشاعر :

ألم تر أن الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب (٢)

فسميت السورة من القرآن بذلك لهذه العلة . والفرض هو التقدير - في اللغة - وفصل بينه وبين الواجب ، بأن الفرض واجب يجعل جاعل ، فرضه على صاحبه ، كما انه أوجبه عليه ، والواجب قد يكون واجباً من غير جعل جاعل ، كوجوب شكر المنعم ، فجرى مجرى دلالة الفعل على الفاعل في انه يدل من غير جعل جاعل كما تجعل العلامة الوضعية ، إلا أن الله تعالى لا يوجب على العبد الا ماله صفة الوجوب في نفسه ، كما لا يرغب الا في ما هو مرغوب في نفسه .

وقوله ﴿ انزلنا فيها آيات يبينات لعلكم تذكرون ﴾ فعنى (الآيات) الدلالات على ما يحتاج إلى علمه مما قد بينه الله في هذه السورة ، ونبه على ذلك من شأنها لينظر فيه طالب العلم ويفوز ببعيته منه ، والتقدير ، وفرضنا فرائضها . و اضاف الفرائض الى السورة ، وهي بعضها ، لدلالة الكلام عليه ، لانها مفهومة منها . و ﴿ يينات ﴾ معناه ظاهرات واضحات . وقوله ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ معناه لكي تذكروا الدلائل التي فيها ، فتكون حاضرة لكم لتعملوا بموجبه وتلتزموا معانيه .

قوله تعالى :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

﴿ ١ ﴾ سورة ٢٨ القصص آية ٨٥ ﴿ ٢ ﴾ تالله النسايفة الذياني ديوانه « دار

پروت ١٨٤ وقد مر في ١ / ١٩ ، ٣ / ٣٦٦ من هذا الكتاب

وَلَا تَأْتُوا زَانِيَةً بِبَهْمَارِأَفَةٍ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عِنْدَنَا بِبَهْمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ
 إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ
 ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣) آيتان بلا خلاف .

قرأ ابن كثير الا ابن فليح ﴿ رآفة ﴾ بفتح الهمزة على وزن (فعالة) .
 الباقون بسكونها ، وهما لغتان في المصدر . يقال : رأف رأفة مثل كرم كرماً . وقيل :
 رأفة مثل سقم سقامة . والرأفة رقة الرحمة .

أمر الله تعالى في هذه الآية : أن يجلد الزاني ، والزانية اذا لم يكونا محصنين
 ﴿ كل واحد منهما مئة جلدة ﴾ واذا كانا محصنين أو أحدهما ، كان على المحصن الرجم
 بلا خلاف . وعندنا انه يجلد اولاً مئة جلدة ثم يرم ، وفي اصحابنا من خص ذلك
 بالشيخ والشيخة إذا زنيا وكانا محصنين ، فأما اذا كانا شاين محصنين لم يكن عليهما
 غير الرجم ، وهو قول مسروق . وفي ذلك خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء .

والاحصان الذي يوجب الرجم هو أن يكون له زوج يغدو اليه ويروح على
 وجه الدوام ، وكان حراً . فأما العبد ، فلا يكون محصناً ، وكذلك الأمة لا تكون
 محصنة ، وانما عليهما نصف الحد : خمسون جلدة ، والحر متى كان عنده زوجة يتمكن
 من وطئها مخلي بينه وبينها سواء كانت حرة أو أمة ، او كان عنده أمة يطؤها بملك
 اليمين ، فانه متى زنا وجب عليه الرجم ، ومن كان غائباً عن زوجته شهراً فصاعداً
 أو كان محبوساً او هي محبوسة هذه المدة . فلا أحصان . ومن كان محصناً على ما قدمناه
 ثم ماتت زوجته أو طلقها بطل احصانه . وفي جميع ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه

في الخلاف .

والخطاب بهذه الآية وان كان متوجهاً الى الجماعة ، فللمراد به الأئمة بلا خلاف ، لانه لا خلاف أنه ليس لاحد اقامة الحدود إلا للامام أو من يوليه الامام . ومن خالف فيه لا يعتد بخلافه .

والزنا هو وطؤ المرأة في الفرج من غير عقد شرعي ولا شبهة عقد شرعي مع العلم بذلك أو غلبة الظن . وليس كل وطى . حرام زناً ، لانه قد يطؤ امرأته في الحيض والنفاس ، وهو حرام ، ولا يكون زناً ، وكذلك لو وجد امرأة على فراشه ، فظنها زوجته او أمته فوطأها لم يكن ذلك زناً ، لانه شبهة .

وقوله « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » قال مجاهد وعطاء ابن أبي رباح وسعيد بن جبير و ابراهيم : معناه لا تمنعكم الرأفة والرحمة من اقامة الحد . وقال الحسن وسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وحماد : لا يمنعكم ذلك من الجلد الشديد . (والرأفة) بسكون الهمزة . والرأفة - بفتح الهمزة - مثل الكأبة والكأبة ، والسامة والسامة ، وهما لغتان ، و بفتح الهمزة قرأ ابن كثير على ما قدمناه .

وقوله « إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » أي إن كنتم تصدقون بما وعد الله وتوعد عليه ، وتقرون بالبعث والنشور ، فلا تأخذكم في من ذكرناه الرأفة ، ولا تمنعكم من اقامة الحد على من ذكرناه .

وقوله « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » قال مجاهد و ابراهيم : الطائفة رجل واحد . وعن ابي جعفر (ع) ان اقله رجل واحد . وقال عكرمة : الطائفة رجلان فصاعداً . وقال قتادة والزهري : هم ثلاثة فصاعداً . وقال ابن زيد : اقله اربعة . وقال الجبائي : من زعم ان الطائفة اقل من ثلاثة فقد غلط من جهة اللغة ، ومن جهة المراد بالآية ، من احتياطه بالشهادة ، وقال : ليس لأحد ان يقيم الحد

إلا الأئمة وولاتهم ، ومن خالف فيه فقد غلط ، كما أنه ليس للشاهد ان يقيم الحد .
وقد دخل المحصن في حكم الآية بلا خلاف .

وكان سيبويه يذهب الى ان التأويل : في ما فرض عليكم ، الزانية والزاني ، ولولا ذلك لنصب بالأمر . وقال المبرد : إذا رفعته ففيه معنى الجزاء ، ولذلك دخل الفاء في الخبر ، والتقدير التي تزني ، والذي يزني ، ومعناه من زنى فاجلدوه ، فيكون على ذلك عاماً في الجنس .

وقال الحسن : رجم النبي (ص) الثيب (١) وأراد عمر ان يكتبه في آخر الصحف ثم تركه ، لئلا يتوهم انه من القرآن . وقال قوم : إن ذلك منسوخ التلاوة دون الحكم . وروي عن علي (ع) ان المحصن يجلد مئة بالقرآن ، ثم يرمم بالسنة .
وانه امر بذلك .

وقوله « الزاني لا ينكح إلا زانية او مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان او مشرك ... » الآية . قيل : انها نزلت على سبب ، وذلك انه استأذن رجل من المسلمين النبي (ص) ان يتزوج امرأة من اصحاب الرايات ، كانت تسافح ، فأنزل الله تعالى الآية . وروي ذلك عن عبد الله بن عمر ، وابن عباس : وقال حرم الله نكاحهن على المؤمنين ، فلا يتزوج بهن الا زان او مشرك . وقال مجاهد والزهري والشعبي : ان النبي استؤذن فيها ام مهزول . وقيل النكاح - ههنا - المراد به الجماع ، والمعنى الاشتراك في الزنا ، يعني انهما جميعاً يكونان زانيين ، ذكر ذلك ابن عباس . وقد ضعف الطبري ذلك ، وقال : لا فائدة في ذلك . ومن قال بالأول ، قال : الآية وان كان ظاهرها الخبر ، فالمراد به النهي . وقال سعيد بن جبير : معناه انها زانية مثله ، وهو قول الضحاك وابن زيد . وقال سعيد بن المسيب : كان ذلك حكم كل

(١) في المخطوط (البنت)

زان وزانية ، ثم نسخ بقوله ﴿ وانكحوا الأيامي منكم والصالحين ﴾ (١) ، وبه قال أكثر الفقهاء . وقال الرماني : وجه التأويل انها مشتركان في الزنا ، لأنه لا خلاف انه ليس لاحد من اهل الصلاة ان ينكح زانية وان الزانية من المسلمات حرام على كل مسلم من اهل الصلاة ، فعلى هذا له ان يتزوج بمن كان زنى بها .
وعن ابي جعفر (ع) (ان الآية نزلت في اصحاب الرايات ، فأما غيرهن فانه يجوز ان يتزوجها ، وان كان الأفضل غيرها ، ويمنعها من الفجور) . وفي ذلك خلاف بين الفقهاء .

قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) آيتان بلاخلاف .

قال سعيد بن جبير : هذه الآية نزلت في عائشة . وقال الضحاك في نساء المؤمنين : وهو الأولى ، لأنه اعم فائدة ، وإن كان يجوز أن يكون سبب نزولها في عائشة ، فلا تقصر الآية على سببها .

يقول الله تعالى ان « الذين يرمون المحصنات » أي يقذفون العنائف من النساء بالزنا ، والفجور ، وحذف قوله بالزنا لدلالة الكلام عليه ، ولم يقيموا على ذلك أربعة من الشهود ، فإنه يجب على كل واحد منهم ثمانون جلدة . وقال الحسن : يجلد

وعليه ثيابه . وهو قول أبي جعفر (ع) . ويجلد الرجل قائماً ، والمرأة قاعداً . وقال إبراهيم ترمى عنه ثيابه في حد الزنا .

وقوله « ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً » نهي من الله تعالى عن قبول شهادة القاذف على التأييد ، وحكم عليهم بأنهم فساق . ثم استثنى من ذلك الذين تابوا من بعد ذلك .

واختلفوا في الاستثناء الى من يرجع ، فقال قوم : انه من الفساق ، فإذا تاب قبلت شهادته حد او لم يحد . وهو قول سعيد بن المسيب . وقال عمر لأبي بكر : إن ثبت قبلت شهادتك . فأبى ابو بكر أن يكذب نفسه . وهو قول مسروق والزهري والشعبي وعطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز والضحاك ، وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . وبه قال الشافعي من الفقهاء وأصحابه ، وهو مذهبنا . وقال الزجاج : يكون تقديره . ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً إلا الذين تابوا . ثم وصفهم بقوله « وأولئك هم الفاسقون » وقال شريح وسعيد بن المسيب ، والحسن وإبراهيم : الاستثناء من الفاسقين دون قوله « ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً » وبه قال أهل العراق ، قالوا : فلا يجوز قبول شهادة القاذف أبداً . ولا خلاف في أنه إذا لم يحد - بأن تموت المقدوفة ولم يكن هناك مطالب ، ثم تاب - أنه يجوز قبول شهادته . وهذا يقتضي الاستثناء من المعنيين على تقدير : وأولئك هم الفاسقون في قذفهم ، مع امتناع قبول شهادتهم إلا التائبين منهم .

والحد حق المقدوفة لا يزول بالتوبة . وقال قوم : توبته متعلقة بكذابه نفسه . وهو المروي في أخبارنا ، وبه قال الشافعي . وقال مالك بن أنس : لا يحتاج الى ذلك فيه . قال أبو حنيفة : ومتى كان القاذف عبداً او أمة فعليه أربعون جلدة . وقد

﴿ج ٧ م ٥٢ من التبيان﴾

روى أصحابنا : أن الحد ثمانون في الحرّ والعبد ، وظاهر العموم يقتضي ذلك ، وبه قال عمر بن عبد العزيز ، والقاسم بن عبد الرحمن .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ كُذِّبَتْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) خمس آيات بلاخلاف .

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر « فشهادة احدى اربع شهادات » برفع العين . الباقون بفتحها . وقرأ نافع ويعقوب « ان لعنة الله وان غضب الله عليها » بتخفيف النون فيهما ، وسكونها ، ورفع « لعنة الله » وقرأ نافع « غضب الله » - بكسر الضاد وفتح الباء ، ورفع الهاء - من اسم الله . وقرأ يعقوب - بفتح الضاد ورفع الباء وخفض الهاء - من اسم الله . الباقون بفتح الضاد ونصب الباء وخفض الهاء . وقرأ حفص « الخامسة ان غضب الله » بالنصب . الباقون بالرفع .

من رفع قوله « اربع » جعله خبر الابتداء ، والابتداء « فشهادة احدى » قال أبو حاتم : من رفع فقد لحن ، لان الشهادة واحدة ، وقد أخبر عنها بجمع ، فلا يجوز ذلك ، كما لا يجوز (زيد أخوتك) وهذا خطأ ، لان الشهادة ، وإن كانت بلفظ الوحدة فعناها

الجمع ، كقولك صلاتي خمس ، وصومي شهر . وقال الزجاج : تقديره « فشهادة أحدهم » التي تدرؤ العذاب « أربع شهادات » ومن قرأ بالنصب جعله مفعولاً به أي يشهد أربع شهادات . وقال أبو علي الفارسي : ينبغي أن يكون قوله « فشهادة أحدهم » مبنياً على ما يكون مبتدأ ، وتقديره : فالحكم أو فالفرض ان يشهد أحدهم أربع شهادات ، أو فعليهم أن يشهدوا ، ويكون قوله « انه لمن الكاذبين » على هذا من صلة (شهادة أحدهم) ، وتكون الجملة التي هي قوله « انه لمن الصادقين » في موضع نصب ، لان الشهادة كالعلم ، والجملة في موضع نصب ، بأنه مفعول به « واربع شهادات » تنتصب انتصاب المصادر . ومن رفع « أربع شهادات » لم يكن قوله « انه لمن الصادقين » إلا من صلة « شهادات » دون « شهادة » كما أن قوله « بالله » من صلة (شهادات) دون صلة (شهادة) لانك لو جعلته من صلة (شهادة) فصلت بين الصلة والموصول . ومن نصب « أربع شهادات » فقياسه ان ينصب « والخامسة » لانها شهادة ، وإذا رفع « أربع شهادات » ونصب « الخامسة » قدر له فعلاً ينصبها به ، وتقديره ويشهد الخامسة . ومن رفع « أربع شهادات » ورفع « الخامسة » جعلها معطوفة عليه ، وإذا نصب الخامسة ، لم يجعلها معطوفة عليه وجعلها مفعولاً ، وقدر فعلاً ينصبها به . وقال : أبو علي : قراءة نافع في تخفيف (ان) الوجه فيها أنها المخففة من الثقيلة ، ولا تخفف في الكلام أبداً وبعدها اسم إلا ويراد إضمار القصة ، ومثله قوله « وآخر دعوانهم أن الحمد لله » (١) . وإنما خففت الثقيلة المفتوحة على إضمار القصة والحديث ، ولم تكن المكسورة كذلك ، لأن الثقيلة المفتوحة موصولة . ويستقبح النحويون قراءة نافع في قوله « ان غضب الله » لان من شأن المخففة من الثقيلة ألا تلي فعلاً إلا وفي الكلام عوض ، كقوله « ألا يرجع » (٢) وقوله « علم ان

(١) سورة ١٠ يونس آية ١٠ (٢) سورة ٢٠ طه آية ٨٩

سيكون « (١) فان (لا) و (السين) عوض من الثقيلة . ووجه قراءة نافع انه قد جاء في الدعاء ولفظه لفظ الخبر ، وقد يجيء في الشعر وإن لم يفصل بين (ان) وبين ما يدخل عليها من الفعل ، فعلى قول نافع ﴿ لعنة الله ﴾ رفع بالابتداء و﴿ غضب ﴾ فعل ماض ، واسم الله رفع بفعله .

ومعنى الآية ان من قذف محصنة حرة مسلمة بفاحشة من الزنا ، ولم يأت بأربعة شهداء جلد ثمانين . ومن رمى زوجته بالزنا تلاعنا . والملاعنة أن يبدأ الرجل فيحلف أربع مرات بالله الذي لا إله إلا هو انه صادق فيما رماها به ، ويحتاج ان يقول أشهد بالله أنني صادق ، لان شهادته أربع مرات تقوم مقام أربعة شهود في دفع الحد منه ، ثم يشهد الخامسة ان لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به . [واذا جحدت المرأة ذلك شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به و] (٢) تشهد الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ثم يفرق بينهما ، ولا يجتمعان أبداً ، كما فرق رسول الله (ص) بين هلال بن أمية وزوجته . وقضى أن الولد لها ، ولا يدعى لأب ، ولا ترمى هي ، ولا يرمى ولدها . وقال ابن عباس : متى لم تحلف رجعت ، وإن لم يكن دخل بها جلدت الحيد ، ولم ترجم إذا لم تلتعن ، وعند أصحابنا : انه لا لعان بينهما ما لم يدخل بها . فمتى رماها قبل الدخول وجب عليه حد القاذف ، ولا لعان بينهما . وفرقة اللعان تحصل عندنا بتسام اللعان من غير حكم الحاكم ، وتسام اللعان إنما يكون إذا تلاعن الرجل والمرأة معاً . وقال قوم : تحصل بلعان الزوج الفرقة . وقال أهل العراق : لا تقع الفرقة إلا بتفريق الحاكم بينهما . ومتى رجعت عند النكول ورثها الزوج ، لأن زناها لا يوجب التفرقة بينهما . ولو جلدت - إذا لم يكن دخل بها - فهما على الزوجية . وذلك يدل على ان الفرقة إنما تقع

(١) سورة ٧٣ الزمّل آية ٢٠ (٢) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

بلعان الرجل والمرأة معاً . قال الحسن : اذا تمت الملاعنة بينهما ولم يكن دخل بها ، فلها نصف الصداق ، لأن الفرقة جاءت من قبله . واذأتم اللعان اعتدت عدة المطلقة عند جميع الفقهاء ، ولا يتزوجها أبداً بلا خلاف .

وآية اللعان نزلت في عاصم بن عدي . وقيل : نزلت في هلال ابن امية - في قول ابن عباس - ومتى فرق بينهما ثم اكدب نفسه جلد الحد ولا ترجع اليه امرأته . وقال ابو حنيفة ترجع اليه . وإذا أقر بالولد بعد اللعان ألحق به يرثه الابن ولا يرثه الأب . وقال الشافعي : يتوارثان . و (الدرؤ) الدفع و (العذاب) الذي يدرؤ عنها بشهادتهما (الحد) ، لأنه بمنزلة من يشهد عليها أربعة شهود بالزنا . وقال قوم : هو الحبس لانه لم تتم البينة بأربعة شهود ، وانما إلتعان الرجل درأ عنه الحد في رميه . قال الجبائي : في الآية دلالة على ان الزنا ليس بكفر ، لانه ليس لصاحبه حكم المرتد . وفيها دلالة على انه يستحق اللعن من الله بالزنا .

وقوله ﴿ ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب رحيم ﴾ نصب قوله ﴿ وان الله ﴾ لانه عطف على موضع (أن) الاولى وجواب (لولا) محذوف ، وتقديره : لولا فضل الله عليكم ورحمته لفضحك بما ترتكبون من الفاحشة ، ولعاجلكم بالعقوبة او هلكتم وما يجري مجراه . ومثله قولهم : لو رايت فلاناً وفي يده السيف اي رايت شجاعاً ورايت هائلاً ، قال جرير :

كذب العواذل لو رايت مناخنا بحزيز رامية والمطي سوام (١)
وفي المثل (لو ذات سوار لطمتي)

قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) كَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) كَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَآتَتْكَ مِنْهُ خَبْرًا فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْشُرْ (١٣) كَوْلَا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١٥) خمس آيات بلاخلاف .

يقول الله تعالى مخاطباً لأمة محمد (ص) «إن الذين جاؤا بالافك» يعني الذين أتوا بالافك، وهو الكذب الذي قلب فيه الأمر عن وجهه، واصله الانقلاب، ومنه (المؤتفكت) وأفك يافك افكاً إذا كذب. لأنه قلب المعنى عن حقه الى باطله، فهو آفك، مثل كاذب .

وقوله «عصابة منكم» يعني جماعة منكم، ومنه قوله «ليوسف واخوه أحب الى أئينا منا ونحن عصابة» (١) ويقال: تعصب القوم إذا اجتمعوا على هيئة، فشد

بعضهم بعضاً . والعصبة في النسب العشيرة المقتدرة ، لأنه يجمعها التعصب .
وقال ابن عباس : منهم (عبد الله بن أبي بن سلول) وهو الذي تولى كبره ،
وهو من رؤساء المنافقين . و (مسطح بن اثانة ، وحسان بن ثابت ، وحمزة بنت
جحش) وهو قول عائشة ، وكان سبب الافك ان عائشة ضاع عقدها في غزوة بني
المصطلق ، وكانت تباعدت لاقضاء الحاجة ، فرجعت تطلبه ، وحمل هو دجها على بعيرها
فلتأ منهم بها أنها فيه ، فلما صارت الى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه ، وكان صفوان
ابن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فر بها ، فلما عرفها أناخ بعيره حتى ركبته ،
وهو يسوقه حتى أتى الجيش بعد ما نزلوا في قائم الظهيرة . هكذا رواه الزهري
عن عائشة .

وقوله « لا تحسبوه شرآ لكم بل هو خير لكم » خطاب لمن قرب بالافك من
عائشة ، ومن اغتم لها ، فقال الله تعالى لا تحسبوا غم الافك شرآ لكم بل هو خير
لكم ، لان الله (عز وجل) يبرىء ساحتهم ببراءتها ، وينفعها بصبرها واحتسابها ، وما
ينل منها من الاذى والمكروه الذي نزل بها ، ويلزم أصحاب الافك ما استحقوه
بالاثم الذي ارتكبوه في أمرها .

ثم اخبر تعالى فقال « لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم » أي له جزاء
ما اكتسب من الاثم من العقاب .

ثم قال « والذي تولى كبره منهم » يعني (ابن ابي بن سلول) تحمل معظمه و (كبره)
مصدر من معنى الكبير من الامور . قال ابو عبيدة : فرقوا بينه وبين مصدر الكبير
في السن ، يقال : فلان ذو كبر أي ذو كبرياء . وقرأ ابو جعفر المدني بضم الكاف .
الباقون بكسرهما ، فالكبر بضم الكاف من كبر السن ، وهو كبير قومه أي معظمهم ،
والكبر والعظم واحد . وقيل : دخل حسان على عائشة فانشدها قوله في بيته :

حصان وزان ما تزن بريسة وتصبح غرثي من لحوم القوافل (١)
 فقالت له : لكنك است كذلك . وقوله « له عذاب عظيم » يعني جزاء على
 ما اكتسبه من الاثم . وقوله « لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيراً »
 معناه هلا حين سمعتم هذا الافك من القائلين ظن المؤمنون بالمؤمنين الذين هم كانوا
 خيراً ، لان المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور ، فاذا جرى
 على أحدهم محنة ، فكأنه جرى على جماعتهم ، وهو كقوله « فسلوا على أنفسكم » (٢)
 وهو قول مجاهد ، قال الشاعر في (لولا) بمعنى (هالا) :

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضو طرى لولا الكمي المقنعا (٣)
 اي فهلا تعدون قتل الكمي . وقوله تعالى « وقالوا هذا افك مبين » معناه
 وهلا قالوا هذا القول كذب ظاهر . ثم قال تعالى « لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء » اي
 هلا جاؤا على ما قالوه ببينة أربعة من الشهداء « فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك »
 الذين قالوا هذا الافك « هم الكاذبون » عند الله ، والمعنى انهم كاذبون في عيبيهم ،
 فمن جوز صدقهم ، فهو راد لخبر الله تعالى ، فالآية دالة على كذب من قذف عائشة ،
 وافك عليها . فأما في غيرها إذا رماها الانسان ، فاننا لا نقطع على كذبه عند الله ،
 وإن اقمنا عليه الحد ، وقلنا هو كاذب في الظاهر ، لانه يجوز أن يكون صادقاً عند
 الله ، وهو قول الجبائي .

ثم قال تعالى على وجه الامتنان على المؤمنين « ولولا فضل الله عليكم ورحمته

(١) تفسير القرطبي ١٢ / ٢٠٠ (٢) سورة ٢٤ النور آية ٦١

(٣) قائمة جبرير ديوانه (دار بيروت) ٢٦٥ ، وقد مر في ١ / ٣١٩ ، ٤٣٥

و ٦ / ٣١٩ ورواية الديوان :

تعدون عقر النيب افضل سعيدكم بني ضو طرى هلا الكمي المقنعا

في الدنيا والاخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم» جزاء على خوضكم في قصة الافك واقاضتكم فيه . وقيل في الآية تقديم وتأخير ، وتقديره : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم في ما افضتم فيه عذاب عظيم في الدنيا والاخرة .
 وقوله « اذ تلقونه بالسنتكم » تقديره : لمسكم عذاب عظيم حين تلقونه بالسنتكم ، ومعناه برواية بعضكم عن بعض لتشييعه - في قول مجاهد - وروى عن عائشة أنها قرأت « تلقونه » من ولق الكذب ، وهو الاستمرار على الكذب ، ومنه : ولق فلان في السير إذا استمر به ، ويقال : في الولق من الكذب : الالاق والالاق ، تقول : ألقته وانتم تألقونه - أنشد الفراء :

من لي بالمرر واليلاق صاحب أدهان وألق آلق (١)

فتح الالف من ادهان ، وقال الراجز :

إن الحصين زلق وزملق جاءت به عيس من الشام تلق
 وينشد ايضاً :

ان الحصين زلق وزملق جاءت به عيس من الشام تلق

مجموع البطن كلاليم الخلق

وقوله « تقولون بافواكم ما ليس لكم به علم » من وجه الافك « وتحسبونهم حينئذ وهو عند الله عظيم » اي تظنونهم حقيراً وهو عند الله عظيم لأنه كذب واقترأ .

(١) تفسير الطبري ١٨ / ٧٠

(ج ٧ م ٥٣ من التبيان)

قوله تعالى

﴿ وَكَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٦) يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَكَوَلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (٢٠) خمس آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى للمؤمنين : وهلا حين سمعتم من هؤلاء العصابة ما قالوا من الافك « قلتم » في جوابهم « ما يكون لنا ان نتكلم بهذا » أي ليس لنا ذلك بل هو محرم علينا ، وقلتم « سبحانك » يا ربنا « هذا » الذي قالوه « بهتان عظيم » أي كذب وزور عظيم عقابه في الظاهر . فالبهتان الكذب الذي فيه مكابرة تحير ، يقال : بهته بهته بهتاً وبهتاناً إذا حيره بالكذب عليه .

ثم قال تعالى « يعظكم الله ان تعودوا » أي كراهة أن تعودوا « لمثله » أو لثلاث تعودوا إلى مثله من الافك « أبداً » أي طول اعماركم ، لا ترجعوا إلى مثل هذا القول « إن كنتم مؤمنين » مصدقين بالله ونبيه ، قابلين وعظ الله . وقال ابن زيد : التوعظ يمنع ان يقول القائل أنا سمعته ، ولم أخلقه . « ويبين الله لكم الآيات » يعني الدلالات والحجج « والله عليم حكيم » أي عالم بما يكون منكم ، حكيم فيما يفعله ،

ولا يضع الشيء إلا في موضعه .

ثم اخبر تعالى « ان الذين يحبون » ويؤثرون « ان تشيع الفاحشة » أي تظهر الافعال القبيحة « في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » أي موجع جزاء على ذلك « في الدنيا » باقامة الحد عليهم ، وفي « الآخرة » بعذاب النار « والله يعلم ، ذلك وغيره » وانتم لا تعلمون « ان الله تعالى يعلم ذلك .

ثم قال « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم » لأهلككم وعاجلكم بالعقوبة ، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه .

وفي الآية دلالة على أن العزم على الفسق فسق ، لانه إذا الزمه الوعيد على محبة شياع الفاحشة من غيره ، فاذا أحبها من نفسه وأرادها كان أعظم .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوقِفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ
وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) خمس آيات بلاخلاف .

قرأ ابو جعفر المدني « ولا يتأل » على وزن (يتفعل) الهمرزة مفتوحة بعد التاء ،
واللام مشددة مفتوحة . الياقون « يأتل » على وزن (يتفعل) الهمرزة ساكنة . وقرأ اهل
الكوفة إلا عاصماً « يوم يشهد » بالياء ، لان تأنيث الألسنة ليس بحقيقي ، ولانه حصل
فصل بين الفعل والفاعل . الياقون بالتاء ، لان الألسنة مؤنثة .

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المعترفين بتوحيد الله المصدقين لرسله ،
ينهاهم فيه عن اتباع خطوات الشيطان ، وخطوات الشيطان تخفية الحلال الى
الحرام . والمعنى لا تسلكوا مسالك الشيطان ، ولا تذهبوا مذهبه ، والاتباع الذهاب
فيما كان من الجهات التي يدعو الداعي اليها بذهابه فيها ، فمن وافق الشيطان فيما
يدعو اليه من الضلال . فقد اتبعه . والاتباع اقتفاء أثر الداعي الى الجهة بذهابه فيها ،
وهو بالثقل والتخفيف بمعنى الاقتداء به . والمعنى لا تتبعوا الشيطان بموافقه فيما
يدعو اليه . ثم قال « ومن يتبع خطوات الشيطان » فيما يدعو اليه « فانه » يعني
الشيطان « يأمر بالفحشاء » يعني القبائح « والمنكر » من الأفعال . والفحشاء كل قبيح
عظيم . والمنكر الفساد الذي ينكره العقل ويزجر عنه .

ثم قال تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته » بان يلفظ لكم ، ويزجركم
عن ارتكاب المعاصي « ما زكي منكم من أحد ابداً » فد (من) زائدة ، والمعنى ما
فعل احد منكم الأفعال الجميلة إلا بلطف من جهته أو وعيد من قبله . وقال ابن
زبد : معناه لولا فضل الله ما أسلم أحد منكم .

وفي ذلك دلالة على أن احداً لا يصلح في دينه إلا بلطف الله (عز وجل) له ، لأن ذلك عام لجميع المكلفين الذين يزكون بهذا الفضل من الله .
وقوله « ولكن الله يزكي من يشاء » معناه من يعلم أن له الطغفأ يفعل به لينزكو عنده . وقيل : يزكي من يشاء بالثناء عليه . والأول أجود (والله سميع عليم) معناه إنه يفعل المصالح والالطاف على ما يعلمه من المصلحة للمكلفين . لأنه يسمع أصواتهم ويعلم أحوالهم .

وفي الآية دلالة على أنه تعالى يريد خلقه خلاف ما يريد الشيطان ، لأنه ذكره عقيب قوله ﴿ يا أمر بالفحشاء والمنكر ﴾ .

وقوله ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ﴾ فالأيتلاء القسم ، يقال آلى يؤلي إيتلاء إذا حلف على أمر من الأمور ، ويأتل (يفتعل) من الألية على وزن (يقتضي) من القضية ، ومن قرا (يتأل) فعلى وزن (يتفعل) ، والمعنى لا يحلف أن لا يؤتي .

وقال ابن عباس وعائشة وابن زيد : إن الآية نزلت في أبي بكر ، ومسطح بن أثانة ، وكان يجري عليه ، ويقوم بنفقته ، فقطعها وحلف أن لا ينفعه أبداً ، لما كان منه من الدخول مع أصحاب الأفك في عائشة ، فلما نزلت هذه الآية عاد أبو بكر له إلى ما كان ، وقال : والله اني لأحب أن يغفر الله لي ، والله لا أنزعها عنه أبداً . وكان مسطح ابن خالة أبي بكر ، وكان مسكيناً ومهاجراً من مكة إلى المدينة ، ومن جملة بدرين . وقال الحسن ومجاهد : الآية نزلت في يتيم كان في حجر أبي بكر ، حلف ألا ينفق عليه . وروي عن ابن عباس وغيره : أن الآية نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله حلفوا أن لا يواسوا أصحاب الأفك . وقال قوم : هذا نهي عام لجميع أولي الفضل والسعة أن يحلفوا ألا يؤتوا أولي القرهبي والمساكين والفقراء ، وهو أولى

واعم فائدة ، ويدخل فيه ما قالوه . وكان مسطح احد من حـده النبي (ص) في قذف الافك .

وقال ابو علي الجبائي : قصة مسطح دالة على انه قد يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد بدراً بخلاف قول النوابت .

وقوله تعالى ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾ أمر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعموم عن أساء اليهم ، والصفح عنهم . واصل العافي التارك للعقوبة على من اذنب اليه ، والصفح عن الشيء ان يجعله بمنزلة ما مر صفحاً . ثم قال لهم ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ معاصيكم جزاء على عفوكم وصفحكم عن أساء اليكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ اي سائر عليكم منعم .

ثم اخبر تعالى ﴿ إن الذين يرمون المحصنات ﴾ ومعناه الذين يقذفون العفاف من النساء ﴿ العافلات ﴾ عن الفواحش ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ﴾ اي أبعدوا من رحمة الله (في الدنيا) باقامة الحد عليهم ورد شهادتهم (وفي الآخرة) بأليم العقاب ، والابعاد من الجنة ﴿ ولهم ﴾ مع ذلك ﴿ عذاب عظيم ﴾ عقوبة لهم على قذفهم المحصنات . وهذا وعيد عام لجميع المكلفين ، في قول ابن عباس وابن زيد وأكثر اهل العلم .

وقال قوم : في عائشة ، لما رأوها نزلت فيها هذه الآية توهموا ان الوعيد خاص فيمن قذفها ، وهذا ليس بصحيح ، لأن عند أكثر العلماء المحصلين : ان الآية إذا نزلت على سبب لم يجب قصرها عليه . كآية اللعان ، وآية القذف ، وآية الظهار ، وغير ذلك . ومتى حملت على العموم دخل من قذف عائشة في جملتها .

وقوله ﴿ يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم ﴾ تقديره : ولهم عذاب عظيم في هذا اليوم ، وهو يوم القيامة . وشهادة الايدي والأرجل باعمال الفجار . قيل في كفيئتها ثلاثة اقوال :

احدها - ان الله تعالى بينها بنية يمكنهم النطق بها والكلام من جبتها .
الثاني - ان يفعل الله تعالى في هذه البنية كلاماً يتضمن الشهادة ، فكأنها
في الناطقة .

والثالث - ان يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة ، وذلك اذا جحدوا
معاصيهم . واما شهادة الالسن فيجوز ان يكونوا يشهدون بألسنتهم إذا رأوا ان
لا ينفعهم الجحد . واما قوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ فقالوا : إنه يجوز
ان يخرج الألسنة ويختم على الأفواه ، ويجوز ان يكون الختم على الأفواه إنما هو في
حال شهادة الأيدي والارجل . وقال الجبائي : ويجوز ان بينها بنية مخصوصة ، ويحدث
فيها شهادة تشهد بها .

وقوله ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾ يعني جزاءهم الحق ، والسدين
- هنا - الجزاء ، ويجوز ان يكون المراد جزاء دينهم الحق ، وحذف المضاف واقام
للمضاف اليه مقامه ﴿ ويعلمون ان الله هو الحق المبين ﴾ اي يعلمون الله ضرورة في
ذلك اليوم ، ويقولون انه الحق ، الذي ابان الحجج والآيات في دار التكليف ، وهو
قول مجاهد ، وقرئ ﴿ الحق ﴾ بالرفع ، والنصب ، فمن رفعه جعله من صفة الله ، ومن
نصبه جعله صفة للدين .

قوله تعالى :

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ
لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٢٦) آية بلاخلاف .

قيل في معنى الآية أربعة اقوال :

أحدها - قال ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك : معناه (الخيثات) من الكلم (للخبيثين) من الرجال أي صادرة منهم .

الثاني - في رواية أخرى عن ابن عباس : أن (الخيثات) من السيآت (للخبيثين) من الرجال ، والطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال .

الثالث - قال ابن زيد : (الخيثات) من النساء (للخبيثين) من الرجال ، كأنه ذهب الى اجتماعها للمساكلة بينهما .

والرابع - قال الجبائي : (الخيثات) من النساء الزواني (للخبيثين) من الرجال الزناة ، على التعبد الأول ثم نسخ ، وقيل الخيثات من الكلم إنما تلزم الخبيثين من الرجال وتليق بهم . والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات عكس ذلك على السواء في الاقوال الأربعة .

والخيث الفاسد الذي يتزايد في الفساد تزايد النامي في النبات ، و تقيضه الطيب . والحرام كله خبيث . والحلال كله طيب .

وقوله « أو لئك مبرؤن مما يقولون » قال مجاهد معناه : الطيبون من الرجال مبرؤن من خيثات القول ، يعقرها الله لهم . ومن كان طيباً ، فهو مبرؤ من كل قبيح . ومن كان خبيثاً ، فهو مبرؤ من كل طيب بأن الله يردده عليه . ولا يقبله منه . وقال الفراء وغيره : يرجع ذلك الى عائشة ، وصفوان بن عطل ، كما قال « فان كان له أخوة » (١) والام تحجب بالاخوين ، فجاء على تغليب لفظ الجمع الذي يجري مجرى الواحد في الاعراب ، وإنما قال « مبرؤن . . . » الآية ، لأنه ذكر صفة الجمع ، والمبرأ المنزه عن صفة الذم ، المتني عنه صفة العيب ، يقال : برأه الله من كذا ، إذا

فناه عنه . والله تعالى يرى المؤمنين من العيوب التي يضيفها اليهم أعداؤهم ، وبفضح من يكذب عليهم .

وقوله « لهم مغفرة ورزق كريم » أي لهؤلاء الطيبين من الرجال والنساء مغفرة من الله لذنوبهم ، وعطية من الله كريمة ، فالرزق الكريم هو الذي يعطي الخير على الادرار المهنا ، من غير تنقيص الامتنان ، وهو رزق الله تعالى الذي يعم جميع العباد ، ويمنح من يشاء بالزيادة في الافعال . وقال قتادة « لهم مغفرة من الله ورزق كريم » في الجنة .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) أربع آيات بلاخلاف .

﴿ ج ٧ م ٥٤ من التبيان ﴾

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين ينههم أن يدخلوا بيوتاً لا يملكونها، وهي ملك غيرهم إلا بعد أن يستأنسوا، ومعناه يستأذنون، والاستئناس الاستئذان - في قول ابن عباس وابن مسعود وابراهيم وقتادة - وكأن المعنى يستأنسوا بالأذن . وروي عن ابن عباس أنه قال : القراءة « حتى تستأذنوا » وإنما وهم الكتاب . وهو قول سعيد ابن جبير ، وبه قرأ أبي بن كعب . وقال مجاهد : حتى تستأنسوا بالتنضح والكلام الذي يقوم مقام الاستئذان . وقد بين الله تعالى ذلك في قوله « وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا » (١) قال عطاء : وهو واجب في أمه وسائر أهله والاستئناس طلب الانس بالعلم أو غيره ، كقبول العرب : اذهب فاستأنس هل ترى احداً ، ومنه قوله « فان آنتم منهم رشدأ » (٢) اي علمتم . وقوله « وتسلموا على أهلها » معناه على أهل البيوت ينبغي أن تسلموا عليهم وإذا أذنوا لكم في الدخول فادخلوها . وروي ابو موسى عن النبي (ص) أنه قال : (الاستئذان ثلاث ، فان اذنوا ، وإلا فارجم) فدعا عمر ، فقال لتأتيني بالينة وإلا عاقبتك ، فمضى أبو موسى ، فأتى بمن سمع الحديث معه . والفرق بين الاذن في الدخول ، وبين الدعاء اليه ، أن الدعاء اليه ، يدل على ارادة الداعي ، وليس كذلك الاذن . وفي الدعاء رغبة الداعي او المدعو ، وليس كذلك الاذن وقوله « ذلكم خير لكم » يعني الاستئذان خير لكم من تركه ، لتذكروا في ذلك ، فلا تهجموا على العورات . وقوله « فان لم تجدوا فيها احداً » يعني ان لم تعلموا في البيوت احداً يأذن لكم في الدخول « فلا تدخلوها » لأنه ربما كان فيها مالا يجوز أن تطلعوا عليه إلا بعد أن يأذن اربابها في ذلك ، يقال : وجد اذا علم .

(٢) سورة ٤ النساء . آية ٥

(١) سورة ٢٤ النور آية ٥٩

وقوله ﴿ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ﴾ أي لا تدخلوا إذا قيل لكم : لا تدخلوا ، فان ذلك ﴿ أَرْجِعُوا ﴾ أي ارجعوا فارجعوا ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها .

ثم قال ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي حرج وإثم ﴿ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ﴾ أي منافع . وقيل : في معنى هذه البيوت أربعة اقوال :

أحدها - قال قتادة : هي الخانات ، فان فيها استمتاعاً لكم من جهة نزولها ، لامن جهة الأثاث الذي لكم فيها .

والثاني - قال محمد بن الحنفية : هي الخانات التي تكون في الطرق مسجلة . ومعنى ﴿ غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ أي لا ساكن لها معروف .

والثالث - قال عطاء : هي الخرابات للغائط والبول .

والرابع - قال ابن زيد : هي بيوت التجار التي فيها امتعة الناس .

وقال قوم : هي بيوت مسكة . وقال مجاهد : هي مناخات الناس في أسفارهم يرتفقون بها . وقال قوم : هي جميع ذلك حملوه على عمومه . لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يجوز من العورة . وهو الأقوى ، لأنه اعم فائدة .

وقوله ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَسْتَدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ أي لا يخفى عليه ما تظهرونه ، ولا ما تكتُمونه ، لأنه عالم بجميع ذلك .

ثم خاطب النبي (ص) فقال ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ عن عورات النساء وما يحرم النظر اليه . وقيل : العورة من النساء ما عدا الوجه والكفين والقدمين ، فأمرُوا بغض البصر عن عوراتهن ، ودخلت (من) لا بتداء الغاية . ويجوز ان تكون للتبويض ، والمعنى أن يطرق وإن لم يغمض . وقيل : العورة من الرجل العانة الي مستغاط الفخذ من أعلى الركبة ، وهو العورة من الاماء ، قالوا :

ويدل على ان الوجه والكفين والقدمين ليس من العورة من الحرة ، ان لها كشف ذلك في الصلاة ، وإذا كانت محرمة مثل ذلك ، بالاجماع ، والقدمان فيهما خلاف .
 وقوله ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ أمر من الله تعالى أن يحفظ الرجال فروجهم عن الحرام ، وعن إبدائها حيث ترى فانهم متى فعلوا ذلك كان اذكي لاعمالهم عند الله وإن الله خير بما يعملون ويصنعون أي عالم بما يعملونه أي على وجه يعملونه .
 وقال مجاهد : قوله ﴿ فان لم تجدوا فيها احداً ﴾ معناه فان لم يكن لكم فيها متاع ، فلا تدخلوها إلا باذن ، فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، وهذا بعيد . لان لفظة (احد) لا يعبر بها إلا عن الناس ، ولا يعبر بها عن المتاع .

قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاؤِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْاِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) آية بالاخلاف .

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم وابو جعفر ﴿غير اولى الاربية﴾ نصباً .
الباقون بالجر . وقرأ ابن عامر ﴿أيه المؤمنون﴾ بضم الهاء ، ومثله ﴿يا أيه الساحر﴾ (١)
و ﴿أيه الثقلان﴾ (٢) . الباقون ﴿ايها﴾ بفتح الهاء مع الالف فيها . وكلهم وقف
بلا الف إلا الكسائي ، واهل البصرة والزبيبي من طريق العطار ، والمالكي ، فانهم
وقفوا بالف .

قال ابو علي : الوقف بالالف أجود ، لانها سقطت في الوصل لاجتماع الساكنين .
لما امر الله تعالى الرجال المؤمنين في الآية الأولى بغض أبصارهم عن عورات
النساء ، وامرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام ، أمر المؤمنات في هذه الآية
ايضاً من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال ، وما لا يحل النظر اليه .
وامرهن ان يحفظن فروجهن إلا عن ازواجهن على ما اباحه الله لهم ، ويحفظن ايضاً
اظهارها بحيث ينظر اليها ، ونهاهن عن إبداء زينتهن إلا ما ظهر منها . قال ابن
عباس : يعني القرطين والقلادة والسوار والخلخال والمعصد والمنحر ، فانه يجوز لها
إظهار ذلك لغير الزوج ، فاما الشعر فلا يجوز ان تبديه إلا لزوجها .

والزينة المنهي عن إبدائها زينتان ، فالظاهرة الثياب ، والخبية الخللخال ،
والقرطان والسوار - في قول ابن مسعود - وقال ابراهيم : الظاهر الذي ابيح
الثياب فقط . وعن ابن عباس - في رواية أخرى - أن الذي ابيح الكحل والخاتم
والحذاء والحضاب في الكف . وقال قتادة : الحذاء والسوار والخاتم . وقال عطاء :
الكفان والوجه . وقال الحسن : الوجه والثياب . وقال قوم : كلما ليس بعورة يجوز
اظهاره . واجمعوا أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، لجواز اظهارها في الصلاة ،
والاحوط قول ابن مسعود ، والحسن بعده .

وقوله « وايضربن بخمرهن على جيوبهن » فالحار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها وجمعه خمر ، وقال الجبائي : هي المقانع .

ثم كرر النهي عن اظهار الزينة تأكيداً وتغليظاً واستثنى من ذلك : الأزواج وآباء النساء ، وإن علوا ، وآباء الأزواج وابنائهم ، أو اخوانهن وبني اخوانهن أو بني اخواتهن ، أو نسائهن يعني نساء المؤمنين دون نساء المشركين إلا اذا كانت أمة وهو معنى قوله « أو ما ملكت أيمانهن » أي من الاماء - في قول ابن جريج - فانه لا باس باظهار الزينة لهؤلاء المذكورين ، لانهم محارم .

وقوله « أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال » قال ابن عباس : هو الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في النساء ، وهو الأبله . وبه قال قتادة وسعيد بن جبيرة وعطاء . وقال مجاهد : هو الطفل الذي لا أرب له في النساء لصغره . وقيل : هو العنين ، ذكره سكرمة ، والشعبي . وقيل : هو المحبوب . وقيل : هو الشيخ المهم .

والاربة الحاجة ، وهي فعلة من الارب ، كالشبية من المشي ، والجلسة من الجلوس . وقد أربت لكذا أرب له أرباً إذا احتجت اليه ، ومنه الأربة - بضم الالف - العقدة ، لان ما يحتاج اليه من الامور يقتضي العقدة عليه ، ولان الحاجة كالعقدة حتى تنحل بسد الخلة ، ولان العقدة التي تمنع من المنفعة يحتاج الى حلها ، ولان العقدة عمدة الحاجة .

وقوله « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » يعني الصغار الذين لم يراهقوا ، فانه يجوز إبداء الزينة لهم .

وقوله « ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » معناه لا تضرب امرأة برجلها ، ليعلم صوت الخللخال في رجلها ، كما كان يفعله نساء أهل الجاهلية . وذلك

بدل على ان إظهار الخلل لا يجوز .

ثم أمر الله تعالى المكلفين ، فقال « وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » أي لتفوزوا بشواب الجنة .

ومن نصب (غير) يجوز أن يكون على الاستثناء ، ويجوز أن يكون على الحال . ومن كسر جعله نعتاً لـ «التابعين ، غير » وإن لم يوصف به المعارف ، فأما المراد بـ (التابعين) ليس بمعين . وابن عامر انما ضم الهاء ووقف بلا ألف في (أيه) اتباعاً للمصحف . قال ابو علي : وقراءته ضعيفة . لان آخر الاسم هو الياء الثانية في أي ، فينبغي أن يكون المضموم آخر الاسم ولا يجوز ضم الهاء . كما لا يجوز ضم الميم في قوله « اللهم » ولانه آخر الكلام ، وها للتثنية ، فلا يجوز حذف الالف بحال .

قوله تعالى :

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ
 إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ ٣٢ ﴾
 وَلَيْسَتَعَفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ
 فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ
 عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ
 يُكْرِهْنِ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ٣٣ ﴾ آيتان
 بلاخلاف .

هذا خطاب من الله للمكلفين من الرجال يأمرهم الله تعالى أن يزوجوا الأيامي اللواتي لهم عليهن ولاية ، وأن يزوجوا الصالحين المستورين الذين يفعلون الطاعات من المماليك والاماء إذا كانوا ملكاً لهم ، والأيامي جمع (أيم) وهي المرأة التي لا زوج لها سواء كانت بكرأ أو ثيباً . ويقال للرجل الذي لا زوجة له : أيم ايضاً ووزن أيم (فيعل) بمعنى (فعيل) فجمعت كجمع يتيم وبتيمة وبتامى ، وقال جميل :

احب الايامي اذ بشينة ايم وأحييت لما أن غنيت الغوانيا (١)

ويجوز جمعه أيايم ، ويقال : امرأة أيم وإيمة إذا لم يكن لها زوج ، قال الشاعر :

فان تنكحي أنكح وإن تنأيمي بدا الدهر ما لم تنكحي أتايم (٢)

وقال قوم : الايم التي مات زوجها ، ومنه قوله (عليه السلام) : (والايام أحق

بنفسها) يعني الثيب . ومعنى أنكحوا زوجوا ، يقال : نكح إذا تزوج ، وأنكح غيره إذا زوجه . وقيل : ان الأمر بتزويج الأيامي إذا أردن ذلك أمر فرض ، والامر بتزويج الأمة إذا أرادت زب ، وكذلك العبد .

وقوله « ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم » معناه لا تمتنعوا من انكاح المرأة أو الرجل اذا كانوا صالحين ، لأجل فقرهما ، وقلة ذات أيديهما ، فانهم وإن كانوا كذلك . فان الله تعالى يغنيهم من فضله ، فانه تعالى واسع المقدر ، كثير الفضل ، عليم بأحوالهم وبما يصلحهم ، فهو يعطيهم على قدر ذلك . وقال قوم : معناه إن يكونوا فقراء الى النكاح يغنيهم الله بذلك عن الحرام . فعلى الأول تكون الآية خاصة في الاحرار . وعلى الثاني عامة في الأحرار ، والمماليك .

وقوله « وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله » أمر

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٨

(٢) لسان العرب (أيم) وتفسير الطبري ١٨ / ٨٨ والقرطبي ١٢ / ٢٤٠

من الله تعالى لمن لا يجد السبيل الى أن يتزوج ، بأن لا يجد طولاً من المهر ، ولا يقدر على القيام بما يلزمها من النفقة والكسوة ، أن يتعفف ، ولا يدخل في الفاحشة ، ويصبر حتى يغنيه الله من فضله .

وقوله « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم » معناه إن الانسان اذا كانت له أمة أو عبد يطلب الكتابة . وهي أن يقوم على نفسه وينجم عليه ليؤدي قيمة نفسه الى سيده ، فانه يستحب للسيد أن يجيبه الى ذلك ويساعده عليه لدلالة قوله تعالى « فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً » وهذا أمر ترغيب بلا خلاف عند الفقهاء . وقال عمرو بن دينار ، وعطاء ، والطبري : هو واجب عليه إذا طلب . وصورة الكتابة أن يقول الانسان لعبده ، أو امته : قد كاتبتك على ان تعطيني كذا وكذا ديناراً أو درهماً في نجوم معلومة على أنك إذا أدبت ذلك فانت حر ، فيرضى العبد بذلك ، ويكاتبه عليه ويشهد بذلك على نفسه ، فتمت أدى ذلك ، وهو مال الكتابة في النجوم التي سماها صار حراً ، وان عجز عن أداء ذلك كان لمولاه أن يرده في الرق . وعندنا ينعق منه بحساب ما أدى ويبقى مملوكاً بحساب ما بقي عليه . إذا كانت الكتابة مطلقة ، فان كانت مشروطة بأنه متى عجز رده في الرق ، فتمت عجزه جاز له رده في الرق . و (الخبير) الذي يعلم منه هو القوة على التكسب . وتحصيل ما يؤدي به مال الكتابة . وقال الحسن : معناه ان علمتم منهم صدقاً . وقال ابن عباس وعطاء : ان علمتم لهم مالا . وقال ابن عمر : ان علمتم فيهم قدرة على التكسب ، قال : لأنه إذا لم يقدر على ذلك قال اطعمني (١) اوساخ أيدي الناس ، وبه قال سلمان .

(١) في المخطوطة (استطعم) بدل (قال اطعمني)

(ج ٧ م ٥٥ من التبيان)

واختلفوا في الامر بالكتابة مع طلب المملوك لذلك وعلم مولاه أن فيه خيراً . فقال عطاء : هو الفرض . وقال مالك ، والثوري ، وابن زيد : هو على الندب . وهو مذهبنا . وقوله « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » أمر من الله تعالى أن يعطي السيد مكاتبه من ماله الذي أنعم الله عليه ، بأن يحط شيئاً منه . وروى عبد الرحمن السلمي عن علي (ع) أنه قال : يحط عنه ربع مال الكتابة . وقال سفيان احب ان يعطيه الربع ، او أقل ، وليس بواجب . وقال ابن عباس وعطاء وقتادة : أمره بأن يضع عنه من مال الكتابة شيئاً . وقال الحسن و ابراهيم : حثه الله تعالى على معونته . وقال قوم : المعنى آتوهم سهمهم من الصدقة الذي ذكره في قوله « وفي الرقاب » (١) ذكره ابن زيد عن أبيه ، وهو مذهبنا .

واختلفوا في الحط عنه ، فقال قوم : هو واجب . وقال آخرون - وهو الصحيح - أنه مرغّب فيه .

وقوله « ولا تكرر هو فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً » نهي عن اكراه الأمة على الزنا . قال جابر بن عبد الله : نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول ، حين اكراه أمته مسيكة على الزنا . وهذا نهي عام لكل مكلف عن أن يكره أمته على الزنا طلباً لمهرها وكسبها . وقوله « ان اردن تحصناً » صورته صورة الشرط وليس بشرط وإنما ذكر لعظم الافحاش في الاكراه على ذلك . وقيل : انها نزلت على سبب فوقع النهي عن المعنى على تلك الصفة .

وقوله « ومن يكرهن » يعني على الفاحشة « فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » اي لمن « غفور رحيم » ان وقع منها صغير في ذلك ، والوزر على المكره .

(١) سورة ٩ التوبة آية ٦١

قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ
نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلٰى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ
مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾

آيتان بلاخلاف .

قرأ « دري » مشددة ، بضم الدال من غير همز ، ابن كثير ونافع وابن عامر
وحفص عن عاصم . وقرأ - بكسر الدال والهمز - ابو عمرو ، والكسائي . وقرأ
- بضم الدال والهمز - حمزة وعاصم ، في رواية ابى بكر . وقرأ ابن كثير و ابو عمرو
« توفد » بفتح التاء والدال . وقرأ - بالياء مخففة مرفوع مضموم الياء - نافع وابن
عامر وحفص عن عاصم والكسائي . وقرأ - بضم التاء والدال مخففة مرفوعة - حمزة ،
وابو بكر عن عاصم .

فمن قرأ « دري » بكسر الدال ، فهو من (درأت) اي رفعت . والكوكب
(دري) لسرعة رفعه في الانقضاء ، والجمع الدراري ، وهي النجوم التي تنجى ،
وتذهب . وقال قوم : هي احد الخسة المضيئة : زحل ، والمشتري ، والريخ ،
والزهرة ، وعطارد .

ومن قرأ - بضم الدال - نسبة الى الدر في صفائه وحسنه . ومن ضم الدال وهمز ، فهو غير معروف عند أهل اللغة ، لانه ليس في الكلام (فُعيل) - ذكره الفراء - وقال ابو عبيدة : وجهه ان يكون - بفتح الدال - كأنه (فُعيل) . قال سيبويه : ليس في الكلام (فُعيل) وانما تكسر الفاء مثل (سَكيت) . وروى المفضل عن عاصم انه قرأ - بكسر الدال - من غير همز ، ولا مدّ ، ومعناه : انه جار كالنجوم الدراري الجارية مأخوذة من در الوادي إذا جرى .

ووجه قراءة ابن كثير في « توفد » أنه على (فعل) ماض ، وضم الدال ابن محيصن اراد (تنوقد) . ومن ضم الياء مثل نافع وابن عامر ، رده على الكوكب . وقال الفراء : رده على المصباح . ومن ضم التاء والدال رده على الزجاجة .

اقسم الله تعالى انه انزل « آيات » يعني دلالات « مبینات » يعني مفصلات ، بينهن الله وفصلهن ، فيمن قرأ - بفتح الياء - ومن كسر الياء : معناه ان هذه الآيات والحجج تبين المعاني وتظهر ما بطن فيها .

وقوله « ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين » معناه انه انزل اليكم اخبار من كان قبلكم من ائمة الرسل ، وجعل ذلك عبراً لنا . وقيل لتعتبروا بذلك وتستدلوا به على ما يرضاه الله منكم فتفعلوه وعلى ما يسخطه فتتجنبوه .

وقوله « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة » قيل في معناه قولان : احدهما - ان الله هادي اهل السموات والارض - ذكره ابن عباس - في رواية ، وأنس .

والثاني - انه منور السموات والارض بنجومها وشمسها وقمرها - في رواية اخرى - عن ابن عباس ، وقال ابو العالية والحسن مثل ذلك .

ثم قال تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » الهاء في قوله « نوره » قيل

إنها تعود على المؤمن ، وتقديره مثل النور الذي في قلبه بهداية الله ، وهو قول ابي ابن كعب والضحاك . وقال ابن عباس : هي عائدة على اسم الله ، ومعناه مثل نور الله الذي يهدي به المؤمن . وقال الحسن : مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة . وقيل : مثل نوره وهو طاعته - في قول ابن عباس - في رواية . وقيل : مثل نور محمد (ص) . وقال سعيد بن جبير : النور محمد ، كأنه قال مثل محمد رسول الله (ص) فاللهاء كناية عن الله . والمشكاة الكوة التي لا منفذ لها - في قول ابن عباس وابن جريج - وقيل : هو مثل ضرب لقلب المؤمن ، والمشكاة صدره ، والمصباح القرآن ، والزجاجة قلبه - في قول ابي ابن كعب ، وقال : فهو بين اربع خلال إن أعطي شكر ، وإن ابتلي صبر ، وإن حكم عدل ، وإن قال صدق . وقيل : المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة ، وهو مثل الكوة . وقال كعب الاحبار : المشكاة محمد (ص) والمصباح قلبه ، شبه صدر النبي بالكوكب الدرّي .

ثم رجع الى المصباح أي قلبه شبهه بالمصباح كأنه في زجاجة و « الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء » اي يتبين للناس ولو لم يتكلم انه نبي . ومن قال « الله نور السموات » يعني منورها بالشمس والقمر والنجوم ، ينبغي ان يوجه ضرب المثل بالمشكاة على ان ذلك مثل ما في مقدوره ، ثم تنبث الأنوار الكثيرة عنه .

ضرب الله تعالى المثل لنوره الذي هو هدايته في قلوب المؤمنين بالمشكاة ، وهي الكوة التي لا منفذ لها إذا كان فيها مصباح . وهو السراج ، ويكون المصباح في زجاجة ، وتكون الزجاجة مثل الكوكب الدرّي - فمن ضم الدال - منسوب الى الدر في صفائه ونوره . ومن كسر الدال شبيها بالكوكب في سرعة تدفعه بالانقضاء . ثم عاد الى وصف المصباح ، فقال « يوقد من شجرة مباركة زيتونة » اي

يشتعل من دهن شجرة مباركة ، وهي الزيتون الشامية ، قيل لأن زيتون الشام ابرك .
وقيل : وصفه بالبركة لان الزيتون يورق من اوله الى آخره .

وقوله « لا شرقية ولا غربية » قال ابن عباس - في رواية - معناه لا شرقية
بشروق الشمس عليها فقط ولا غربية بغير وبها عليها فقط ، بل هي شرقية غربية تأخذ
حظها من الامرين ، فهو اجود لزيته . وقيل : معناه انها وسط البحر ، روي ذلك
عن ابن عباس أيضاً . وقال قتادة : هي ضاحية للشمس ، وقال الحسن : ليست من
شجر الدنيا « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار » اي زيتها من صفائه وحسنه يكاد
يضيء . من غير ان تمسه نار وتشتعل فيه . وقال ابن عمر الشجرة ابراهيم (ع)
والزجاجة التي كأنها كوكب دري محمد (ص) .

وقوله « نور على نور » قيل : معناه نور الهدى اى توحيده ، على نور الهدى
باليان الذي اتى به من عنده . وقال زيد بن اسلم « نور على نور » معناه بضيء .
بعضه بعضاً . وقيل « نور على نور » معناه انه يتقلب في خمسة انوار ، فكلامه
نور ، وعلمه نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومسيره نور الى النور يوم القيامة الى
الجنة . وقال مجاهد : ضوء النار على ضوء النور على ضوء الزيت على ضوء المصباح
على ضوء الزجاجة .

وقوله « يهدي الله لنوره من يشاء » أي يهدي الله لدينه وإيمانه من
يشاء بأن يفعل له لطفاً يختار عنده الايمان إذا علم ان له لطفاً . وقيل : معناه يهدي
الله لنبوته من يشاء ، ممن يعلم انه يصلح لها . وقيل : معناه « يهدي الله لنوره »
اي يحكم بإيمانه لمن يشاء ، ممن آمن به .

وقوله « ويضرب الله الأمثال للناس » معناه يضرب الله الامثال للذين يفكرون
فيها ويعتبرون بها « والله بكل شيء حلیم » لا يخفى عليه خافية .

قوله تعالى :

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رَجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٨) ثلاث آيات في الكوفي والبصري تمام الآية الأولى « الآصال » وفي الباقي آيتان آخرهما

• الابصار « و » حساب » .

قرأ ابن عامر و أبو بكر وابن شامي عن حفص « يسبح » بفتح الباء . البا فون بكسر ها ، فن فتح الباء ، وقرأ على ما لم يسم فاعله احتملت قراءته في رفع (رجال) وجهين : احدهما - أن يكون الكلام قد تم عند قوله « والآصال » ثم قال « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » فالتجارة الجلب ، والبيع ما يبيع الانسان على يده . والوجه الثاني - أن يرفع (رجال) باضمار فعل يفسره الأول ، فيكون الكلام تاماً عند قوله « والآصال » ثم يبتدىء « رجال » بتقدير يسبحه رجال . وقال أبو علي : يكون أقام الجسار والمجرور مقام الفاعل ، ثم فسر من يسبحه ، فقال « رجال » أي يسبحه رجال ، ومنه قول الشاعر :

ليبيك يزيد ضارع لخصومة (١)

كانه قال لبيك يزيد . قيل من يبكيه ؟ فقال : يبكيه ضارع . وقال المبرد :
 يجوز ان يكون يسبح نعتاً للبيوت ، وتقديره في بيوت اذن الله برفها وذكر اسمه ويسبح
 له فيها رجال لا تلهيهم تجارة . ومن قرأ بكسر الباء - ورفع رجالا بفعلهم ، فعلى هذه
 القراءة لا يجوز الوقف إلا على « رجال » وعلى الاول على قوله « والاصال » .
 والاصال جمع أصيل . وقرأ أبو محلم « الاصال » بكسر الالف جعله مصدرأ .
 وقوله « في بيوت اذن الله » قيل في العامل في (في) قولان :
 احدهما - (المصاييح) في بيوت ، والعامل استقرار المصاييح ، وهو قول
 ابن زيد .

والثاني - توقف في بيوت ، وهذه البيوت هي المساجد - في قول ابن عباس
 والحسن ومجاهد - وقال عكرمة : هي سائر البيوت وقال الزجاج : يجوز ان تكون (في)
 متصلة يسبح ويكون فيها كقولك في الدار قام زيد فيها .
 وقوله « اذن الله ان ترفع » قال مجاهد : معناه اذن الله أن تبني ، وترفع
 بالبناء ، كما قال « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » (٢) وقال الحسن :
 معناه أن تعظم ، لانها مواضع الصلوات .
 وقوله « ويذكر فيها اسمه » أي يذكر اسم الله في هذه البيوت . وقيل تنزه من
 النجاسات والمعاصي .

وقوله « يسبح له فيها بالغدو والاصال » قال ابن عباس : معناه يصلي له فيها
 بالغداة والعشي ، وهو قول الحسن والضحاك . وقال ابن عباس : كل تسبيح في
 القرآن فهو صلاة .

(١) انظر ٤ / ٣١٠ تعليقة ٢ و ٦ / ٣٢٩ (٢) سورة ٢ البقرة آية ١٢٧

وقوله « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » أي لا تشغلهم ولا تصرفهم التجارة والبيع عن ذكر الله وتعظيمه .

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أنه تعالى مدح قومًا إذا دخل وقت الصلاة تركوا تجارتهم وبيعهم ، واشتغلوا بالصلاة .

وقوله « وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة » أي لا تصرفهم تجارتهم عن ذكر الله ، وعن إقامة الصلاة ، وحذف التاء لأن الإضافة عوض عنها ، لأنه لا يجوز أن تقول : أقمته إقامًا ، وإنما يجوز إقامة ، والهاء عوض عن محذوف ، لأن أصله أقوام ، فلما أضافه قامت الإضافة مقام الهاء « وإيتاء الزكاة » أي ولا يصرفهم ذلك عن إعطاء الزكاة التي اقترضها الله عليهم . وقال ابن عباس : الزكاة الطاعة لله وقال الحسن : هي الزكاة الواجبة في المال قال الشاعر [في حذف الهاء والعوض عنها بالإضافة] :

إن الخليط أجدوا وبين فأنجروا
واخلفوك عدى الأمر الذي وعدوا (١)

يريد عدة الأمر فحذف الهاء لما أضاف .

وقوله تعالى « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » أي يخافون عذاب يوم أو أهوال يوم تتقلب فيه القلوب من عظم أهواله ، والابصار من شدة ما يعابنوه . وقيل تتقلب فيه القلوب ببلوغها الحناجر ، وتقلب الابصار بالعمى بعد النظر وقال البلخي : معناه إن القلوب تنتقل من الشك الذي كانت عليه ، إلى اليقين والإيمان . وإن الابصار تتقلب عما كانت عليه ، لأنها تشاهد من أهوال ذلك اليوم ما لم تعرفه ، ومثله قوله « لقد كنت في غفلة من هذا » (٢) الآية . وقال الجبائي :

(١) تفسير الطبري ١٨ / ١٠٢ واللسان (وعد)

(٢) سورة ٥٠ ق آية ٢٢

(ج ٧ م ٥٦ من التبيان)

تقلب القلوب والابصار عن هياتها بأنواع العقاب كنتقلبها على الجمر .
وقوله « ليجزيهم الله أحسن ما عملوا » أي يفعلون ذلك طلبا لمجازاة الله
إياهم بأحسن ما عملوا من ثواب الجنة ، ويزيدهم على ذلك من فضله وكرمه . ثم اخبر
تعالى انه « يرزق » على العمل بطاعته تفضلا منه تعالى « من يشاء بغير حساب »
والثواب لا يكون إلا بحساب والتفضل يكون بغير حساب .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ
مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَ يَدَيْهِ حِسَابًا وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ
فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ
يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرِيهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾

آيتان بلا خلاف .

ثم اخبر الله تعالى عن احوال الكفار ، فقال والذين كفروا بتوحيد الله
واخلاص العبادة وجحدوا انبياءه « أعمالهم » التي عملوها يعني التي يعتقدون أنها
طاعات وقربات « كسراب بقية » فالسراب شعاع بتخيل ككلاء يجري على الارض
نصف النهار حين يشتد الحر والآل شعاع يرتفع بين السماء والارض - ككلاء -
ضحوة النهار ، والآل يرفع الشخص فيه . وانما قيل سراب ، لأنه يتسرب أي يجري
ككلاء و (قيعه) جمع قاع ، وهو المنبسط من الأرض الواسع . وفيه يكون السراب

ومثله جار وجيرة، ويجمع ايضاً على (افواع ، وقيعان) ، والشعاع بالقاع يتكثف فيرى كالماء ، فاذا قرب منه صاحبه انفض كالضباب ، فلم يره شيئاً ، كما كان . وقال ابن عباس : القيعه الارض المستوية . والمعنى : إن الكافر لم يجد شيئاً على ما قدر .
وقوله « ووجد الله عنده فوفاه حسابه » والمعنى ان الذي قدره من جزاء أعماله لا يجده ، ويعلمه الله عند عمله فيوفيه جزاءه على سوء أفعاله .

وقوله « والله سريع الحساب » أي سريع المجازاة ، لان كل ما هوأت سريع قريب . وقال الجبائي : ، لانه تعالى يحاسب الجميع في وقت واحد ، وذلك يدل على انه لا يتكلم بألة . وانه ليس بجسم ، لانه لو كان متكلماً بألة لما تأتى ذلك إلا في أزمان كثيرة .

ثم شبه الله تعالى أفعال الكافر بمثل آخر ، فقال « او كظلمات في بحر لجي » أي افعاله مثل ظلمات ، يعني ظلمة البحر وظلمة السحاب ، وظلمة الليل ، لان الكافر حاله ظلمة ، واعتقاده ظلمة ، ومصيره الى ظلمة ، وهو في النار يوم القيامة نعوذ بالله منها . وتلخيص الكلام أن اعمال هؤلاء الكفار كالسراب يحسبه الظمان - من بعد - ماء يرويه حتى إذا دنى منه لم يجده شيئاً أي حتى اذا مات لم يجد عمله شيئاً لانه بطل بكفره ، ووجد الله عند عمله يجازيه عليه . ثم ضرب مثلاً آخر فقال او كظلمات يعني انه في حيرة من كفره مثل هذه الظلمات « ومن لم يجعل الله له نوراً » في قلبه ويهديه به « فما له من نور » بهتسدي به .

وقوله « في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض » مبالغة في تشبيه هذه الافعال بالظلمات المتكاثفة على ما وصفه الله تعالى ، ولجة البحر معظمه ، الذي تراكب فيه امواجه لا يرى ساحله . والظلمات مثل التحير ، والتحير الجهل الذي يغشي القلب . وقوله « حتى اذا أخرج يده لم يكذبها » انما قال لم يكذبها مع أنه

بدون هذه الظلمات لا يراها، لان (كاد يراها) معناه قارب ان يراها، ولم يكذب يراها لم يقارب أن يراها، فهي نفي مقاربة الرؤية على الحقيقة. وقيل دخل (كاد) بمعنى النفي كما يدخل الظن بمعنى اليقين، كأنه قال: يكفيه ان يكون على هذه المنزلة فكيف أقصى المنازل. وقيل يراها بعد جهد وشدة، رؤية تخيل لصورتها. وقال الحسن لم يكذب يراها لم يقارب الرؤية قال الشاعر:

ما كنت اعرفه إلا بعد انكار

وقالوا كاد العروس يكون أميراً. وكاد النعام يطير. وقوله «ومن لم يجعل الله له نوراً، فما له من نور» معناه من لم يجعل الله له هداية الى الرشده، فما له من نور، أي فما له ما يفلح به على وجهه من الوجوه. وقيل: من لم يجعل الله له نوراً يوم القيامة يهديه الى الجنة، فما له من نور يهديه اليها. وفي الآية دلالة على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه لا يصح مع المعرفة الضرورية الحساب.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَنِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ

يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)
يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤)
أربع آيات في البصري والكوفي وثلاث في غيرها • لانهم لم يعدوا «بالابصار»
آخر آية •

قرأ أبو جعفر المدني « يذهب بالابصار » بضم الياء . الباقون بفتحها . وقد
مضى ذكر مثله .

يقول الله تعالى لنبية محمد (ص) « ألم تر » يا محمد والمراد به جميع المكلفين
أي ألم تعلم ان الذي ذكره في الآية لا يرى بالابصار وانما يعلم بالادلة • « أن الله
يسبح له من في السموات والارض » فالتسبيح التنزيه لله تعالى عن جميع ما لا يجوز
عليه ، ولا يليق به ، فمن نفى عنه الصاحبة والولد ، فقد سبحه ، لانه برأه مما لا يجوز
عليه ، ومن نفى عنه أن يكون له شريك في ملكه او عبادته ، فقد سبحه ، لانه برأه مما
لا يجوز عليه ، وكذلك من نفى عنه فعل القبيح ، فقد سبحه ، لانه برأه مما لا يجوز
عليه . وتسبيح من في السموات والارض إنما هو بما فيها من الدلالات على توحيدهِ ،
ونفي الصاحبة عنه ، ونفي تشبيهه بخلقه وتنزيهه عما لا يليق به ، مما يدل على ذلك
ويدعو اليه ، كأنه المسبح له .

وقوله « والطير صافات » معناه وتسبيحه الطير صافات في حال اصطفاها في
الهواء ، لانها إذا صفت اجنحتها في الهواء وتمكنت من ذلك كان في ذلك دلالة وعبرة
على أن ممكنها من ذلك لا يشبه شيئاً من المخلوقات .

وقوله « كل قد علم صلاته وتسبيحه » معناه : إن جميع ذلك قد علم الله تعالى

صلاته ، يعني دعاءه الى توحيدده ، وتسييحه ، وتنزيهه عما لا يليق به . وقال مجاهد : الصلاة للانسان ، والتسييح لكل شيء . وقيل : كل قد علم صلته أي صلاة نفسه ، وتسييح نفسه ، فيكون الضمير في علم لـ (كل) ، وعلى الأول يعود على اسم الله ، والأول أجود ، لان هذه الاشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها غير الله . وانما الله تعالى عالم بذالك ، ويقويه قوله « والله عليم بما يفعلون » أي عالم بأفعالهم ، لا يخفى عليه شيء منها ، فيجازيهم بحسبها .

ثم اخبر تعالى فقال « والله ملك السموات والارض » ، والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير ، فملك السموات والارض لا يصح إلا لله وحده لا شريك له ، لانه لا يقدر على خلق الاجسام غيره ، وليس مما يصح أن يملكه العبد ، لانه لا يمكنه أن يصرفه أتم التصريف ، فالملك التام ، لا يصح الا لله تعالى .

وقوله « والى الله المصير » اي اليه المرجع يوم القيامة ، الى ثوابه او عقابه . ثم قال « ألم تر » اي ألم تعلم « ان الله يزجي سحاباً » اي يسوق سحاباً الى حيث يريد ، ومنه زجا الخراج إذا انساق الى أهله . وازجاه فلان أي ساقه « ثم يؤلف بينه » أي بين بعضه وبعض ، لان لفظ سحاب جمع ، واحده سحابة ، وهو كقولهم : جلس بين النخل ، لان لفظ بين لا تستعمل إلا في شيئين فصاعداً .

وقوله « ثم يجعله ركاماً » وهو المترابك بعضه فوق بعض « فترى الودق » يعني المطر ، يقال : ودقت السحابة ، تدق ودقاً إذا أمطرت قال الشاعر :

فلامرنة ودقت ودقها ولا ارض اقبل إبقالها (١)

« يخرج من خلاله » فالخلال جمع خلل . وقوله « وينزل من السماء من جبال فيها من برد » معنى (من) الاولى ، لابتداء الغاية . لان (من السماء) ابتداء

الانزال بالمطر ، والثانية للتبعيض ، لأن البرد بعض الجبال التي في السماء . والثالثة لتبيين الجنس ، لأن جنس الجبال جنس البرد . وقيل في السماء جبال برد مخلوقة في السماء . وقال البلخي : يجوز أن يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم ينزل منها . وقيل السماء هو السحاب ، لأن كل ما علا مطبقاً فهو سما . وقال الفراء : يجوز أن يكون المراد وينزل من السماء قدر جبال من برد ، كما تقول : عندي بيتان من قبن أي قدر بيتين . وقال الحسن : في السماء جبال برد ، وقيل المعنى : قدر جبال يعمل منها برداً على ما حكيناه عن الفراء .

وقوله « فيصيب به » يعني بذلك البرد « فيصيب به من يشاء » أن يهلك أو يهلك ماله « ويصرفه عن يشاء » على حسب اقتضاء المصلحة .
وقوله « يكاد سنابرقه » أي ضياء البرق ، فسنا البرق مقصور ، وسناه المجد مدود . وقال ابن عباس وابن زيد : يعني ضوء برقه يكاد يختطف الابصار . وقال قتادة : لمعان برقه .

وقوله « يقلب الله الليل والنهار » يعني يجيء بالنهار عقيب الليل ، وبالليل عقيب النهار . وقيل : يزيد من هذا في ذلك وينقص من ذلك في هذا ، أن في ذلك لعمرة « أي دلالة (لأولي الابصار) » يعني ذوي العقول الذين يبصرون بتلوهم . وفي الآية دلالة على وجوب النظر ، وفساد التقليد ، لأنه تعالى مدح المعتبرين بعقولهم بما نبه من الدلالات والآيات الدالة على توحيده وعدله وغير ذلك .

قوله تعالى

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ

مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ آية بلاخلاف .

قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿والله خالق﴾ على وزن (فاعل) . الباقون ﴿خلق﴾ على فعل ماض . من قرأ ﴿خالق﴾ فلقوله ﴿خالق كل شيء﴾ (١) ومن قرأ خلق ، فلانه فعل ذلك فيما مضى ، ولقوله ﴿لم تر ان الله خلق السموات﴾ (٢) وقوله ﴿خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ (٣) .

اخبر الله تعالى انه خالق كل شيء يدب من الحيوان من ماء . ثم فصله فقال منهم من يمشي على بطنه كالحياة والسماك والدود ، وغير ذلك . ومنهم من يمشي على رجلين كالطير وابن آدم ، وغير ذلك ، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم والسباع وغير ذلك . ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع ، لانه كالذي يمشي على أربع في مرعى العين ، فترك ذكره ، لان العبرة تكفي بذكر الاربع . وقال البلخي : لان عند الفلاسفة أن ما زاد على الأربع لا يعتمد عليها . واعتماده على الاربع فقط ، وانما قال ﴿من ماء﴾ لان أصل الخلق من ماء ، ثم قلب الى النار ، فخلق الجن منه ، والى الربح فخلق المسلائكة منه ، ثم الى الطين فخلق آدم (ع) . ودليل أن اصل الحيوان كله الماء قوله تعالى ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (٤) وانما قال منهم تغليياً لما يعقل على ما لا يعقل إذا اختلط في خلق كل دابة . وقيل ﴿من ماء﴾ اى من نطفة ، ذكره الحسن ، وجعل قوله ﴿كل دابة﴾ خاصاً ، فيمن خلق من نطفة . وقوله ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ اى يخترع ما يشاء ، وينشئه من الحيوان ،

(١) سورة المؤمن آية ٦٢ وسور ذر ٦ الانعام آية ١٠٢ وسورة ١٣ الرعد آية ١٨

(٢) سورة ١٤ إبراهيم آية ١٩ (٣) سورة ٢٥ الفرقان آية ٢

(٤) سورة ٢١ الانبياء آية ٣٠

وغيره ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾ لا يتعذر عليه شيء يريد .

قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ أَمُّ الْحَقِّ يَا تُؤَا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) ﴾

خمس آيات بلا خلاف .

اقسم الله تعالى في هذه الآية انه انزل ﴿ آيات مبينات ﴾ أي دلالات واضحات تظهر بها المعاني ، وتميز ، مما خالفها حتى تعلم مفصلة . ومن كسر الياء ، جعلها من المينة المظهرة مجازاً ، من حيث يتبين بها ، فكأنها المينة .

وقوله ﴿ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ معناه والله يلطف لمن يشاء بما يعلم انه يهتدي عنده ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ واضح : من توحيده وعباده وصدق أنبيائه . والهداية الدلالة التي يهتدي بها صاحبها الى الرشد ، وقد تطلق على ما يصح أن يهتدى بها ، كما قال تعالى ﴿ وأما نمود فهديناهم فاستجبوا لعمى على

﴿ ج ٧ م ٥٧ من التبيان ﴾

الهدی ﴿ ١ ﴾ لأن المراد فی الآیة اللطف علی ما قلناه . وقال الجبائی : قوله ﴿ یدهی من یشاء ﴾ یعنی المكلفین دون من لیس بمكلف ، ویجوز أن یشاء المراد هدايتهم فی الآخرة الی طریق الجنة ، والصراط المستقیم الایمان لأنه یؤدي الی الجنة .

وقوله ﴿ ویقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم یتولی فریق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنین ﴾ قیل انها نزلت فی صفة المنافقین ، لانهم یقولون بألسنتهم : آمنا بالله وصدقنا رسوله ، فاذا انصرفوا الی أصحابهم قالوا خلاف ذلك ، فأخبر الله تعالی أن هؤلاء لیسوا بمؤمنین علی الحقيقة . ثم اخبر عن حال هؤلاء فقال : « وإذا دنوا الی الله ورسوله لیحکم بینهم » فی شیء یختلفون فیہ « اذا فریق منهم » یعنی المنافقین « معرضون » عن ذلك ، ولا یختارونه ، لانه یشاء الحق علیهم . ثم قال « وإن ینکن لهم الحق » وتتوجه لهم الحکومة « یأتوا الیه » یعنی الی النبی (ص) منقادین « مدعین » والاذعان هو الانقیاد من غیر اکراه ، فهؤلاء المنافقون إذا دعوا الی رسول الله (ص) لیحکم بینهم فی شیء اختلفوا فیہ ، امتنعوا ظلماً ، لانفسهم ، وكفروا بنبیهم ، ففضحهم الله بما أظهر من جهلهم ونفاقهم .

وقیل انها نزلت فی رجل من المنافقین کان بینه و بین رجل من الیهود حکومة ، فدعاه الیهودی الی رسول الله ، ودعاه المنافق الی کعب بن الاشرف . وقیل انها نزلت فی علی (ع) ورجل من بنی أمیة دعاه علی الی رسول الله ، ودعاه الاموی الی الیهود ، وكان بینهما منازعة فی ماء وأرض . وحكى البلخی انه كانت بین علی (ع) و عثمان منازعة فی أرض اشتراها من علی ، فخرجت فیها أحجار ، و اراد ردها بالعیب ، فلم يأخذها ، فقال بیني و بینك رسول الله ، فقال الحکم ابن أبی العاص ان حاکمته الی ابن عمه حکم له ، فلاتحاکمه الیه ، فانزل الله الآیة .

ثم قال تعالى منكرآ عليهم « أفى قلوبهم مرض » أي شك في قلوبهم ، وسمي الشك مرضاً ، لأنه آفة تصد القلب عن ادراك الحق ، كالآفة في البصر تصد عن ادراك الشخص ، وإنما جاء على لفظ الاستفهام ، والمراد به الانكار ، لأنه أشد في الذم والتوبيخ أي ان هذا كفر ، قد ظهر حتى لا يحتاج فيه الى البينة ، كما جاز في تقيضه على طريق الاستفهام ، لأنه أشد مبالغة في المدح ، كما قال جرير :

أستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح (١)

فقال الله تعالى « أفى قلوبهم مرض » أي شك في النبي « أم ارتابوا » بقوله وبجبهه ﴿ أم يخافون أن يخيف الله ورسوله عليهم ﴾ أي يجور عليهم ، والحيف الجور بنقض الحق ، ويخيف عليهم : يظلمهم ، لأنه لا وجه للامتناع عن المجيء . إلا أحد هذه الثلاثة . ثم اخبر تعالى فقال : ليس لشيء من ذلك ، بل لانهم الظالمون نفوسهم وغيرهم ، والمانعون لهم حقوقهم ، وإنما اُفرد قوله ﴿ ليحكم بينهم ﴾ بعد قوله ﴿ الى الله ورسوله ﴾ ، لأنه حكم واحد يوقعه النبي (ص) بأمر الله .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ أربع آيات بلاخلاف

قرأ أبو بكر وأبو عمرو ﴿ويتقه﴾ ساكنة القاف ، لان الهاء لما اختلطت بالفعل وصارت مزدوجة ثقلت الكلمة ، فخفت بالاسكان . وقيل : انهم توهوا أن الجزم واقع عليهما . وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وورش ﴿ويتقهي﴾ بكسر الهاء لمجاورة القاف المكسورة ، وبعد الهاء ياء . وروى قالون باختلاس الحركة ، وهو الاجود عند النحويين ، لان الأصل يتقيه باختلاس الحركة ، فلما سقطت الياء للجزم بقيت الحركة مختلصة ، كما كانت . وروى حفص باسكان القاف وكسر الهاء ، لانه كره الكسرة في القاف واسكنها تخفيفاً ، كما قال الشاعر :

عجبت لمولود وليس له أب ومن والد لم يلد له أبوان (١)

ويجوز ان يكون أسكن القاف والهاء ساكنة ، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين ،

ولأن من العرب من يقول لم يتق مجزوم القاف بعد حذف الياء .

لما اخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم إذا دعوا الى الله ورسوله في الحكم بينهم فيما يتنازعون فيه ، فانهم عند ذلك يعرضون عن ذلك ، ولا يجيبون اليه ، أخبر أن المؤمنين بخلافهم وانهم إذا قيل لهم تعالوا ﴿الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ ينبغي ﴿ان يقولوا﴾ في الجواب عن ذلك ﴿سمعنا وأطعنا﴾ أي قبلنا هذا القول وانقدنا اليه وأجبنا الى حكم الله ورسوله .

ثم اخبر تعالى عن هؤلاء المؤمنين بانهم ﴿هم الفائزون﴾ الذين فازوا بثواب الله وكريم نعمه . وعن أبي جعفر (ع) أن المعني بالآية أمير المؤمنين (ع) وصفه

بمخلاف ما وصف خصمه الذي ذكره في الآية الاولى .

ثم قال تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ بان يفعل ما أمره به ويأمر اليه ﴿ ويخشى الله ويتقاه ﴾ بأن يخاف عقابه ، فيجتنب معاصيه ، فان من هذه صفته من الفائزين . و (الفوز) اخذ الحظ الجزيل من الخير ، تقول : فاز يفوز فوزاً ، فهو فائز . وسميت المهلكة مفازة تفاؤلاً ، فكأنه قيل : منجاة .

ثم أخبر تعالى عن جماعة من المنافقين بأنهم « أقسموا بالله جهد أيمانهم » أي حلفوا به أغلظ أيمانهم ، وقدر طاقتهم « لئن أمرتهم » يا محمد بالخروج « ليخرجن » يعني الى الغزو ، فقال الله تعالى لهم « لا تقسموا » أي لا تحلفوا « طاعة معروفة » وقيل : في معناه قولان :

احدهما - هذه طاعة معروفة منكم يعني بانقول دون الاعتقاد . أي إنكم تكذبون ذكره مجاهد .

والثاني - طاعة وقول معروف أمثل من هذا القسم ، والقول المعروف هو المعروف صحته . فان ذلك خير لكم من هذا الحلف .

ثم أخبر تعالى بأنه « خير » أي عالم « بما تعملون » لا يخفى عليه شيء على أي وجه توقعون أفعالكم ، فيجازيكم بحسبها . وفي ذلك تهديد . ثم قال « فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم » أي تتولوا ، فحذفت التاء ، وليس كقوله « فان تولوا فانما هم في شقاق » (١) لان الأول مجزوم ، وهو للمخاطبين ، لأنه قال « وعليكم ما حملتم » ولو كان لغير المخاطبين ، لقال وعليهم ، كما قال « فان تولوا فانما هم في شقاق » وكان يكون في موضع نصب لانه بمنزلة قولك : فان قاموا ، والجزاء يصلح فيه لفظ المستقبل والماضي من (فعل يفعل) كما قال ﴿ فان فاؤا فان الله ﴾ (٢) . وقوله ﴿ فان

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٢٦

(١) سورة ٢ البقرة آية ١٣٧

تولوا فانما هم في شقاق ﴿ في موضع نصب ذكره الفراء ، وقوله ﴿ فانما عليه ﴾ يعني على المتولي جزاء ما حمل أي كلف ، فانه يجازى على قدر ذلك ، وعليكم جزاء ما كلفتم إذا خالفتم ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ يعني ان اطعتم رسوله تهتدوا .

ثم اخبر انه ليس ﴿ على الرسول إلا البلاغ ﴾ الظاهر والقبول يتعلق بكم ، ولا يلزمه عهده ، ولا يقبل منكم اعتذار تركه بامتناع غيره .

قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَيْسْتَخْلَفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَيْمَكَّنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾

آية بلاخلاف .

قرأ ابن كثير وابو بكر عن عاصم ﴿ وليبدانهم ﴾ بالتخفيف . الباقون بالتشديد . وقرأ ابو بكر عن عاصم ﴿ كما استخلف ﴾ بضم التاء على ما لم يسم فاعله . الباقون بفتحها . قال ابو علي : الوجه فتح التاء ، لأن اسم الله قد تقدم ذكره ، والضمير في ﴿ يستخلفنهم ﴾ يعود الى الاسم ، فكذلك قوله ﴿ كما استخلف ﴾ لان المعنى ليستخلفنهم استخلافاً كاستخلافه الذين من قبلهم . ومن ضم التاء ذهب الى ان المراد به مثل المراد بالفتح .

في هذه الآية وعد من الله تعالى للذين آمنوا من اصحاب النبي (ص) وعملوا

الصالحات ، بأن يستخلفهم في الارض ، ومعناه يورثهم أرض المشركين من العرب والعجم ﴿ كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ يعني بني اسرائيل بأرض الشام بعد اهلاك الجبارة بأن أورثهم ديارهم وجعلهم سكانها . وقال الجبائي : ﴿ استخلف الذين من قبلهم ﴾ يعني في زمن داود وسليمان . وقال النقاش : يريد بالأرض أرض مكة ، لان المهاجرين سألوا ذلك ، والاول قول المقداد بن الاسود ، وروى عن رسول الله (ص) أنه قال : (لا يبقى على الارض بيت مدر ، ولا وبر إلا ويدخله الاسلام بعز عزيز أو ذل ذليل) . وفي ذلك دلالة على صحة نبوة النبي (ص) لأنه أخبر عن غيب وقع مخبره على ما أخبر ، وذلك لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿ وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ يعني يمكنهم من إظهار الاسلام الذي ارتضاه ديناً لهم ﴿ وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ أي نصرهم بعد أن كانوا خائفين بمكة وقت غلبة المشركين آمنين بقوة الاسلام وانبساطه .

ثم اخبر عن المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعبدون الله تعالى وحده لا يشركون بعبادته سواه من الاصنام والاولثان وغيرها . ويجوز ان يكون موضعه الحال . ويجوز أن يكون مستأنفاً .

ثم قال ﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ يعني بعد الذي قصصنا عليك ووعدناهم به ﴿ فاولئك هم الفاسقون ﴾ وإنما ذكر الفسق بعد الكفر مع أن الكفر أعظم من الفسق ، لأحد امرين :

احدهما - انه أراد الخارجين في كفرهم الى أغشيه ، لان الفسق في كل شيء هو الخروج الى اكبره .

الثاني - أراد ان من كفر تلك النعمة بالفساد بعدها ، فسق وليس يعني الكفر بالله ، ذكره ابو العالية .

والتبديل - تغيير حال الى حال أخرى ، تقول : بدل صورته تبديلاً ، وتبدل
تبدلاً ، والابدال رفع الشيء بأن يجعل غيره مكانه ، قال ابو النجم :

عزل الامير بالامير المبدل (١)

والتبديل رفع الحال الى حال أخرى . والابدال رفع النفس الى نفس أخرى .
والأصل واحد ، وهو البديل .

واستدل الجبائي ، ومن تابعه على إمامة الخلفاء الأربعة بأن قال : الاستخلاف
المذكور في الآية لم يكن إلا لهؤلاء ، لأن التمكين المذكور في الآية إنما حصل في
أيام ابي بكر وعمر ، لان الفتوح كانت في أيامهم ، فأبو بكر فتح بلاد العرب وطرفاً
من بلاد العجم ، وعمر فتح مداين كسرى الى حد خراسان وسجستان وغيرهما ، فإذا
كان التمكين والاستخلاف هنا ليس هو إلا لهؤلاء الأئمة الأربعة . واصحابهم علمنا
أنهم محقون .

والكلام على ذلك من وجوه :

احدها - ان الاستخلاف - هنا - ليس هو الامارة والخلافة . بل المعنى هو ابقاؤهم
في أثر من مضى من القرون . وجعلهم عوضاً منهم وخلفاء ، كما قال « هو الذي جعلكم
خلائف في الارض » (٢) وقال « عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في
الارض » (٣) وقال « وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم
ما يشاء » (٤) وكقوله « وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه » (٥) أي جعل كل
واحد منهما خلف صاحبه ، وإذا ثبت ذلك ، فالاستخلاف والتمكين الذي ذكره الله

(٢) سورة ٣٥ فاطر آية ٣٩

(١) قدم نخرجه في ٧ / ٧٩

(٤) سورة ٦ الانعام آية ١٣٣

(٣) سورة ٧ الاعراف آية ١٢٨

(٥) سورة ٢٥ الفرقان آية ٦٢

في الآية ، كانا في أيام النبي (ص) حين قمع الله اعداءه وأعلا كلمته ونشر ولايته ، واطهر دعوته ، وأكمل دينه ، ونعوذ بالله أن نقول : لم يمكّن الله دينه لنبيه في حياته حتى تلا في ذلك متلاف بعده . وليس ذلك التمكين كثرة الفتوح والغلبة على البلدان ، لأن ذلك يوجب أن دين الله لم يتمكن بعد الى يومنا هذا لعلنا يبقاه ممالك للكفر كثيرة لم يفتحها المسلمون ، ويلزم على ذلك إمامة معاوية وبني أمية ، لأنهم تمكنوا أكثر من تمكن أبي بكر وعمر ، وفتحوا بلاداً لم يفتحوها .

ولو سلمنا أن المراد بالاستخلاف الامامة للزم أن يكون منصوصاً عليهم ، وذلك ليس بمذهب أكثر مخالفينا ، وإن استدلوا بذلك على صحة إمامتهم احتاجوا أن يدلوا على ثبوت امامتهم بغير الآية ، وانهم خلفاء الرسول حتى تناولهم الآية .
فان قالوا : المفسرون ذكروا ذلك .

قلنا : لم يذكر جميع المفسرين ذلك ، فان مجاهداً قال : هم أمة محمد (ص) .
وعن ابن عباس وغيره : قريب من ذلك .

وقال أهل البيت (ع) إن المراد بذلك المهدي (ع) لأنه يظهر بعد الخوف ، ويتمكن بعدان كان مغلوباً ، فليس في ذلك اجماع المفسرين . وهذا أول ما فيه . وقد استوفينا ما يتعلق بالآية في كتاب الامامة ، فلا نطول بذكره - ههنا - وقد تكلمنا على نظير هذه الآية ، وان ذلك ليس بطعن على واحد منهم ، وانما المراد الممانعة من أن يكون فيها دلالة على الامامة ، وكيف يكون ذلك . ولو صح ما قالوه لما احتجج الى اختياره ، ولكان منصوصاً عليه ، وليس ذلك مذهباً لأكثر العلماء ، فصح ما قلناه .

قوله تعالى :

﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا فِيهِمْ

النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٥٧) آيتان بلاخلاف .

قرأ حفص وابن عامر وحمة « لا يحسن » بالياء . الباقون بالتاء . فمن قرأ

- بالياء - فموضع (الذين) رفع . ومن قرأ - بالتاء - فموضعه نصب ، و (معجزين)

المفعول الثاني ، والمفعول الثاني لمن قرأ - بالياء - قوله « في الارض » . وقال ابو علي :

المفعول الثاني على هذه القراءة محذوف ، وتقديره : ولا يحسن الذين كفروا ايام

معجزين . وقال الاخفش : من قرأ - بالياء - يجوز أن يكون (الذين) في موضع

نصب ، على تقدير لا يحسن محمد الذين ، فيكون محمد الفاعل .

امر الله تعالى في الآية الأولى جميع المكلفين باقامة الصلاة واتباء الزكاة الذين

أوجبهما عليهم وان يطيعوا الرسول فيما يأمرهم به ويدعوهم اليه ، ليرحموا جزاء على

ذلك ، ويشابوا بالنعم الجزيلة .

ثم قال « لا تحسن » يا محمد اي لا تظن « الذين كفروا معجزين في

الارض » اي لا يفوتني . ومن قرأ - بالياء - قال تقديره : لا يظن من كفر أنه

يفوتني ، ويعجزني أي مكان ذهب في الارض .

ثم اخبر تعالى : ان مأوى الكافرين ومستقرهم النار ، عقوبة لهم على كفرهم

وانها بئس المرجع وبئس المستقر والمأوى . وانما وصفها بذلك لما ينال الصائر اليها

من العذاب والآلام والشدائد ، وإن كانت من فعل الله وحكمته صواباً .

قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ
وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ
عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ
بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
(٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
(٥٩) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرُجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ
جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠) ثلاث آيات بلاخلاف .

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً « ثلاث عورات » بفتح الراء . الباقيون بالرفع .
قال أبو علي النحوي : من رفع ، فعلى أنه خبر ابتداء محذوف ، وتقديره هذه ثلاث
عورات ، لأنه لما قال « الذين ملكت إيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات »
وفصل الثلاث بقوله « من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهر ، ومن
بعد صلاة العشاء » صار كأنه قال : هذه ثلاث عورات ، فاجل بعد التفصيل . ومن

نصب جعله بدلا من قوله « ثلاث مرات » وإنما أبدل « ثلاث عورات » وليس بزمان من « ثلاث مرات » وهي زمان ، لانه شتمل على زمان من حيث ان التقدير : أوقات ثلاث عورات ، فلما حذف المضاف أقام المضاف اليه مقامه .

و (العورات) جمع عورة ، وحكم ما كان على وزن (فعلة) من الأسماء أن تحرك العين منه ، نحو صفحة وصفحات ، وجفنة وجفنتان إلا ان عامة العرب يكرهون تحريك العين فيما كان عينه واوا أو ياء ، لانه كان يلزمه الانقلاب الى الألف ، فاسكنوا لذلك ، فقالوا عورات وجوزات وبيضات . وقرأ الاعمش - بفتح الواو - من (عورات) ووجهه ما حكاه المبرد أن هذبل يقولون في جمع جوزة وعورة ولوزة : جوزات ، وعورات ، ولوزات ، فيحركون العين فيها ، وأنشد بعضهم :

أبو بيضات رأنح متأوب رقيق بمسح المنكيين سبوح (١)

فحرك الياء من بيضات ، والأجود عند النحويين ما ذكرناه .

هذه الآية متوجهة الى المؤمنين بالله المقربين برسوله ، يقول الله لهم : مروا عبيدكم واماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول الى مواضع خلواتكم . وقال ابن عباس وابوعبد الرحمن : الآية في النساء والرجال من العبيد . وقال ابن عمر : هي في الرجال خاصة . وقال الجبائي : الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال ، ويجب على الاطفال في هذه الاوقات الثلاثة بظاهر هذه الآية . وقال قوم : في ذلك دلالة على انه يجوز أن يؤمر الصبي الذي يعقل ، لانه أمره بالاستئذان . وقال آخرون : ذلك أمر للآباء أن يأخذوا الأولاد بذلك ، فظاهر الآية يدل على وجوب الاستئذان ثلاث مرات في ثلاث أوقات من ساعات الليل والنهار . ثم فسر الاوقات فقال « من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء » الاخرة

لأن الغالب على الناس أن يتعروا في خلواتهم في هذه الاوقات ذكره مجاهد . ثم بين أنه ليس عليكم ولا عليهم جناح فيما بعد ذلك من الاوقات أن يدخلوا عليكم من غير اذن ، يعني في الذين لم يبلغوا الحلم ، وهو المراد بقوله «طوافون عليكم بعضكم على بعض» ثم قال : مثل ما بين لكم هذه العورات بين الله ائكم الدلالات على الاحكام « والله عليكم » بما يصلحكم « حكيم » فيما ذكره وغيره من أفعاله . ثم قال « واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم » يعني يرتفع من دخوله بغير اذن إذا بلغ ، وصار حكمه حكم الرجال في وجوب الاستئذان على كل حال . ثم قال مثل ما بين لكم هذا بين ائكم ادلكه « والله عليكم حكيم » .

ثم قال « والنفاعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً » يعني المسنات من النساء اللاتي فعدن عن التزويج ، لانهلا يرغب في تزويجهن . وقيل : هن اللاتي ارتفع حيضهن ، وقعدن على ذاك ، اللاتي لا يطمنن في النكاح أي لا يطمنن في جماعهن لكبرهن « فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن » قيل هو القناع الذي فوق الخمار وهو الجلباب ، والرداء الذي يكون فوق الشعار . وفي قراءة أهل البيت (ع) « ان يضعن من ثيابهن » وبه قرأ ابي .

وقوله « غير متبرجات بزينة » أي لا تقصد بوضع الجلباب اظهار محاسنها ، وما ينبغي لها أن تستره . والتبرج اظهار المرأة من محاسنها ما يجب عليها ستره . ثم اخبر تعالى أن الاستغفاف عن طرح الجلباب خير لهن في دينهن « والله سميع » لا قوالكم « عليكم » بما تضمنونه « حلیم » عليكم لا يعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم ، وانما ذكر القواعد من النساء ، لان الشابة يلزمها من التستر اكثر مما يلزم المعجوز ، ومع ذلك فلا يجوز للمعجوز أن تبدي عورة لغير محرم ، كالساق والشعر والذراع .

قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاتِحُهُنَّ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٦١) آية بلاخلاف .

يقول الله تعالى انه « ليس على الاعمى حرج » وهو الذي كف بصره « ولا على الاعرج حرج » وهو الذي يعرج من رجله او احدهما « ولا على المريض حرج » وهو الذي يكون عليلا، والخرج الضيق في الدين ، مشتق من الحرجة ، وهي الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه ، وخرج فلان إذا أثم . وخرج من كذا إذا تأثم من فعله .

نفى الله الحرج عن هؤلاء لما يقتضيه حالهم من الافات التي بهم مما تضيق على غيرهم . واختلفوا في تأويل ذلك ، فقال الحسن وابن زيد والجبائي : ليس عليهم حرج في التخلف عن الجهاد ، ويكون قوله « ولا على انفسكم » كلاماً مستأنفاً . وقال

ابن عباس : ليس من مؤاكلتهم حرج . لانهم كانوا يتخرجون من ذلك . قال الفراء : كانت الانصار تتخرج من ذلك ، لانهم كانوا يقولون : الاعمى لا يبصر فتأكل جيد الطعام دونه ويأكل رديئة . والاعرج لا يتمكن من الجلوس . والربيض يضعف عن المأكل . وقال مجاهد : ليس عليكم في الأكل من بيوت من سمي على جهة حمل قراباتهم إلبهم يستبعونهم في ذلك حرج . وقال الزهري : ليس عليهم حرج في أكلهم من بيوت الغزاة إذا خلفوهم فيه باذنهم . وقيل : كان المخلف في المنزل المأذون له في الأكل يتخرج ، لثلا يزيد على مقدار المأذون له فيه . وقال الجبائي : الآية منسوخة بقوله « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه » (١) ويقول النبي (ص) (لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه) والذي روي عن أهل البيت (ع) : انه لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكرهم الله بغير اذنهم ، قدر حاجتهم من غير اسراف .

وقوله « ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم » قال الفراء : لما نزل قوله « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا ان تكون تجارة » (٢) ترك الناس مؤاكلة الصغير والكبير ممن أذن الله تعالى في الأكل معه ، فقال تعالى وليس عليكم في أنفسكم ، وفي عيالكم حرج أن تأكلوا منهم ومعهم الى قوله « أو صديقكم » أي بيوت صديقكم « أو ما ملكتم مفاتحه » أي بيوت عبيدكم وأموالهم . وقال ابن عباس : معنى ما ملكتم مفاتحه هو الوكيل وما جرى مجراه . وقال مجاهد والضحاك : هو ما ملكه الرجل نفسه في بيته . وواحد المفاتيح مفتاح - بكسر الميم - وفي المصدر (مفتاح) بفتح الميم . وقال قتادة : معنى قوله « أو صديقكم » لأنه لا بأس في الأكل من بيت صديقه بغير اذنه .

﴿١﴾ سورة الاحزاب آية ٥٣ ﴿٢﴾ سورة النساء آية ٢٨

وقوله « ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً أو اشتاتاً » قيل : يدخل فيه أصحاب الآفات على التغليب للمخاطب كقولهم : انت وزيد قتما ، ولا يقولون قاما . وقال ابن عباس : معناه لا بأس ان يأكل الغني مع الفقير في بيته . وقال ابن عباس والضحاك : هي في قوم من العرب كان الرجل منهم يتخرج أن يأكل وحده . وقال ابن جريج : كانوا من كنانة . وقال ابو صالح : كانوا إذا نزل بهم ضيف تخرجوا أن يأكلوا معه ، فأباح الله الاكل منفرداً ومجتمعاً . والاولى حمل ذلك على عمومه ، وانه يجوز الاكل وحداناً وجماعاً .

وقوله « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم » قال الحسن : معناه ليسم بعضكم على بعض . وقال ابراهيم : اذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . وقال قوم : أراد بالبيوت المساجد . والاولى حمله على عمومه . فامارد السلام ، فهو واجب على المسلمين . وقال الحسن : يجب الرد على المعاهد ، ولا يقول الراد ورحمة الله .

وقوله تعالى « تحية من عند الله مباركة طيبة » يعني هذا السلام تحيون به تحية من عند الله مباركة طيبة ، لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم . ثم قال كما بين الله لكم هذه الأحكام والآداب « كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » أي بين الله لكم الأدلة على جميع الاحكام ، وجميع ما يتبعكم به لتعقلوا ذلك ، وتعملوا بموجبه .

قوله تعالى

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ

أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوا لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ
فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢)
لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَنْ يُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) إِلَّا إِنْ لِي مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤) ثلاث آيات بلاخلاف

يقول الله تعالى ليس المؤمنون على الحقيقة إلا « الذين آمنوا بالله » أي صدقوا
بتوحيده وعدله ، وأقروا بصدق رسوله وإذا كانوا مع رسوله « على أمر جامع » وهو
الذي يقتضي الاجتماع عليه والتعاون فيه : من حضور حرب أو مشورة في أمر ، أو في
صلاة جمعة ، وما أشبه ذلك ، لم ينصرفوا عن رسوله أو عن ذلك الأمر ، إلا بعد أن
يأذن لهم الرسول في الانصراف متى طلبوا الاذن من قبله . والاستئذان طلب الاذن
من الغير .

ثم قال تعالى لنبيه (ص) « إن الذين يستأذنونك » يا محمد ، فهم الذين
يصدقون بالله ورسوله على الحقيقة ، دون الذين ينصرفون بلا استئذان .

ثم قال لنبيه (ص) أيضاً متى ما استأذونك هؤلاء المؤمنون أن يذهبوا لبعض
مهماتهم وحاجاتهم « فأذن لمن شئت منهم » فخيره بين أن يأذن وألا يأذن ، وهكذا

(ج ٧ م ٥٩ من التبيان)

حكم الامام .

وقوله « واستغفر لهم الله » أي اطلب لهم المغفرة من الله . واستغفار النبي (ص) هو دعاؤه لهم باللفظ الذي تقمع معه المغفرة « إن الله غفور رحيم » أي سائر لذنوبهم منعم عليهم .

ثم أمر المكلفين فقال تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » وقيل في معناه قولان :

احدهما - احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه ، فإن دعاءه موجب ، ليس كدعاء غيره ، ذكره ابن عباس :

والثاني - قال مجاهد وقتادة : ادعوه بالخضوع والتعظيم ، وقولوا له : يا رسول الله ، وياني الله ، ولا تقولوا : يا محمد ، كما يقول بعضكم لبعض .

وقوله « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذآ » معناه إذا تسلل واحد منكم من عند النبي (ص) فإن الله عالم به . وقال الحسن : معنى « لو اذآ » فرار آمن الجهاد . قال الفراء : كان المنافقون يحضرون مع النبي الجمعة ، فإذا نزلت آية فيها ذم للمنافقين ضجروا ، وطلبوا غره (١) واستتر بعضهم ببعض ، يقال : لاوذت بفلان ملاوذة ، ولو اذآ . قال الزجاج : الملاوذة المخالفة ، ولذت به ألوذت لياذآ .

ثم حذرهم من مخالفة رسوله بقوله « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » وإنما دخلت (عن) في قوله « عن أمره » لأن المعنى يعرضون عن أمره . وفي ذلك دلالة على أن أوامر النبي (ص) على الإيجاب ، لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر من مخالفته ، وليس المخالف هو ان يفعل خلاف ما أمره فقط ، لان ذلك ضرب من المخالفة . وقد يكون مخالفاً بألا يفعل ما أمره به . ولو كان الأمر على التذب لجاز

(١) معناه طلبوا اختصار الحديث أي طيه على غره

زكاه ، وفعل خلافه .

وقوله « أن تصيبهم فتنة » أي فليحذروا من أن تصيبهم فتنة : أي بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق . والفتنة شدة في الدين تخرج ما في الضمير « أو يصيبهم عذاب اليم » في الآخرة جزاء على خلافهم الرسول . ويجوز أن يكون المراد : أن تصيبهم عقوبة في الدنيا ، أو يصيبهم عذاب مؤلم في الآخرة . وقيل : معناه « أن تصيبهم فتنة » أي قبل أن يصيبهم عذاب في الآخرة . وقوله « ألا إن لله ما في السموات والارض » المعنى ان له ملك ما في السموات والارض ، والتصرف في جميع ذلك ، ولا يجوز لا حدا لاعتراض عليه ، ولا يجوز مخالفة أمر رسوله ، ولا يخالف أمره ، لأن الهاء في قوله « عن أمره » يحتمل أن تكون راجعة الى الرسول ويحتمل أن تكون راجعة الى الله ، وقد مضى ذكرهما قبلها . ثم بين انه « يعلم ما انتم عليه » من الايمان والنفاق ، لا يخفى عليه شيء من احوالكم لا سرا ولا علانية .

وقوله « وبوم يرجعون اليه » أي بوم يردون اليه يعني يوم القيامة ، الذي لا يملك فيه احد شيئا سواه . ومن ضم الياء : أراد يردون . ومن فتحها نسب الرجوع اليهم . وقوله « فينبئهم بما عملوه » أي يعلمهم جميع ما عملوه من الطاعات والمعاصي ويوافيهم عليها . « والله بكل شيء عليم » لا يخفى عليه شيء من ذلك الذي عملوه سرا أو جهرا .

Faint, illegible text, possibly bleed-through from the reverse side of the page.

٢٥ - سورة الفرقان

قال مجاهد وقتادة : هي مكية . وقال ابن عباس نزلت ثلاث آيات منها بالمدينة
من قوله « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر » الى قوله « رحيماً »
عدد آياتها سبع وسبعون آية ليس فيها خلاف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَأَن تَخْذُوا
مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ أُفْتَرِيَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا
ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا سَاطِرُ الْأُولَى لَئِن أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تَمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ ست آيات .

معنى تبارك : تقدس وجل ، بما لم يزل عليه من الصفات ، ولا يزال كذلك ،
ولا يشاركه فيها غيره . وأصله من برك الطير على الماء ، فكأنه قال : ثبت فيما لم
يزل ولا يزال الذي نزل الفرقان على عبده . وقال ابن عباس : تبارك (تفاعل)
من البركة ، فكأنه قال ثبت بكل بركة أو حل بكل بركة . وقال الحسن : معناه
الذي تجبي . البركة من قبله ، والبركة الخير الكثير . والفرقان هو القرآن ، سمي فرقانا
لأنه يفرق به بين الصواب والخطأ ، والحق والباطل في أمور الدين ، بما فيه من
الوعظ والزجر عن القبائح والحث على أفعال الخير .

ثم بين تعالى أنه إنما نزل هذا القرآن ، وغرضه أن يكون نذيراً للعالمين ، أي
مخوفاً وداعياً لهم إلى رشدهم ، وصارفاً لهم عن غيهم وضلالهم ، يقال : أنذره إنذاراً
إذا دعاه إلى الخير ، بأن يخوفه من تركه : إذا كان غافلاً عنه ، وقال ابن زيد : النذير
هو النبي (ص) . وقال آخرون : هو القرآن .

ثم وصف تعالى ﴿ الذي نزل الفرقان ﴾ بأنه ﴿ الذي له ملك السموات
والارض ﴾ والتصرف فيهما ، بسعة مقدوره بسياستها . وأنه ﴿ لم يتخذ ولداً ﴾ كما
يدعيه النصارى في أن المسيح ابن الله ، ويزعم جماعة من العرب أن الملائكة بنات
الله . وأنه ليس له شريك في الملك ، بل هو المالك لجميع ذلك وحده ، وأنه ﴿ خلق
كل شيء ﴾ . وقيل في معناه قولان :

أحدهما - أن كل شيء يطلق عليه اسم مخلوق ، فانه خلقه ، لأن أفعالنا لا يطلق
عليها اسم الخلق حقيقة ، لأن الخلق يفيد الاختراع ، وإنما يسمونها بذلك مجازاً .

والثاني - انه لا يعتد بما يخلقه العبد في جنب ما خلقه الله ، لكثرة ذلك وفلة ما يخلقه العبد .

ويحتمل ان يكون المراد قدر كل شيء ، لان أفعال العباد مقدره الله ، من حيث ين ما يستحق عليها فاعلها من الثواب والعقاب أو لا يستحق شيئاً من ذلك . ويقوي ذلك قوله ﴿ فقدره تقديراً ﴾ لان المعنى فيه ، وكل شيء على مقدار حاجتهم اليه وصلاحه لهم .

ثم اخبر تعالى عن الكفار ، فقال ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ من الاصنام والاولئان ، ووجهوا عبادتهم اليها من دون الله . ثم وصف آلهتهم بما ينبيء أنها لا تستحق العبادة ، بأن قال ﴿ لا يخلقون شيئاً ﴾ ولا يقدرون عليه ، وهم مع ذلك مخلوقون ، ومصرفون ، وانهم ﴿ لا يملكون ﴾ أي لا يقدرون ﴿ لانفسهم ﴾ على ضرر ولا على نفع ﴿ ولا يملكون ﴾ أي لا يقدرون على موت ، ولا على حياة ، ولا على بعث بعد الموت . والنشور هو البعث بعد الموت ، يقال : نشر الميت ، فهو ناشر نشوراً ، وانشره الله انشاراً ، ومنه قوله ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ (١) وجميع ذلك يختص الله بالقدرة عليه ، والعبادة تستحق بذلك ، لانها أصول النعم ، ثم أخبر عن الكفار بأنهم يقولون : ليس هذا القرآن الذي أنزلناه ﴿ إلا إفك ﴾ يعني كذب افتعله النبي (ص) ﴿ واعانه عليه قوم آخرون ﴾ قال الحسن : قالوا أعانه عليه عبد حبشي يعني الحضرمي . وقال مجاهد : قالوا أعانه عليه اليهود .

ثم حكى تعالى عنهم بأنهم قالوا ذلك و ﴿ جاؤا ﴾ في هذا القول ﴿ ظلماً وزوراً ﴾ أي جاؤا بظلم ، فلما حذف الباء نصبه أي انهم أضافوه الى غير من صدر عنه ، وكذبوا فيه .

وحكى عنهم انهم قالوا أيضاً : هذا القرآن ﴿ أساطير الاولين ﴾ ورفع
 (أساطير) بأنه خبر ابتداء محذوف ، وتقديره هذا أساطير الاولين . قال ابن عباس :
 الذي قال ذلك النضر بن الحارث بن كلدة ، يعني اخبار قد سطرها الأولون من
 الأمم اكتبها هو ، واتسخها ﴿ فهي تمل عليه ﴾ حتى ينسخها ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ يعني
 غداة وعشياً . والاصيل العشي ، لأنه أصل الليل وأوله . ومعناه : إنه يقرأ عليه على
 هوى النفس ، فأمر الله تعالى نبيه (ص) أن يقول لهم ، تكذيباً لقولهم ﴿ قل انزله ﴾
 يعني القرآن ﴿ الذي يعلم السر ﴾ يعني الخفايا ﴿ في السموات والارض ﴾ والمعنى انه
 أنزله على ما يعلم من المصلحة وبواطن الأمور وخفاياها ، لا على ما تقتضيه أهواء
 النفوس وشهواتها . وقال الجبائي : السر - هنا - الغيب . والسر اخفاء المعنى في
 القلب اسر اليه إسراً أي ألقى اليه ما يخفيه في قلبه ، وساره مسارة وسراراً : إذا
 اخفى ما يلقى اليه من السر عن غيره .

وقوله ﴿ انه كان غفوراً ﴾ معناه الذي يعلم السر في السموات والارض لا يعاجلهم
 بالعقوبة ، بل يستر عليهم ، وهكذا كان على من تقدم من الكفار والمعصاة ﴿ رحماً ﴾
 أي منعماً عليهم .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
 لَوْلَا أَنْزَلِ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ
 تَكْوِينٌ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
 مَسْحُورًا (٨) أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠) أَرْبَعُ آيَاتٍ .

قرأ حمزة والكسائي ﴿ نأكل ﴾ بالنون . الباقون بالياء . وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو بكر عن عاصم ﴿ ويجعل لك قصوراً ﴾ بالرفع . الباقون بالجزم . من قرأ
﴿ يا كل ﴾ بالياء أراد النبي (ص) فانهم كرهوا أن يكون نبي من قبل الله يأكل
الطعام ويمشي في الاسواق ، وقالوا : هلا كان معه ملك ؟ فيكون معه معيناً مخوفاً
لعباده ﴿ وداعياً ﴾ لهم . ومن قرأ بالنون اراد : نأكل نحن ، فيكون له بذلك منزلة
علينا في الفضل بأكلنا من جنته . ومن جزم ﴿ ويجعل ﴾ عطفه على موضع (جعل)
لأن موضع (جعل) جزم . لانه جزاء الشرط ، فعطف ﴿ ويجعل ﴾ على الموضع
كما قرأ من قرأ قوله ﴿ من يضل الله فلا هادي له ويذرهم ﴾ (١) بالجزم ومن رفع استأنفه
وقطعه عن الأول ، كما قرأ ﴿ ويذرهم ﴾ بالرفع .

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم أنهم قالوا أي شيء « لهذا
الرسول يأكل الطعام » كما نأكل « ويمشي في الاسواق » في طلب المعاش ، كما نمشي
« لولا انزل اليه » ومعناه هلا أنزل الله عليه ملكاً ان كان صادقاً ، فيكون
معيناً له على الأذى والتخويف . وإن لم ينزل اليه ملك ، هلا « يلقى اليه كنز »
يستغني به ويكون عوناً له على دنياه وما يريد « او تكون له الجنة » اي بستان
« يا كل منها » هو نفسه . ومن قرأ - بالنون - اراد نأكل نحن معه . وتبعه .

ثم حكى : ان الظالمين نفوسهم بارتكب المعاصي والكفر ، قالوا لأتباعهم ومن
سمع منهم ﴿ إن تتبعون ﴾ اي ليس تتبعون إن تبعتموه ﴿ الا رجلاً مسحوراً ﴾ وقيل

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٨٥

﴿ ج ٧ م ٦٠ من التبيان ﴾

إنما يخاطبون بذلك المؤمنين المقربين بنبوته ، ليصرفوهم عنه ، ومعنى (مسحوراً) أنه قد سحر . والسحر ما خفي سببه حتى يظن أنه معجز . فقال الله لنبيه (ص) ﴿ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ يعني الاشباه ، لأنهم قالوا تارة : هو مسحور . وتارة مثواه بالمحتاج المتروك ، حتى تمنوا له الكنز . وتارة بأنه ناقص عن القيام بالأمور ، وكل ذلك جهل منهم وذهاب عن وجه الصواب . فقال الله تعالى ﴿ فضلوا ﴾ بضرب هذه الامثال عن طريق الحق ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ معناه لا يستطيعون طريقاً الى الحق ، مع تمسكهم بطريق الجهل وعدوهم عن الداعي الى الرشاد . وقيل معناه ﴿ لا يستطيعون سبيلاً ﴾ الى ابطال امرك .

ثم قال تعالى ﴿ تبارك الذي ﴾ أي تقدس وتعاظم الله الذي ﴿ ان شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ يعني مما قالوه . في قول مجاهد - ثم فسر (ذلك) فقال الذي هو خير مما قالوه ﴿ جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصوراً ﴾ وهو جمع قصر ، وهو البيت المشيد للمبني - في قول مجاهد - وسمي القصر قصراً ، لأنه يقصر من فيه عن أن يوصل اليه . ومن جزم « يجعل » عطفاً على موضع (جعل) ، لأنه جواب الشرط . ومن رفع استأنف : وكان يجوز النصب على الظرف (١) .
قوله تعالى :

﴿ بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ (١١)
إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً (١٢) وإذا لقاؤنا
من أماناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً (١٣) لا تدعوا اليوم

(١) يقصد بالظرف (واو المية)

تُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا تُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ
الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ
خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ ست آيات .

يقول الله تعالى مخبراً عن حال هؤلاء الكفار الذين وصفهم وذكرهم بأنهم
كفروا بالله وجحدوا البعث والنشور ، أنهم لم يكفروا لأنك تأكل الطعام وتمشي في
الاسواق ، بل لأنهم لم يقرؤا بالبعث والنشور ، والثواب والعقاب ، وهو معنى قوله
« بل كذبوا بالساعة » يعني بالقيامة ، وما فيها من الثواب والعقاب .
ثم اخبر تعالى انه اعد « لمن كذب بالساعة سعيراً » و (أعتدنا) أصله أعددنا
فقلبت احدى الدالين تاء ، لقرب مخرجهما . و (السعير) النار الملتبئة ، يقال : اسعرتها
اسعاراً ، واستعرت استعاراً ، وتسعرت تسعراً ، وسعرها الله تسعيراً . والاسعار تهيج
النار بشدة الايقاد .

ثم وصف تلك النار المستعرة ، فقال « اذا رأتهم من مكان بعيد » ونسب
الرؤية الى النار - وانما هم يرونها - لان ذلك أبلغ ، كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي
يزفر غضباً ، فهم يرونها على تلك الصفة ، ويسمعون منها تلك الحال الهائلة . و (التغيظ)
انتفاض الطبع لشدة فنور النفس ، والمعنى صوت التغيظ من التلهب والتوقد . وقال
الجبائي : معناه « اذا رأتهم » الملائكة الموكلون بالنار « سمعوا لها » للملائكة « تغيظاً
وزفيراً » للحرص على عذابهم . وهذا تدول عن ظاهر الكلام مع حسن ظاهره
وبلاغته من غير حاجة داعية ولا دلالة صارفة . وانما شبهت النار بمن له تلك الحال ،
وذلك في نهاية البلاغة .

وقوله « واذ القوا » يعني الكفار « منها » يعني من النار « مكاناً ضيقاً » أي

في مكان ضيق « مقرنين » قيل : معناه مغفلين ، قد قرنت أعناقهم الى ايديهم في الاغلال ، كما قال « مقرنين في الاصفاد » (١) وقيل : مقرنين مع الشياطين في السلاسل والاغلال . وقيل يقرن الانسان والشيطان الذي كان يدعوه الى الضلال « دعوا هنالك » يعني في ذلك الموضع ، يدعون « ثبوراً » قال ابن عباس : الثبور الويل ، وقال الضحاك : هو الهلاك . وقيل : أصله الهلاك من قولهم نبر الرجل إذا هلك . قال ابن الزبيري .

إذا جاري الشيطان في سنن الـ يعني فمن مال ميله مشبور (٢)

ويقال : ما تبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه صرف المهلك عنه ، فيقولوا : وإلنصرفاه عن طاعة الله . وقيل : واهلاكاه . فقال الله تعالى انه يقال لهم عند ذلك « لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً » أي لا تدعوا وبلا واحداً . بل أدعوا وبلا كثيراً . والمعنى إن ذلك لا ينفعكم سواء دعوتهم بالويل قليلاً أو كثيراً .

ثم قال تعالى لنبيه (ص) « قل لهم يا محمد « أذلك خير » يعني ما ذكره من السعير وأوصافه خير « أم جنة الخلد » وإنما قال ذلك على وجه التنبيه لهم على تفاوت ما بين الحالين . وإنما قال « أذلك خير أم جنة الخلد » وليس في النار خير ، لأن المراد بذلك أي المنزلين خير؟ أتبتكتنا لهم وتقرباً . وقوله « النبي وعد المتقون » أي وعد الله بهذه الجنة من يتقى معاصيه ويخاف عقابه « كانت لهم جزاء ومصيراً » يعني الجنة مكافأة وثواباً على طاعتهم ، ومرجعهم اليها ومستقرهم فيها ، و« لهم فيها ما يشاؤون » ويشتهون من اللذات والمنافع « خالدين » أي مؤبدين لا يفنون فيها « كان على ربك وعداً مسؤولاً » وقيل في معناه قولان :

(١) سورة ١٤ ابراهيم آية ٤٩ وسورة ٣٨ ص آية ٣٨

(٢) ص ٥٢٨/٦ في تخريجها

احدهما - ان المؤمنين يسألون الله عزوجل الرحمة في قولهم « ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا » (١) وقولهم : ﴿ وآتانا ما وعدتنا على رسلك ﴾ (٢) .
والثاني - انه بمنزلة قوالك : لك ما تمنيت مني أي متى تمنيت شيئاً فهو لك ،
فكذلك متى سألوا شيئاً . فهو لهم بوعده الله (عز وجل) ايامهم .
وقرأ ابن كثير ﴿ ضيقاً ﴾ بتخفيف الياء . الباقون بالتشديد ، وهما لغتان
بالتشديد والتخفيف ، مثل سيد وسيد ، وميت وميت . وقيل : ذلك هو الوعد المسنون
في دار الدنيا .

قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ
أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هُوَ لَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ
مَا كُنَّا يَدْبَعِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا * وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ
عَذَابًا كَثِيرًا (١٩) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (٢٠) اربع آيات .

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وحفص ويعقوب ﴿ويوم يحشرهم﴾ بالياء . الباقون بالنون . وقرأ ابن عامر ﴿فنقول﴾ بالنون . الباقون بالياء . وقرأ أبو جعفر ﴿ان نتخذ﴾ بضم النون وفتح الخاء . الباقون بفتح النون وكسر الخاء . وقرأ حفص ﴿فما تستطيعون﴾ بالياء . الباقون بالتاء .

من قرأ ﴿يحشرهم﴾ بالياء فتقديره : قل يا محمد يوم يحشرهم الله ويحشر الاصنام التي يعبدونها من دون الله . قال قوم : حشر الاصنام افناؤها . وقال آخرون يحشرها كما يحشر سائر الحيوان ليبيكت من جعلها آلهة .

ومن قرأ بالنون اراد : ان الله المخبر بذلك عن نفسه وابن عامر جعل المعطوف مثل المعطوف عليه في أنه حمله على أنه إخبار من الله . ومن قرأ الأولى بالنون والثانية بالياء عدل من الاخبار عن الله الى الاخبار عن الغائب .

يقول الله تعالى ﴿ويوم يحشرهم﴾ يعني هؤلاء الكفار الجاحدين للبعث والنشور ويحشر ﴿ما يعبدون من دون الله﴾ قال مجاهد : يعني عيسى وعزير . وقال قوم : هو كل ما عبده من دون الله ليبيكتوا بذلك ﴿فيقول﴾ اي فيقول الله لهم ﴿أأنتم أضلتم عبادي هؤلاء﴾ يعني الكفار أي يقول الله للذين عبدوهم أنتم الذين دعوتهم الكفار الى عبادتهم فأجابوكم ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ من قبل نفوسهم عن طريق الحق وخطوا طريق الصواب ?? فيجيب المعبودون بما حكاه الله فيقولون : ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من اولياء﴾ ندعوم الى عبادتنا . ومن ضم النون اراد : لم يكن لنا ان نتخذ اولياء من دونك ، وضعف هذه القراءة النحويون . فقالوا : لان (من) هذه تدخل في الاسم دون الخبر ، نحو ما علمت من رجل راكباً . ولا تقول : ما علمت رجلاً من راكب . وقال الزجاج : لا يجوز ذلك

كما لا يجوز في قوله ﴿فما منكم من احد عنه حاجز بين﴾ (١) ما احدثه منكم من حاجز بين .
وقال الفراء يجوز ذلك على ضعف ، ووجهه أن يجعل الاسم في (من أولياء) ، وإن
كانت وقعت موقع الفعل [وقوله ﴿ ما كان ينبغي لنا ﴾ ، (كان) زائدة ، والتقدير :
ما ينبغي لنا - ذكره ابو عبيدة - وهذا لا يحتاج اليه ، لان هذا إخبار عنهم يوم القيامة :
انهم يقولون : « ما كان ينبغي لنا » في دار الدنيا ان نتخذ اولياء من دونك] (٢)
وقوله « ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً » تمام الحكاية عما
يقول المعبودون من دون الله ، فانهم يقولون يا ربنا انك متعت هؤلاء الكفار ومتعت
آباءهم في نعيم الدنيا « حتى نسوا الذكر » أي ذكرك « وكانوا قوماً بوراً » أي هلكت
فاسدين . والبور الفاسد . ويقال : بارت السلعة تبور بوراً إذا بقيت لا تشتري بقاء
الفاسد الذي لا يزداد . والبائر الباسق على هذه الصفة . والبور مصدر كالزور ، لا يثنى
ولا يجمع ولا يؤنث . وقيل هو جمع (بائر) قال ابن الزبيري :

يا رسول الملوك إن لساني رائق ما فتقت إذ أنا بور (٣)

ونعوذ بالله من بور الأثم . وقوله « فقد كذبوكم بما تقولون » قيل في

معناه قولان :

احدهما - كذبكم الملائكة والرسل ، في قول مجاهد .

والثاني - قال ابن زيد : أيها المؤمنون كذبكم المشركون بما تقولون : عن

نبوة محمد (ص) وغيره من انبياء الله .

قال الفراء : من قرأ بالياء معناه كذبوكم بقولهم . وقوله « فما تستطيعون صرفاً

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٤٧ (٢) ما بين القوسين كان في الطبوعة

مؤخراً عن موضعه .

(٣) انظر ٦ / ٢٩٤ من هذا الكتاب .

ولا نصرأ « قال مجاهد : يعني بذلك ، فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف العذاب عن انفسهم ، ولا نصر أنفسهم من عذاب الله تعالى . وقيل : معناه فما يستطيعون لك يا الله صرفاً عن الحق ، ولا نصر أنفسهم من البلاء الذي هم فيه ، من التكذيب لك . ومن : ما يستطيعون نصرأ من بعض لبعض . ومن قرأ - بالتاء - خاطبهم بذلك بتصدر قل لهم .

ثم قال تعالى « ومن يظلم منكم » نفسه بارتكاب المعاصي وحجج آيات الله « . . . » في مقابلة ذلك جزاء عليه « عذاباً كبيراً » أي عظيماً .

ثم خاطب نبيه محمداً (ص) فقال « وما أرسلنا قبلك » يا محمد « من المرسلين إلا انهم لياكلون الطعام » مثلك « ويمشون في الاسواق » طلباً للمعاش ، كما تطلبها أنت . وهو جواب لقولهم « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » (١) وكسرت (إن) في قول « الا انهم » لانه موضع ابتداء ، كأنه قال : الإهم يأكلون الطعام ، كما تقول : ما قدم علينا أمير الا إنه مكرم لي ، ولا يجوز أن تكون مكسورة لأحرف اللام ، لأن دخولها وخروجها واحد في هذا الموضع . وقال قوم (من) محذوفة والتقدير إلا من انهم لياكلون الطعام نحو « وما منا إلا له مقام معلوم » (٢) أي الامن لمقام معلوم ، ذكره الفراء . وقال الزجاج : هذا لا يجوز ، لان قوله « انهم لياكلوا الطعام » صلة (من) ولا يجوز حذف الموصول وبقاء الصلة ، ومثل الآية قول الشاعر :
 ما أعطيتاني ولا سألتها
 إلا وأني لحاجز كرمي (٣)

وقوله « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » قال الحسن : معناه يقول هذا الأعمى : لو شاء لجعلني بصيراً مثل فلان ، ويقول هذا الفقير : لو شاء لجعلني غنياً مثل فلان

(١) سورة ٢٥ الفرقان آية ٧ (٢) سورة ٣٧ الصافات آية ١٦٤

(٣) البيت في مجمع البيان ٤/١٦٣

وبقول هذا السقيم: لو شاء لأصحني مثل فلان .

وقوله « وكان ربك بصيراً » أي بصيراً أي من يصبر ممن يجزع ، في قول ابن جريج . وقال الفراء : كان الشريف إذا أراد أن يسلم ، وقد سبق المشروف الى الاسلام ، فيقول : أسلم بعد هذا ! فكان ذلك فتنة . وقيل « وجعلنا بعض لبعض فتنة » للعداوات التي كانت بينهم في الدين ، والفتنة شدة في التعبد تظهر ما في نفس العبد من خير وشر ، وهي الاختبار . وأصله اخلاص الشيء باحراق ما فيه من الفساد من قولهم : فنتت الذهب بالنار إذا أخلصته من الغش باحراقه ، ومنه قوله « يومهم على النار يفتنون » (١) أي يحرقون إحراق ما يطلب اخلاصه من الفساد .

وقوله « أتصبرون وكان ربك بصيراً » معناه اصبروا فقد عرفتم ما وعد الصابرون به من الثواب ، والله بصير بمن يصبر ومن يجزع .

قوله تعالى

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ
يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا
مَحْجُورًا (٢٢) وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣)
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَيَوْمَ تَشَقُّقُ
السَّمَاءُ بِالنَّعْمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) خمس آيات .

حكى الله تعالى عن الكفار الذين لا يرجون لقاء ثواب الله ، ولا يخافون عقابه

(١) سورة ٥١ الناريات آية ١٣

﴿ ج ٧ م ٦١ من التبيان ﴾

أنهم قالوا ما ذكره . والرجاء ترقب الخير الذي يقوى في النفس وقوعه ، تقول : رجاء رجوا رجاء وارتجى ارتجاء ، وترجى ترجياً ، ومثل الرجاء الطمع والامل . والمعنى لا يرجون لقاء جزائنا ، وإذا استعملوا الرجاء مع النفي أرادوا به الخوف ، كقوله « لا ترجون لله وقاراً » (١) وهي لغة تهامة وهذيل . واللقاء المصير الى الشيء من غير حائل ولهذا صح لقاء الجزاء من الثواب والعقاب ، لان العباد يصيرون اليه في الآخرة وعلى هذا يصلح أن يقال : لا بد من لقاء الله تعالى .

وقوله « لو لا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا » معناه هلا أنزل الملائكة لتخبرنا بأن محمداً نبي « أو نرى ربنا » فيخبرنا بذلك . قال الجبائي : وذلك يدل على انهم كانوا مجسمة ، فلذلك جوزوا الرؤية على الله التي تقتضي التشبيه .

ثم اقسام تعالى فقال « لقد استكبروا » بهذا القول « في أنفسهم » أي طلبوا الكبر والتجبر بغير حق ، تقول : استكبر استكباراً « وعتوا » بذالك أي طغوا به « عتواً كبيراً » والعتو الخروج الى أخش الظم .

وقوله « يوم يرون الملائكة » يجوز أن يكون المراد به اليوم الذي تقبض فيه أرواحهم ، ويعلمون أين مستقرهم . ويجوز أن يكون يوم القيامة « لا بشرى يومئذ للمجرمين » أي لا بشرى لهم في ذلك اليوم . قال الفراء : ليس (اليوم) من صلة (بشرى) ولا منصوباً به ، بل اضمرت (الفاء) كقولك : أما اليوم ، فلا مال لك . وقال الزجاج : يجوز على تقدير لا بشرى تكون للمجرمين يوم يرون الملائكة ، ويكون (يومئذ) مؤكداً لـ (يوم) ، ولا يكون منصوباً بـ (لا بشرى) لأن ما يتصل بـ (لا) لا يعمل فيما قبلها ، لكن لما قيل : « لا بشرى للمجرمين » بين في أي يوم ذلك فكأنه قال يمنعون البشرى يوم يرون الملائكة ، وهو يوم القيامة و (المجرمين) معناه

الذين أجرموا وارتكبوا المعاصي « ويقولون حجراً محجوراً » حراماً محرماً . وقال قتادة ، والضحاك : هو من قول الملائكة يقولون لهم : حراماً محرماً عليكم البشرى . وقال مجاهد وابن جريج : هو من قول المجرمين ، كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل ، قالوا « حجراً محجوراً » أي حراماً محرماً دماًؤنا . واصل الحجر الضيق ، يقال : حجر عليه يحجر حجراً إذا ضيق . والحجر الحرام لضيقه بالذبح عنه ، قال المتلمس :

حنت الى النخلة القسوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس (١)

وقال آخر :

فهمت ان ألقى اليها محجراً ولمثلها يلقى اليه المحجر (٢)

أي حراماً . ومنه حجر القاضي عليه يحجر . وحجر فلان على أهله . ومنه حجر الكعبة ، لأنه لا يدخل اليه في الطواف ، وانما يطاف من ورأه ، لتضييقه بالذبح عنه وقوله « لذي حجر » (٣) أي لذي عقل ، لما فيه من التضييق في القبيح ، والحجر الاتى من الخيل ، ومنه الحجرة ، وحجر الانسان .

وقوله « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » قال البلخي :

معناه قدم أحكامنا بذلك . وقال مجاهد : معنى « قدمنا » عمدنا قال الراجز :

وقدم الخوارج الضلال الى عباد ربهم فقالوا

إن دماءكم لنا حلال (٤)

وفي الكلام بلاغة حسنة ، لان التقدير : كان قصدنا اليه قصد القادم على ما بكرهه ، ما لم يكن رآه قبل فيغيره . والهباء غبار كاشعاع ، لا يمكن القبض عليه

(١) أنظر ٣١٣/٤ تعليقة ١ من هذا الكتاب . (٢) تفسير الطبري ٢/١٩

(٣) سورة الفجر آية ٥ (٤) تفسير القرطبي ٢١/١٣ والطبري ٣/١٩

وقال الحسن ومجاهد وعكرمة : هو غبار يدخل الكوة في شعاع الشمس . وقال عكرمة : هو رهبج الخيل . وقال ابن عباس وغيره : هو الماء المبراق .

ثم قال تعالى « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً » ومعناه : إن الذين يحصلون في الجنة - مثابين منعمين في ذلك اليوم - مستقرهم خير من مستقر الكفار في الدنيا والآخرة . وإنما قال ذلك على وجه المظاهرة ، بمعنى أنه لو كان لهم مستقر خير ومنفعة ، لكان هذا خيراً منه ، « واحسن مقيلاً » معناه أحسن موضع قائمة ، وإن لم يكن في الجنة نوم . إلا أنه من تمهيدته يصلح للنوم ، لأنهم خوطبوا بما يعرفون ، كما قال « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً » (١) على ما اعتاده . وقال البلخي : معنى « مستقراً واحسن مقيلاً » انه خير في نفسه ، وحسن في نفسه ، لانه أفضل من غيره ، كما قال « وهو أهون عليه » (٢) أي هو هين . وقال قوم : معنى « خير مستقراً واحسن » أي اتفق من مستقرهم . وقال ابن عباس وابراهيم وابن جريج : لانه يفرغ من حسابهم الى وقت القائمة .

وقوله « يوم تشقق السماء بالغمام » أي عن الغمام ، وهو كقوله : رميت بالقوس ، وعن القوس بمعنى واحد .

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر « تشقق » مشددة ومعناه تشقق ، فادغم احدى التائين في الشين لقرب مخرجيهما . ومن قرأ بالتخفيف أراد ايضاً ذلك ولكنه حذف احدى التائين ، وهي تاء (تفعل) لان الأخرى علامة الاستقبال ، لايجوز حذفها . وقال أبو علي الفارسي : المعنى « تشقق السماء » وعليها الغمام . وفي التفسير : انه يتشقق سماء سماء . وقال الفراء : تشقق السماء عن الغمام الأبيض . وقرأ الباقر بالتخفيف . وقرأ ابن كثير « ونزل الملائكة » بنونين . وقرأ الباقر بنون

واحدة مشددة .

والمعنى بذلك الاخبار عن هول ذلك اليوم وعظم شدائمه ، وان الملائكة تنزل للمؤمنين بالاكرام والاعظام ، وللكافرين بالاستخفاف والاهانة .
ومن قرأ بالتونين أراد ان الله الخبر بذلك عن نفسه . ومن قرأ بنون واحدة فعلى ما لم يسم فاعله . والمعنيان واحد . والتشديد أجود لقوله « تنزيلاً » والآخر يجوز ، كما قال ﴿ وتبتل اليه تبتيلاً ﴾ (١) وقوله ﴿ والله أنبتكم من الارض نباتاً ﴾ (٢) فجاء المصدر على غير الفعل وذلك سائغ جيد .

قوله تعالى :

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ
عَسِيرًا ﴾ (٢٦) وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي آتَّخَذْتُ مَعَ
الرُّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ آتَّخِذْ فَلَانَا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩)
وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي آتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠)

خمس آيات .

يقول الله تعالى إن ﴿ الملك ﴾ الذي هو السلطان بسعة المقذور وتدبير العباد في ذلك اليوم ووصفه بأنه الحق « للرحمن » الذي أنعم على جميع خلقه ، وأن ذلك

اليوم كان على الكافرين عسيراً ، يعني صعباً شديداً ، والعسير هو الذي يتعذر طلبه ، ونقيضه اليسير . والحق هو ما كان معتقده على ما هو به ، معظم في نفسه ، ولذلك وصفه تعالى بأنه الحق ووصف ملكه ايضاً بأنه الحق لما ذكرناه . وقيل « الملك » على ثلاثة أضرب : ملك عظمة ، وهو لله تعالى وحده . وملك ديانة بتملك الله تعالى . وملك جبرية بالعلبة .

ثم قال تعالى أن في ذلك اليوم « بعض الظالم على يديه » تلهفاً على ما فرط في جنب الله ، في ارتكاب معصيته . وقيل : إن الآية نزلت في أبي بن خلف ، وعقبة ابن ابي معيط ، وكانا خليلين ارتدّا أبي ، لما صرفه عن الاسلام عقبة . وقتل عقبة ابن ابي معيط يوم بدر صبراً . وقتل أبي بن خلف يوم احد ، قتله النبي (ص) بيده ، ذكره قتادة . وقال مجاهد : الخليل - ههنا - الشيطان ، وفلان كناية عن واحد بعينه من الناس ، لأنه معرفة . وقال ابن دريد ، عن أبي حاتم عن العرب : أنهم يكنوا عن كل مذكر بفلان ، وعن كل مؤنث بفلانة . وإذا كنوا عن البهائم أدخلوا الألف واللام ، فقالوا الفلان والفلانة .

ثم بين أنه يتبرأ منه بأن يقول : والله « لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني » يعني أغواني عن اتباع الذكر الذي هو النبي (ص) ويحتمل أن يكون اراد القرآن . ثم بين فقال « وكل الشيطان للانسان خذولاً » يخذله في وقت حاجته ومعاونته ، لأنه على باطل « وقال الرسول » أي ويقول الرسول « ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وقيل في معناه قولان :

احدهما - قال محمد ، و ابراهيم : انهم قالوا فيه هجراً أي شيئاً من القول القبيح لزعيمهم انه سحر ، وانه اساطير الاولين .

والثاني - قال ابن زيد : هجروا القرآن باعراضهم عنه ، وترك ما يلزمهم فيه

ويشهد لهذا قوله « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » (١) ومثل (قال) بمعنى (يقول)
قول الشاعر :

مثل العصافير أحلاماً ومقدرة لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا (٢)

أي ما يوزنون ، وأما قول الشاعر :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً مني وما سمعوا من صالح دفنوا (٣)
فهذا في الجزاء .

قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى
بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَوَلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)
وَلَا يَأْتِيَنَّكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ
يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿
(٣٤) أربع آيات .

معنى قوله « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين » قيل فيه قولان :
أحدهما - قال ابن عباس : جعل لمحمد (ص) عدوا من المجرمين ، كما
جعل لمن قبله .

١٦ سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٢٦ (٢) مجمع البيان ٤ / ١٦٨

(٣) مجاز القرآن ١ / ١٧٧ إنظر ٤٤ / ٥ تعليقة ٢ من هذا الكتاب

والثاني - كما جعلنا النبي يعادي المجرم مدحاً له وتعظيماً ، كذلك جعلنا المجرم يعادي النبي ذمماً له وتحقيراً . والمعنى إن الله تعالى حكم بأنه على هذه الصفة . وقيل « جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين » ببياننا أنهم أعداؤهم ، كما يقال جعله لصاً أو خائناً . وقيل : معناه أمرنا بأن يسموهم أعداء . والجعل وجود ما به يصير الشيء على ما لم يكن ، ومثله التصيير ، والعدو المتباعد من النصره للبعوضة ، ونقيضه الولي ، واصله البعد . ومنه عدوتنا الوادي أي جانباه ، لانها بعداه ونهايتاه ، وعدا عليه يعدو عدواً اذا باعد خطوة للإيقاع به ، وتعدي في فعله إذا أبعده في الخروج عن الحق . ثم قال تعالى « وكفى بربك » يا محمد « هادياً ونصيراً » أي حسبك الله الهادي الى الحق ، والناصر على العدو ، و (هادياً) منصوب على الحال أو التمييز ، فالحال كفي به في حال الهداية والنصرة ، والتمييز من الهادين والناصرين - ذكره الزجاج - ولا يقدر أحد أن يهدي كهداية الله ، ولا أن ينصر كنصرته ، فلذلك قال « وكفى بربك هادياً ونصيراً » ثم حكى أن الكفار ، قالوا « لولا » أي هلا « نزل عليه القرآن » على النبي « جملة واحدة » فقيل لهم إن التوراة انزلت جملة ، لانها انزلت مكتوبة على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى ، واما القرآن ، فانما انزل متفرقاً ، لأنه انزل غير مكتوب على نبي أي ، وهو محمد (ص) وقيل : انما لم ينزل جملة واحدة ، لان فيه التاسخ والمنسوخ ، وفيه ما هو جواب لمن سأل عن أمور ، وفيه ما هو إنكار لما كان . وفي الجملة المصلحة معتبرة في إنزال القرآن ، فاذا كانت المصلحة تقتضي انزاله متفرقاً كيف ينزل جملة واحدة ؟ فقال الله تعالى لنيبه (ص) إنا أنزلناه متفرقاً ﴿ لنثبت به فؤادك ﴾ وقال أبو عبيدة : معناه لنطيب به نفسك ونشجعك . وقوله ﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾ فالترتيل التبيين في تثبيت وترسل . وقوله ﴿ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق ﴾ أي لم نزل القرآن جملة واحدة لانهم لا يأتونك بشيء .

يريدون به ابطال امرك ﴿ الاجتنك بالحق ﴾ الذي يبطله ﴿ واحسن تفسيراً ﴾ أي
نجيؤك بأحسن تفسيراً مما يأتونك به واجود معاني .

ثم قال ﴿ الذين يحشرون على وجوههم ﴾ يوم القيامة ﴿ الى جهنم ﴾ يعني الكفار
يسحبون على وجوههم . وفي الحديث أن الذي امشاهم على أقدامهم ، قادر على أن
يمشيهم على وجوههم .

ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الذين يحشرون على وجوههم بأنهم ﴿ شر مكاناً
وأضل سبيلاً ﴾ عن الحق وعن الثواب والجنة .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ
وَزِيْرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَا هُمْ
تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَا هُمْ وَجَعَلْنَا هُمْ
لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ
الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ
وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْطَرْتَ مَطَرَ السَّوَاءِ
أَقْلَمَ يَكُونُوا يَرُودُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) ست آيات .

أقسم الله تعالى بأنه آتى موسى الكتاب يعني التوراة ، وأنه جعل معه (أخاه) هارون
وزيراً ، يحمل عنه أثقاله ، وأنه قال لهما وأوحى اليهما وأمرهما بأن يذهبا الى القوم

﴿ ج ٧ م ٦٢ من التبيان ﴾

الذين كذبوا آيات الله وجحدوا أدلته ، يعني فرعون وقومه ، و أخبر أنهم لم يقبلوا منها
وجحدوا نبوتها ، فأهلكهم الله ودمرهم تدميراً . والتدمير الإهلاك بأمر عجيب
ومثله التنكيل ، يقال : دمر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه .

ثم قال « وقوم نوح » أي اغرقنا قوم نوح لما كذبوا الرسل « أغرقناهم وجعلناهم للناس
آية » وعلامة . والتغريق الإهلاك بالماء الغامر ، وقد غرق الله تعالى قوم نوح
بالطوفان ، وهو مجي . ماء السماء المنهمر ، وماء الأرض الذي فجر الله تعالى عيونها
حتى التقى الماء ، أي أتى على أمر قد قدره الله ، فطبق الأرض ولم ينج إلا نوحاً ومن
كان معه ركباً في السفينة ، ويقال : فلان غريق في النعمة تشبيهاً بذلك .

وقوله « لما كذبوا الرسل » يعني نوحاً ومن تقدم من الأنبياء . وقيل :
المعني نوحاً والرسل من الملائكة . وقيل : نوحاً ومن بعده من الرسل ، لأن الأنبياء
يصدق بعضهم بعضاً في توحيد الله وخلع الأنداد ، فمن كذب بواحد منهم فقد
كذب بهم جميعهم ، وقال الحسن : تكذيبهم بنوح تكذيب لسائر الرسل .

ثم قال تعالى : إنا مع إهلاكهم العاجل ﴿ اعتدنا للظالمين ﴾ نفوسهم ﴿ عذاباً
اليماً ﴾ أي مؤلماً موجعاً .

وقوله ﴿ وعاد آؤنمود واصحاب الرس وقرونأ بين ذلك كثيراً ﴾ معناه
وأهلكنا هؤلاء أيضاً ، يقال : (عاد) هم القوم الذين بعث الله إليهم هوداً ، و(نمود) هم الذين
بعث الله إليهم صالحاً ، واصحاب الرس قال عكرمة : الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي
ألقوه فيها . وقال قتادة : هي قرية بالجمامة ، يقال لها : (فلج) وقال ابوا عبيدة : الرس
كل محفور - في كلام العرب - وهو المعدن ، قال الشاعر :

سبقت الى فرط ناهل تنابله يحفرون الرساسا (١)

(١) فأنله لنا بغة الجمدي . تفسير القرطبي ١٣ / ٣٢ والطبري ١٩ / ٩ وانسان (رسس)

اي المعادن . وقيل : الرس البثر التي لم تطو بحجارة ، ولا غيرها ، يقال :
 رسه يرسه رساً إذا دسه . وقيل : اصحاب الرس هم اصحاب (ياسين) بانطاكية الشام ،
 ذكره النقاش . وقال الكلبي : هم قوم بعث الله تعالى اليهم نبياً فاكلوه ، وهم
 اول من عمل نساؤهم السحر . وعن اهل البيت (ع) انهم قوم كانت
 نساؤهم سحافات .

وقوله ﴿ وقرونًا بين ذلك كثيراً ﴾ اي اهلكنا قرونًا بين هؤلاء الذين
 ذكرناهم كثيراً . وقيل : القرن سبعون سنة . وقال ابراهيم : أربعون سنة .
 وقوله ﴿ وكلا ضربنا له الامثال ﴾ تقديره ودلنا كلا ضربنا له الامثال ،
 فلما كفروا بها دمرناهم تدميراً ﴿ وكلاً تبرئنا تبيراً ﴾ اي اهلكنا كلا منهم
 اهلاكاً . والتبير تكبير الاهلاك ، والتبر مكسر الزجاج ، ومكسر الذهب .
 وقوله ﴿ ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء ﴾ يعني ان هؤلاء
 الكفار قد جاؤا الى القرية التي اهلكها الله بالمطر السوء ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾ فيعتبروا
 بها . والقرية هي قرية (سدوم) قرية قوم لوط ، والمطر السوء الحجارة التي رموا بها
 - في قول ابن عباس - ثم قال ﴿ بل ﴾ رأوها ، وانما لم يعتبروا بها ، لانهم ﴿ كانوا لا
 يرجون نشوراً ﴾ اي لا يخافون البعث لا اعتقادهم جحده ، قال الهذلي :

إذا سمعته الدبر لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل (١)

فالدبر النحل اي لم يخف . وقيل : ركبوا المعاصي ، لانهم لا يرجون ثواب
 من عمل خيراً بعد البعث .

قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوِيَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَبِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) أربع آيات .

يقول الله تعالى حاكياً عن الكفار الذين وصفهم بأنه « إذا رأوك » يا محمد وشاهدوك لا يتخذونك « إلا هزواً » أي سخرياً ، والهزو إظهار خلاف الباطن لاستصغار القدر على وجه الله . وانهم ليقولون « أهذا الذي بعث الله رسولا » متعجبين من ذلك ، ومنكرين له ، لانهم يعتقدون في الباطن انه ما بعثه الله .
وقوله « إن كاد ليضلنا عن آلهتنا » أي قد قارب أن يأخذ بنا في غير جهة عبادة آلهتنا ، على وجه يؤدي الى هلاكنا . والاضلال الأخذ بالشيء الى طريق الهلاك .
وقوله « لو لا أن صبرنا عليها » أي على عبادتها لأزانا عن ذلك ، وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه . فقال الله تعالى متوعداً لهم « وسوف يعلمون » فيما بعد إذا رأوا العذاب الذي ينزل بهم « من أضل سبيلاً » عن طريق الحق : هم أم غيرهم؟
ثم قال لنبيه يا محمد « أرايت من اتخذ إلهه هواه » لأنه يتقاد له ويتبعه في جميع ما يدعوه اليه . وقيل : المعنى من جعل إلهه ما يعوى ، وذلك نهاية الجهل .

لان ما يدعو اليه الهوى باطل ، والاله حق يعظم بما لا شيء أعظم منه ، فليس يجوز أن يكون الاله ما يدعو اليه الهوى ، وانما الاله ما يدعو الى عبادته العقل . ومعنى « أفانت تكون عليه وكيلا » أي لا تكون له انت حافظاً من الخروج الى هذا الفساد . قال المبرد : الوكيل أصله واحد ، ويشتمل على فروع ترجع اليه ، فالوكيل من تنكل عليه وتعتمد في امورك عليه . ثم قال لنبيه (ص) « أم تحسب » يا محمد وتظن « أن أكثر » هؤلاء الكفار « يسمعون » ما تقول سماع طاب للافهام « ار يعقلون » ما تقوله لهم ؟ بل سماعهم كسماع الانعام ، وهم أضل سبيلا من الانعام ، لأنهم مكثوا من طريق الفهم . ولم تمكن النعم من ذلك ، وهم مع ذلك لا يعقلون ما تقول . إذ لو عقلوا عقل الفهم بهداهم عقلم اليه ، لانه نور في قلب المدرك له . وقيل « بل هم اضل سبيلا » لانها لا تعتقد بطلان الصواب وإن كانت لا تعرفه ، وهم قد اعتقدوا ضد الصواب الذي هو الجهل . وقيل : كان أحدهم يعبد الحجر ، فاذا رأى أحسن صورة منه ترك الأول وعبد الثاني . وقيل : لان الأنعام تهتدي الى منافعها ومضارها . وهؤلاء لا يهتدون إلى ما يدعون اليه من طريق الحق . فهم اضل .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا
ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا

يسيراً ﴿ (٤٦) آيتان .

يقول الله تعالى لنبيه محمد (ص) وهو متوجه الى جميع المكلفين « ألم تر » يا محمد « الى ربك » ومعناه ألم تعلم ربك « كيف مد الظل » قال ابن عباس والضحاك وسعيد

ابن جبير: الظل حده من طلوع الفجر الى طلوع الشمس . وقال ابو عبيدة: الظل بالغداة والنفي . بالعشي ، لانه يرجع بعد زوال الشمس .
 وقوله « ولو شاء لجعله ساكناً » أي دائماً لا يزول ، في قول ابن عباس ومجاهد .
 وقوله « ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » قال ابن زيد : يعني بأذهابها له عند مجيئها . وقيل : لان الظل يتبع الشمس في طوله وقصره ، فلذا أرتفعت في اعلا ارتفاعها قصر ، وإن انحطت طال بحسب ذلك الانحطاط ولو شاء لجعله ساكناً بوقوف الشمس . والظل يتبع الدليل الذي هو الشمس ، كما يتبع السائر في المفازة الدليل .
 وقوله « ثم قبضناه » يعني الظل يقبضه الله ، من طلوع الشمس . وقيل : بغروبها ، فالتبض جمع الاجزاء المنبسطة قبضه يقبضه قبضاً ، فهو قابض والشئ مقبوض ، وتقابضاً تقابضاً ، وقبضه تقبضاً ، وتقبض تقبضاً ، واتقبض اتقباضاً .
 واليسير السهل القريب واليسير نقيض العسير ، يسر ييسر يسراً ، وتيسر تيسراً ، ويسره تيسراً ، وأيسر ايساراً أي ملك من المال ما تيسر به الامور عليه . واليد اليسرى لانها يتيسر بها العمل مع اليمنى ، وتيسر أخذ في جهة اليد اليسرى .
 وقيل : معناه قبضاً خفيفاً ، لان ظلمة الليل تجي شيئاً بعد شئ ، فلا تهجم دفعة واحدة فتقب غروب الشمس . وقيل : معناه قبضاً سريعاً .

قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (٤٧) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ

مِمَّا خَلَقْنَا نِعَامًا وَأَنَاسِيًا كَثِيرًا (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُنَا بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا
فَأَنبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ اربع آيات .

قرأ ابن كثير ونافع و ابو عمرو « نشرأ » بضم النون والشين . وقرأ ابن عاصم
- بضم النون وسكون الشين - وروى ذلك هارون عن أبي عمرو . وقرأ حمزة
والكسائي - بفتح النون وسكون الشين - وقرأ عاصم « بشرأ » بالباء وسكون الشين .
قال ابو علي النحوي : من نفل أراد جمع (نشور) مثل رسول ورسول ، ومن سكن
الشين ، فعلى قول من سكن (كتب) في (كتب) و (رسل) في (رسل) . ومن فتح النون
جعله مصدرًا أو أفعالاً موقع الحال ، وتقديره يرسل الرياح حياة أي يحيي بها البلاد الميتة .
ومن قرأ بالياء أراد جمع (بشور) أي تبشر بالغيث من قوله « الرياح مبشرات » (١)
يعني بالغيث المحيي للبلاد . وقرأ حمزة والكسائي « ليدكروا » خفيفة الذال . الباقون
بتشديدھا . من شدد الذال أراد (ليتذكروا) فأدغم التاء في الذال ، وهو الأجود
لأن التذكير والتذكر والاذكار في معنى واحد وهو في معنى الانعاظ ؛ وليس الذكر
كذلك . وقد حكى أبو علي ان الذكر يكون بمعنى التذكر ، كقوله تعالى « إنها تذكرة
فمن شاء ذكره » (٢) وقوله « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه » (٣) ، والاول
أكثر . والمعنى ليتفكروا في قدرة الله ، وموضع نعمته بما أحيا بلادهم به من الغيث .
يقول الله تعالى معدداً لنعمه على خلقه منها أنه « جعل لكم الليل لباساً » ومعناه
أن ظلمته تلبس كل شخص ، وتعشيه حتى تمنع من ادراكه . وإنما جعله كذلك للهدوء
فيه والراحة من كد الاعمال ، مع النوم الذي فيه صلاح البدن . وقوله « والنوم سباتاً »

(١) سورة الروم آية ٤٦ (٢) سورة ٨٠ عبس آية ١١ - ١٢

(٣) سورة ٢ البقرة آية ٦٣ وسورة ٧ الاعراف آية ١٧٠

أي جعل نومكم ممتداً طويلاً تكثُر به راحتكم وهدوؤكم . وقيل : أنه أراد جعله قاطعاً للأعمال التي يتصرف فيها . والسبات قطع العمل ، ومنه سبت رأسه يسبته سبتاً إذا حلّقه ، ومنه يوم السبت ، وهو يوم ينقطع فيه العمل . قال المبرد : يعني سباتاً سكوتاً يقال : أسبت الرجل إذا أخذته سكتة .

وقوله « وجعل النهار نشوراً » أي للانبساط والتصرف في الحوائج . والنشور الانبساط في تصرف الحي ، يقال : نشر الميت إذا حيي وانشره الله فنشره ، قال الأعشى :

حتى بقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر (١)

ثم قال « وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته » وفي الرحمة تجميع الرياح ، لأنه جمع الجنوب والشمال والصباء . وفي العذاب (ريح) لأنها هي الدور وحدها وهي عقيم ، لا تلقح ، فكل الرياح لواقح غيرها . والرحمة التي ينزلها من السماء هي الغيث ، وذكر أنه قد يرسل الرياح لينشىء السحاب . ثم ينزل « من السماء ماء طهوراً » أي طاهرًا مطهراً مزبلاً للاحداث والنجاسات مع طهارته في نفسه . وإنما نزل هذا الماء « ليحيي به بلدة ميتاً » قدمات بالجدب . قال أبو عبيدة : زعم بعضهم أنه أراد إذا لم يكن فيها نبات ، فهو بغير (ماء) وإذا كانت حية روحانية فماتت ، فهي ميتة . وقال غيره : أراد بالبلدة المكان ، فلذلك قال ميتاً بالتذكير ، ومعنى نسقيه نجعله سقياً للانعام التي خلقها الله تعالى .

وقوله « واناسي كثيراً » جمع إنسان جعلت الياء عوضاً عن النون ، وقد قالوا : (أناسين) نحو بستان وبساتين . ويجوز أن يكون جمع (أنسي) نحو كرمي وكراسي . وقد قالوا : أناسية كثيرة .

ثم قال تعالى « ولقد صرفناه بينهم » قيل : معناه قسمناه بينهم يعني المطر
قال ابن عباس : ليس من غمام إلا يطر ، وإنما يصرف من موضع الى موضع .
والتصرف تصيير الشيء دائراً في الجهات . فالمطر يصرف بدوره في جهات الارض .
ثم بين انه صرفه كذلك « ليتذكروا » ويتفكروا ، فيستدلوا على سعة مقدور الله
وانه لا يستحق العبادة سواه .

ثم اخبر عن حال الكفار ، فقال « فأبى أكثر الناس إلا كفوراً » أي جحوداً
لهذه النعم التي عددناها وانكارها . ويقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا .

قوله تعالى :

﴿ وَكُوشُنَّا لِبَعْثِنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا
مَحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا
يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥) خمس آيات .

يقول الله تعالى « لو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً » يخوفهم بالله ويحذرهم
من معاصيه . والمعنى : لو شئنا لقسمنا النسر بينهم ، كما قسمنا الأمطار بينهم ، ففي
ذلك اخبار عن قدرته على ذلك ، لكن دبرنا على ما اقتضته مصلحتهم ، وما هو أعود

﴿ ج ٧ م ٦٣ من التبيان ﴾

عليهم في دينهم ودنياهم . وفيه امتنان على النبي (ص) بأننا « لو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً » فيخف عنك كثير من عبء ما حملته ، لكننا حملناك ثقل أوزار جميع القرى لتستوجب بصبرك عليه إذا صبرت عظيم المنزلة وجزيل الكرامة . والنذير هو الداعي الى ما يؤمن معه الخوف من العقاب ، والانذار الاعلام بموضع المخافة . والنذر عقد البر على انتفاء الخوف ، يقال تناذر القوم تناذراً إذا انذر بعضهم بعضاً . ثم قال لنبينه (ص) « فلا تطع الكافرين » يا محمد بالاجابة الى ما يريدون « وجاهدكم » في الله « جهاداً كبيراً » شديداً ، والهاء في قوله « به » عائدة الى القرآن - في قول ابن عباس والحسن - وقال الحسن : معنى « فلا تطع الكافرين » لا تطعمهم فيما يصرفك عن طاعة الله . وقيل : فلا تطعمهم بمعاونتهم فيما يريدونه مما يبعد عن دين الله ، وجاهدكم بترك طاعتهم .

ثم عاد تعالى الى تعديد نعمه عليهم فقال ﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾ ومعناه أرسلهما في مجاريهما ، كما ترسل الخيل في المرح ، فهما يلتقيان ، فلا يعني الملح على العذب ولا العذب على الملح ، بقدره الله . والعذب الفرات : وهو الشديد العذوبة ، والملح الاجاج يعني المر .

ثم قال ﴿ وجعل بينهما برزخاً ﴾ أي حاجزاً يمنع كل واحد منهما من تغيير الآخر ﴿ وحجراً محجوراً ﴾ معناه يمنع أن يفسد احدهما الآخر . وقال المبرد : شبه الخلط بمحجور البيت الحرام . وأصل المرح الخلط . ومنه قوله « في امر مرج » (١) أي مختلط . وفي الحديث : مرجت يهودهم أي اختلطت ، وسمي المرح بذلك ، لأنه يكون فيه اخلاط من الدواب . ومرجت دابتك إذا ذهبت بتخليتك حيث شاءت قال الرازي :
رعى بها مرج ربيع ممرجاً (٢)

و ﴿مرج البحرين﴾ معناه خلا بينهما ، تقول : مرجت الدابة وأمرجتها إذا خلقتها ترعى . ثم قال تعالى ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ يعني من النطفة . وقيل الماء الذي خلق الله منه آدم بشراً أي انساناً ، فجعل ذلك الانسان ﴿نسباً وصهراً﴾ فالنسب ما رجع الى ولادة قريبة ، والصهر خلطة تشبه القرابة . وقيل الصهر المتزوج بنت الرجل او اخته . وقال الفراء : النسب الذي لا يحل نكاحه ، والصهر النسب الذي يحل نكاحه ، كبنات العم ، وبنات الخال ونحوها . وقيل : النسب سبعة أصناف ذكرهم الله في ﴿حرمت عليكم امهاتكم . . .﴾ الى قوله ﴿وبنات الأخوت﴾ . والصهر خمسة أصناف ذكرهم في ﴿امهاتكم اللاتي ارضعنكم . . .﴾ الى قوله ﴿وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم﴾ (١) ذكره الضحاك .

وقوله ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي قادراً على جميع ما انعم به عليكم . ثم اخبر عن الكفار فقال ﴿ويعبدون من دون الله﴾ الاصنام والاولئان التي لا تنفعهم ولا تضرهم ، لان العبادة ينبغي أن توجه الى من يملك النفع والضرر مطلقاً . ثم قال ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ قال الحسن ومجاهد وابن زيد : يظاهر الشيطان على معصية الله . وقيل : ﴿ظهيراً﴾ معناه هيناً كاللظفر . والاول هو الوجه . وقيل : معنى (ظهيراً) معيناً .
ووصف الاصنام بأنها لا تضر ولا تنفع ، يدل على بطلان فعل الطباع ، لانها موات مثلها . والفعل لا يصح إلا من حي قادر .

قوله تعالى

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرِ الْإِمْنِ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧) وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْءُ نُوبٍ عِبَادِهِ
خَيْرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَيْرًا (٥٩) وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا
وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ خمس آيات .

قرأ حمزة والكسائي لما « يا أمرنا » بالياء . الباقيون بالتاء .

من قرأ - بالتاء - جعل الخطاب للنبي (ص) وقيل : معناه أنسجد لأمرك
فجعلوا (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر ،

ومن قرأ - بالياء - جعل الياء لمسيمة الكذاب ، لأنه كان يسمي نفسه الرحمن
فقالوا للنبي (ص) إنا لا نعرف الرحمن إلا نبي اليمامة . فقال الله تعالى « قل ادعوا
الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » (١) .

وقال ابو علي : من قرأ - بالتاء - اراد أنسجد لما تأمرنا يا محمد على وجه
الانكار ، لأنهم أنكروا أن يعرف الرحمن ، فلا يحمل على رحمان اليمامة .

يقول الله تعالى لنبيه (ص) « ما أرسلناك » يا محمد « إلا مبشراً » بالجنة
ونواب الله لمن أطاعه وخوفاً لمن عصاه بعقاب الله . وقال الحسن : ما بعث الله نبياً
قط إلا وهو يبشر الناس إن أطاعوا الله بالمتعة في الدنيا والآخرة ، وينذر الناس إن

عصوا عذاب الله في الآخرة ، والبشارة الاخبار بما يظهر سروره في بشرة الوجه ،
تقول : بشرة تبشيراً وبشارة . وبشارة الأنبياء مضمنة باخلاص العباداة لله تعالى .
والنذارة هو الاخبار بما فيه المخافة ، ليحذر منه . انذره انذاراً ونذاراً ، وتناذر القوم إذا
أنذر بعضهم بعضاً . ثم امره ، فقال : يا محمد « قل » لهؤلاء الكفار : إني لست أسألكم على
ما أبشركم به واحذر كم منه « اجراً » تعطوني « إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً »
استثناء من غير الجنس ، ومعناه انه جعل أجره على دعائه اتخاذ المدعو سبيلاً إلى ربه
وطاعته إياه كقول الشاعر !

وبلدة ليس بها انيس إلا اليعاقير وإلا العيس (١)

جعلها انيس ذلك المكان . وقيل « إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً » بانفاقه
ماله في طاعة الله ، وابتغاء مرضاته .

ثم امره ان يتوكل على ربه « الحى الذي لا يموت » والمراد به جميع المكلفين
لأنه يجب على كل أحد ان يتوكل على الله ، ويسلم لأمره ، ومعنى « وسبح بحمده »
أي احمده منزهاً له مما لا يجوز عليه في صفاته ، بان تقول : الحمد لله رب العالمين ،
الحمد لله على نعمه واحسانه الذي لا يقدر عليه غيره ، الحمد لله حمداً يكافى نعمه
في عظم المنزلة وعلو المرتبة ، وما اشبه ذلك .

وقوله « وكفى به » أي كفى الله « بذنوب عباده خيراً » أي عالماً « الذي
خلق السموات والارض وما بينهما » يعني بين هذين الصنفين ، كما قال القطامي :
ألم يحزنك أن جبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعاً (٢)
وقال الآخر :

(١) قد مر في ١٥١/١ و ٣٢٧/٣ و ٤٩٨/٥

(٢) تفسير القرطبي ٦٣/١٣ والطبري ١٧/١٩

إن النية والحتوف كلاهما توقي المحارم برفبان سوادي

وقوله في ستة أيام قيل : كان ابتداء الخلق يوم الأحد ، وانتهاهؤه يوم الجمعة « ثم استوى على العرش » وقيل « ثم استوى على العرش » تمام الحكاية . ثم ابتداء فقال « الرحمن فسأل به خبيراً » ومعنى « فسأل به خبيراً » أي فاسأل سؤالك إياه خبيراً ، قال ابن جريج : الخبير - ههنا - هو الله . وقيل معناه فاسأل به ايها الانسان عارفاً بخبرك بالحق في صفته .

ثم حكى انه إذا قيل لهؤلاء الكفار « اسجدوا للرحمن » الذي انعم عليكم « قالوا وما الرحمن » أي أي شيء ، الرحمن ؟ أي لا نعرفه « أنسجد لما تأمرنا » وقد فسرناه « وزادهم نفوراً » أي ازدادوا عند ذلك نفوراً عن قبول قول النبي (ص) والرجوع الى طاعة الله .

قوله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (٦٥) خمس آيات .

قرأ حمزة والكسائي « سرجاً » على الجمع . الباقيون « سراجاً » على التوحيد .

وقرأ حمزة وحده « أن يذكر » خفيفة . الباقون بالتشديد .

من قرأ على التوحيد فلقوله « وجعل فيها سراجاً وقرآناً منيراً » . ومن قرأ على الجمع ، فلقوله « زيناً للسماء الدنيا بمصايح » (١) تشبيهاً بالكواكب أعني المصايح كما شبهت المصايح بالكواكب ، في قوله « الزجاجية كأنها كوكب دري » (٢) وقيل : من وحد أراد الشمس وحدها . ومن جمع أراد الكواكب المضيئة كلها . واتفقوا على « وقرآناً » إلا الحسن ، فإنه قرأ - بضم القاف والميم - ويجوز أن يكون فيه لغتان مثل (ولد ، وولد) ويجوز أن يكون أراد الجمع غير أن العرب لا تعرف جمع القمر قرآناً ، وإنما يجمعونه أقماراً .

قوله تعالى « تبارك » قيل في معناه قولان :

أحدهما - تقدس الله ، وجعل بما هو ثابت لم يزل ولا يزال . لأن أصل الصفة الثبوت .

والثاني - أنه من البركة ، والتقدير جل تعالى ، وتقدس بما به يقدر على جميع البركات « الذي جعل في السماء بروجاً » والبروج منازل النجوم الظاهرة ، وهي اثنتا عشرة برجاً معروفة أولها الحمل وآخرها الحوت . وقيل : البروج منازل الشمس والقمر ، وقال إبراهيم : البروج القصور العالية ، وأحدها برج ، ومنه قوله ﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ (٣) قال الاخطل :

كأنها برج رومي يشيده لزيجص وآجر واحجار (٤)

وقال قتادة : البروج النجوم . وقال أبو صالح : هي كبار النجوم ، والبرج تباعد ما بين الحاجبين قال : الزجاج : كل ظاهر مرتفع يقال له : برج ، وسميت

(١) سورة ٦٧ تبارك (الملك) آية ٥ (٢) سورة ٢٤ النور آية ٣٥

(٣) سورة ٤ النساء آية ٧٧ (٤) تفسير الطبري ١٩ / ١٨

الكواكب بروجاً لظهورها .

وقوله ﴿ وجعل فيها سراجاً ﴾ يعني الشمس التي يستضيء بها جميع الخلق .

وقوله ﴿ وقمرأ منيراً ﴾ أي مضيئاً بالليل ، إذا لم يكن شمس .

فمن قرأ ﴿ سراجاً ﴾ أراد الشمس وحدها . ومن قرأ ﴿ سراجاً ﴾ أراد جميع

النجوم ، لأنه يهتدى بها ، كما يهتدى بضوء السراج .

وقوله ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه ﴾ أي يخلف كل واحد منهما

صاحبه ، فيما يحتاج أن يعمل فيه ، فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار ، ومن فاته

عمل النهار استدركه بالليل . قال عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، والحسن : يخلف

أحدهما الآخر في العمل . وقال مجاهد : معناه أحدهما أسود والآخر أبيض ، فهما

مختلفتان . وقال أبو زيد : معناه أحدهما يذهب ويحيى . الآخر قال زهير :

بها العين والأرآم يمشين خلفه واطلاؤها ينهضن من كل مجثم (١)

وقوله ﴿ لمن أراد أن يذكر ﴾ أي خلقه . كذا قال لمن أراد أن يتفكر

ويستدل بها على أن لها مدبراً ومصرفاً ، لا يشبهها ولا تشبهه فيوجه العبادة إليه .

وقوله ﴿ أو أراد شكوراً ﴾ أي يشكر الله ، على ما أنعم به عليه فيتمكن

من ذلك ، لأن بهذه الأدلة وأمثالها يتوصل إلى ما قلناه .

وقوله ﴿ وعباد الرحمن ﴾ يعني عباده المخلصين ، الذين يعبدونه ، المعظمون

ربهم ﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ يعني بالسكينة والوقار - في قول مجاهد -

وقال الحسن : معناه حلماً وعلماً ، لا يجهلون وإن جهل عليهم . وقال ابن عباس :

بالتواضع لا يتكبرون على أحد ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ بما يكرهونه أو يشغل

عليهم ، قالوا في جوابه ﴿ سلاماً ﴾ أي سداداً من القول - ذكره مجاهد - وقيل :

معناه إنهم قالوا قولاً يسلمون به من المعصية لله . وقال قوم : هذا منسوخ بآية القتال .
وليس الأمر على ذلك ، لأن الأمر بالقتال لا ينسافي حسن المحاوراة في الخطاب
وحسن العشرة .

وقوله ﴿ والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ يعني يعبدون الله في لياليهم
ويقومون بالصلاة ، ويسجدون فيها ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
إن عذابها كان غراماً ﴾ أي يدعون بهذا القول ، ومعنى « غراماً » لازماً ملحقاً دائماً
ومنه الغريم ، لملازمته وإلحاحه ، وفلان مفرم بالنساء أي ملازم لهن ، لا يصبر عنهن
قال الشاعر :

إن يعاقب يكن غراماً وإن يع . ط جز بلا فانه لا يبالي (١)

وقال بشر بن أبي حازم :

فيوم النار ويوم الجفا ر كانا عذاباً وكانا غراماً (٢)

وقال الحسن : ليس غريم إلا مفارق غريمه غير جهنم ، فانها لا تفارق غريمها .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا سَاءَتْ مُمْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ

﴿١﴾ قاله الأعشى ديوانه : ١٦٧

﴿٢﴾ (٢) اللسان (جفر) وتفسير الطبري ١٩ / ٢١ وروايته (النشر)

بدل (النار)

﴿ج ٧ م ٦٤ من التبيان﴾

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا
 يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
 فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)

خمس آيات •

قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي عن أبي بكر « يفتروا » بضم الياء
 وكسر التاء ، وقرأ أهل البصرة وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء . الباقون بفتح
 الياء وضم التاء ، وهم أهل الكوفة إلا الكسائي عن أبي بكر . وقرأ ابن عامر ، وأبو
 بكر « يضاعف ٠٠٠ ويخلد » بالرفع فيهما . وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر
 ويعقوب « يضعف » بتشديد العين وإسقاط الالف . الباقون « يضاعف » بآبسات
 الألف وتخفيف العين . تقول : قتر يقر ويقر - بكسر التاء ، وضمها - لغتان .
 واقترا إفتاراً لغة .

واختلفوا في (السرف) في النفقة ، فقال قوم : كلما أنفق في غير طاعة الله ،
 فهو سرف ، لقوله تعالى « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » (١) .
 وقال علي (ع) : ليس في الماء كمول والمشروب سرف وإن كثر .
 وقال قوم : الاسراف في الحلال فقط ، لأن الحرام لا يجوز الانفاق فيه
 ولو ذرة .

ومن قرأ « يضاعف » فن المضاعفة . ومن شدد ، فن التضعيف ذهب الى التكثير ، والمعنيان متقاربان . ومن - جزم - جعله بدلا من جواب الشرط ، لان الشرط قوله « ومن يفعل ذلك » وجزاؤه « يلق أناماً » وعلامة الجزم سقوط الالف من آخره . و (يضاعف) بدل منه و (يخلد) عطف عليه . ومن - رفع - استأنف لان الشرط والجزاء قد تم . وكان يجوز النصب على الظرف - في مذهب الكوفيين . وباضمار (ان) على مذهب البصريين - ولم يقرأ به احد .

لما اخبر الله تعالى أن عذاب جهنم كان غراماً ، بين بأنها « ساءت مستقراً ومقاماً » أي موضع قرار واقامة لما فيها من أنواع العذاب ، ونصبها على التمييز . ثم عاد الى وصف المؤمنين فقال « والذين إذا انفقوا لم يسرفوا » أي لم يخرجوا عن العدل في الانفاق يقال : فلان مسرف على نفسه إذا أكثر من الخلل على نفسه في المعصية ، فشبّه بالمسرف في النفقة « ولم يفتروا » أي لم يقصروا عن العدل في الانفاق ، وهو مأخوذ من القفرة ، وهي الدخان . والافتسار مشبه به في الاحقاق والاضرار . وفيه ثلاث لغات : قتر يفتروا ، ويقتر ، وأقتر إفتاراً . وقال ابو علي الفارسي : من قرأ « يفتروا » بضم التاء أراد لم يفتروا في إنفاقهم ، لان المسرف مشرف على الافتقار ، لسرفه . ومن فتح التاء أراد لم يضيّقوا في الانفاق ، فيقصروا عن المتوسطين ، فمن كان في هذا الطرف ، فهو مذموم ، كما أن من جاوز الاقتصاد كان كذلك مذموم . وبين ذلك بقوله « وكان بين ذلك قواماً » أي كان إنفاقهم بين ذلك ، لا إسرافاً يدخل في حد التبذير ، ولا تضييقاً يصير به في حد المانع لما يجب . وقال ابن عباس : الاسراف الانفاق في معصية الله ، قل او أكثر ، والافتقار منع حق الله من المال . وقال ابراهيم : السرف مجاوزة الحد في النفقة ، والافتقار التقصير فيما لا بد منه . والقوام - بفتح القاف - العدل ، - وبكسرهما - السداد ، يقال :

هو قوام الأمر وملاكه ، ويقال : هي حسنة القوام في اعتدالها ، قال الخطيئة :

طافت امامة بالركبان آونة يا حسنها من قوام زان منتقياً (١)

ثم زاد في وصفهم بأن قال « والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر » يوجهون هبادثهم اليه « ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق » والنفس المحرمة هي نفس المسلم والمعاهد والمستثنى نفس الحربي ، ومن يجب عليه القتل على وجه القود ، والارتداد ، والزنا مع الاحصان ﴿ ولا يزنون ﴾ فالزنا هو الفجور بالمرأة في الفرج . ثم قال ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ﴾ قال قوم : يلقى جزاء الاثام . وقال آخرون : الاثام العقاب ، قال بلعا بن قيس الكناني .

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقا والمعقوق له أثام (٢)

أي عقاب ، وقال ابن عمر ، وقتادة : هو اسم واد في جهنم ، وهو قول مجاهد وعكرمة . وقال اهل الوعيد : ان قوله ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ راجع الى كل واحد من المعاصي المذكورة . وقال اهل الارجاء انما يرجع الى جميعه ، ويجوز - أن يكون راجعاً - الى الكفر وحده ، لان الفسوق لا يستحق به العقاب الدائم والا لأدى الى اجتماع الاستحقاقين على وجه الدوام . وذلك خلاف الاجماع ، لان الاحباط عندهم باطل ، والكلام على ذلك استوفيناه في كتاب الاصول .

ثم زاد في الوعيد ، فقال ﴿ ومن يفعل ذلك يلق ﴾ جزاء اثمه ويضاعف له العذاب في كثرة الاجزاء لا انه يضاعف استحقاقه ، لان الله تعالى لا يعاقب باكثر من المستحق ، لأن ذلك ظلم يتعالى الله عن ذلك . وقيل يضاعف عذابه على عذاب الدنيا ، وبين تعالى أنه ﴿ يخلد ﴾ مع ذلك في النار ﴿ مهاناً ﴾ مستخفاً به .

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٣

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٧٦ والطبري ١٩ / ٢٤

ثم استثنى من جملتهم من تاب وندم على معاصيه ، وعمل عملاً صالحاً ، فان الله تعالى ﴿ يبدل سيئاته حسنات ﴾ أي يجعل مكان عقاب سيئاته ثواب حسناته قال الشاعر في التبديل :

بدلن بعد خروءه صريعاً وبعد طول النفس الوجيعاً (١)
وقوله تعالى ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ أي ساراً لمعاصي عباده اذا تابوا منها ، منعماً عليهم بالثواب والتفضل .

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١)
وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [٧٤] أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا [٧٥] خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا [٧٦] قُلْ مَا يَعْبُرُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [٧٧] سبع آيات .

قرأ ابو عمرو وحمة والكسائي وخلف وابو بكر إلا حفصاً « وذريتنا » على

التوحيد . الباقون على الجمع . وقرأ أهل الكوفة إلا حصصاً « وبلقون » بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف . الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف .
 من وحد « الذرية » فلأنه في معنى الجمع لقوله « ذرية من حملنا مع نوح » (١) ومن جمع فكما تجمع الاسماء الدالة على الجمع ، نحو (قوم ، واقوام) وقد يعبر بذلك عن الواحد ، كقوله « هب لي من لذلك ذرية طيبة » (٢) ويعبر به عن الجمع كقوله « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم » (٣) ومن جمع فللازدواج .

ومن شدد « يلقون » فعلى أن المعنى يلقون التحية والسلام مرة بعد مرة لأن التشديد للتكثير ، وشاهده قوله « ولقام نضرة وسروراً » (٤) . ومن خفف أراد يلقون هم تحية ، كما قال « فسوف يلقون غياً » (٥) وقال بعضهم : لو كان بالتشديد لقال (ويتلقون) لأنهم يقولون تلقينته بالتحية ، و (اتق) فعل متعد إلى مفعول واحد فإذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين ، وقوله « تحية » المفعول الثاني .

يقول الله تعالى « ومن تاب » من معاصيه وأقلع عنها . وندم عليها وأضاف إلى ذلك الاعمال الصالحات « فإنه يتوب الى الله متاباً » أي يرجع اليه مرجعاً عظيماً جميلاً ، وفرق الرماني بين التوبة الى الله ، والتوبة من القبيح لقبحه ، بان التوبة الى الله تقتضي طلب الثواب ، وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه .

ثم عاد تعالى الى وصف المؤمنين فقال « والذين لا يشهدون الزور » أي لا يحضرونه ، ولا يكون بحيث يذكرونه بشيء من حواسمهم الخمس : البصر ، والسمع ،

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٣	(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٣٨
(٣) سورة ٤ النساء آية ٨	(٤) سورة ٧٦ الدهر (الانسان) آية ١١
(٥) سورة ١٩ مريم آية ٥٩	

والانف ، والفم ، والبشرة . ومن لا يشهد الزور ، فهو الذي لا يشهد به ولا يحضره لأنه لو شهد له لكان قد حضره ، فهو أعم في الفائدة من أن لا يشهد به . و (الزور) نمويه الباطل بما يؤم أنه حق . وقال مجاهد : الزور - هنا - الكذب . وقال الضحاك : هو الشرك . وقال ابن سيرين : هو أعياد أهل الذمة كالشعائين وغيرها . وقيل : هو الغناء ، ذكره مجاهد ، وأهل البيت (ع) .

وقوله « واذا مروا باللغو مروا كراماً » معناه : مروا من جملة الكرماء الذين لا يرضون باللغو ، لأنهم يجاون عن الاختلاط بأهله ، والدخول فيه ، فهذه صفة الكرام . وقيل : مروا كراماً كمرورهم بمن يسبهم فيصفحون عنه ، وكرورهم بمن يستعين بهم على حق فيعينونه . وقيل : هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كذوا عنه . ذكره محمد بن علي (ع) ومجاهد . واللغو الفعل الذي لا فائدة فيه . وليس معناه أنه قبيح ، لأن فعل الساعي لغو ، وهو ليس بحسن ولا قبيح - عند قوم - ولهذا يقال : الكلمة التي لا تفيد لغو .

وقوله « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً » معناه أنهم إذا ذكروا بأدلة الله تعالى التي نصبها لهم نظروا فيها ، وفكروا في مقتضاها . ولم يكونوا كالمشركين في ترك التدبر لها حتى كانوا صم وعميان عنها ، ذكره الحسن . وقيل معناه يخرون سجداً وبكياً سامعين لله مطيعين . قال الشاعر :

بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكنوا القتلى بها حين سلت (١)
أي بايدي رجال شاموا سيوفهم ، وقد كثرت القتلى ، ومعنى شاموا أغمدوا
ذكره الزجاج .

(١) اللسان (شيم) نسبه الى الفرزدق ، ولم اجده في ديوانه (طبع - دار

ثم وصف المؤمنين بأنهم يدعون « يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » ومعناه بأن نراهم مطيعين لله ، في قول الحسن . و « قرة أعين » يكون من القر ، وهو بردها عند السرور ، ويكون من استقرارها عنده .
وقوله « واجعلنا للمتقين إماماً » أي بسألون الله تعالى أن يجعلهم ممن يقتدى بأفعالهم الطاعات . وفي قراءة اهل البيت (ع) و « اجعل لنا من المتقين إماماً » وإنما وحد (إماماً) لأنه مصدر ، من قولهم : أم فلان فلاناً إماماً ، كقولهم : قام قياماً وصام صياماً . ومن جمعه فقال : (أئمة) فلانه قد كثر في معنى الصفة . وقيل : إنه يجوز أن يكون على الجواب ، كقول القائل : من أميركم؟ فيقول : هؤلاء أميرنا قال الشاعر :

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي إن العواذل ليس لي بأمير (١)

ثم اخبر تعالى عن جمع هذه الاوصاف من المؤمنين بأن قال « اولئك يجزون الغرفة بما صبروا » على طاعتهم التي ذكرها . و (الغرفة) في الجنة المنازل العالية ثواباً على ما صبروا في جنب الله ، وعلى مشاق الدنيا وصعوبة التكليف ، وغير ذلك وانهم « يلقون فيها نحيباً وسلاماً » من الملائكة ، بشارة لهم بعظيم الثواب .
وقوله « خالدن فيها » نصب على الحال أي هم في الجنة مؤبدين ، لا يخرجون منها ولا يفتنون . وأخبر أن الجنة مستقرهم ، وانها « حسنت مستقراً » من مواضع القرار ، وموضع الإقامة ونصب على التمييز .

ثم قال لنيبه (ص) « قل » يا محمد لهؤلاء « ما يعبؤكم ربي » ومعناه ما يصنع بكم ربي - في قول مجاهد وابن زيد - واصله تهيته الشيء ، ومنه عبأت الطيب أعبؤه عباء ، إذا هيأته ، قال الشاعر :

كان بنحره وبمنكبيه عيراً بات يعبؤه عروس (١)
 أي تهيئه ، وعبأت الجيش - بالتشديد ، والتخفيف - إذا هيأته . والعبء
 الثقل . وما أعبأ به أي لا أهين به امرأ . وقال قوم : ملا يعبأ به . فوجوده
 وعدمه سواء .

وقوله « لولا دعاؤكم » قال مجاهد : معناه لولا دعاؤه إياكم الى طاعته ، لم يكن
 في فعلكم ما تطالبون به . وهو مصدر أضيف الى المفعول ، كقولهم : اعجبني بناء هذه
 الدار ، وخياطة هذا الثوب . وقال الزجاج : معناه لولا توحيدكم وإيمانكم . وقال
 البلخي : معناه لولا كفركم وشرككم ما يعبأ بعذابكم ، وحذف العذاب وأقام المضاف
 اليه مقامه .

ثم قال « فقد كذبتكم » يا معاشر الكفار بآيات الله ، وجحدتم رسوله
 « فسوف يكون لزاماً » عليكم ، ويكون تأويله ، فسوف يكون تكذيبكم (لزاماً) فلا
 تعطون الثواب عليه ، وتكون العقوبة لزاماً تلزمكم على ذلك . وقال مجاهد : معناه
 القتل يوم بدر ويكون الخطاب متوجهاً الى الذين قتلوا يوم بدر . وقيل (اللزام) عذاب
 الآخرة ، وقال ابو ذؤيب - في اللزام :

ففاجأه بعبادية لزاماً كما يتفجر الحوض اللقيف (٢)

لزام ! كثيرة يلزم بعضها بعضاً ، ولقيف متساقط متهدم ، وقال صخر الغي -

في اللزام :

(١) تفسير الطبري ٣٢/١٩ والقرطبي ٨٤/١٣ والاسان (عبأ)

(٢٢) اللسان (لزم)

(ج ٧ م ٦٥ من التبيان)

فأما ينجوا من حتف ارض فقد لقيا حتوفهما لزاماً (١)
أي انه واقع لا محالة . وقال الضحاك : هو لزوم الحجّة لهم في الآخرة . وقال
ابو عبيدة : معناه فيصلاً .

وقوله « أولئك يجزون الغرفة » قال الزجاج : الأحسن أن يكون خبراً
ل (عباد الرحمن) (٢) فيكون قوله « الذين يمشون على الارض هوناً » وما بعده صفة له
ويجوز أن يكون « الذين يمشون على الأرض هوناً » خبر ، وما بعده عطف عليه (٣)

تم المجلد السابع من التبيان

ويليه المجلد الثامن وأوله أول سورة الشعراء

ربيع الاول سنة ١٣٨٢ هـ

آب سنة ١٩٦٢ م

(١) اللسان (لزم) (٢) آية ٦٣ من هذه السورة

(٣) هذه الثلاثة أسطر ملفقة من المخطوطة والطبوعة

فهرس المجلد السابع من التبيانه

١ - فهرس الاحاديث

	الصفحة
عن النبي (ص) : من حلف على أمر يفعله ثم رأى ما هو خير	٢٩
عن النبي (ص) : ترمي الارض بأفلاذ كبدها .	٥٣
عن ابي جعفر (ع) : الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل ...	١٤٦ ، ٥٣
عن النبي (ص) : يحشرون حفاة عراة عزلا ...	٥٤
عن النبي (ص) : استحيي نبي الله موسى .	٧٥
عن جعفر بن محمد (ع) - في معنا « وكان تحته كنز لهما » - قال :	٨٣
سطران ونصف ، ولم يتم الثالث وهي : عجيباً للموقن بالرزق كيف يتعب ، وعجيباً للموقن ...	
عن علي (ع) أنه دعا فقال : سألتك يا كهيص .	١٠٣
عن النبي (ص) : لم يزل الله ينقلني من أصلاب ...	١٢٩
عن النبي (ص) انه قال لجبرائيل (ع) : ما يمنعك أن تزورنا أكثر	١٣٩
عن علي (ع) : نحن اهل الذكر .	٢٣٢
عن ابي جعفر (ع) الايام المعلومات ايام التشريق والمعدودات ...	٣١٠
عن النبي (ص) : ما منكم أحد إلا وله منزلان ...	٣٥١
عن النبي (ص) : أربعة أنهار من الجنة : النيل ، والفرات ...	٣٥٧
عن النبي (ص) : اللهم سنين كسني يوسف .	٣٨٥
عن علي (ع) : ان الزاني المحصن يجلد مئة بالقرآن ثم يرجم بالسنة .	٤٠٧
عن ابي جعفر (ع) في تفسير « الزاني لا ينكح إلا زانية ... » ...	٤٠٨

	الصفحة
عن النبي (ص) الاستئذان ثلاث فان أذنوا وإلا فارجع .	٤٢٦
عن أبي جعفر وإبي عبدالله (ع) : ان الله مدح قوماً إذا دخل وقت الصلاة	٤٤١
عن النبي (ص) : لا يبقى على الارض بيت . . . إلا ويدخله الاسلام	٤٥٥
عن النبي (ص) : لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه .	٤٦٣
عن علي (ع) : ليس في المأكل والمشروب سرف . .	٥٠٦

٢ - فهرس الردود والادلة

دليل على انه لا يجوز التقليد في الدين ، وانه لا يقبل دين إلا بحجة واضحة	٢٣٩ ، ١٦
دليل على انه لا يجوز المقام في دار الكفر ، ووجوب الهجرة . . .	١٦
دليل على أن الامور تجري بتدبير مختار قادر على نقض الطوائع	٢٣٩ ، ٢٣
دليل على حسن المراء بالحق ، وبالصحيح من القول . والمذموم منه ما كان باطلا والغرض منه المبالغة ، لا بيان الحق .	٢٧
أخذ ورد حول تأثير الاستثناء بـ ﴿ إن شاء الله ﴾ في اليمين ومتى	٣٠ ، ٢٨
حوار حول ﴿ هل أبلّس من الملائكة ، وهل الجن من الملائكة ﴾ ؟	٥٧ ، ٥٦
دليل على وجوب اللطف من الله لمن يعلم صلاحه عنده .	٢٢٥ ، ٨٢
رد على الجبائي حيث يقول : لا يجوز بقاء الخضر الى ما بعد النبي (ص)	٨٢
رد على اصحاب المعارف ، حيث يقولون : المعارف ضرورية .	٢٤٤ ، ٩٧
رد على من يقول : إن الانبياء لا يورثون المال .	١٠٦
رد على من يقول : البنت لا تحجب بني العم والعصبة في الميراث .	١٠٧
رد على من يجوز وقوع الخطأ من الانبياء .	٢١٧
دليل على حدوث القرآن .	٢٥٥ ، ٢٢٨

رد على من يقول : إن الله ارسل رسلا الى الحيوانات والبهائم .	٢٣٢
دليل على وحدانية الله ، ونقض التعدد .	٢٣٩ ، ٢٣٨
دليل على استحالة تبني الله الولد كما يستحيل أن يكون له ولد .	٣٩١ ، ٢٤١
دليل على أن الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات .	٢٤٢
دليل على أن الانبياء لا يصدر منهم كذب ، ورد رواية من يروي أن ابراهيم (ع) قد صدر منه كذب .	٢٦٠
رد على القائلين بأن يونس (ع) ذهب مغاضب لربه . . .	٢٧٣
رد على الحشوية حيث يجوزون صدور المعاصي من الانبياء .	٢٧٤
٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩٤ ردود على المجبرة ، في اعتقاداتهم الفاسدة .	
دليل على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .	٣٢٣
دليل على أن العقل هو العلم ، وأن القلب محل العقل والمعلوم .	٣٢٦
دليل على أن من جوز عبادة غير الله فهو كافر .	٣٤٢
رد على من يقول : إن المتمتع بها ليست زوجة .	٣٤٩
دليل على انه لا يموت أحد إلا ويعرف اضطراباً منزلته عند الله .	٣٩٤
دليل على أن العزم على الفسق فسق .	٤١٩
دليل على ان الله يريد لخلقه مالا يريد الشيطان .	٤٢١
رد على من يقول : ان الوعيد على القذف خاص بمن قذف عائشة .	٤٢٢
دليل على جواز وقوع المعاصي ممن شهد بدرأ .	٤٢٢
دليل على ان الله لا يتكلم بآلة وانه ليس بجسم .	٤٤٣
رد على أهل الارزاء . . . وعلى أهل الوعيد .	٥٠٨

٣ - فهرس المباحث اللغوية

الصفحة	الصفحة
٥٩ في « قبل »	٧٦ ، ٣ في « لدن »
٦٤ في كل « مفعل »	٢٠٨ ، ٤ في « عوج ، عوج »
٧٠ في « رشد »	١٠ في « جزز »
٧٣ في « زاكية ، زكية »	١٢ في « الرقيم »
٧٤ في « إمرأ » ومشتقاتها	١٥ في « فتى ، فتية »
٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ في « فعل ، وافتعل »	١٧ في « مرفق »
٨٠ في « وراء ، وقدام . . . »	١٨ في « ازور ، وزور »
٨٥ ، ٨٦ في « حمة » ومشتقاتها	١٨ ، ١٣٠ « مليء ، ملي ، ملاء »
٨٩ في « سد ، سداد »	٢٠ في « قرض ، قرضاً ، قريضاً »
٩١ في « يا جوج ، ما جوج »	٢٢ في « وصيد ، اصيد »
٩٣ في « الصدفين » و « استطاع »	٢٣ في « ورق »
١٠٧ في « الورا ، والورى »	٣٣ في « سنون »
١٠٨ ، ١٠٩ في « عتياً » وأمثاله	٣٤ ، ٣٥ في « غدوة ، غداة ، فينة »
١٣٤ الفرق بين العلي والرفيع	٣٨ ، ٤١ في « ثمرة ، وثمار ، وثمرات »
١٣٦ الفرق بين « خلف ، وخلف »	٤٠ في « اسورة ، وسوار »
١٣٧ الفرق بين « الجنة ، والروضة »	٤٩ ، ٥٠ في « الولاية ، الولاية »
١٤٢ ، ١٤٤ في « أثنائاً ورثياً »	٥٨ في « عضد » وفي « وبقى »

الصفحة	الصفحة
٢٥٧ في ﴿ جذاذ ﴾	١٤٧ في ﴿ ولد ، ولد ﴾
٢٨٨ في ﴿ مرضعة ﴾ وفي ﴿ زلزلة ﴾	١٥٨ في ﴿ طه ﴾
٢٨٩ في ﴿ سكر ، سكارى ﴾	١٦٣ في ﴿ طوى ﴾
٢٩٤ الفرق بين الحق والعدل	١٦٦ في ﴿ الهواه ، والهوى ﴾
٣١٧ في ﴿ بدن ، بدنة ﴾	١٦٧ في ﴿ مآرب ﴾
٣٥٦ في ﴿ سيناء ﴾	١٧١ في ﴿ وزير ، أزر ﴾
٣٧٣ في ﴿ ربوة ﴾	١٧٩ الفرق بين ﴿ ضل ، وأضل ﴾
٤٢٠ ، ٤٢١ في ﴿ ياتل ، يتأل ﴾	١٨٠ في ﴿ سوى ﴾
٤٣٢ في ﴿ أم ﴾	١٨٢ في ﴿ سحت ﴾
٤٣٦ في ﴿ دري ﴾	١٩٣ في ﴿ ببس ، وببس ﴾
٤٦٠ في ﴿ فعلة ، فعلات ﴾	١٩٧ ، ١٩٨ في ﴿ ملك ﴾ مثلث الميم
٥٠٦ ، ٥٠٧ في ﴿ قتر ﴾ وفي ﴿ قوام ﴾	٢٠٣ في ﴿ بصر ، ابصر ، قبضة ، قبضة ﴾
وفي ﴿ السرف ﴾	٢٠٥ في ﴿ حرق ، احرق ﴾
	٢٥٠ في ﴿ صم ، أصم ﴾

٤ - فهرس المواضيع

رقم الصفحة	رقم السورة	
٠٠٣	١٨	سورة الكهف
١٠١	١٩	سورة مريم
١٥٧	٢٠	سورة طه
٢٢٧	٢١	سورة الانبياء
٢٨٧	٢٢	سورة الحج
٣٤٧	٢٣	سورة المؤمنون
٤٠٣	٢٤	سورة النور
٤٦٩	٢٥	سورة الفرقان

٥ - فهرس الخطأ والصواب

الصفحة	سطر	خطأ	صوابه	الصفحة	سطر	خطأ	صوابه
٦	١٥	كلما	كما	١٠٢	١٩	اخلاف	اختلاف
٢٢	١	اغلغته	أغلغته	١٥٩	٤	تجزى	تجزى
٦١	١٠	سروره	سروره	١٦٦	٣	لتجزى	لتجزى
٦٨	٢	أزل	ازال	١٦٦	٣	تجازى	تجازى
٦٨	١٢	اضافة	اضافه	٢٢٨	٩	مسافة	مسافة
٩١	٣	الثار	النار	٢٩٣	عنوان	الانبياء	الحج
٩٢	١٧	ارهتفه	ارهفته	٣٣٤	٩	عاقب	عاقب
٩٤	١١	ذرع	ذراع	٣٥١	١١	الوارث	الوارث

تفسير
الرسائل

لشيخ الطائفة الطوسي قدس سره

٣٨٥ - ٤٦٠

المجلد الثالث

صححه ورتبه وعلو حواشيه ووضع فهارسه
إجل شوقي الأمين و إجل جنيب قصير

مكتبة الأمين

النجف الأشرف

الطبعة العلمية في النجف

يصدر عن

مكتبة الأمامين
المنجف والشرف

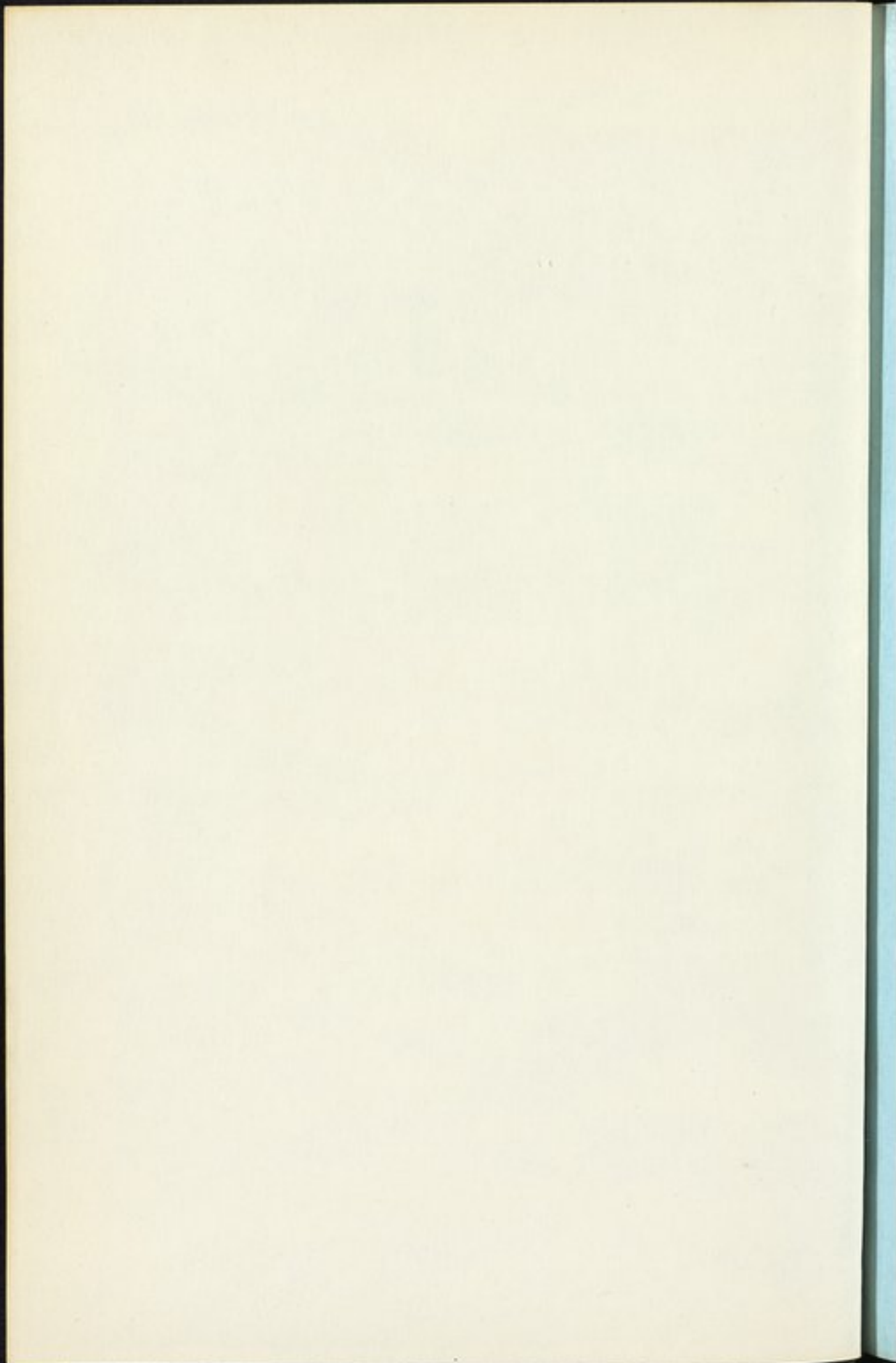
متن

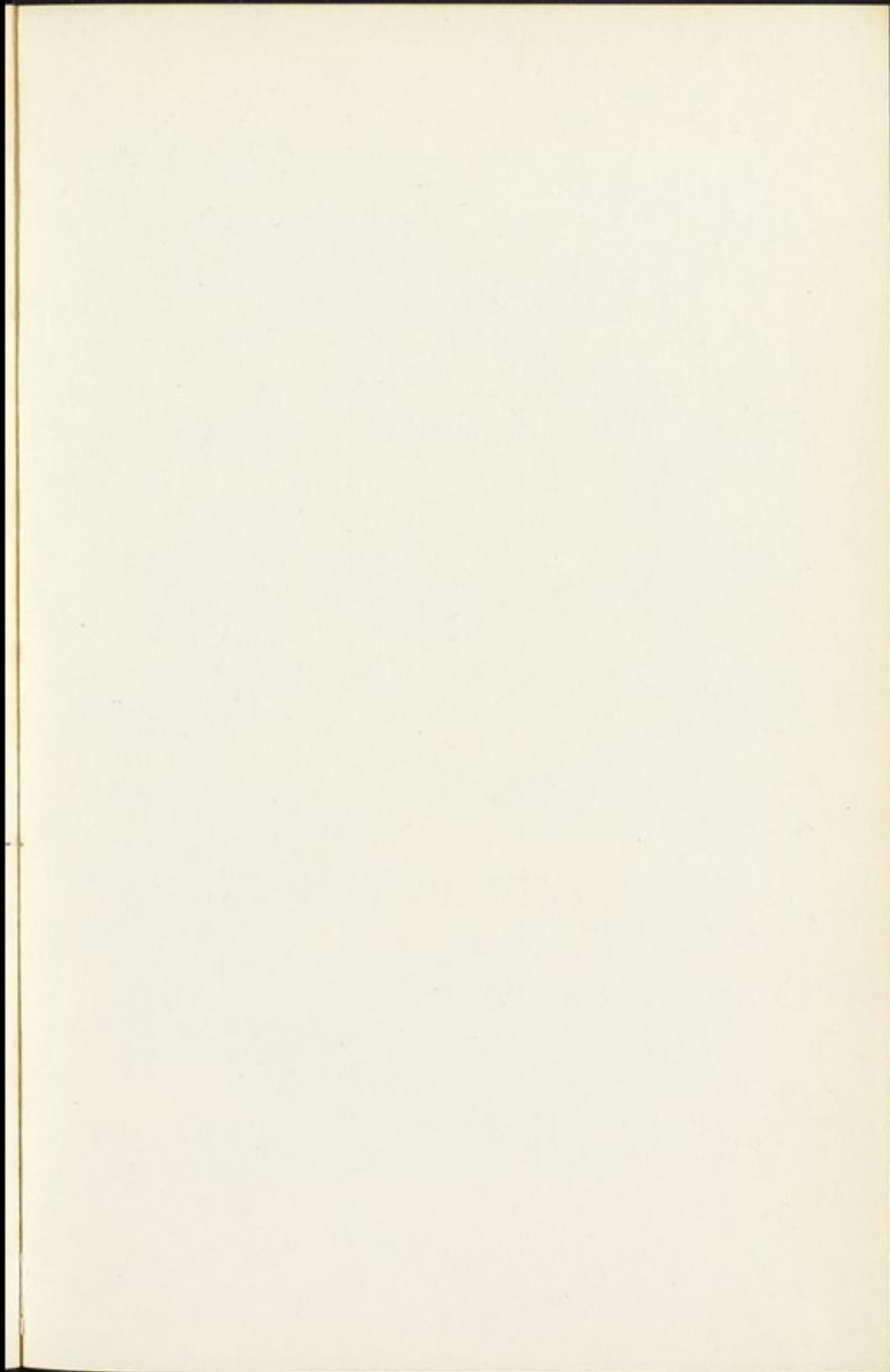
الاجرومية

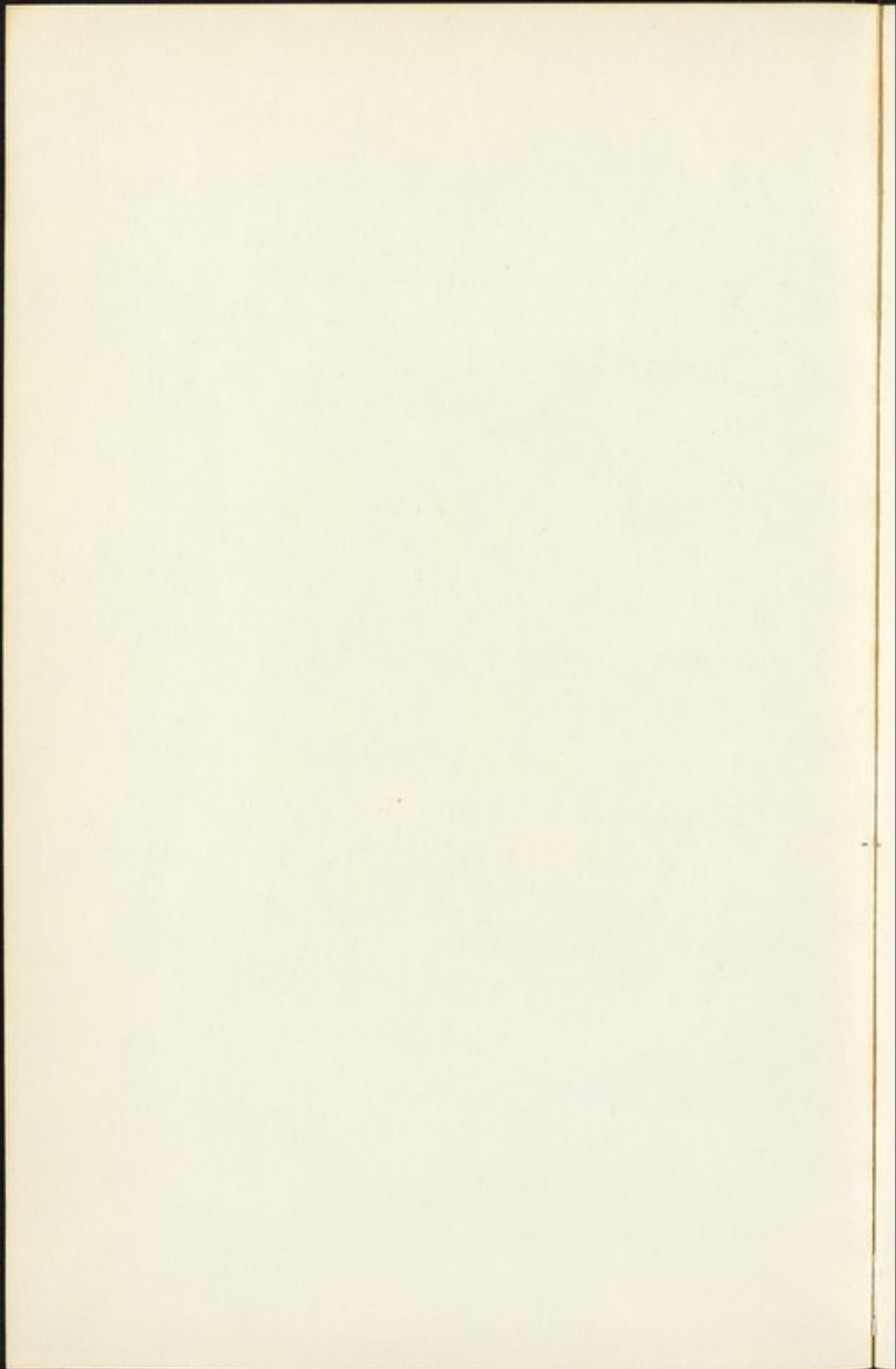
و
دروس في النحو

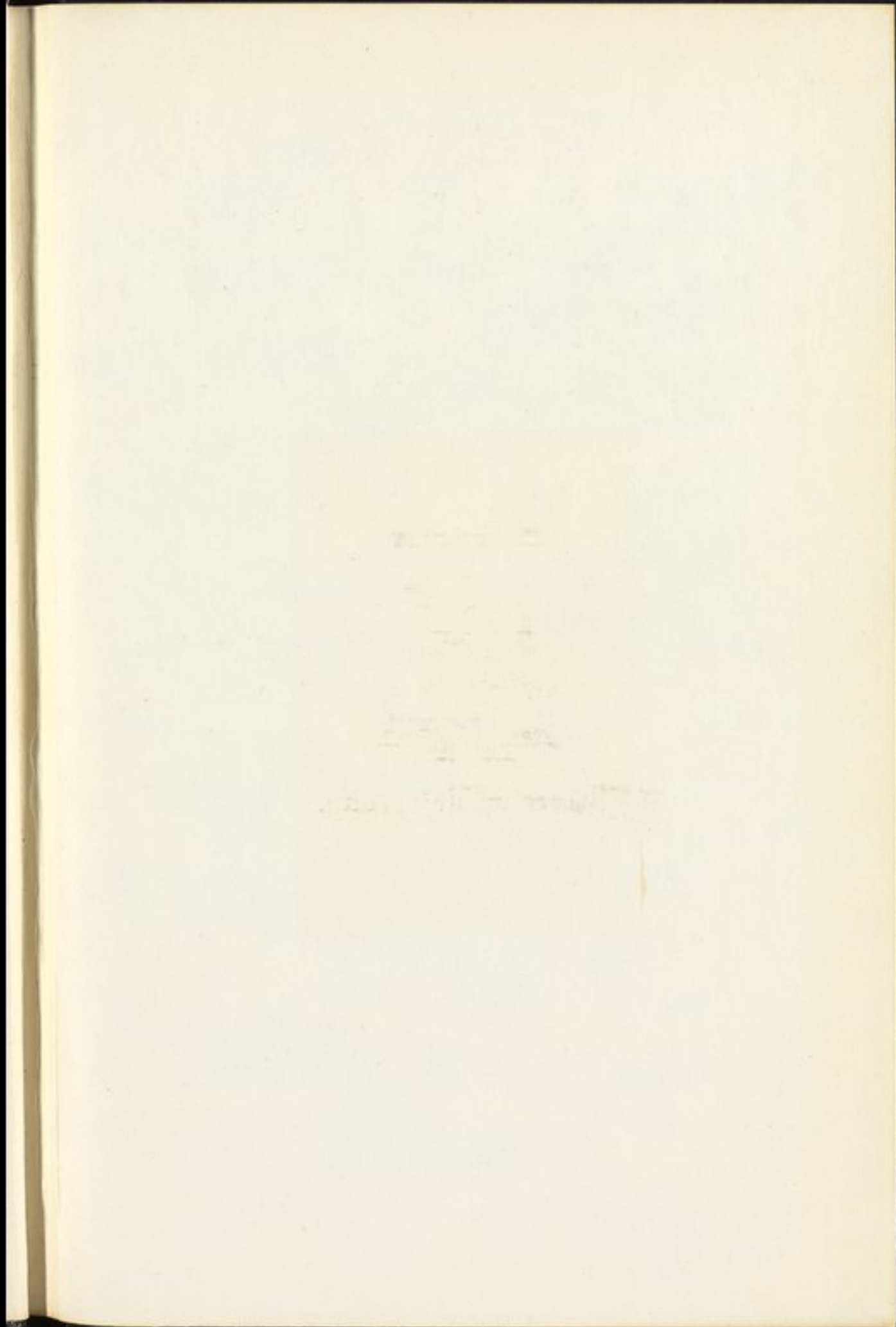
100-5663

71









Library of



Princeton University.

